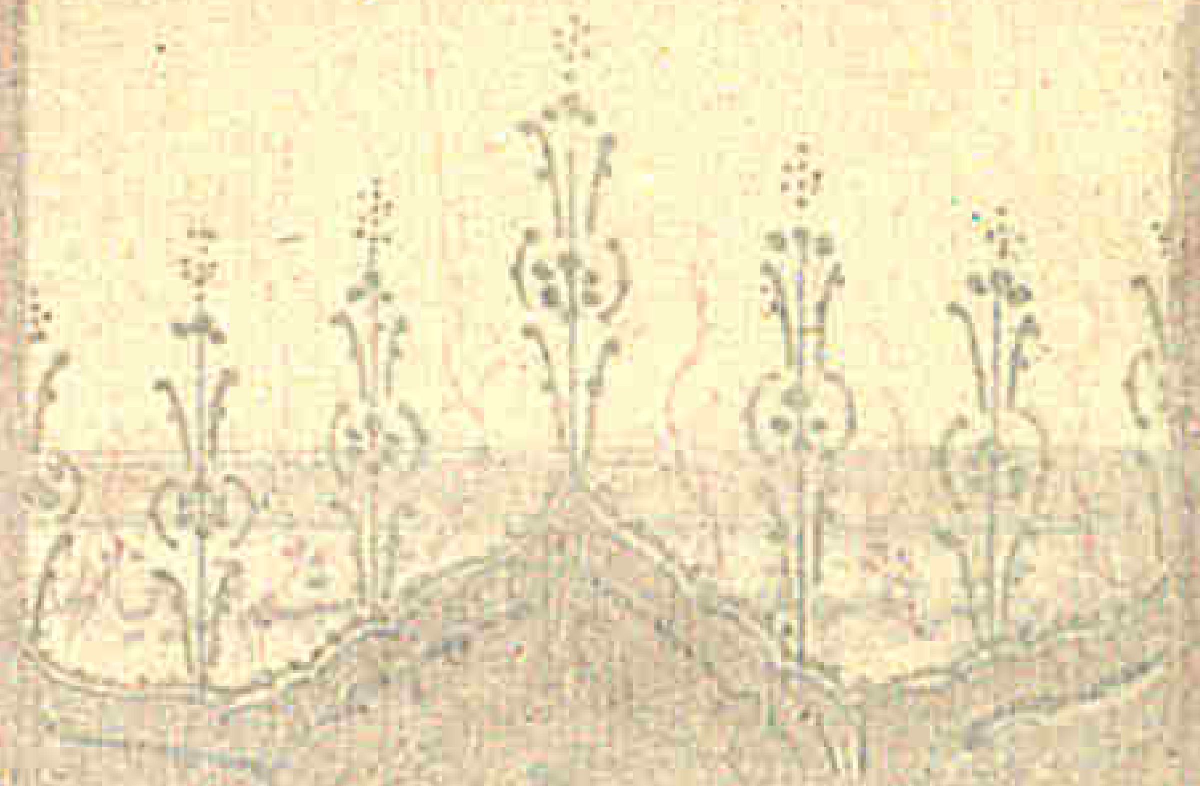




بسم الله الرحمن الرحيم

قال الفقيه القاضي الامام ابو الفضل عياض بن موسى عياض اليحصبي
رضي الله عنه قراءة عليه وانا اسمع قال الحمد لله المنفرد باسمه
الاسمى المختص بالملك الاعز الاحمى الذي دونه منتهى ولا وراءه
مرمى القاهر لا تخيلا ووهما والباطن تقدسا لا عدما وسع كل شيء
رحمة وعلما واسبغ على اوليائه نعما عما وبعث فيهم رسولا من
انفسهم عربا وعجما وازكاهم محتدا ومنمى وارجحهم
عقلا وحلما واوفرهم علما وفهما واقواهم يقينا وعزما واشدهم
بهم رأفة ورحمى زكاه روحا وجسما وحاشاه عيبا ووصما
وآتاه حكمة وحكما وفتح به اعينا عميا وقلوبا غلفا وآذانا صما
فآمن به وعزروه ونصروه ووقروه جعل الله له في مغنم السعادة
قسما وكذب به وصدف عن آياته من كتب الله عليه الشقا
حتما ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى صلى الله عليه وسلم
صلاة تنمو وتنمى وعلى آله وسلم تسليما اما بعد اشرق الله قلبي
وقلبك بانوار اليقين ولطف لي ولك بما لطف به لاوليائه المتقين

صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الذين

الذين شرفهم الله بنزل قدسه واوحشهم من بين الخليقة بانسه
وخصهم من معرفته ومشاهدة عجائب ملكوته وآثار قدرته بما ملأ
قلوبهم حبرة وولّه عقولهم من عظمته حيرة فجعلوا همهم به واحدا
ولم يروا في الدارين غيره مشاهدا فهم بمشاهدة جماله وجلاله
وجماله يتنعمون وبين آثار قدرته وعجائب عظمته يترددون و
بالانقطاع اليه والتوكل عليه يتعززون لهجين بصادق قوله
قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون فانك كررت علي السؤال في مجموع
يتضمن التعريف بقدر المصطفى عليه الصلوة والسلام وما يجب له
من توقير واكرام وما حكم من لم يوف واجب عظيم ذلك القدر
او قصر في حق منصبه الجليل قلامة ظفر وان اجمع لك ما لاسلافنا
وائمتنا في ذلك من مقال وابينه بتنزيل صور وامثال فاعلم
اكرمك الله انك حملتني من ذلك امرا عسيرا وارهقتني فيما ندبتني
اليه عسرا وارقيتني بما كلفتني مرتقى صعبا ملأ قلبي رعبا فان
الكلام في ذلك يستدعي تقرير اصول وتحرير فصول والكشف عن
غوامض ودقائق من علم الحقائق مما يجب للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم
ويضاف اليه او يمتنع او يجوز عليه ومعرفة النبي صلى الله عليه
وسلم والرسول والرسالة والنبوة والخلة والمحبة وخصائص هذه
الدرجة العلية وههنا مهامه فيح تحار فيها القطا وتقصر بها الخطا
ومجاهل تضل فيها الاحلام ان لم تهتد بعلم علم ونظر سديد فيها
ومداحض تزل بها الاقدام ان لم تعتمد على توفيق من الله وتأييد لكني
لما رجوته لي ولك في هذا السؤال والجواب من نوال وثواب بتعريف قدره

في مصنف جمع فيه معرفة ما يثبت له النبوة
وهو مؤلف جمع فيه نوع من الفضائل المصطفوية

وهو الحريز المنيف

الجسيم وخلقه العظيم وبيان خصايصه التي لم تجتمع قبل في مخلوق
وما يُدان الله تعالى من حقه الذي هو ارفع الحقوق ليستيقن الذين
اوتوا الكتاب ويزداد الذين امنوا ايمانا ولما اخذ الله ميثاق
الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ولما حدثنا به ابو الوليد
هشام بن احمد الفقيه رحمه الله بقراءتي عليه قال اخبرنا الحسين
بن محمد حدثنا ابو عمر النمري حدثنا ابو محمد ابن عبد المومن حدثنا
ابو بكر محمد بن بكر حدثنا سليمان ابن الاشعث حدثنا موسى بن
اسمعيل حدثنا حماد حدثنا علي ابن الحكم عن عطاء عن ابي هريرة
رضي الله تعالى عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
سئل عن علم فكتمه الجمه الله تعالى بلجام من نار يوم القيمة فبادرت الى
نكت سفرة عن وجه الغرض مؤديا من ذلك الحق المفترض
اختلستها على الاستعجال لما المرء بصدده من شغل البدن والبال
بما طوقه من مقاليد المحنة التي ابتلي بها فكادت تشغل عن كل فرض
ونفل وترد بعد حسن التقويم الى اسفل سفل ولو اراد الله
بالانسان خيرا لجعل شغله وهمه كله فيما يحمد غدا او لا يذم محله
فليس ثم سوى حضرة النعيم او عذاب الجحيم ولكان عليه بخويصته
واستنقاذ مهجته وعمل صالح يستزيده وعلم نافع يفيده او يستفيده
جبر الله تعالى صدع قلوبنا وغفر عظيم ذنوبنا وجعل جميع استعدادنا لمعادنا
وتوفر دواعينا فيما ينجينا ويقربنا اليه تعالى زلفى ويحظينا بمنه
ورحمته وثابرت تقريبه وذربت تبويبه ومهدت تاصيله وخلصت
تفصيله وانتحيت حصره وتحصيله ترجمته الشفا بتعريف حقوق

المصطفى

المصطفى وحصرت الكلام فيه في اقسام اربعة القسم الاول في تعظيم
العلي الاعلى لقدر هذا النبي صلى الله عليه وسلم قولا وفعلا وتوجه
الكلام فيه اربعة ابواب الباب الاول في ثنائه تعالى عليه واظهاره
عظيم قدره لديه وفيه عشرة فصول الباب الثاني في تكميله تعالى
له المحاسن خلقا وخلقا وقرانه جميع الفضائل الدينية والدنيوية نسقا
وفيه سبعة وعشرون فصلا الباب الثالث فيما ورد من صحيح الاخبار ومشهورها
بعظيم قدره عند ربه ومنزلته وما خصه به في الدارين من كرامته و
فيه اثنا عشر فصلا الباب الرابع فيما اظهره الله تعالى على يديه من
الايات والمعجزات وشرفه به من الخصايص والكرامات وفيه
ثلاثون فصلا القسم الثاني فيما يجب على الانام من حقوقه عليه الصلوة
والسلام ويترتب القول فيه اربعة ابواب الباب الاول في فرض
الايمان به ووجوب طاعته واتباع سنته وفيه خمسة فصول
الباب الثاني في لزوم محبته ومناصحته وفيه ستة فصول الباب الثالث
في تعظيم امره ولزوم توقيره وبره وفيه سبعة فصول الباب الرابع
في حكم الصلوة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته وفيه
عشرة فصول القسم الثالث فيما يستحيل في حقه صلى الله تعالى عليه
وسلم وما يجوز عليه وما يمتنع ويصح من الامور البشرية ان
يضاف اليه وهذا القسم اكرمك الله تعالى هو سر الكتاب ولباب
ثمرة هذه الابواب وما قبله له كالقواعد والتمهيدات والدلائل
على ما نورده فيه من النكت البينات وهو الحاكم على ما بعده والمنجز
من غرض هذا التاليف وعده وعند التقصي لموعده والتفصي
عن عهدته يشرق صدر العدو اللعين ويشرق قلب المؤمن باليقين

وتملاء انواره جوانح صدره ويقدر العاقل النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم حق قدره وتحرر الكلام فيه بابين الباب الاول فيما يختص
بالامور الدينية ويتشبث به القول في العصمة وفيه ستة
عشر فصلا الباب الثاني في احواله الدنيوية وما يجوز طروءه عليه
من الاعراض البشرية وفيه تسعة فصول القسم الرابع في تصرف
وجوه الاحكام على من تنقصه او سبه عليه السلام وينقسم الكلام
فيه في بابين الباب الاول في بيان ما هو في حقه سب ونقص من
تعريض او نص وفيه عشرة فصول الباب الثاني في حكم شانيه و
موذيه ومنتقصيه وعقوبته وذكر استتابته والصلوة عليه
ووراثته وفيه عشرة فصول وختمناه بباب ثالث جعلناه
تكملة لهذه المسئلة ووصلة للبابين اللذين قبله في حكم من
سب الله تعالى ورسله وملائكته وكتبه وال النبي وصحبه عليه
الصلوة والسلام واختصر الكلام فيه في خمسة فصول بتمامها
ينجز الكتاب وتتم الاقسام والابواب ويلوح في غرة الايمان لمعة
منيرة وفي تاج التراجم درة خطيرة تزيح كل لبس وتوضح كل
تخمين وحدس وتشفي صدور قوم مؤمنين وتصدع بالحق
وتعرض عن الجاهلين وبالله تعالى لا اله سواه استعين القسم الاول
في تعظيم العلي الاعلى لقدر المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم
قولا وفعلا قال الفقيه القاضي ابو الفضل وفقه الله تعالى و
سدده لا خفاء على من مارس شيئا من العلم او خص بادنى لمحة
من فهم بتعظيم الله تعالى قدر نبينا عليه الصلوة والسلام و

خصوصه

خصوصه اياه بفضائل ومحاسن ومناقب لا تنضبط لزمام وتنويهه
من عظيم قدره بما تكل عنه الالسنة والاقلام فمنها ما صرح به
تعالى في كتابه ونبه به على جليل نصابه واثنى به عليه من اخلاقه و
ادابه وحض العباد على التزامه وتقلد ايجابه فكان جل جلاله هو
الذي تفضل واولى ثم طهر وزكى ثم مدح بذلك واثنى ثم اثاب
عليه الجزاء الاوفى فله الفضل بدءا وعودا والحمد لله اولى واخرى
ومنها ما ابرزه للعيان من خلقه على اتم وجوه الكمال والجلال و
تخصيصه بالمحاسن الجميلة والاخلاق الحميدة والمذاهب الكريمة
والفضائل العديدة وتاييده بالمعجزات الباهرة والبراهين الواضحة
والكرامات البينة التي شاهدها من عاصره وراها من ادركه
وعلمها علم يقين من جاء بعده حتى انتهى علم حقيقة ذلك الينا وفاضت
انواره علينا صلى الله تعالى عليه وسلم تسليما كثيرا حدثنا القاضي
الشهيد ابو علي الحسين بن محمد الحافظ رحمه الله تعالى قراءة مني عليه
قال حدثنا ابو الحسين المبارك بن عبد الجبار وابو الفضل احمد
بن خيرون قالا حدثنا ابو يعلى البغدادي قال حدثنا ابو علي السنجي
قال حدثنا محمد بن احمد بن محبوب حدثنا ابو عيسى بن سورة الحافظ
قال حدثنا اسحق بن منصور حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن
قتادة عن انس رضي الله تعالى عنهما ان النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم اتي بالبراق ليلة اسري به ملجما مسرجا فاستصعب عليه
فقال له جبرائيل عليه السلام امحمد صلى الله تعالى عليه وسلم تفعل
هذا فما ركبك احد اكرم على الله منه قال فارفض عرقا الباب

الاول في ثناء الله تعالى عليه واظهاره عظيم قدره لديه اعلم
ان في كتاب الله العزيز آيات كثيرة مفصحة بجميل ذكر المصطفى
صلى الله تعالى عليه وسلم وعد محاسنه وتعظيم امره وتنويه
قدره اعتمدنا منها على ما ظهر معناه وبان فحواه وجمعنا ذلك
في عشرة فصول الفصل الاول فيما جاء من ذلك مجيء المدح والثناء
وتعداد المحاسن كقوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم الآية
قال السمرقندي وقراء بعضهم من انفسكم بفتح الفاء وقراءة
الجمهور بالضم قال الفقيه القاضي ابو الفضل وفقه الله عز
وجل اعلم الله تعالى المؤمنين او العرب او اهل مكة او جميع الناس
على اختلاف المفسرين من المواجه بهذا الخطاب انه بعث فيهم
رسولا من انفسهم يعرفونه ويتحققون مكانه ويعلمون صدقه و
امانته فلا يتهمون بالكذب وترك النصيحة لهم لكونه منهم وانه
لم يكن في العرب قبيلة الا ولها على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ولادة او قرابة وهو عند ابن عباس وغيره رضي الله تعالى عنهم معنى
قوله تعالى الا المودة في القربى وكونه من اشرفهم وارفعهم وافضلهم
على قراءة الفتح وهذا نهاية المدح ثم وصفه بعد باوصاف حميدة
واثنى عليه بمحامد كثيرة من حرصه على هدايتهم ورشدهم واسلامهم
وشدة ما يعنتهم ويضر بهم في دنياهم واخراهم وعزته عليه ورأفته
ورحمته بمؤمنيهم قال بعضهم اعطاه اسمين من اسمائه رؤوف
رحيم ومثله في الآية الاخرى قوله تعالى لقد من الله على المؤمنين
اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم الآية وفي الآية الاخرى هو الذي

في الاميين رسولا منهم الآية وقوله تعالى كما ارسلنا فيكم رسولا منكم الآية
روي عن علي رضي الله عنه عنه عليه السلام في قوله تعالى من انفسكم
قال نسبا وصهرا وحسبا ليس في آبائي من لدن آدم سفاح كلنا
نكاح قال ابن الكلبي كتبت للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم خمس مائة
ام فما وجدت فيهن سفاحا ولا شيئا مما كان عليه الجاهلية
وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى وتقلبك في الساجدين
قال من نبي الى نبي حتى اخرجتك نبيا وقال جعفر بن محمد علم الله
تعالى عن طاعته نعم فهم ذلك لكي يعلموا انهم لا ينالون الصفو من
خدمته فاقام بينه وبينهم مخلوقا من جنسهم في الصورة البسه من
نعته الرأفة والرحمة واخرجه الى الخلق سفيرا صادقا وجعل طاعته
طاعته وموافقته موافقته فقال عز وجل من يطع الرسول فقد اطاع
الله وقال الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ابو بكر بن طاهر
زين الله محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم بزينة الرحمة فكان كونه رحمة
وجميع شمائله وصفاته رحمة على الخلق فمن اصابه شيء من رحمته فهو
الناجي في الدارين من كل مكروه والواصل فيهما الى كل محبوب الا ترى
ان الله تعالى يقول وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فكانت حيوته
رحمة ومماته رحمة كما قال عليه السلام حياتي خير لكم ومماتي خير لكم
وكما قال عليه الصلوة والسلام اذا اراد الله رحمة بامة قبض
نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا وقال السمرقندي رحمة للعالمين
يعني للجن والانس وقيل لجميع الخلق للمؤمن رحمة بالهداية ورحمة
للمنافق بالامان من القتل ورحمة للكافر بتاخير العذاب قال ابن

عباس رضي الله تعالى عنهما هو رحمة للمؤمنين والكافرين اذ عوفوا مما
اصاب غيرهم من الامم المكذبة وحكي ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
قال لجبريل عليه السلام هل اصابك من هذه الرحمة شيء قال نعم
كنت اخشى العاقبة فامنت لثناء الله تعالى علي بقوله ذي قوة عند
ذي العرش مكين مطاع ثم امين وروي عن جعفر بن محمد الصادق
رضي الله تعالى عنه في قوله تعالى فسلام لك من اصحاب اليمين اي بك انما
وقعت سلامتهم من اجل كرامة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقال الله تعالى
الله نور السموات والارض الاية قال كعب وابن جبير المراد بالنور
الثاني هنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقوله مثل نوره اي نور محمد
صلى الله تعالى عليه وسلم وقال سهل بن عبد الله المعنى الله هادي
اهل السموات والارض ثم قال مثل نور محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
اذ كان مستودعا في الاصلاب كمشكوة صفتها كذا واراد بالمصباح
قلبه وبالزجاجة صدره اي كانه كوكب دري لما فيه من الايمان
والحكمة يوقد من شجرة مباركة اي من نور ابراهيم عليه السلام وضرب
المثل بالشجرة المباركة وقوله يكاد زيتها يضيء اي يكاد نبوة محمد
صلى الله تعالى عليه وسلم تبين للناس قبل كلامه كهذا الزيت وقد
قيل في هذه الاية غير هذا والله تعالى اعلم وقد سماه الله تعالى في القران
في غير هذا الموضع نورا وسراجا منيرا فقال قد جاءكم من الله نور و
كتاب مبين وقال انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا
الى الله وسراجا منيرا ومن هذا قوله عز وجل الم نشرح لك صدرك
الى اخر السورة شرح وسع والمراد بالصدر هنا القلب قال ابن

عباس

عباس رضي الله عنه شرحه بالاسلام وقال سهل رضي الله عنه بنور الرسالة
وقال الحسن رحمه الله تعالى عليه ملاه حكما وعلما وقيل معناه الم
نطهر قلبك حتى لا يؤذيك الوسواس ووضعنا عنك وزرك الذي
انقض ظهرك قيل ما سلف من ذنبك يعني قبل النبوة وقيل اراد ثقل
ايام الجاهلية وقيل اراد ما اثقل ظهره من الرسالة حتى بلغها حكاه
الماوردي والسلمي وقيل عصمناك ولولا ذلك لاثقلت الذنوب
ظهرك حكاه السمرقندي ورفعنا لك ذكرك قال يحيى بن آدم
بالنبوة وقيل اذا ذكرت ذكرت معي قول لا اله الا الله محمد رسول الله
وقيل في الاذان والتشهد قال الفقيه القاضي وفقه الله تعالى هذا
تقرير من الله جل اسمه لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم على عظيم نعمه لديه
وشريف منزلته عنده وكرامته عليه بان شرح قلبه للايمان والهداية
ووسعه لوعي العلم وحمل الحكمة ورفع عنه ثقل امور الجاهلية عليه
وبغضه لسيرها وما كانت عليه بظهور دينه على الدين كله وحط
عنه عهدة اعباء الرسالة والنبوة لتبليغه للناس ما نزل اليهم
وتنويهه بعظيم مكانه وجليل رتبته ورفع ذكره وقرانه مع اسمه اسمه
قال قتادة رفع الله تعالى ذكره في الدنيا والاخرة فليس خطيب ولا
متشهد ولا صاحب صلاة الا يقول اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا
رسول الله وروى ابو سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه ان النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم قال اتاني جبرائيل عليه السلام فقال ان ربي
وربك يقول تدري كيف رفعت ذكرك قلت الله ورسوله اعلم
قال اذا ذكرت ذكرت معي قال ابن عطاء جعلت تمام الايمان بذكري

معك

معك وقال ايضا جعلتك ذكرا من ذكري فمن ذكرك ذكرني قال
جعفر بن محمد الصادق لا يذكرك احد بالرسالة الا ذكرني بالربوبية
واشار بعضهم في ذلك الى مقام الشفاعة ومن ذكره معه تعالى ان قرن
طاعته بطاعته واسمه باسمه فقال واطيعوا الله والرسول وامنوا
بالله ورسوله فجمع بينهما بواو العطف المشتركة ولا يجوز هذا الكلام
في غير حقه عليه الصلوة والسلام حدثنا الشيخ ابو علي الحسين
بن محمد الجياني الحافظ فيما اجازنيه وقراته على الثقة عنه قال
حدثنا ابو عمر النمري قال حدثنا ابو محمد بن عبد المؤمن حدثنا ابو بكر
بن داسة التمار حدثنا ابو داود السجزي حدثنا ابو الوليد
الطيالسي حدثنا شعبة عن منصور عن عبد الله بن يسار عن
حذيفة رضي الله عنهم عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال
لا يقولن احدكم ما شاء الله وشاء فلان ولكن ما شاء الله ثم شاء فلان
قال الخطابي ارشدهم صلى الله عليه وسلم الى الادب في تقديم
مشية الله تعالى على مشية من سواه واختارها بثم التي هي للنسق
والتراخي بخلاف الواو التي هي للاشتراك ومثله الحديث الاخر ان
خطيبا خطب عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال من يطع
الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقال له النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم بئس خطيب القوم انت قم او قال اذهب قال ابو
سليمان كره منه الجمع انه انما كره له الوقوف على يعصهما وقول ابي
سليمان اصح لما روي في الحديث الصحيح انه قال ومن يعصهما فقد
غوى ولم يذكر الوقوف على يعصهما وقد اختلف المفسرون واصحاب

المعاني في قوله عز وجل ان الله وملائكته يصلون على النبي هل
يصلون راجعة على الله والملائكة ام لا فاجازه بعضهم ومنعه
آخرون لعلة التشريك وخصوا الضمير بالملائكة وقدروا الاية
ان الله يصلي وملائكته يصلون وقد روي عن عمر رضي الله تعالى
عنه انه قال من فضيلتك عند الله ان جعل طاعتك طاعته فقال
من يطع الرسول فقد اطاع الله وقد قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون
الله فاتبعوني يحببكم الله الآيتين روي انه لما نزلت هذه الاية قالوا
ان محمدا يريد ان نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى عيسى عليه الصلوة
والسلام فانزل الله تعالى قل اطيعوا الله والرسول الاية فقرن طاعته
تعالى بطاعته رغما لهم وقد اختلف المفسرون في معنى قوله في ام الكتاب
اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم فقال ابو العالية
والحسن البصري الصراط المستقيم هو رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم وخيار اهل بيته واصحابه عليهم رضوان الله تعالى حكاه عنهما
ابو الحسن الماوردي وحكى مكي عنهما نحوه وقال هو رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم وصاحباه ابو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما
وحكى ابو الليث السمرقندي مثله عن ابي العالية في قوله تعالى صراط
الذين انعمت عليهم قال فبلغ ذلك الحسن فقال صدق والله ونصح
وحكى الماوردي ذلك في تفسير صراط الذين انعمت عليهم عن عبد الرحمن
بن زيد وحكى ابو عبد الرحمن السلمي عن بعضهم في تفسير قوله تعالى
فقد استمسك بالعروة الوثقى انه محمد عليه الصلوة والسلام وقيل
الاسلام وقيل شهادة التوحيد وقال سهل في قوله تعالى وان

نعد وا نعمة الله لا تحصوها قال نعمته محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
وقال الله تعالى والذى جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون
الآيتين اكثر المفسرين على ان الذى جاء بالصدق هو محمد صلى الله
تعالى عليه وسلم قال بعضهم وهو الذى صدق به وقرئ صدق به
بالتخفيف وقال غيرهم هو الذى صدق به المؤمنون وقيل ابو بكر
رضى الله تعالى عنه وقيل على رضى الله تعالى عنه وقيل غير هذا من
الاقوال وعن مجاهد فى قوله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب قال
بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه الفصل الثانى فى وصفه تعالى له
بالشهادة وما يتعلق بها من الثناء والكرامة قال الله تعالى يا ايها النبى
انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الآية جمع الله تعالى له فى هذه
الآية ضروبا من رتب الاثرة وجملة اوصاف من المدحة فجعله شاهدا
على امته لنفسه بابلاغهم الرسالة وهى من خصائصه عليه الصلوة
والسلام ومبشرا لاهل طاعته ونذيرا لاهل معصيته وداعيا
الى توحيده وعبادته وسراجا منيرا يهتدى به للحق حدثنا الشيخ
ابو محمد بن عتاب رحمه الله تعالى قال حدثنا ابو الحسن القابسى حدثنا
ابو زيد المروزى حدثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف حدثنا البخارى
حدثنا محمد بن سنان حدثنا فليح حدثنا هلال عن عطاء بن يسار
قال لقيت عبد الله بن عمر العاص فقلت اخبرنى عن صفة رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال اجل والله انه لموصوف فى التورية
ببعض صفته فى القرآن يا ايها النبى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا
ونذيرا وحرزا للاميين انت عبدى ورسولى سميتك المتوكل

ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب فى الاسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة
ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله تعالى حتى يقيم به الملة العوجاء بان
يقولوا لا اله الا الله ويفتح به اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا وذكر
مثله عن عبد الله بن سلام وكعب الاحبار عليهما رضوان الله وفى
طرقه عن ابن اسحاق ولا صخب فى الاسواق ولا متزين بالفحش ولا قوال
للخنا اسدده لكل جميل واهب له كل خلق كريم واجعل السكينة لباسه
والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفاء
طبيعته والعفو والمعروف خلقه والحق شريعته والعدل سيرته
والهدى امامه والاسلام ملته واحمد اسمه اهدى به بعد الضلالة
واعلم به بعد الجهالة وارفع به بعد الخمالة واسمى به بعد النكرة و
اكثر به بعد القلة واغنى به بعد العيلة واجمع به بعد الفرقة
واولف به بين قلوب مختلفة واهواء متشتتة وامم متفرقة واجعل
امته خير امة اخرجت للناس وفى حديث آخر اخبرنا رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم عن صفته فى التورية عبدى احمد المختار
مولده بمكة ومهاجره بالمدينة او قال طيبة امته الحامدون لله تعالى
على كل حال وقال الله تعالى الذين يتبعون الرسول النبى الامى الآيتين
وقال تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم الآية قال السمرقندى ذكرهم
الله تعالى منته انه جعل رسوله رحيما بالمؤمنين رؤفا لين الجانب
ولو كان فظا خشنا فى القول لتفرقوا من حوله ولكن جعله الله تعالى
سمحا سهلا طلقا برا لطيفا هكذا قاله الضحاك وقال تعالى وكذلك جعلناكم
امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا

قال ابو الحسن القابسي ابان الله تعالى فضل نبينا صلى الله تعالى عليه
وسلم وفضل امته بهذه الآية وفي قوله تعالى في الاية الاخرى وفي
هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس وكذلك
قوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء
شهيدا قوله تعالى وسطا اى عدولا اخيارا ومعنى هذه الاية وكما
هديناكم فكذلك خصصناكم وفضلناكم بان جعلناكم امة خيارا
عدولا لتشهدوا للانبياء عليهم الصلوة والسلام على اممهم
ويشهد لكم الرسول بالصدق قيل ان الله جل جلاله اذا سأل
الانبياء هل بلغتم فيقولون نعم فتقول اممهم ما جاءنا من بشير
ولا نذير فتشهد امة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم للانبياء ويزكيهم
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قيل معنى الاية انكم حجة على كل
من خالفكم والرسول حجة عليكم حكاه السمرقندي وقال تعالى وبشر الذين
آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم قال قتادة والحسن وزيد بن
اسلم قدم صدق هو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم يشفع لهم وعن
الحسن ايضا هي مصيبتهم بنبيهم صلى الله تعالى عليه وسلم وعن ابي
سعيد الخدري هي شفاعة نبيهم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم هو
شفيع صدق عند ربهم وقال سهل بن عبد الله التستري هي سابقة
رحمة اودعها في محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقال محمد بن علي
الترمذي هو امام الصادقين والصديقين الشفيع المطاع والسائل
المجاب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم حكاه عنه السلمي الفصل الثالث
فيما ورد في خطابه اياه مورد الملاطفة والمبرة فمن ذلك قوله

قوله

تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم قال ابو محمد المكي قيل هذا افتتاح الكلام
بمنزلة اصلحك الله تعالى واعزك الله تعالى وقال عون بن عبد الله اخبره
بالعفو قبل ان يخبره بالذنب حكى السمرقندي عن بعضهم ان معناه
عافاك الله يا سليم القلب لم اذنت لهم قال ولو بدأ النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم بقوله لم اذنت لهم لخيف عليه ان ينشق قلبه من
هيبة هذا الكلام لكن الله تعالى برحمته اخبره بالعفو حتى سكن قلبه
ثم قال له لم اذنت لهم بالتخلف حتى يتبين لك الصادق في عذره
من الكاذب وفي هذا من عظيم منزلته عند الله تعالى ما لا يخفى على ذي
لب واكرامه اياه وبره به ما ينقطع دون معرفة غايته نياط
القلب قال نفطويه ذهب ناس الى ان النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم معاتب بهذه الاية وحاشاه من ذلك بل كان مخيرا فلما
اذن لهم اعلمه الله تعالى انه لو لم ياذن لهم لقعدوا لنفاقهم وانه لا حرج
عليه في الاذن لهم قال الفقيه القاضي ابو الفضل يجب على المسلم المجاهد
نفسه الرايض بزمام الشريعة خلقه ان يتأدب بآداب القرآن في
قوله وفعله ومعاطاته ومحاوراته فهو عنصر المعارف الحقيقية و
روضة الآداب الدينية والدنيوية وليتأمل هذه الملاطفة
العجيبة في السؤال من رب الارباب المنعم على الكل المستغني عن الجميع
ويستثير ما فيها من الفوائد فكيف ابتداء بالاكرام قبل العتب و
آنس بالعفو قبل ذكر الذنب ان كان ثم ذنب وقال تعالى ولولا
ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا قال بعض المتكلمين
عاتب الله تعالى الانبياء بعد الزلات وعاتب نبينا صلى الله تعالى

عليه وسلم قبل وقوعه ليكون بذلك اشد انتهاء ومحافظة لشرائط
المحبة وهذه غاية العناية ثم انظر كيف بدء بتبرئته وسلامته
قبل ذكر ما عتبه عليه وخيف ان يركن اليه ففي اثناء عتبه براءته
وفي طي تخويفه تامينه وكرامته ومثله قوله تعالى قد نعلم انه ليحزنك
الذي يقولون فانهم لا يكذبونك الاية قال علي رضي الله تعالى عنه قال
ابو جهل لعنه الله تعالى للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم انا لا نكذبك
ولكن نكذب بما جئت به فانزل الله تعالى فيهم فانهم لا يكذبونك الاية
وروي ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما كذبه قومه حزن
فجاءه جبرائيل عليه السلام فقال ما يحزنك قال كذبني قومي فقال
انهم يعلمون انك صادق فانزل الله تعالى الاية ففي هذه الاية منزع
لطيف المأخذ من تسليته تعالى له عليه الصلوة والسلام والطافه
في القول بان قرر عنده انه صادق عندهم وانهم غير مكذبين له
معترفون بصدقه قولا واعتقادا وقد كانوا يسمونه قبل النبوة الامين
فدفع بهذا التقرير ارتماض نفسه بسمة الكذب ثم جعل الذم لهم
بتسميتهم ظالمين جاحدين فقال تعالى ولكن الظالمين بايات الله يجحدون
فحاشاه من الوصم وطوقهم بالمعاندة بتكذيب الايات حقيقة الظلم
اذ الجحد انما يكون ممن علم الشيء ثم انكره كقوله وجحدوا بها واستيقنتها
انفسهم ظلما وعلوا ثم عزاه وانسه بما ذكره قبله ووعده بالنصر
بقوله ولقد كذبت رسل من قبلك الاية فمن قرأ لا يكذبونك بالتخفيف
فمعناه لا يجدونك كاذبا وقال الفراء والكسائي لا يقولون انك
كاذبا وقيل لا يحتجون على كذبك ولا يثبتونه ومن قرأ بالتشديد

فمعناه

فمعناه لا ينسبونك الى الكذب وقيل لا يعتقدون كذبك ومما ذكر
من خصائصه عليه السلام وبر الله تعالى به ان الله تعالى خاطب جميع الانبياء
عليهم السلام فقال يا ادم يا نوح يا ابراهيم يا داود يا عيسى يا زكريا
يا يحيى ولم يخاطبه هو الا يا ايها النبي يا ايها الرسول يا ايها المزمل يا ايها
المدثر الفصل الرابع في قسمه تعالى بعظيم قدره قال الله تعالى لعمرك انهم
لفي سكرتهم يعمهون اتفق اهل التفسير في هذا انه قسم من الله تعالى جل
جلاله بمدة حياة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم واصله ضم العين من العمر
ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال ومعناه وبقائك يا محمد صلى الله تعالى عليه
وسلم وقيل وعيشك وقيل وحياتك وهذه نهاية التعظيم وغاية البر
والتشريف قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ما خلق الله وما ذرأ وما برأ
نفسا اكرم عليه من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وما سمعت الله تعالى اقسم
بحياة احد غيره قال ابو الجوزاء ما اقسم الله بحياة احد غير محمد صلى الله تعالى
عليه وسلم لانه اكرم البرية عنده وقال تعالى يس والقرآن الحكيم الاية
اختلف المفسرون في معنى يس على اقوال فحكى ابو محمد مكي انه روي عن
النبي صلى الله تعالى انه قال لي عند ربي عشرة اسماء ذكر انه منها طه
ويس اسمان له وحكى ابو عبد الرحمن السلمي عن جعفر الصادق انه اراد
يا سيد مخاطبة لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم وعن ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما يس يا انسان اراد بالانسان محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم وقال
هو قسم من اسماء الله تعالى وقال الزجاج قيل معناه يا محمد وقيل يا رجل
وقيل يا انسان وعن ابن الحنفية يس يا محمد وعن كعب رضي الله تعالى عنه
يس قسم اقسم الله تعالى به قبل ان يخلق السموات والارض بالفي عام

يا محمد انك لمن المرسلين ثم قال تعالى والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين فان
قلت من اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم وصح فيه انه قسم كان فيه من التعظيم
ما تقدم ويؤكد فيه القسم عطف القسم الآخر عليه وان كان بمعنى النداء
فقد جاء قسم آخر لتحقيق رسالته والشهادة بهدايته اقسم تعالى
باسمه وكتابه انه من المرسلين بوحيه الى عباده وعلى صراط مستقيم من
ايمانه اى على طريق لا اعوجاج فيه ولا عدول عن الحق قال النقاش
لم يقسم الله تبارك وتعالى لاحد من انبيائه بالرسالة فى كتابه الا له وفيه
من تعظيمه وتمجيده على تاويل من قال انه يا سيد ما فيه وقد قال عليه
الصلوة والسلام انا سيد ولد آدم ولا فخر وقال تعالى لا اقسم بهذا
البلد وانت حل بهذا البلد قيل لا اقسم به اذا لم تكن فيه بعد خروجك
منه حكاه مكى وقيل لا زائدة اى اقسم به وانت به يا محمد حلال
او حل لك ما فعلت فيه على التفسيرين والمراد بالبلد عند هؤلاء
مكة وقال الواسطى اى نحلف لك بهذا البلد الذى شرفته بمكانك
فيه حيا وببركتك ميتا يعنى المدينة والاول اصح لان السورة
مكية وما بعده يصححه قوله تعالى وانت حل بهذا البلد ونحوه قول
ابن عطاء فى تفسير قوله تعالى وهذا البلد الامين قال امنها الله عز
وجل بمقامه فيها وكونه بها فان كونه امان حيث كان ثم قال تعالى
ووالد وما ولد من قال اراد آدم فهو عام ومن قال هو ابراهيم
عليه السلام وما ولد فهى ان شاء الله تعالى اشارة الى محمد صلى الله تعالى
عليه وسلم فتتضمن السورة القسم به فى موضعين وقال تعالى
الم ذلك الكتاب قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما هذه الحروف اقسام

اقسم

اقسم الله بها وعنه وعن غيره فيها غير ذلك وقال سهل بن عبد الله التسترى
رضى الله تعالى عنه الالف هو الله تعالى واللام جبرئيل والميم محمد عليهما
الصلوة والسلام وحكى هذا القول السمرقندى ولم ينسبه الى سهل
وجعل معناه الله انزل جبرئيل على محمد عليهما الصلوة والسلام بهذا
القرآن لا ريب فيه وعلى الوجه الاول يحتمل القسم ان هذا الكتاب حق
لا ريب فيه ثم فيه من فضيلته قران اسمه باسمه نحو ما تقدم وقال
ابن عطاء فى قوله تعالى ق والقرآن المجيد اقسم بقوة قلب حبيبه محمد صلى
الله تعالى عليه وسلم حيث تحمل الخطاب والمشاهدة ولم يؤثر ذلك فيه
لعلو حاله وقيل هو اسم للقرآن وقيل هو اسم الله تعالى وقيل جبل محيط بالارض
وقيل غير هذا وقال جعفر بن محمد فى تفسير والنجم اذا هوى انه محمد
عليه الصلوة والسلام وقال انقطع عن غير الله تعالى وقال ابن عطاء
وقال النجم قلب محمد هوى انشرح من الانوار صح
فى قوله تعالى والفجر وليال عشر الفجر محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لان منه
تفجر الايمان الفصل الخامس فى قسمه تعالى جده له ليحقق مكانته عنده
قال جل اسمه والضحى والليل اذا سجى السورة اختلف فى سبب نزول هذه
السوره فقيل كان ترك النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قيام الليل لعذر
نزل به فتكلمت امراة فى ذلك بكلام وقيل بل تكلم به المشركون عند
فترة الوحى فنزلت السورة قال القاضى ابو الفضل وفقه الله تعالى
تضمنت هذه السورة من كرامة الله تعالى له وتنويهه به وتعظيمه اياه
ستة وجوه الاول القسم له عما اخبره به من حاله بقوله عز وجل
والضحى والليل اذا سجى اى ورب الضحى وهذا من اعظم درجات المبرة
الثانى بيانه مكانته عنده وحظوته لديه بقوله عز وجل ما ودعك

١

ربك وما قلى اى ما تركك وما ابغضك وقيل ما اهملك بعد ان
اصطفاك الثالث قوله وللاخرة خير لك من الاولى قال ابن
اسحاق اى مالك فى مرجعك عند الله تعالى اعظم مما اعطاك من
كرامة الدنيا وقال سهل اى ما ذخرت لك من الشفاعة والمقام
المحمود خير لك مما اعطيتك فى الدنيا الرابع قوله ولسوف يعطيك
ربك فترضى وهذه اية جامعة لوجوه الكرامة وانواع السعادة و
شتات الانعام فى الدارين والزيادة قال ابن اسحاق يرضيه بالفلج
فى الدنيا والثواب فى الاخرة وقيل يعطيه الحوض والشفاعة وروى
عن بعض ال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال ليس اية فى القرآن
ارجى منها ولا يرضى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يدخل احد
من امته النار الخامس ما عدّه الله تعالى عليه من نعمه وقرره من الائه
قبله فى بقية السورة من هدايته الى ما هداه له او هداية الناس به على
اختلاف التفاسير ولا مال له فاغناه بما اتاه او بما جعله فى قلبه من
القناعة والغنى ويتيما فحدب عليه عمه وآواه اليه وقد قيل آواه الله
تعالى وقيل يتيما لا مثال لك فآواك اليه وقيل المعنى الم يجدك فهدى بك
ضالا واغنى بك عائلا واوى بك يتيما ذكره بهذه المنن وانه على
المعلوم من التفسير لم يهمله فى حال صغره وعيلته ويتمه وقبل
معرفته به ولا ودعه ولا قلاه فكيف بعد اختصاصه واصطفائه
السادس امره باظهار نعمته عليه وشكر ما شرفه به ونشره واشادة
ذكره بقوله عز وجل واما بنعمة ربك فحدث فان من شكر النعمة
التحدث بها وهذا خاص له عام لامته وقال تعالى والنجم اذا هوى الى قوله

لقد

ای ما الاتی من نعمه وقربته [illegible] الحق

لقد راى من آيات ربه الكبرى اختلف المفسرون فى قوله تعالى والنجم
باقاويل معروفة منها النجم على ظاهره ومنها القرآن وعن جعفر بن محمد
انه محمد عليه السلام وقال هو قلب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقد قيل
فى قوله تعالى والسماء والطارق وما ادريك ما الطارق النجم الثاقب
ان النجم هنا ايضا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم حكاه السلمى تضمنت هذه
الآيات من فضله وشرفه العدّ ما يقف دونه العدّ واقسم جل اسمه على
هداية المصطفى وتنزيهه عن الهوى وصدقه فيما تلى وانه وحى يوحى اوصله
اليه عن الله تعالى جبريل عليه السلام وهو الشديد القوى ثم اخبر تعالى عن
فضيلته بقصة الاسراء وانتهائه الى سدرة المنتهى وتصديق بصره
فيما راى وانه راى من آيات ربه الكبرى ونبه على مثل هذا تعالى
فى اول سورة الاسراء ولما كان ما كاشفه صلى الله تعالى عليه وسلم
من ذلك الجبروت وشاهده من عجائب الملكوت لا تحيط به العبارات
ولا تستقل بحمل سماع ادناه العقول رمز عنه تعالى بالايماء والكناية
الدالة على التعظيم فقال فاوحى الى عبده ما اوحى وهذا النوع من الكلام
يسميه اهل النقد والبلاغة بالوحى والاشارة وهو عندهم ابلغ
ابواب الايجاز وقال لقد راى من آيات ربه الكبرى انحسرت الافهام
عن تفصيل ما اوحى وتاهت الاحلام فى تعيين تلك الآيات الكبرى قال
الفقيه القاضى واشتملت هذه الآيات على اعلام الله تعالى بتزكيته
بجملته عليه السلام وعصمتها من الآفات فى هذا المسرى فزكى فؤاده
ولسانه وجوارحه زكى قلبه بقوله ما كذب الفؤاد ما راى ولسانه
بقوله وما ينطق عن الهوى وبصره بقوله ما زاغ البصر وما طغى

وقال تعالى فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس الى قوله وما هو بقول شيطان رجيم لا اقسم اي اقسم انه لقول رسول كريم اي كريم مرسله عند ذي قوة على تبليغ ما حمله من الوحي مكين اي متمكن المنزلة من ربه تعالى رفيع المحل عنده مطاع ثم اي في السماء امين على الوحي قال علي بن عيسى وغيره الرسول الكريم هنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فجميع الاوصاف بعد على هذا له وقال غيره هو جبريل عليه السلام فترجع الاوصاف اليه ولقد رآه يعني محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم قيل رأى ربه وقيل رأى جبريل في صورته وما هو على الغيب بضنين اي بمتهم ومن قراه بالضاد فمعناه ما هو ببخيل بالدعاء والتذكير بحكمه وبعلمه وهذه باتفاق لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقال تعالى ن والقلم الآيات اقسم الله تعالى بما اقسم به من عظيم قسمه على تنزيه المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم مما غمصته الكفرة به وتكذيبهم له وآنسه وبسط امله بقوله محسنا خطابه ما انت بنعمة ربك بمجنون وهذه نهاية المبرة في المخاطبة واعلى درجات الآداب في المحاورة ثم اعلمه بما له عنده من نعيم دائم وثواب غير منقطع لا يأخذه عد ولا يمتن به عليه فقال وان لك لاجرا غير ممنون ثم اثنى عليه بما منحه من هباته وهداه اليه واكد ذلك تتميما للتمجيد بحرفي التأكيد فقال وانك لعلى خلق عظيم قيل القرآن وقيل الاسلام وقيل الطبع الكريم وقيل ليس لك همة الا الله تعالى قال الواسطي اثنى عليه بحسن قبوله لما اسداه اليه من نعمه وفضله بذلك على غيره لانه جبله على ذلك الخلق فسبحان اللطيف الكريم المحسن الجواد الحميد الذي يسر للخير وهدى اليه ثم اثنى على فاعله وجازاه عليه سبحانه ما اغمر

نواله واوسع افضاله ثم سلاه عن قولهم بعد هذا بما وعده به من عقابهم وتوعدهم بقوله فستبصر ويبصرون الثلاث الآيات ثم عطف بعد مدحه على ذم عدوه وذكر سوء خلقه وعد معايبه متوليا ذلك بفضله ومنتصرا لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم فذكر بضع عشرة خصلة من خصال الذم فيه بقوله فلا تطع المكذبين الى قوله اساطير الاولين ثم ختم ذلك بالوعيد الصادق بتمام شقائه وخاتمة بواره بقوله سنسمه على الخرطوم فكانت نصرة الله له اتم من نصرته لنفسه ورده تعالى على عدوه ابلغ من رده واثبت في ديوان مجده

الفصل السادس فيما ورد من قوله تعالى في جهته عليه الصلوة والسلام مورد الشفقة والاكرام قال تعالى طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى قيل طه اسم من اسمائه عليه الصلوة والسلام وقيل هو اسم الله تعالى وقيل معناه يا رجل وقيل يا انسان وقيل هي حروف مقطعة لمعان قال الواسطي اراد يا طاهر يا هادي وقيل هو امر من الوطء والهاء كناية عن الارض اي اعتمد على الارض بقدميك ولا تتعب نفسك بالاعتماد على قدم واحدة وهو قوله تعالى ما انزلنا عليك القرآن لتشقى ونزلت الآية فيما كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يتكلفه من السهر والتعب وقيام الليل انا القاضي ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن وغير واحد عن القاضي ابي الوليد الباجي اجازة ومن اصله نقلت قال حدثنا ابو ذر الحافظ قال حدثنا ابو محمد الحموي حدثنا ابراهيم بن خريم الشاشي قال حدثنا عبد بن حميد حدثنا هاشم بن القاسم عن ابي جعفر عن الربيع بن انس رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله

تعالى عليه وسلم اذا صلى قام على رجل ورفع الاخرى فانزل الله عز وجل
طه يعني طاء الارض يا محمد ما انزلنا عليك القرآن لتشقى ولا خفاء بما في
هذا كله من الاكرام وحسن المعاملة وان جعلنا طه من اسمائه صلى الله عليه وسلم
كما قيل وجعلت قسما لحق الفصل بما قبله ومثل هذا من نمط الشفقة
والمبرة قوله تعالى فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا
بهذا الحديث اسفا اي قاتل نفسك لذلك غضبا او غيظا او جزعا
ومثله قوله تعالى ايضا لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين ثم
قال ان نشا ننزل عليهم من السماء آية فظلت اعناقهم لها خاضعين
ومن هذا الباب قوله تعالى فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين
الى قوله ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون الى آخر السورة
وقوله تعالى ولقد استهزئ برسل من قبلك الاية قال مكي سلاه
الله تعالى بما ذكر وهون عليه ما يلقى من المشركين واعلمه ان من تمادى
على ذلك يحل به ما حل بمن قبله ومثل هذه التسلية قوله تعالى وان
يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك ومن هذا قوله تعالى كذلك ما اتى
الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون عزاه الله عز
وجل بما اخبر به عن الامم السالفة ومقالها لانبيائهم قبله ومحنتهم
بهم وسلاه بذلك عن محنته بمثله من كفار مكة وانه ليس اول
من لقي ذلك ثم طيب نفسه وابان عذره بقوله عز وجل فتول
عنهم اي اعرض عنهم فما انت بملوم اي في اداء ما بلغت وابلاغ
ما حملت ومثله قوله تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا اي اصبر
على اذاهم فانك بحيث نراك ونحفظك سلاه الله تعالى بهذا في آي كثيرة

من هذا

من هذا المعنى الفصل السابع فيما اخبر الله تعالى به في كتابه العزيز من عظيم
قدره وشريف منزلته على الانبياء وحظوة رتبته عليهم قوله تعالى واذ
اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة الى قوله من الشاهدين
قال ابو الحسن القابسي اختص الله تعالى محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم
بفضل لم يؤته غيره ابانه به وهو ما ذكره في هذه الاية قال المفسرون
اخذ الله تعالى الميثاق بالوحي فلم يبعث نبيا الا ذكر له محمدا صلى الله تعالى
عليه وسلم ونعته واخذ عليه ميثاقه ان ادركه ليؤمنن به وقيل ان
يبينه لقومه ويأخذ ميثاقهم ان يبينوه لمن بعدهم وقوله تعالى ثم جاءكم
الخطاب لاهل الكتاب المعاصرين لمحمد صلى الله عليه وسلم قال علي بن
ابي طالب رضي الله تعالى عنه لم يبعث الله تعالى نبيا من آدم عليه السلام فمن
بعده الا اخذ عليه العهد في محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لئن بعث
وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ويأخذ العهد بذلك على قومه ونحوه
عن السدي وقتادة في آي تضمنت فضله من غير وجه واحد قال الله
تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الاية وقال انا اوحينا
اليك كما اوحينا الى نوح الاية الى قوله شهيدا روي عن عمر بن الخطاب
رضي الله تعالى عنه انه قال في كلام بكى به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
فقال بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله تعالى
ان بعثك آخر الانبياء وذكرك في اولهم فقال تعالى واذ اخذنا من
النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الاية بابي انت وامي يا رسول
الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان اهل النار يودون ان يكونوا اطاعوك
وهم بين اطباقها يعذبون يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول

قال قتادة رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال كنت اول الانبياء في الخلق واخرهم في البعث فلذلك وقع ذكره ههنا مقدما قبل نوح وغيره قال السمرقندي في هذا تفضيل نبينا عليه الصلوة والسلام لتخصيصه بالذكر قبلهم وهو آخرهم المعنى اخذ الله عليهم الميثاق اذ اخرجهم من ظهر آدم عليه السلام كالذر وقال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الاية قال اهل التفسير اراد بقوله ورفع بعضهم درجات محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم لانه بعث الى الاحمر والاسود واحلت له الغنائم وظهرت على يديه المعجزات وليس احد من الانبياء عليهم السلام اعطي فضيلة او كرامة الا وقد اعطي محمد صلى الله تعالى عليه وسلم مثلها قال بعضهم ومن فضله ان الله تعالى خاطب الانبياء عليهم السلام باسمائهم وخاطبه بالنبوة والرسالة في كتابه العزيز فقال تعالى يا ايها النبي يا ايها الرسول وحكى السمرقندي عن الكلبي في قوله تعالى وان من شيعته لابراهيم ان الهاء عائدة على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم اي ان من شيعة محمد لابراهيم اي على دينه ومنهاجه واجازه الفراء وحكاه عنه مكي وقيل المراد نوح عليه السلام

الفصل الثامن في اعلام الله تعالى خلقه بصلاته عليه وولايته له ودفعه العذاب بسببه

قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم اي ما كنت بمكة فلما خرج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من مكة وبقي فيها من بقي من المؤمنين نزل وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وهذا مثل قوله تعالى لو تزيلوا الاية وقوله تعالى ولولا رجال مؤمنون الاية فلما هاجر المؤمنون نزلت وما لهم الا يعذبهم الله وهذا من ابين ما يظهر مكانته صلى الله

تعالى

تعالى عليه وسلم ودرئه العذاب عن اهل مكة بسبب كونه فيهم ثم كون اصحابه بعده بين اظهرهم فلما خلت مكة منهم عذبهم بتسليط المؤمنين عليهم وغلبتهم اياهم وحكمهم فيهم واورثهم ارضهم وديارهم واموالهم وفي الاية ايضا تأويل آخر حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله تعالى بقراءتي عليه حدثنا ابو الفضل بن خيرون وابو الحسين الصيرفي قالا حدثنا ابو يعلى بن زوج الحرة حدثنا ابو علي السنجي حدثنا محمد بن محبوب المروزي حدثنا ابو عيسى الحافظ حدثنا سفيان بن وكيع حدثنا ابن نمير عن اسمعيل بن ابرهيم بن مهاجر عن عباد بن يوسف عن ابي بردة بن ابي موسى عن ابيه رضي الله تعالى عنهم قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انزل الله علي امانين لامتي وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فاذا مضيت تركت فيكم الاستغفار ونحو منه قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قال صلى الله تعالى عليه وسلم انا امان لاصحابي قيل من البدع وقيل من الاختلاف والفتن قال بعضهم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم هو الامان الاعظم ما عاش وما دامت سنته باقية فهو باق فاذا اميتت سنته فانتظر البلاء والفتن وقال تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي الاية ابان الله تعالى نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بصلاته عليه ثم بصلاة ملائكته وامر عباده بالصلوة والتسليم عليه وقد حكى ابو بكر بن فورك ان بعض العلماء تأول قوله عليه الصلوة والسلام وجعلت قرة عيني في الصلوة على هذا اي في صلاة الله تعالى علي وملائكته وامره الامة بذلك الى يوم القيمة والصلوة من الملائكة ومنا له دعاء ومن الله تعالى رحمة

وقيل يصلون يباركون وقد فرق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حين علم
الصلوة عليه بين لفظ الصلاة والبركة وسنذكر حكم الصلوة عليه
وذكر بعض المتكلمين في تفسير حروف كهيعص ان الكاف من كاف اي كفاية
الله تعالى لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم قال تعالى اليس الله بكاف عبده والها
هدايته له وقال عز وجل ويهديك صراطا مستقيما والياء تأييده له قال
تعالى وايدك بنصره والعين عصمته له قال عز وجل والله يعصمك من
الناس والصاد صلاته عليه قال تعالى ان الله وملائكته يصلون على
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقال تعالى وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه
الآية اي وليه ناصره وصالح المؤمنين قيل الانبياء وقيل الملائكة و
قيل ابوبكر وعمر وقيل علي وقيل المؤمنون الفصل التاسع فيما تضمنته
سورة الفتح من كراماته صلى الله تعالى عليه وسلم قال الله تعالى انا فتحنا لك
فتحا مبينا الى قوله تعالى يد الله فوق ايديهم تضمنت هذه الآيات من فضله
والثناء عليه وكريم منزلته عند الله تعالى ونعمته لديه ما يقصر الوصف
عن الانتهاء اليه فابتدأ جل جلاله باعلامه بما قضاه له من القضاء
البين بظهوره وغلبته على عدوه وعلو كلمته وشريعته وانه مغفور له
غير مؤاخذ بما كان وما يكون قال بعضهم اراد غفران ما وقع وما لم يقع
اي انك مغفور لك وقال مكي جعل المنة سببا للمغفرة وكل
من عنده لا اله غيره منة بعد منة وفضلا بعد فضل ثم قال ويتم نعمته
عليك قيل بخضوع من تكبر لك وقيل بفتح مكة والطائف وقيل يرفع
ذكرك في الدنيا وينصرك ويغفر لك فاعلمه تمام نعمته عليه بخضوع متكبري
عدوه له وفتح اهم البلاد عليه واحبها له ورفع ذكره وهدايته الصراط

المستقيم

المستقيم المبلغ الجنة والسعادة الدائمة ونصره النصر العزيز ومنته
على امته المؤمنين بالسكينة والطمأنينة التي جعلها الله في قلوبهم وبشارتهم
بما لهم بعد وفوزهم العظيم والعفو عنهم والستر لذنوبهم وهلاك عدوه
في الدنيا والآخرة ولعنهم وبعدهم من رحمته وسوء منقلبهم ثم قال
انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الآية عدد في سنه وخصائصه
من شهادته على امته لنفسه بتبليغه الرسالة لهم وقيل شاهدا لهم بالتوحيد
ومبشرا لامته بالثواب وقيل بالمغفرة ومنذرا عدوه بالعذاب وقيل
محذرا من الضلالات لتؤمنوا بالله تعالى ثم بي من سبقت له من الله تعالى الحسنى
وتعزروه اي تجلوه وقيل تنصروه وقيل تبالغوا في تعظيمه وتوقروه
اي تعظموه وقرأه بعضهم تعززوه بزايين من العز والاكثر والاظهر
ان هذا في حق محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال تعالى وتسبحوه فهذا راجع
الى الله تعالى قال ابن عطاء جمع للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم في هذه السورة
نعم مختلفة من الفتح المبين وهو من اعلام الاجابة والمغفرة وهي من اعلام
المحبة وتمام النعمة وهي من اعلام الاختصاص والهداية وهي من اعلام
الولاية فالمغفرة تبرئة من العيوب وتمام النعمة ابلاغ الدرجة الكاملة
والهداية وهي الدعوة الى المشاهدة وقال جعفر بن محمد من تمام نعمته
عليه ان جعله حبيبه واقسم بحياته ونسخ به شرائع غيره وعرج به الى
المحل الاعلى وحفظه في المعراج حتى ما زاغ البصر وما طغى وبعثه الى
الاحمر والاسود واحل له ولامته الغنائم وجعله شفيعا مشفعا وسيد
ولد آدم وقرن ذكره بذكره ورضاه برضاه وجعله احد ركني
التوحيد ثم قال ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يعني بيعة الرضوان

وقيل الشفاعة صح

اي انما يبايعون الله ببيعتهم اياك يد الله فوق ايديهم يريد عند البيعة
قيل قوة الله تعالى وقيل ثوابه وقيل منته وقيل عقده وهذه استعارة
وتجنيس والكلام وتاكيد لعقد بيعتهم اياه وعظيم شانه المبايع صلى
الله تعالى عليه وسلم وقد يكون من هذا قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله
قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وان كان الاول في باب
المجاز وهذا في باب الحقيقة لان القاتل والرامي بالحقيقة هو الله تعالى
وهو خالق فعله ورميه وقدرته عليه ومشيته ولان ليس في قدرة
البشر توصل تلك الرمية حيث وصلت حتى لم يبق منهم من لم تملأ
عينيه وكذلك قتل الملائكة لهم حقيقة وقد قيل في هذه الاية الاخرى
انها على المجاز العربي ومقابلة اللفظ ومناسبته ما قتلتموهم وما رميتهم
انت اذ رميت وجوههم بالحصباء والتراب ولكن الله رمى قلوبهم
بالجزع اى ان منفعة الرمي كانت من فعل الله تعالى فهو القاتل والرامي
بالمعنى وانت بالاسم الفصل العاشر فيما اظهره الله تعالى في كتابه العزيز
من كرامته عليه ومكانته عنده وما خصه به من ذلك سوى ما انتظم
فيما ذكرناه قبل من ذلك ما نصه الله تعالى من قصة الاسراء في سورة سبحان
والنجم وما انطوت عليه القصة من عظيم منزلته وقربه ومشاهدته ما شاهد
من العجائب ومن ذلك عصمته من الناس وقوله تعالى والله يعصمك من الناس
وقوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا الاية وقوله تعالى الا تنصروه فقد
نصره الله وما دفع الله به عنه في هذه القصة من اذاهم بعد تحزبهم لهلكه
وخلوصهم نجيا في امره والاخذ على ابصارهم عند خروجه عليهم وذهولهم
عن طلبه في الغار وما ظهر في ذلك من الايات ونزول السكينة عليه

وقصة

وقصة سراقة بن مالك حسبما ذكره اهل الحديث والسير في قصة الغار
وحديث الهجرة ومنه قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر
ان شانئك هو الابتر اعلمه الله تعالى بما اعطاه والكوثر حوضه وقيل
نهر في الجنة وقيل الخير الكثير وقيل الشفاعة وقيل المعجزات الكثيرة وقيل النبوة وقيل
المعرفة ثم اجاب عنه تعالى عدوه ورد عليه قوله فقال ان شانئك
هو الابتر اى عدوك ومبغضك والابتر الحقير الذليل والمفرد
الوحيد او الذي لا خير فيه وقال تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن
العظيم قيل السبع المثاني السور الطول الاول والقرآن العظيم ام القرآن
وقيل السبع المثاني ام القرآن والقرآن العظيم سائره وقيل السبع
المثاني ما في القرآن من امر ونهي وبشرى وانذار وضرب مثل و
اعداد نعم وآتيناك نبأ القرآن العظيم وقيل سميت ام القرآن مثاني
لانها تثنى في كل ركعة وقيل بل الله استثناها لمحمد صلى الله تعالى عليه
وسلم وذخرها له دون الانبياء عليهم السلام وسمي القرآن مثاني
لان القصص تثنى فيه وقيل السبع المثاني اكرمناك بسبع كرامات
الهدى والنبوة والرحمة والشفاعة والولاية والتعظيم والسكينة
وقال تعالى وانزلنا اليك الذكر الاية وقال جل وعز وما ارسلناك الا
كافة للناس بشيرا ونذيرا وقال سبحانه وتعالى قل يا ايها الناس اني رسول
الله اليكم جميعا الاية قال القاضي فهذه من خصائصه وقال تعالى وما
ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فخصهم بقومهم وبعث
محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم الى الخلق كافة كما قال عليه السلام بعثت
الى الاحمر والاسود وقال تعالى النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه

امهاتهم قال اهل التفسير اولى بالمؤمنين من انفسهم اى ما انفذه
فيهم من امر فهو ماض عليهم كما يمضى حكم السيد على عبده وقيل
اتباع امره اولى من رأى النفس وازواجه امهاتهم اى هن فى الحرمة كالامهات
حرم نكاحهن عليهم بعده تكرمة له وخصوصية ولانهن له ازواج
فى الآخرة وقد قرئ وهو اب لهم ولا يقرأ به لمخالفته المصحف وقال تعالى
وانزل الله عليك الكتاب والحكمة الاية قيل فضله العظيم بالنبوة
وقيل بما سبق له فى الازل واشار الواسطى الى انها اشارة الى احتمال
الرؤية التى لم يحتملها موسى عليه الصلوة والسلام الباب الثانى فى
تكميل الله تعالى له المحاسن خلقا وخلقا وقرانه جميع الفضائل الدينية
والدنيوية فيه نسقا اعلم ايها المحب لهذا النبى الكريم صلى الله تعالى
عليه وسلم الباحث عن تفاصيل جمل قدره العظيم ان خصال الجلال
والكمال فى البشر نوعان ضرورى دنيوى اقتضته الجبلة وضرورة
الحياة الدنيا ومكتسب دينى وهو ما يحمد فاعله ويقرب الى الله تعالى
زلفى ثم هى على فنين ايضا منها ما يتخلص لاحد الوصفين ومنها ما
يتمازج ويتداخل فاما الضرورى المحض فما ليس للمرء فيه اختيار
ولا اكتساب مثل ما كان فى جبلته من كمال خلقته وجمال صورته
وقوة عقله وصحة فهمه وفصاحة لسانه وقوة حواسه واعضائه
واعتدال حركاته وشرف نسبه وعزة قومه وكرم ارضه ويلحق به
ما تدعوه ضرورة حياته اليه من غذائه ونومه وملبسه ومسكنه
ومنكحه وماله وجاهه وقد تلحق هذه الخصال الآخرة بالاخروية
اذا قصد بها التقوى ومعونة البدن على سلوك طريقها وكانت على

حدود

حدود الضرورة وقوانين الشريعة واما المكتسبة الاخروية فسائر
الاخلاق العلية والآداب الشرعية من الدين والعلم والحلم والصبر و
الشكر والعدل والزهد والتواضع والعفو والعفة والجود والشجاعة
والحياء والمروءة والصمت والتؤدة والوقار والرحمة وحسن الادب
والمعاشرة واخواتها وهى التى جماعها وقد يكون من هذه الاخلاق ما هو
فى الغريزة واصل الجبلة لبعض الناس وبعضهم لا تكون فيه فيكتسبها و
ولكنه لا بد ان يكون فيه من اصولها فى اصل الجبلة شعبة كما سنبينه
ان شاء الله تعالى وتكون هذه الاخلاق دنيوية اذا لم يرد بها وجه الله والدار
الآخرة ولكنها كلها محاسن وفضائل باتفاق اصحاب العقول السليمة وان
اختلفوا فى موجب حسنها وتفضيلها فصل قال القاضى رحمه الله تعالى اذا
كانت خصال الكمال والجلال ما ذكرناه ووجدنا الواحد منا يتشرف بواحدة
منها او اثنتين ان اتفقت له فى كل عصر اما من نسب او جمال او قوة او علم
او حلم او شجاعة او سماحة حتى يعظم قدره وتضرب باسمه الامثال و
يتقرر له بالوصف بذلك فى القلوب اثرة وعظمة وهو منذ عصور خوال
رمم بوال فما ظنك بعظيم قدر من اجتمعت فيه كل هذه الخصال الى ما لا يأخذه
عد ولا يعبر عنه مقال ولا ينال بكسب ولا حيلة الا بتخصيص الكبير المتعال
من فضيلة النبوة والرسالة والخلة والمحبة والاصطفاء والاسراء
والرؤية والقرب والدنو والوحى والشفاعة والوسيلة والفضيلة
والدرجة الرفيعة والمقام المحمود والبراق والمعراج والبعث الى الاحمر
والاسود والصلاة بالانبياء والشهادة بين الانبياء عليهم السلام
والامم وسيادة ولد آدم ولواء الحمد والبشارة والنذارة والمكانة عند

ذي العرش والشفاعة ثم والامانة والهداية ورحمة العالمين واعطاء الرضى
والسؤل والكوثر وسماع القول واتمام النعمة والعفو عما تقدم وتأخر وشرح
الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر وعزة النصر ونزول السكينة و
التأييد بالملائكة وايتاء الكتاب والحكمة والسبع المثاني والقرآن العظيم
وتزكية الامة والدعاء الى الله تعالى وصلاة الله تعالى والملائكة والحكم
بين الناس بما اراه الله تعالى ووضع الاصر والاغلال عنهم والقسم باسمه
صلى الله تعالى عليه وسلم واجابة دعوته وتكليم الجمادات والعجم واحياء
الموتى واسماع الصم ونبع الماء من بين اصابعه وتكثير القليل وانشقاق
القمر ورد الشمس وقلب الاعيان والنصر بالرعب والاطلاع على الغيب
وظل الغمام وتسبيح الحصا وابراء الالام والعصمة من الناس الى ما لا
يحويه محتفل ولا يحيط بعلمه الا مانحه ذلك ومفضله به لا اله غيره
الى ما اعد له في الدار الاخرة من منازل الكرامة ودرجات القدس
ومراتب السعادة والحسنى والزيادة التي يقف دونها العقول
ويحار دون ادانيها الوهم فصل ان قلت اكرمك الله تعالى لا خفاء على
القطع بالجملة انه صلى الله تعالى عليه وسلم اعلى الناس قدرا واعظمهم
محلا واكملهم محاسن وفضلا وقد ذهبت في تفاصيل خصال الكمال
مذهبا جميلا شوقني الى ان اقف عليها من اوصافه صلى الله تعالى عليه
وسلم تفصيلا فاعلم نور الله تعالى قلبي وقلبك وضاعف في هذا النبي
الكريم حبي وحبك انك اذا نظرت الى خصال الكمال التي هي غير مكتسبة
وفي جبلة الخلقة وجدته عليه الصلوة والسلام حائزا لجميعها محيطا بشتات
محاسنها دون خلاف بين نقلة الاخبار لذلك بل قد بلغ بعضها

مبلغ

مبلغ القطع اما الصورة وجمالها وتناسب اعضائه في حسنها فقد
جاءت الآثار الصحيحة المشهورة الكثيرة بذلك من حديث علي وانس
بن مالك وابي هريرة والبراء بن عازب وعائشة ام المؤمنين وابن ابي
هالة وابي جحيفة وجابر بن سمرة وام معبد وابن عباس ومعرض بن
معيقيب وابي الطفيل والعداء بن خالد وخريم بن فاتك وحكيم بن
حزام وغيرهم رضي الله تعالى عنهم من انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان
ازهر اللون ادعج انجل اشكل اهدب الاشفار ابلج ازج اقنى افلج مدور
الوجه واسع الجبين كث اللحية تملأ صدره سواء البطن والصدر
واسع الصدر عظيم المنكبين ضخم العظام عبل العضدين والذراعين
والاسافل رحب الكفين والقدمين سائل الاطراف انور المتجرد دقيق
المسربة ربعة القد ليس بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد ومع
ذلك فلم يكن يماشيه احد ينسب الى الطول الا طاله صلى الله تعالى
عليه وسلم رجل الشعر اذا افتر ضاحكا عن مثل سنا البرق وعن مثل
حب الغمام اذا تكلم رئي كالنور يخرج من ثناياه احسن الناس عنقا ليس
بمطهم ولا مكلثم متماسك البدن ضرب اللحم قال البراء بن عازب رضي
الله تعالى عنه ما رأيت من ذي لمة في حلة حمراء احسن من رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ابو هريرة رضي الله تعالى عنه ما رأيت
شيئا احسن من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كأن الشمس تجري في
وجهه واذا ضحك يتلألأ في الجدر وقال جابر بن سمرة رضي الله تعالى
عنه وقال له رجل كان وجهه صلى الله تعالى عليه وسلم مثل السيف
فقال لا بل مثل الشمس والقمر وكان مستديرا وقالت ام معبد رضي

الله تعالى عنه في بعض ما وصفه به اجمل الناس من بعيد واحلاه واحسنه
من قريب وفي حديث ابن هالة رضي الله تعالى عنهما يتلألأ وجهه تلألؤ
القمر ليلة البدر وقال علي رضي الله تعالى عنه في آخر وصفه له من رآه بديهة
هابه ومن خالطه معرفة احبه يقول ناعته لم ار قبله ولا بعده مثله
والاحاديث في بسطه صفته كثيرة مشهورة فلا نطول بسردها وقد
اختصرنا في وصفه على نكت ما جاء فيها وجملة فيها الكفاية في القصد
الى المطلوب ان شاء الله تعالى وختمنا هذه الفصول بحديث جامع لذلك
تقف عليه هنالك ان شاء الله تعالى فصل واما نظافة جسمه وطيب ريحه
وعرقه ونزاهته عن الاقذار وعورات الجسد فكان قد خصه الله عز
وجل في ذلك بخصائص لم توجد في غيره ثم تممها بنظافة الشرع وخصال
الفطرة العشر وقال صلى الله تعالى عليه وسلم بني الدين على النظافة حدثنا
سفيان بن العاص وغير واحد قالوا حدثنا احمد بن عمر حدثنا ابو العباس الرازي
حدثنا ابو احمد الجلودي حدثنا ابن سفيان حدثنا مسلم حدثنا قتيبة حدثنا
جعفر بن سليمان عن ثابت عن انس رضي الله تعالى عنه قال ما شممت عنبرا
قط ولا مسكا ولا شيئا اطيب من ريح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وعن جابر بن سمرة رضي الله تعالى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم مسح خده
قال فوجدت ليده بردا وريحا كانما اخرجها من جونة عطار قال غيره
مسها بطيب او لم يمسها يصافح المصافح فيظل يومه يجد ريحها ويضع
يده على رأس الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها ونام رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم في دار انس فعرق فجاءت امه بقارورة تجمع فيها
عرقه فسألها صلى الله تعالى عليه وسلم عن ذلك فقالت نجعله في طيبنا

وهو

وهو من طيب الطيب وذكر البخاري في تاريخه الكبير عن جابر رضي الله
تعالى عنه لم يكن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يمر في طريق فيتبعه احد الا
عرف انه سلكه من طيبه وذكر اسحاق بن راهويه ان تلك كانت رائحته
بلا طيب صلى الله تعالى عليه وسلم وروى المزني عن جابر رضي الله تعالى
عنه اردفني النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خلفه فالتقمت خاتم
النبوة بفمي فكان ينم علي مسكا وقد حكى بعض المعتنين باخباره وشمائله
صلى الله تعالى عليه وسلم انه كان اذا اراد ان يتغوط انشقت الارض
فابتلعت غائطه وبوله وفاحت لذلك رائحة طيبة صلى الله تعالى
عليه وسلم واسند محمد بن سعد كاتب الواقدي في هذا خبرا عن عائشة
رضي الله عنها انها قالت للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم انك تأتي الخلاء
فلا نرى منك شيئا من الاذى فقال يا عائشة او ما علمت ان الارض
تبتلع ما يخرج من الانبياء فلا يرى منه شيء وهذا الخبر وان لم يكن
مشهورا فقد قال قوم من اهل العلم بطهارة هذين الحدثين منه صلى
الله تعالى عليه وسلم وهو قول بعض اصحاب الشافعي حكاه الامام ابو نصر
بن الصباغ في شامله وقد حكى القولين عن العلماء في ذلك ابو بكر بن
سابق المالكي في كتابه البديع في فروع المالكية وتخريج ما لم يقع لهم منها على
مذهبهم من تفاريع الشافعية وشاهد هذا انه لم يكن منه صلى الله تعالى
عليه وسلم شيء يكره ولا غير طيب ومنه حديث علي رضي الله تعالى
عنه غسلت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فذهبت انظر ما يكون من
الميت فلم اجد شيئا فقلت طبت حيا وميتا قال وسطعت منه ريح
طيبة لم نجد مثلها قط ومثله قال ابو بكر رضي الله تعالى عنه حين

قبل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعد موته ومنه شرب مالك بن
سنان ومصه دم احد ومصه اياه وتسويغه صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك له
وقوله لن تصيبه النار ومثله شرب عبد الله بن الزبير دم حجامته
فقال له عليه الصلوة والسلام ويل لك من الناس وويل لهم منك ولم ينكر
عليه وقد روى نحو من هذا عنه في امراة شربت بوله فقال لها لن تشتكي
وجع بطنك ابدا ولم يامر واحدا منهم بغسل فم ولا نهاه عن عوده وحديث
هذه المراة التي شربت بوله صحيح الزم الدارقطني مسلما والبخاري اخراجه
في الصحيح واسم هذه المراة بركة واختلف في نسبها قيل هي ام ايمن وكانت
تخدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قالت وكان لرسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم قدح من عيدان يوضع تحت سريره يبول فيه من الليل فبال
فيه ليلة ثم افتقده فلم يجد فيه شيئا فسال بركة عنه فقالت قمت
وانا عطشانة فشربته وانا لا اعلم وروى حديثها ابن جريج وغيره وكان
صلى الله تعالى عليه وسلم قد ولد مختونا مقطوع السرة وروى عن امه
امينة انها قالت ولدته نظيفا ما به قذر وعن عائشه رضي الله تعالى عنها
قالت ما رايت فرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قط وعن علي رضي الله
تعالى عليه قال اوصاني النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا يغسله غيري فانه
لا يرى احد عورتي الا طمست عيناه وفي حديث عكرمة عن ابن عباس رضي
الله تعالى عنهما انه صلى الله تعالى عليه وسلم نام حتى سمع له غطيط فقام وصلى
ولم يتوضأ قال عكرمة رضي الله تعالى عنه لانه كان صلى الله تعالى عليه وسلم
محفوظا فصل واما وفور عقله وذكاء لبه وقوة حواسه وفصاحة
لسانه واعتدال حركاته وحسن شمائله فلا مرية انه صلى الله تعالى عليه وسلم

كان اعقل الناس واذكاهم ومن تامل تدبيره امر بواطن الخلق وظواهرهم و
سياسة العامة والخاصة مع عجيب شمائله وبديع سيره فضلا عما افاضه
من العلم وقرره من الشرع دون تعلم سبق ولا ممارسة تقدمت ولا مطالعة
للكتب منه لم يمتر في رجحان عقله وثقوب فهمه لاول بديهة وهذا مما
لا يحتاج الى تقرير لتحقيقه وقد قال وهب بن منبه قرات في احد وسبعين
كتابا فوجدت في جميعها ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ارجح الناس
عقلا وافضلهم رايا وفي رواية اخرى فوجدت في جميعها ان الله تعالى
لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا الى انقضائها من العقل في جنب عقله صلى
الله تعالى عليه وسلم الا كحبة رمل من رمال الدنيا وقال مجاهد كان
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا قام في الصلوة يرى من خلفه كما
يرى من بين يديه وبه فسر قوله تعالى وتقلبك في الساجدين وفي
الموطأ عنه عليه الصلوة والسلام اني لاراكم من وراء ظهري ونحوه عن انس
رضي الله تعالى عنه في الصحيحين وعن عائشة رضي الله تعالى عنها مثله قالت
زيادة زادها الله اياها في حجته وفي بعض الروايات اني لانظر من ورائي
كما انظر من بين يدي وفي اخرى اني لابصر من قفاي كما ابصر من بين يدي
وحكى بقي بن مخلد عن عائشة رضي الله تعالى عنها كان رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم يرى في الظلمة كما يرى في الضوء والاخبار كثيرة صحيحة
في رؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم للملائكة والشياطين ورفع النجاشي
له حتى صلى عليه وبيت المقدس حين وصفه لقريش والكعبة حين بنى
مسجده صلى الله تعالى عليه وسلم وقد حكي عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه
كان يرى في الثريا احد عشر نجما وهذه كلها محمولة على رؤية العين

وهو قول لاحمد بن حنبل وغيره وذهب بعضهم الى ردها الى العلم والظواهر
تخالفه ولا احالة في ذلك وهي من خواص الانبياء عليهم الصلوة والسلام
وخصالهم كما اخبرنا ابو محمد عبد الله بن احمد العدل من كتابه حدثنا ابو الحسن
المقرئ الفرغاني حدثتنا ام القاسم بنت ابي بكر عن ابيها حدثنا الشريف
ابو الحسن علي بن محمد الحسني حدثنا محمد بن محمد بن سعيد حدثنا محمد بن احمد
بن سليمان حدثنا محمد بن محمد بن مرزوق حدثنا همام حدثنا الحسن عن قتادة
عن يحيى بن وثاب عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنهم عن النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم قال لما تجلى الله تعالى لموسى عليه الصلوة والسلام كان يبصر النملة
على الصفا في الليلة الظلماء مسيرة عشرة فراسخ ولا يبعد على هذا ان يختص
نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم بما ذكرناه من هذا الباب بعد الاسراء والحظوة
بما رأى من آيات ربه الكبرى وقد جاءت الاخبار بانه صرع ركانة اشد
اهل وقته وكان دعاه الى الاسلام وصارع ابا ركانة في الجاهلية وكان
شديدا وعاوده ثلاث مرات كل ذلك يصرعه رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم وقال ابو هريرة رضي الله تعالى عنه ما رأيت احدا اسرع من رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم في مشيه كانما الارض تطوى له انا لنجهد
انفسنا وهو غير مكترث وفي صفته صلى الله تعالى عليه وسلم ان ضحكه
كان تبسما اذا التفت التفت معا واذا مشى مشى تقلعا كانما ينحط من
صبب

فصل

واما فصاحة اللسان وبلاغة القول فقد كان صلى الله
تعالى عليه وسلم من ذلك بالمحل الافضل والموضع الذي لا يجهل سلاسة
طبع وبراعة منزع وايجاز مقطع ونصاعة لفظ وجزالة قول وصحة معان
وقلة تكلف اوتي جوامع الكلم وخص ببدائع الحكم وعلم السنة العرب

يخاطب

يخاطب كل امة منها بلسانها ويحاورها بلغتها ويباريها في منزع بلاغتها
حتى كان كثير من اصحابه يسألونه في غير موطن عن شرح كلامه وتفسير
قوله من تأمل حديثه وسيره علم ذلك وتحققه وليس كلامه مع قريش
والانصار واهل الحجاز ونجد ككلامه مع ذي المشعار الهمداني وطهفة
النهدي وقطن بن حارثة العليمي والاشعث بن قيس ووائل بن حجر
الكندي وغيرهم من اقيال حضرموت وملوك اليمن وانظر كتابه الى همدان
ان لكم فراعها ووهاطها وعزازها تأكلون علافها وترعون عفاءها لنا
من دفئهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق والامانة ولهم من الصدقة الثلب
والناب والفصيل والفارض والداجن والكبش الحوري وعليهم فيها الصالغ
والقارح وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لنهد اللهم بارك لهم في محضها
ومخضها ومذقها وابعث راعيها في الدثر وافجر له الثمد وبارك له
في المال والولد من اقام الصلوة كان مسلما ومن اتى الزكوة كان محسنا
ومن شهد ان لا اله الا الله كان مخلصا لكم يا بني نهد ودائع الشرك ووضائع
الملك لا تلطط في الزكوة ولا تلحد في الحياة ولا تتثاقل عن الصلوات و
كتب لهم في الوظيفة الفريضة ولكم الفارض والفريش وذو العنان الركوب
والفلو الضبيس لا يمنع سرحكم ولا يعضد طلحكم ولا يحبس دركم ما لم
تضمروا الرماق وتأكلوا الرباق من اقر فله الوفاء بالعهد والذمة ومن
ابى فعليه الربوة وفي كتابه لوائل بن حجر الى الاقيال العباهلة والارواع
المشابيب وفيه في التيعة شاة ولا مقورة الالياط ولا ضناك و
انطوا الثبجة وفي السيوب الخمس ومن زنى مم بكر فاصقعوه مائة واستوفضوه
عاما ومن زنى مم ثيب فضرجوه بالاضاميم ولا توصيم في الدين ولا غمة في فرائض

وكل مسكر حرام ودوائل بن حجر يتوقل على الاقيال ابن هذا من كتابه لانس رضي
الله تعالى عنه في الصدقة المشهور فلما كان كلام هؤلاء على هذا الحد
وبلاغتهم على هذا النمط واكثر استعمالهم لهذه الفاظ استعملها معهم
ليبين للناس ما نزل اليهم ليحدث الناس بما يعلمون وكقوله صلى الله تعالى
عليه وسلم في حديث عطية السعدي فان اليد العليا هي المنطية
واليد السفلى هي المنطاة قال فكلمنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
بلغتنا وكقوله صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث العامري حين سأله
فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم سل عنك اي سل عم شئت وهي
لغة بني عامر واما كلامه المعتاد وفصاحته المعلومة وجوامع كلمه وحكمه
المأثورة فقد الف الناس فيها الدواوين وجمعت في الفاظها ومعانيها
الكتب ومنها ما لا يوازى فصاحة ولا يبارى بلاغة كقوله المسلمون
تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم وقوله الناس
كاسنان المشط والمرء مع من احب ولا خير في صحبة من لا يرى لك ما ترى له
والناس معادن وما هلك امرؤ عرف قدره والمستشار مؤتمن وهو بالخيار
ما لم يتكلم ورحم الله تعالى عبدا قال خيرا فغنم او سكت فسلم وقوله صلى الله
تعالى عليه وسلم اسلم تسلم واسلم يؤتك الله اجرك مرتين وان احبكم
الي واقربكم مني مجالس يوم القيمة احاسنكم اخلاقا الموطؤن اكنافا الذين
يألفون ويؤلفون وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لعله كان يتكلم بما لا يعنيه
ويبخل بما لا يغنيه وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ذو الوجهين لا يكون عند الله
تعالى وجيها ونهيه صلى الله تعالى عليه وسلم عن قيل وقال وكثرة السؤال
واضاعة المال ومنع وهات وعقوق الامهات ووأد البنات وقوله صلى

الله

الله تعالى عليه وسلم اتق الله حيث كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق
الناس بخلق حسن وخير الامور اوساطها وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم
احبب حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما وقوله صلى الله تعالى
عليه وسلم الظلم ظلمات يوم القيمة وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم في بعض
دعائه اللهم اني اسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها امري
وتلم بها شعثي وتصلح بها غائبي وترفع بها شاهدي وتزكي بها عملي وتلهمني بها
رشدي وترد بها الفتي وتعصمني بها من كل سوء اللهم اني اسألك الفوز
في القضاء ونزل الشهداء وعيش السعداء والنصر على الاعداء الى
ما روته الكافة من مقاماته ومحاضراته وخطبه وادعيته ومخاطباته
وعهوده مما لا خلاف انه صلى الله تعالى عليه وسلم نزل من ذلك مرتبة
لا يقاس بها غيره وحاز فيها سبقا لا يقدر قدره وقد جمعت من كلماته
التي لم يسبق اليها ولا قدر احد ان يفرغ في قالبه عليها كقوله صلى الله تعالى
عليه وسلم حمي الوطيس ومات حتف انفه ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين
والسعيد من وعظ بغيره في اخواتها ما يدرك الناظر العجب في مضمنها
ويذهب به الفكر في اداني حكمها وقد قال له اصحابه ما راينا الذي هو افصح
منك فقال وما يمنعني وانما انزل القرآن بلساني لسان عربي مبين وقال
مرة اخرى بيد اني من قريش ونشأت في بني سعد فجمع له بذلك صلى الله
تعالى عليه وسلم قوة عارضة البادية وجزالتها ونصاعة الفاظ الحاضرة
ورونق كلامها الى التأييد الالهي الذي مدده الوحي الذي لا يحيط بعلمه
بشري وقالت ام معبد رضي الله تعالى عنها في وصفها له صلى الله تعالى عليه
وسلم حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر كان منطقه خرزات نظمن وكان

صلى الله تعالى عليه وسلم جهير الصوت حسن النغمة فصل واما شرف نسبه
وكرم بلده ومنشئه فما لا يحتاج الى اقامة دليل عليه ولا بيان مشكل ولا خفي
منه فانه صلى الله تعالى عليه وسلم نخبة بني هاشم وسلالة قريش وصميمها واشرف
العرب واعزهم نفرا من قبل ابيه وامه ومن اهل مكة من اكرم بلاد الله على الله
تعالى وعلى عباده حدثنا قاضي القضاة حسين بن محمد الصدفي رحمه الله
تعالى حدثنا القاضي ابو الوليد سليمان بن خلف حدثنا ابو ذر عبد بن احمد
حدثنا ابو محمد السرخسي وابو اسحاق وابو الهيثم قالوا حدثنا محمد بن يوسف
حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن
عن عمرو عن سعيد المقبري عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنهم ان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم قال بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا حتى
كنت من القرن الذي كنت منه وعن العباس رضي الله تعالى عنه قال قال رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله عز وجل خلق الخلق فجعلني من خيرهم
من خير قرونهم ثم تخير القبائل فجعلني من خير قبيلة ثم تخير البيوت فجعلني
من خير بيوتهم فانا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا وعن واثلة بن الاسقع رضي
الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد
ابراهيم اسمعيل واصطفى من ولد اسمعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا
واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم قال الترمذي وهذا
حديث صحيح وفي حديث عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما رواه الطبري
انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان الله اختار خلقه فاختار منهم بني آدم
ثم اختار بني آدم فاختار منهم العرب ثم اختار العرب فاختار منهم قريشا
ثم اختار قريشا فاختار منهم بني هاشم ثم اختار بني هاشم فاختارني فلم

ازل خيارا من خيار الا من احب العرب فبحبي احبهم ومن ابغض العرب فببغضي
ابغضهم وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه ان قريشا كانت نورا بين يدي
الله تعالى قبل ان يخلق آدم بالفي عام يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه
فلما خلق الله تعالى آدم القى ذلك النور في صلبه فقال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم فاهبطني الله عز وجل الى الارض في صلب آدم وجعلني في صلب نوح
وقذف بي في صلب ابراهيم ثم لم يزل الله تعالى ينقلني من الاصلاب الكريمة والارحام
الطاهرة حتى اخرجني من بين ابوي لم يلتقيا على سفاح قط ويشهد بصحة هذا
الخبر شعر العباس رضي الله تعالى عنه في مدح النبي صلى الله تعالى عليه وسلم المشهور
فصل واما ما تدعو ضرورة الحياة اليه مما فصلناه فعلى ثلاثة اضرب ضرب
الفضل في قلته وضرب الفضل في كثرته وضرب تختلف الاحوال فيه فاما
ما التمدح والكمال بقلته اتفاقا وعلى كل حال عادة وشريعة كالغذاء والنوم
ولم تزل العرب من العقلاء والحكماء تتمادح بقلتهما وتذم بكثرتهما لان
كثرة الاكل والشرب دليل على النهم والحرص والشره وغلبة الشهوة مسبب
لمضار الدنيا والاخرة جالب لادواء الجسد وخثارة النفس وامتلاء الدماغ
وقلته دليل على القناعة وملك النفس وقمع الشهوة مسبب للصحة و
صفاء الخاطر وحدة الذهن كما ان كثرة النوم دليل على الفسولة والضعف
وعدم الذكاء والفطنة مسبب للكسل وعادة العجز وتضييع العمر في غير
نفع وقساوة القلب وغفلته وموته والشاهد على هذا ما يعلم ضرورة
ويوجد مشاهدة وينقل متواترا من كلام الامم المتقدمة والحكماء السالفين
واشعار العرب واخبارها وصحيح الحديث وآثار من سلف وخلف مما لا يحتاج
الى الاستشهاد عليه اختصارا واقتصارا على اشتهار العلم به وكان النبي

صلى الله تعالى عليه وسلم قد اخذ من هذين الفنين بالاوفى هذا اما الاول فيع
من سيرته وهو الذي عام وخفي عليه لاسيما بارتباط احدهما بالاخر
حدثنا ابو علي الصدفي الحافظ بقرائتي عليه حدثنا ابو الفضل الاصبهاني
حدثنا ابو نعيم الحافظ حدثنا سليمان بن احمد حدثنا بكر بن سهل حدثنا
عبد الله بن صالح حدثني معوية بن صالح ان يحيى بن جابر حدثه عن
المقدام بن معدي كرب ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال
ملوء ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم اكلات يقمن صلبه
فان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه ولان
كثرة النوم من كثرة الشرب والاكل قال سفيان الثوري بقلة الطعام
يملك سهر الليل وقال بعض السلف لا تاكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا
كثيرا فتخسروا كثيرا وقد روي عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه كان
احب الطعام اليه ما كان على ضفف اي كثيرة الايدي وعن عائشة رضي الله
تعالى عنها لم يمتلئ جوف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم شبعا قط وانه كان
في اهله لا يسألهم طعاما ولا يتشهاه ان اطعموه اكل وما اطعموه قبل وما
سقوه شرب ولا يعترض على هذا بحديث بريرة رضي الله تعالى عنه و
قوله ألم أر البرمة فيها لحم ان لعل سبب سؤاله ظنه صلى الله تعالى
عليه وسلم اعتقادهم انه لا يحل له فاراد بيان سنته صلى الله تعالى
عليه وسلم اذ رآهم لم يقدموه اليه مع علمه انهم لا يستأثرون عليه
تصدق عليهم ظنه وبين لهم ما جهلوه من امره بقوله صلى الله تعالى عليه
وسلم هو لها صدقة ولنا هدية وفي حكمة لقمان عليه السلام يا بني اذا امتلأت
المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة

سحنون لا يصلح العلم لمن يأكل حتى يشبع وفي صحيح الحديث قوله صلى الله
تعالى عليه وسلم اما انا فلا آكل متكئا والاتكاء هو التمكن للاكل والتقعد
في الجلوس له كالمتربع وشبهه من تمكن الجلسات التي يعتمد فيها الجالس
على ما تحته والجالس على هذه الهيئة يستدعي الاكل ويستكثر منه والنبي
صلى الله تعالى عليه وسلم انما كان جلوسه للاكل جلوس المستوفز مقعيا
ويقول انما انا عبد آكل كما يأكل العبد واجلس كما يجلس العبد وليس معنى
الحديث في الاتكاء الميل على شق عند المحققين وكذلك نومه صلى الله تعالى
عليه وسلم كان قليلا شهدت بذلك الآثار الصحيحة ومع ذلك فقد قال
صلى الله تعالى عليه وسلم ان عيني تنامان ولا ينام قلبي وكان نومه صلى الله
تعالى عليه وسلم على جانبه الايمن استظهارا على قلة النوم لانه على الجانب
الايسر اهنا لهدو القلب وما يتعلق به من الاعضاء الباطنة حينئذ لميلها
الى الجانب الايسر فيستدعي ذلك الاستثقال فيه والطول واذا نام النائم
على الايمن تعلق القلب وقلق فاسرع الافاقة ولم يغمره الاستغراق فصل والضرب
الثاني ما يتفق التمدح بكثرته والفخر بوفوره كالنكاح والجاه اما النكاح
فمتفق فيه شرعا وعادة فانه دليل الكمال وصحة الذكورية ولم يزل التفاخر
بكثرته عادة معروفة والتمادح به سيرة ماضية واما في الشرع فسنة
مأثورة وقد قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما افضل هذه الامة اكثرها
نساء مشيرا اليه صلى الله تعالى عليه وسلم وقد قال عليه الصلوة والسلام
تناكحوا فاني مباه بكم الامم ونهى صلى الله تعالى عليه وسلم عن التبتل
مع ما فيه من قمع الشهوة وغض البصر اللذين نبه عليهما صلى الله تعالى عليه
وسلم بقوله من كان ذا طول فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج

حتى لم يره العلماء مما يقدح في الزهد قال سهل بن عبد الله قد حبّبن الى
سيد المرسلين فكيف يزهد فيهن ونحوه لابن عيينة وقد كان زهاد الصحابة
رضي الله تعالى عنهم كثيري الزوجات والسراري كثيري النكاح وحكي في ذلك
عن علي والحسن وابن عمر وغيرهم رضي الله تعالى عنهم غير شيء وقد كره غير واحد
ان يلقى الله تعالى عزبا فان قلت كيف يكون النكاح وكثرته من الفضائل وهذا
يحيى بن زكريا عليهما الصلوة والسلام قد اثنى الله تعالى عليه انه كان حصورا
فكيف يثني الله تعالى بالعجز عما تعده فضيلة وهذا عيسى عليه الصلوة والسلام
تبتل من النساء ولو كان قدره لنكح فاعلم ان ثناء الله تعالى على يحيى بانه حصور
ليس كما قال بعضهم انه كان هيوبا او لا ذكر له بل قد انكر هذا حذاق المفسرين
ونقاد العلماء وقالوا هذه نقيصة وعيب ولا يليق بالانبياء عليهم السلام انما
معناه انه معصوم من الذنوب اي لا ياتيها كانه قد حصر عنها وقيل مانعا
نفسه من الشهوات وقيل ليست له شهوة في النساء فقد بان لك من هذا
ان عدم القدرة على نقص النكاح وانما الفضل في كونها موجودة ثم قمعها
اما بمجاهدة كعيسى عليه السلام او بكفاية من الله تعالى كيحيى عليه السلام فضيلة
من الله تعالى زائدة لكونها مشغلة في كثير من الاوقات حاطة الى الدنيا ثم
هي في حق من اقدر عليها وملكها وقام بالواجب فيها ولم تشغله عن ربه
عز وجل درجة عليا وهي درجة نبينا صلى الله تعالى الذي لم تشغله كثرتهن
عن عبادة ربه تبارك وتعالى بل زاده ذلك عبادة لتحصينهن وقيامه بحقوقهن
واكتسابه لهن وهدايته اياهن بل صرح عليه الصلوة والسلام انها ليست
من حظوظ دنياه هو وان كانت من حظوظ دنيا غيره فقال عليه الصلوة
والسلام حبب الي من دنياكم فدل على ان حبه لما ذكر صلى الله تعالى عليه

وسلم من النساء والطيب اللذين هما من امور دنيا غيره واستعماله لذلك ليس
لدنياه بل للآخرة للفوائد التي ذكرناها في التزويج وللقاء الملائكة عليهم السلام
في الطيب ولانه ايضا مما يحض على الجماع ويعين عليه ويحرك اسبابه وكان حبه
صلى الله تعالى عليه وسلم لهاتين الخصلتين لاجل غيره وقمع شهوته وكان حبه
الحقيقي المختص بذاته في مشاهدة جبروت مولاه ومناجاته ولذلك ميز
بين الحبين وفصل بين الحالين فقال وجعلت قرة عيني في الصلوة فقد
ساوى يحيى وعيسى عليهم السلام في كفاية فتنتهن وزاد فضيلة بالقيام بهن
وكان صلى الله تعالى عليه وسلم ممن اقدر على القوة في هذا واعطي الكثير منه
ولهذا ابيح له من عدد الحرائر ما لم يبح لغيره وقد روينا عن انس رضي الله تعالى
عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم يدور على نسائه في الساعة من الليل والنهار
وهن احدى عشرة قال انس رضي الله تعالى عنه وكنا نتحدث انه اعطي قوة
ثلاثين رجلا خرجه النسائي وروي نحوه عن ابي رافع رضي الله تعالى عنه
وعن طاوس رضي الله تعالى عنه اعطي عليه الصلوة والسلام قوة اربعين
رجلا في الجماع ومثله صفوان بن سليم رضي الله تعالى عنه وقالت سلمى
مولاته طاف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة على نسائه التسع وتطهر
من كل واحدة قبل ان ياتي الاخرى وقال هذا اطهر واطيب وقد قال سليمان
عليه السلام لاطوفن الليلة على مائة امرأة او تسع وتسعين وانه فعل
ذلك قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كان في ظهر سليمان عليه السلام
ماء مائة رجل وكانت له ثلاثمائة امرأة وثلاثمائة سرية وقد كان
لداود عليه السلام على زهده واكله من عمل يده تسع وتسعون امرأة وتمت بتزوج
اوريا مائة وقد نبه على ذلك في الكتاب العزيز بقوله تعالى ان هذا اخي له تسع

وحكى النقاش وغيره سبع مائة امرأة وثلاثمائة سرية صح

وتسعون نعجة وفي حديث انس رضي الله تعالى عنه عنه صلى الله تعالى عليه
وسلم فضلت على الناس باربع بالسخاء والشجاعة وكثرة الجماع وقوة البطش
واما الجاه فمحمود عند العقلاء عادة وبقدر جاهه عظمه في القلوب
وقد قال تعالى في صفة عيسى عليه السلم وجيها في الدنيا والاخرة لكن
افاته كثيرة فهو مضر لبعض الناس لعقبى الآخرة فلذلك ذمه من ذمه و
مدح ضده وورد في الشرع مدح الخمول وذم العلو في الارض وكان
صلى الله تعالى عليه وسلم قد رزق من الحشمة والمكانة في القلوب و
العظمة قبل النبوة عند الجاهلية وبعدها وهم يكذبونه ويؤذون
اصحابه ويقصدون اذاه في نفسه خفية حتى اذا واجههم اعظموا
امره وقضوا حاجته واخباره في ذلك معروفة سيأتي بعضها وقد
كان يبهت ويفرق لرؤيته من لم يره كما روي عن قيلة انها لما
رأته ارعدت من الفرق فقال يا مسكينة عليك السكينة وفي
حديث ابي مسعود رضي الله تعالى عنه ان رجلا قام بين يديه فارعد
فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم هون عليك فاني لست بملك
الحديث فاما عظيم قدره بالنبوة وشريف منزلته بالرسالة وانافة
رتبته بالاصطفاء والكرامة في الدنيا فامر هو مبلغ النهاية ثم هو في
الآخرة سيد ولد آدم وعلى معنى هذا الفصل نظمنا هذا القسم باسره
فصل واما الضرب الثالث فهو ما تختلف الحالات في التمدح به والتفاخر
بسببه والتفضيل لاجله ككثرة المال فصاحبه على الجملة معظم عند العامة لاعتقادها توصله به الى حاجاته وتمكن اغراضه بسببه صح والا فليس فضيلة في نفسه فمتى كان المال بهذه الصورة وصاحبه
منفقا له في مهماته ومهمات من اعتراه وامله وتصريفه في مواضعه مشتريا به
المعالي والثناء الحسن والمنزلة من القلوب كان فضيلة في صاحبه عند اهل

الدنيا واذا صرفه في وجوه البر وانفقه في سبيل الخير وقصد بذلك الله تعالى
والدار الآخرة كان فضيلة عند الكل بكل حال ومتى كان صاحبه ممسكا غير
موجهه في وجوهه حريصا على جمعه عادت كثرته كالعدم وكان منقصة
في صاحبه ولم يقف به على جدد السلامة بل اوقعه في هوة رذيلة البخل و
مذمة النذالة فاذا التمدح بالمال وفضيلته عند مفضليه ليست لنفسه
وانما هو للتوصل به الى غيره وتصريفه في متصرفاته فجامعه اذا لم يضعه
مواضعه ولا وجهه وجوهه غير ملي بالحقيقة ولا غني بالمعنى ولا ممدح
عند احد من العقلاء بل هو فقير ابدا غير واصل الى غرض من اغراضه
اذ ما بيده من المال الموصل لها لم يسلط عليه فاشبه خازن مال غيره ولا
مال له فكانه ليس في يده منه شيء والمنفق مليء غني بتحصيله فوائد المال و
ان لم يبق في يده من المال شيء فانظر سيرة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم
وخلقه في المال تجده قد اوتي خزائن الارض ومفاتيح البلاد واحلت له
الغنائم ولم تحل لنبي قبله وفتح عليه في حياته صلى الله تعالى عليه وسلم
بلاد الحجاز واليمن وجميع جزيرة العرب وما دانى ذلك من الشام والعراق
وجلبت اليه من اخماسها وجزيتها وصدقاتها ما لا يجبى للملوك الا بعضه
وهادته جماعة من ملوك الاقاليم فما استأثر بشيء منه ولا امسك منه
درهما بل صرفه مصارفه واغنى به غيره وقوى به المسلمين وقال ما يسرني
ان لي احدا ذهبا يبيت عندي منه دينار الا دينارا ارصده لديني و
اتته دنانير مرة فقسمها وبقيت منها بقية فدفعها لبعض نسائه فلم ياخذه
نوم حتى قام وقسمها وقال الآن استرحت ودرعه مرهونة في نفقة
عياله واقتصر من نفقته وملبسه ومسكنه على ما تدعوه ضرورته اليه وزهد

فيما سواه فكان يلبس ما وجده فيلبس في الغالب الشملة والكساء الخشن
والبرد الغليظ ويقسم على من حضره اقبية الديباج المخوصة بالذهب
ويرفع لمن لم يحضره اذ المباهاة في الملبوس والتزين بها ليست من خصال
الشرف والجلالة وهي من سمات النساء والمحمود منها نقاوة الثوب والتوسط
في جنسه وكونه لبس مثله غير مسقط لمروة جنسه مما لا يؤدي الى
الشهرة في الطرفين وقد ذم الشرع ذلك وغاية الفخر فيه في العادة عند
الناس انما تعود الى الفخر بكثرة الموجود ووفور الحال وكذلك التباهي بجودة
المسكن وسعة المنزل وتكثير الآلات وخدمه ومركوباته ومن ملك الارض
وجبي اليه ما فيها فترك ذلك زهدا وتنزيها فهو حائز لفضيلة المالية
ومالك للفخر بهذه الخصلة ان كانت فضيلة زائدة عليها في الفخر ومعرق
في المدح باضرابه عنها وزهده في فانيها وبذلها في مظانها فصل واما
الخصال المكتسبة من الاخلاق الحميدة والآداب الشريفة التي اتفق
جميع العقلاء على تفضيل صاحبها وتعظيم المتصف بالخلق الواحد منها
فضلا عما فوقه واثنى الشرع على جميعها وامر بها ووعد السعادة الدائمة
للمتخلق بها ووصف بعضها بانه من اجزاء النبوة وهي المسماة بحسن
الخلق وهو الاعتدال في قوى النفس واوصافها والتوسط فيها دون الميل
الى منحرف اطرافها فجميعها قد كانت خلق نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم
على الانتهاء في كمالها والاعتدال الى غايتها حتى اثنى الله تعالى عليه بذلك
فقال تعالى وانك لعلى خلق عظيم وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها كان
خلقه صلى الله تعالى عليه وسلم القرآن يرضى برضاه ويسخط بسخطه وقال
صلى الله تعالى عليه وسلم بعثت لاتمم مكارم الاخلاق قال القاضي رضي

[Margin note:] والتفضيل لاجله كثرة المال فصاحبه على الجملة معظم عند العامة لاعتقاده توصله به الى حاجاته وتمكن اغراضه به صح

الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم احسن الناس خلقا
وعن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه مثله وكان فيما ذكره المحققون
مجبولا عليها في اصل خلقته واول فطرته لم تحصل له باكتساب ولا رياضة
الا بجود الهي وخصوصية ربانية وهكذا لسائر الانبياء عليهم السلام
ومن طالع سيرهم منذ صباهم الى مبعثهم حقق ذلك كما عرف من حال موسى
وعيسى ويحيى وسليمان وغيرهم عليهم السلام بل غرزت فيهم هذه الاخلاق
في الجبلة واودعوا العلم والحكمة في الفطرة قال الله تعالى وآتيناه الحكم
صبيا قال المفسرون اعطي يحيى عليه السلام العلم بكتاب الله تعالى في حال صباه
وقال معمر كان ابن سنتين او ثلاث فقال له الصبيان لم لا تلعب فقال
اللعب خلقت وقيل في قوله تعالى مصدقا بكلمة من الله صدق يحيى بعيسى
عليهما السلام وهو ابن ثلاث سنين فشهد له انه كلمة الله وروحه
وقيل صدقه وهو في بطن امه فكانت ام يحيى تقول لمريم اني اجد ما في
بطني يسجد لما في بطنك تحية له وقد نص الله تعالى في كتابه على كلام عيسى
عليه السلام لامه عند ولادتها اياه بقوله لها لا تحزني على قراءة من قرأ من
تحتها وعلى قول من قال ان المنادي عيسى عليه السلام ونص على كلامه في
مهده فقال اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا
وقال عز وجل ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما وقد ذكر من حكم
سليمان عليه السلام وهو صبي يلعب في قصة الصبي ما اقتدى به ابوه داود
عليهما السلام وحكى الطبري ان عمره كان حين اوتي الملك اثني عشر
عاما وكذلك قصة موسى عليه السلام مع فرعون واخذه بلحيته وهو طفل
وقال المفسرون في قوله تعالى ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل اي هديناه

صغيراً قاله مجاهد وغيره وقال ابن عطاء اصطفاه قبل ابداء خلقه وقال
بعضهم لما ولد ابراهيم عليه السلام بعث الله تعالى ملكاً يأمره عن الله تعالى ان يعرفه بقلبه
ويذكره بلسانه فقال قد فعلت ولم يقل افعل فذلك رشده وقيل ان القاء ابراهيم
عليه السلام في النار ومحنته كانت وهو ابن ست عشرة سنة وان ابتلاء
اسحاق بالذبح كان وهو ابن سبع سنين وان استدلال ابراهيم عليه السلام
بالكوكب والقمر والشمس كان وهو ابن خمسة عشر شهراً وقيل اوحي الى يوسف
وهو صبي عندما هم اخوته بالقائه في الجب بقول الله تعالى واوحينا اليه
لتنبئنهم بامرهم هذا الآية الى غير ذلك مما ذكر من اخبارهم واخبار غيرهم
وقد حكى بعض اهل السير ان آمنة بنت وهب اخبرت ان نبينا محمد
صلى الله تعالى عليه وسلم ولد حين ولد باسطاً يديه الى الارض رافعاً
راسه الى السماء وقال في حديثه لما نشأت بغضت الى الاوثان و
بغض الى الشعر ولم اهم بشيء مما كانت الجاهلية تفعله الا مرتين
فعصمني الله تعالى منهما ثم لم اعد ثم يتمكن الامر لهم وتترادف نفحات الله
تعالى عليهم وتشرق انوار المعارف في قلوبهم حتى يصلوا الغاية ويبلغوا
باصطفاء الله تعالى لهم بالنبوة في تحصيل هذه الخصال الشريفة النهاية
دون ممارسة ولا رياضة قال الله تعالى ولما بلغ اشده واستوى آتيناه
حكماً وعلماً وقد نجد غيرهم يطبع على بعض هذه الاخلاق دون جميعها
ويولد عليها فيسهل عليه اكتساب تمامها عناية من الله تعالى كما نشاهد
من خلقة بعض الصبيان على حسن السمت او الشهامة او صدق اللسان
او السماحة وكما نجد بعضهم على ضدها فبالاكتساب يكمل ناقصها و
بالرياضة والمجاهدة يستجلب معدومها ويعتدل منحرفها وباختلاف

هذين

هذين الحالين يتفاوت الناس فيها وكل ميسر لما خلق له ولهذا ما قد اختلف
السلف فيها هل هذه الاخلاق جبلة او مكتسبة قال الطبري عن
بعض السلف ان الخلق الحسن جبلة وغريزة في العبد وحكاه عن عبد الله
بن مسعود رضي الله تعالى عنهما والحسن وبه قال هو والصواب ما اصلناه
وقد روى سعد رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
قال كل الخلال يطبع عليها المؤمن الا الخيانة والكذب وقال عمر بن
الخطاب رضي الله تعالى عنه في حديثه والجرأة والجبن غرائز يضعها الله
تعالى حيث يشاء وهذه الاخلاق المحمودة والخصال الشريفة الجميلة كثيرة
ولكنا نذكر اصولها ونشير الى جميعها ونحقق وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم
بها ان شاء الله تعالى فصل اما اصل فروعها وعنصر ينابيعها ونقطة دائرتها
فالعقل الذي منه ينبعث العلم والمعرفة ويتفرع عن هذا ثقوب الرأي
وجودة الفطنة والاصابة وصدق الظن والنظر للعواقب ومصالح
النفس ومجاهدة الشهوة وحسن السياسة والتدبير واقتناء الفضائل
واجتناب الرذائل وقد اشرنا الى مكانه منه صلى الله تعالى عليه وسلم و
بلوغه منه ومن العلم الغاية القصوى التي لم يبلغها بشر سواه واذا جلالة
محله من ذلك ومما تفرع منه متحقق عند من تتبع مجاري احواله واطراد
سيره وطالع جوامع كلامه وحسن شمائله وبدائع سيره وحكم حديثه
وعلمه بما في التوراة والانجيل والكتب المنزلة وحكم الحكماء وسير الامم
الخالية وايامها وضرب الامثال وسياسات الانام وتقرير الشرائع وتاصيل
الآداب النفيسة والشيم الحميدة الى فنون العلوم التي اتخذ اهلها كلامه
صلى الله تعالى عليه وسلم فيها قدوة واشاراته حجة كالعبارة والطب والحساب

والفرائض والنسب وغير ذلك مما سنبينه في معجزاته ان شاء الله تعالى
دون تعليم ولا مدارسة ولا مطالعة كتب من تقدم ولا الجلوس الى علمائهم
بل نبي امي لم يعرف بشيء من ذلك حتى شرح الله تعالى صدره وابان امره وعلمه
واقرأه يعلم ذلك بالمطالعة والبحث من حاله ضرورة وبالبرهان القاطع
على نبوته نظرا فلا نطول بسرد الاقاصيص وآحاد القضايا اذ مجموعها
ما لا يأخذه حصر ولا يحيط به حفظ جامع وبحسب عقله كانت معارفه
صلى الله تعالى عليه وسلم الى سائر ما علمه الله تعالى واطلعه عليه من علم
ما يكون وما كان وعجائب قدرته وعظيم ملكوته قال الله تعالى وعلمك
ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما حارت العقول في تقدير فضله
عليه وخرست الالسن دون وصف يحيط بذلك او ينتهي اليه فصل
واما الحلم والاحتمال والعفو مع القدرة والصبر على ما يكره وبين
هذه الالقاب فرق فان الحلم حالة توقر وثبات عند الاسباب المحركات
والاحتمال حبس النفس عند الآلام والمؤذيات ومثلها الصبر ومعانيها
متقاربة واما العفو فهو ترك المؤاخذة وهذا كله مما ادب الله تعالى به
نبيه محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم فقال الله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف
الآية روي ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما نزلت هذه الآية
سأل جبريل عليه السلام عن تأويلها فقال له حتى أسأل العالم ثم ذهب
فاتاه فقال يا محمد ان الله تعالى يأمرك ان تصل من قطعك وتعطي من
حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال تعالى واصبر على ما اصابك الآية وقال
عز وجل فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وقال تعالى وليعفوا وليصفحوا
الآية وقال الله تعالى ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور ولا خفاء

بما يؤثر من حلمه واحتماله وان كل حليم قد عرفت منه زلة وحفظت عنه هفوة
وهو صلى الله تعالى عليه وسلم لا يزيد مع كثرة الاذى الا صبرا وعلى اسراف الجاهل
الا حلما حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن علي التغلبي وغيره قالوا حدثنا محمد بن
عتاب حدثنا ابو بكر بن واقد القاضي وغيره حدثنا ابو عيسى حدثنا عبد الله
حدثنا يحيى بن يحيى حدثنا مالك عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة رضي الله
تعالى عنها قالت ما خير رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في امرين قط
الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس منه وما انتقم
رسول الله صلى الله تعالى وسلم لنفسه الا ان تنتهك حرمة الله تعالى فينتقم
وروي ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما كسرت رباعيته وشج
وجهه يوم احد شق ذلك على اصحابه شديدا وقالوا لو دعوت عليهم فقال
صلى الله تعالى عليه وسلم اني لم ابعث لعانا ولكني بعثت داعيا ورحمة اللهم
اهد قومي فانهم لا يعلمون وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه انه
قال في بعض كلامه بابي انت وامي يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال
رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا
من عند آخرنا فلقد وطئ ظهرك وادمي وجهك وكسرت رباعيتك فابيت
ان تقول الا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون قال القاضي
ابو الفضل رحمه الله تعالى انظر ما في هذا القول من جماع الفضل ودرجات
الاحسان وحسن الخلق وكرم النفس وغاية الصبر والحلم اذ لم يقتصر
صلى الله تعالى عليه وسلم على السكوت عنهم حتى عفا ثم اشفق عليهم ورحمهم
ودعا وشفع لهم فقال اللهم اغفر او اهد ثم اظهر سبب الشفقة والرحمة
بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لقومي ثم اعتذر عنهم بجهلهم فقال فانهم

لا يعقلون ولما قال له الرجل اعدل فان هذه قسمة ما اريد بها وجه الله تعالى
لم يرد ه في جوابه ان بين له ما جهله ووعظه نفسه وذكره بما قال له فقال
ويحك فمن يعدل ان لم اعدل خبت وخسرت ان لم اعدل ونهى من اراد
من اصحابه قتله ولما تصدى له غورث بن الحارث ليفتك به ورسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم منتبذ تحت شجرة وحده قائلا والناس قائلون
في غزاة فلم ينتبه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا وهو قائم و
السيف صلتا في يده فقال من يمنعك مني فقال الله تعالى فسقط السيف
من يده فاخذه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقال له من يمنعك مني
فقال كن خير آخذ فتركه وعفا عنه فجاء الى قومه فقال جئتكم من
عند خير الناس ومن عظيم خبره في العفو عفوه عن اليهودية التي
سمته في الشاة بعد اعترافها على الصحيح من الرواية وانه لم يواخذ لبيد بن
الاعصم اذ سحره وقد اعلم به واوحي اليه بشرح امره ولا عتب عليه فضلا
عن معاقبته وكذلك لم يواخذ عبد الله بن ابي واشباهه من المنافقين
بعظيم ما نقل عنهم في جهته قولا وفعلا قال لمن يقتل بعضهم بلا
يتحدث ان محمدا يقتل اصحابه وعن انس رضي الله تعالى عنه قال كنت مع
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعليه برد غليظ الحاشية فجبذه اعرابي
بردائه جبذة شديدة حتى اثرت حاشية البرد في صفحة عاتقه ثم
قال يا محمد احمل لي على بعيري هذين من مال الله الذي عندك فانك لا تحمل لي من
مالك ولا من مال ابيك فسكت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال ويقاد
منك يا اعرابي ما فعلت بي قال لا قال لم قال لانك لا تكافئ بالسيئة السيئة
فضحك صلى الله تعالى عليه وسلم ثم امر ان يحمل له على بعير شعير وعلى الآخر

ثم قالت عائشة رضي الله تعالى عنها ما رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم تكن حرمة من محارم الله سبحانه وما ضرب بيده
شيئا قط الا ان يجاهد في سبيل الله ولا ضرب خادما ولا امرأة قط و
جيء اليه برجل فقيل له هذا اراد ان يقتلك فقال له النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم لن تراع ولو اردت ذلك لم تسلط علي وجاءه زيد بن سعنة
قبل اسلامه يتقاضاه دينا عليه فجبذ ثوبه عن منكبه واخذ بمجامع ثيابه
واغلظ له ثم قال انكم يا بني عبد المطلب مطل فانتهره عمر رضي الله تعالى عنه
وشدد له في القول والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم يتبسم فقال النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم انا وهو كنا الى غير هذا منك احوج يا عمر تأمرني بحسن
القضاء وتأمره بحسن التقاضي ثم قال لقد بقي من اجله ثلاث وامر عمر
رضي الله تعالى عنه يقضيه ماله ويزيده عشرين صاعا لما روعه فكان سبب
اسلامه وذلك انه كان يقول ما بقي من علامات النبوة شيء الا وقد عرفتها
في محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الا اثنتين لم اخبرهما يسبق حلمه جهله ولا
يزيده شدة الجهل عليه الا حلما فاختبرته بهذا فوجدته كما وصف والحديث
عن حلمه عليه الصلوة والسلام وعن صبره وعفوه عند المقدرة اكثر من ان
نأتي عليه وحسبك ما ذكرناه مما في الصحيح والمصنفات الثابتة الى ما بلغ
متواترا مبلغ اليقين من صبره على مقاساة قريش واذى الجاهلية ومصابرته
الشدائد الصعبة معهم الى ان اظهره الله تعالى عليهم وحكمه فيهم لا يشكون
في استئصال شافتهم وابادة خضرائهم فما زاد على ان عفا وصفح وقال
ما تقولون اني فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم فقال كما قال
اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم الاية اذهبوا فانتم الطلقاء وقال انس

رضي الله تعالى عنه هبط ثمانون رجلا من التنعيم صلاة الصبح ليقتلوا رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فأخذوا فأعتقهم صلى الله تعالى عليه وسلم فأنزل الله
عز وجل وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم الآية وقال لأبي سفيان
وقد سيق إليه بعد أن جلب إليه الأحزاب وقتل عمه وأصحابه ومثل بهم فعفا عنه
ولاطفه في القول ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله
فقال بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأوصلك وأكرمك وكان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم أبعد الناس غضبا وأسرعهم رضى صلى الله تعالى عليه
وسلم فصل وأما الجود والكرم والسخاء والسماحة فمعانيها متقاربة
وقد فرق بعضهم بينها بفروق فجعلوا الكرم الإنفاق بطيب النفس
فيما يعظم خطره ونفعه وسموه أيضا حرية وهو ضد النذالة والسماحة
التجافي عما يستحقه المرء عند غيره بطيب نفس وهو ضد الشكاسة و
السخاء سهولة الإنفاق وتجنب اكتساب ما لا يحمد وهو الجود وهو ضد
التقتير فكان صلى الله تعالى عليه وسلم لا يوازى في هذه الأخلاق الكريمة
ولا يبارى بهذا وصفه كل من عرفه حدثنا القاضي الشهيد أبو علي الصدفي
رحمه الله تعالى حدثنا القاضي أبو الوليد الباجي حدثنا أبو ذر الهروي حدثنا
أبو الهيثم الكشميهني وأبو محمد السرخسي وأبو إسحاق البلخي قالوا حدثنا أبو
عبد الله الفربري حدثنا البخاري حدثنا محمد بن كثير حدثنا سفيان عن
ابن المنكدر سمعت جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه يقول ما سئل النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم شيئا عن شيء فقال لا وعن أنس رضي الله تعالى عنه
وسهل بن سعد رضي الله تعالى عنه مثله وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
ما كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أجود الناس بالخير وأجود ما كان

في شهر

في شهر رمضان وكان إذا لقيه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة و
عن أنس رضي الله تعالى عنه أن رجلا سأله فأعطاه غنما بين جبلين فرجع إلى
بلده وقال أسلموا فإن محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم يعطي عطاء من لا يخشى
فاقة وأعطى غير واحد مائة من الإبل وأعطى صفوان مائة ثم مائة ثم
مائة وهذه كانت حاله صلى الله تعالى عليه وسلم قبل أن يبعث وقد قال له
ورقة بن نوفل إنك تحمل الكل وتكسب المعدوم ورد على هوازن سباياها
وكانوا ستة آلاف وأعطى العباس رضي الله تعالى عنه من الذهب ما لم يطق
حمله وحمل إليه تسعون ألف درهم فوضعت على حصير ثم قام إليها فقسمها
فما رد سائلا حتى فرغ منها وجاءه رجل فسأله فقال ما عندي شيء ولكن ابتع
علي فإذا جاءنا شيء قضيناه فقال له عمر رضي الله تعالى عنه ما كلفك الله
ما لا تقدر عليه فكره النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك فقال رجل من
الأنصار يا رسول الله أنفق ولا تخف من ذي العرش إقلالا فتبسم صلى
الله تعالى عليه وسلم وعرف البشر في وجهه وقال بهذا أمرت ذكره الترمذي
وذكر عن معوذ بن عفراء أتيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بقناع
من رطب يريد طبقا وأجر زغب يريد قثاء فأعطاني ملء كفه حليا وذهبا
وقال أنس رضي الله تعالى عنه كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا يدخر
شيئا لغد والخبر بجوده وكرمه صلى الله تعالى عليه وسلم كثير وعن
أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال أتى رجل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
يسأله فاستسلف له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نصف وسق
فجاء الرجل يتقاضاه فأعطاه وسقا وقال نصفه قضاء ونصفه نائل
والخبر بجوده وكرمه صلى الله تعالى عليه وسلم كثير وقد قال أبو علي الدقاق

من شيوخ المتصوفة المشاهير وعلمائهم النحارير وتكلم في الفتوة على رأيهم
واصطلاحهم في الفاظهم وهو غاية الكرم والاشارة ان هذا الخلق
لا يكون بكماله الا لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فان كل واحد في
القيمة يقول نفسي نفسي وهو يقول امتي امتي فصل واما الشجاعة
والنجدة فالشجاعة فضيلة قوة الغضب وانقيادها للعقل والنجدة
ثقة النفس عند استرسالها الى الموت حيث يحمد فعلها دون خوف وكان
صلى الله تعالى عليه وسلم منهما بالمكان الذي لا يجهل قد حضر المواقف الصعبة
وفر الكماة والابطال عنه غير مرة وهو ثابت لا يبرح ومقبل لا يدبر
ولا يتزحزح وما شجاع الا وقد احصيت له فرة وحفظت عنه جولة
سواه حدثنا ابو علي الجياني فيما كتب لي قال حدثنا القاضي سراج حدثنا
ابو محمد الاصيلي حدثنا ابو زيد الفقيه حدثنا محمد بن يوسف حدثنا
محمد بن اسمعيل حدثنا ابن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن ابي اسحاق
سمع البراء وسئله رجل رضي الله تعالى عنهم افررتم يوم حنين عن رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال نعم لكن رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم لم يفر ثم قال لقد رايته على بغلته البيضاء وابو سفيان اخذ
بلجامها والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول انا النبي لا كذب وزاد
غيره انا ابن عبد المطلب فقال لو كان ما بي بجميع الناس لقتلهم اليس قد
قال انا اقتلك والله لو بصق علي لقتلني فمات بسرف في قفولهم الى
مكة فصل واما الحياء والاغضاء فالحياء رقة تعتري وجه الانسان
عند فعل ما يتوقع كراهته وما يكون تركه خيرا من فعله والاغضاء
التغافل عما يكره الانسان بطبيعته وكان النبي صلى الله تعالى عليه

وسلم اشد الناس حياء واكثرهم عن العورات اغضاء قال الله سبحانه وتعالى
ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم الاية وحدثنا ابو محمد بن عتاب
رحمه الله تعالى بقراءتي عليه حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد حدثنا ابو الحسن
القابسي حدثنا ابو زيد المروزي حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن
اسمعيل حدثنا عبدان انا عبد الله حدثنا شعبة عن قتادة سمعت عبد الله
مولى عن ابي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنهم قال كان رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم اشد حياء من العذراء في خدرها وكان اذا كره
شيئا عرفناه في وجهه وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لطيف
البشرة رقيق الظاهر لا يشافه احدا بما يكرهه حياء وكرم نفس وعن عائشة
رضي الله تعالى عنها قالت كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا بلغه عن
احد ما يكرهه لم يقل ما بال فلان يقول كذا ولكن يقول ما بال اقوام
يصنعون او يقولون كذا ينهى عنه ولا يسمي فاعله وروى انس
رضي الله تعالى عنه انه دخل عليه رجل به اثر صفرة فلم يقل له شيئا وكان
لا يواجه احدا بما يكرهه فلما خرج قال لو قلتم له يغسل هذا ويروى ينزعها
قالت عائشة رضي الله تعالى عنها في الصحيح لم يكن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
فاحشا ولا متفحشا ولا سخابا بالاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة
ولكن يعفو ويصفح وقد حكي مثل هذا الكلام عن التورية من رواية عبد الله
بن سلام وعبد الله بن عمرو بن العاص وروي عنه عليه الصلوة والسلام
انه كان من حيائه لا يثبت بصره في وجه احد وانه كان يكني عما اضطره
الكلام اليه مما يكره وعن عائشة رضي الله تعالى عنها ما رايت فرج رسول
الله تعالى عليه وسلم قط فصل واما حسن عشرته وادبه وبسط

خلقه صلى الله تعالى عليه وسلم مع اصناف الخلق فبحيث انتشرت به الاخبار
الصحيحة قال علي رضي الله تعالى عنه في وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم
كان اوسع الناس صدرا واصدق الناس لهجة والينهم عريكة واكرمهم
عشرة حدثنا ابو الحسن علي بن مشرف الانماطي فيما اجازنيه وقرأته
على غيره قال حدثنا ابو اسحاق الحبال حدثنا ابو محمد بن النحاس حدثنا
ابن الاعرابي حدثنا ابو داود حدثنا هشام ابو مروان ومحمد بن المثنى
قالا حدثنا ابو الوليد بن مسلم حدثنا الاوزاعي سمعت يحيى بن ابي
كثير يقول حدثني محمد بن عبد الرحمن بن اسعد بن زرارة عن قيس
بن سعد قال زارنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فذكر قصة في آخرها
فلما اراد الانصراف قرب له سعد حمارا وطا عليه بقطيفة فركب
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال سعد يا قيس اصحب رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم قال قيس فقال لي رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم اركب فابيت فقال اما ان تركب واما ان تنصرف فانصرفت
وفي رواية اخرى اركب امامي فصاحب الدابة احق بمقدمها وكان
صلى الله تعالى عليه وسلم يؤلفهم ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه
عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير ان يطوي عن احد منهم بشره
ولا خلقه يتفقد اصحابه ويعطي كل جلسائه نصيبه لا يحسب جليسه
ان احدا اكرم عليه منه من جالسه او قاربه لحاجة صابره حتى يكون هو
المنصرف عنه ومن سأله حاجة لم يرده الا بها او بميسور من القول قد
وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم ابا وصاروا عنده في الحق سواء بهذا
وصفه ابن ابي هالة قال وكان صلى الله تعالى عليه وسلم دائم البشر سهل

الخلق

الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب ولا فحاش ولا عياب
ولا مداح يتغافل عما لا يشتهي ولا يؤيس منه وقال الله تعالى فبما رحمة
من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وقال
سبحانه وتعالى ادفع بالتي هي احسن الاية وكان يجيب من دعاه ويقبل
الهدية ولو كانت كراعا ويكافي عليها قال انس رضي الله تعالى عنه خدمت
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عشر سنين فما قال لي اف قط وما قال لي
لشيء صنعته لم صنعته ولا لشيء تركته لم تركته وعن عائشة رضي
الله تعالى عنها ما كان احد احسن خلقا من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ما دعاه احد من اصحابه ولا اهل بيته الا قال له لبيك وقال جرير بن عبد الله
ما حجبني رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منذ اسلمت ولا رآني الا
تبسم وكان يمازح اصحابه ويخالطهم ويحادثهم ويداعب صبيانهم و
يجلسهم في حجره ويجيب دعوة العبد والحر والامة والمسكين ويعود
المرضى في اقصى المدينة ويقبل عذر المعتذر قال انس رضي الله تعالى عنه
ما التقم احد اذن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فينحي رأسه حتى يكون الرجل
هو الذي ينحي رأسه وما اخذ احد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخر
ولم ير مقدما ركبته بين يدي جليس له وكان يبدأ من لقيه بالسلام
ويبدأ اصحابه بالمصافحة لم ير قط مادا رجليه بين اصحابه حتى يضيق بهما
على احد يكرم من يدخل عليه وربما بسط له ثوبه ويؤثره بالوسادة التي
تحته ويعزم عليه في الجلوس عليها ان ابى ويكني اصحابه ويدعوهم باحب
اسمائهم تكرمة لهم ولا يقطع على احد حديثه حتى يتجوز فيقطعه بنهي
او قيام ويروى بانتهاء او قيام وروي انه كان صلى الله تعالى عليه وسلم

لايجلس اليه احد وهو يصلي الا خفف صلاته وساله عن حاجته فاذا فرغ
عاد الى صلوته وكان صلى الله تعالى عليه وسلم اكثر الناس تبسما واطيبهم
نفسا ما لم ينزل عليه قرآن او يعظ او يخطب قال عبد الله بن الحارث
رضي الله تعالى عنه ما رايت احدا اكثر تبسما من رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم وعن انس رضي الله تعالى عنه كان خدم المدينة يأتون رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا صلى الغداة بآنيتهم فيها الماء فما يؤتى
بآنية الا غمس يده فيها وربما كان ذلك في الغداة الباردة يريدون به
التبرك فصل واما الشفقة والرأفة والرحمة لجميع الخلق فقد قال
الله تعالى فيه عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم وقال
تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قال بعضهم من فضله عليه الصلوة
والسلام ان الله تعالى اعطاه اسمين من اسمائه فقال بالمؤمنين رؤف رحيم
وحكى نحوه الامام ابو بكر بن فورك حدثنا الفقيه ابو محمد عبد الله بن
محمد الخشني بقراءتي عليه حدثنا امام الحرمين ابو علي الطبري حدثنا
عبد الغافر الفارسي حدثنا ابو احمد الجلودي حدثنا ابراهيم بن
سفيان حدثنا مسلم بن الحجاج حدثنا ابو الطاهر احدثنا ابن وهب
حدثنا يونس عن ابن شهاب رضي الله تعالى عنه قال غزا رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم غزوة وذكر حنينا قال فاعطى رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم صفوان ابن امية مائة من النعم ثم مائة ثم
مائة قال ابن شهاب حدثنا سعيد بن المسيب ان صفوان رضي الله
تعالى عنه قال والله لقد اعطاني ما اعطاني وانه لابغض الخلق الي فما زال
يعطيني حتى انه لاحب الخلق الي وروى ان اعرابيا جاءه يطلب منه شيئا

فاعطاه

فاعطاه ثم قال احسنت اليك قال الاعرابي لا ولا اجملت فغضب المسلمون
وقاموا اليه فاشار اليهم ان كفوا ثم قام ودخل منزله وارسل اليه وزاده
شيئا ثم قال احسنت اليك قال نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا
فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انك قلت وفي انفس اصحابي
من ذلك شيء فان احببت فقل بين ايديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب
ما في صدورهم عليك قال نعم فلما كان الغد او العشي جاء فقال النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم ان هذا الاعرابي قال ما قال فزدناه فزعم انه
رضي كذلك قال نعم فجزاك الله تعالى من اهل وعشيرة خيرا فقال صلى الله
تعالى عليه وسلم مثلي ومثل هذا مثل رجل له ناقة شردت عليه فاتبعها
الناس فلم يزيدوها الا نفورا فناداهم صاحبها خلوا بيني وبين ناقتي
فاني ارفق بها منكم واعلم فتوجه لها بين يديها فاخذ لها من قمام الارض
فردها حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها واني
لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار وروى عنه صلى
الله تعالى عليه وسلم انه قال لا يبلغني احد منكم عن احد من اصحابي شيئا فاني
احب ان اخرج اليكم وانا سليم الصدر ومن شفقته صلى الله تعالى عليه وسلم
على امته تخفيفه عنهم وتسهيله عليهم وكراهته اشياء مخافة ان تفرض
عليهم كقوله عليه الصلوة والسلام لولا ان اشق على امتي لامرتهم بالسواك
مع كل وضوء وخبر صلوة الليل ونهيه اياهم عن الوصال وكراهته دخول
الكعبة لئلا يعنت امته ورغبته لربه ان يجعل سبه ولعنه لهم رحمة بهم
وانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يسمع بكاء الصبي فيتجوز في صلاته و
من شفقته صلى الله تعالى عليه وسلم ان دعا ربه وعاهده فقال ايما رجل

بتنبيه او لعنه فاجعل ذلك له ذكاة ورحمة وصلاة وطهورا و
قربة تقربه بها اليك يوم القيمة ولما كذبه قومه اتاه جبريل عليه السلم
فقال له ان الله تعالى قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد امر
ملك الجبال لتامره بما شئت فيهم فناداه ملك الجبال وسلم عليه وقال
مرني بما شئت ان شئت ان اطبق عليهم الاخشبين قال صلى الله تعالى
عليه وسلم بل ارجوا ان يخرج الله من اصلابهم من يعبد الله وحده ولا
يشرك به شيئا وروى ابن المنكدر ان جبريل عليه السلم قال للنبي
صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله تعالى امر السماء والارض والجبال ان
تطيعك فقال اوخر عن امتي لعل الله ان يتوب عليهم قالت عايشة
رضي الله تعالى عنها ما خير رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بين امرين
الا اختار ايسرهما وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه كان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم يتخولنا بالموعظة مخافة السامة علينا و
عن عايشة رضي الله تعالى عنها انها ركبت بعيرا وفيه صعوبة فجعلت
تردده فقال لها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عليك بالرفق
فصل واما خلقه صلى الله تعالى عليه وسلم في الوفاء وحسن العهد
وصلة الرحم حدثنا القاضي ابو عامر محمد بن اسمعيل بقراتي عليه قال
حدثنا ابو بكر محمد بن محمد قال حدثنا ابو اسحاق الحبال حدثنا ابو محمد بن
النحاس حدثنا ابن الاعرابي حدثنا ابو داود حدثنا محمد بن يحيى
حدثنا محمد بن سنان حدثنا ابراهيم ابن طهمان عن بديل عن عبد
الكريم عن عبد الله بن شقيق عن ابيه عن عبد الله بن ابي الحمساء رضي
الله تعالى عنهم قال بايعت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ببيع قبل ان

يبعث

يبعث وبقيت له بقية فوعدته ان اتيه بها في مكانه فنسيت ثم ذكرت
بعد ثلاث فجئت فاذا هو في مكانه فقال يا فتى لقد شققت علي انا ها
هنا منذ ثلاث انتظرك وعن انس رضي الله تعالى عنه كان النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم اذا اتي بهدية قال اذهبوا بها الى بيت فلانة فانها كانت
صديقة لخديجة انها كانت تحب خديجة رضي الله تعالى عنها وعن عايشة
رضي الله عنها قالت ما غرت على امراة ما غرت على خديجة رضي الله تعالى
عنها لما كنت اسمعه يذكرها وان كان ليذبح الشاة فيهديها الى خلائلها
واستاذنت عليه اختها فارتاح اليها ودخلت عليه امراة فهش لها
واحسن السؤال عنها فلما خرجت قال انها كانت تاتينا ايام خديجة وان
حسن العهد من الايمان ووصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بعضهم فقال
كان يصل ذوي رحمه من غير ان يوثرهم على من هو افضل منهم وقال
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان آل ابي فلان ليسوا لي باولياء غير
ان لهم رحما سابلها ببلالها وقد صلى الله تعالى عليه وسلم بامامة ابنة
زينب يحملها على عاتقه فاذا سجد وضعها واذا قام حملها وعن ابي قتادة
رضي الله تعالى عنه قال وفد وفد للنجاشي فقام النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم يخدمهم فقال له اصحابه نكفيك فقال انهم كانوا لاصحابنا مكرمين
واني احب ان اكافيهم ولما جيء باخته من الرضاعة الشيماء في سبايا
هوازن وتعرفت اليه له بسط لها رداءه وقال لها ان احببت اقمت
عندي مكرمة محببة او متعتك ورجعت الى قومك فاختارت
قومها فمتعها وقال ابو الطفيل رضي الله تعالى عنه رايت النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم وانا غلام اذ اقبلت امراة حتى دنت منه فبسط لها

رواه د فجلست عليه فقلت من هذه فقالوا امه التي ارضعته وعن
عمرو بن السايب رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
كان جالسا يوما فاقبل ابوه من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه
ثم اقبلت امه من الرضاعة فوضع لها شق ثوبه من جانبه الاخر فجلست
عليه ثم اقبل اخوه من الرضاعة فقام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
فاجلسه بين يديه وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يبعث الى ثويبة مولاة
ابي لهب مرضعته بصلة وكسوة فلما ماتت سال من بقي من قرابتها فقيل
لا احد وفي حديث خديجة رضي الله تعالى عنها انها قالت له صلى الله تعالى
عليه وسلم ابشر فوالله لا يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتحمل الكل
وتكسب المعدومة وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق فصل واما
تواضعه صلى الله تعالى عليه وسلم منصبه ورفعة رتبته فكان صلى
الله تعالى عليه وسلم اشد الناس تواضعا واقلهم كبرا وحسبك انه
خير بين ان يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا فاختار ان يكون نبيا عبدا وقال له
اسرافيل عليه السلام عند ذلك ان الله تعالى قد اعطاك بما تواضعت له انك
سيد ولد آدم يوم القيمة واول من تنشق عنه الارض واول شافع
حدثنا ابو الوليد بن العواد الفقيه رحمه الله تعالى عليه بقراءتي عليه
بمنزله بقرطبة سنة سبع وخمس مائة قال حدثنا ابو علي الحافظ
حدثنا ابو عمر حدثنا ابن عبد المؤمن حدثنا داسة حدثنا ابو داود
حدثنا ابو بكر بن ابي شيبة حدثنا عبد الله بن نمير عن مسعر عن ابي
العنبس عن ابي العدبس عن ابي مرزوق عن ابي غالب عن ابي امامة
رضي الله تعالى عنهم قال خرج علينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

متوكئا

متوكئا على عصى فقمنا له فقال لا تقوموا كما تقوم الاعاجم يعظم بعضها
بعضا وقال انما انا عبد آكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد وكان
صلى الله تعالى عليه وسلم يركب الحمار ويردف خلفه ويعود المساكين
ويجالس الفقراء ويجيب دعوة العبد ويجلس بين اصحابه مختلطا بهم
حيثما انتهى به المجلس جلس وفي حديث عمر رضي الله تعالى عنه عنه
لا تطروني كما اطرت النصارى عيسى ابن مريم انما انا عبد فقولوا عبد الله و
ورسوله وعن انس رضي الله تعالى عنه ان امراة كان في عقلها شيء جاءته
وقالت ان لي اليك حاجة قال اجلسي يا ام فلان في اي طريق المدينة
شئت اجلس اليك حتى اقضي حاجتك قال فجلس النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم اليها حتى فرغت من حاجتها قال انس رضي الله تعالى عنه
كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يركب الحمار ويجيب دعوة العبد
وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يوم بني قريظة على حمار مخطوم بحبل
من ليف عليه اكاف قال وكان يدعى الى خبز الشعير والاهالة السنخة
فيجيب قال وحج صلى الله تعالى عليه وسلم على رحل رث وعليه قطيفة
ما تساوي اربعة دراهم وقال اللهم اجعله حجا لا رياء فيه ولا سمعة
هذا وقد فتحت عليه الارض واهدى في حجه ذلك مائة بدنة ولما
فتحت عليه مكة ودخلها بجيوش المسلمين طاطا على رحله راسه حتى
كاد يمس قادمته تواضعا لله تعالى ومن تواضعه صلى الله تعالى عليه وسلم
قوله لا تفضلوني على يونس بن متى ولا تفضلوا بين الانبياء ولا تخيروني
على موسى ونحن احق بالشك من ابراهيم ولو لبثت ما لبث يوسف في السجن
لاجبت الداعي وقال صلى الله تعالى عليه وسلم للذي قال له يا خير البرية

قال ذلك ابراهيم عليه السلام وسيأتي الكلام على هذه الاحاديث بعد
هذا ان شاء الله تعالى وعن عائشة والحسن وابي سعيد وغيرهم رضي الله
تعالى عنهم في صفته صلى الله تعالى عليه وسلم وبعضهم يزيد على بعض كان
في بيته في مهنة اهله يفلي ثوبه ويحلب شاته ويرقع ثوبه ويخصف نعله
ويخدم نفسه ويعلف ناضحه ويقم البيت ويعقل البعير ويأكل مع
الخادم ويعجن معها ويحمل بضاعته من السوق وعن انس رضي الله تعالى
عنه ان كانت الامة من اماء اهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت حتى يقضي حاجتها ودخل عليه رجل
فاصابته من هيبته رعدة فقال له هون عليك فاني لست بملك انما انا
ابن امرأة من قريش تأكل القديد وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال
دخلت السوق مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاشترى سراويل وقال
للوزان زن وارجح وذكر القصة قال فوثب الى يد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
يقبلها فجذب يده وقال هذا تفعله الاعاجم بملوكها ولست بملك انما انا
رجل منكم ثم اخذ السراويل فذهبت لاحمله فقال صاحب الشيء احق بشيئه
ان يحمله فصل واما عدله صلى الله تعالى عليه وسلم وامانته وعفته
وصدق لهجته فكان صلى الله تعالى عليه وسلم آمن الناس واعدل
الناس واعف الناس واصدقهم لهجة منذ كان ثم اعترف له بذلك
محادوه وعداه وكان يسمى قبل نبوته الامين قال ابن اسحاق كان
يسمى الامين بما جمع الله تعالى فيه من الاخلاق الصالحة وقال تعالى مطاع
ثم امين اكثر المفسرين على انه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ولما اختلفت
قريش وتحازبت عند بناء الكعبة فيمن يضع الحجر حكموا اول داخل عليهم

فاذا

فاذا بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم داخل وذلك قبل نبوته فقالوا
هذا محمد هذا الامين قد رضينا به وعن الربيع رضي الله تعالى عنه كان
يتحاكم الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في الجاهلية قبل الاسلام
وقال صلى الله تعالى عليه وسلم والله اني لامين في السماء امين في
الارض حدثنا ابو علي الصدفي الحافظ بقراءتي عليه حدثنا ابو الفضل
بن خيرون حدثنا ابو يعلى بن زوج الحرة حدثنا ابو علي السنجي حدثنا
محمد بن محبوب المروزي حدثنا ابو عيسى الحافظ حدثنا ابو كريب حدثنا
معاوية بن هشام عن سفيان عن ابي اسحاق عن ناجية بن كعب عن
علي رضي الله تعالى عنهم ان ابا جهل قال للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم
انا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به فانزل الله تعالى فانهم لا يكذبونك
الآية وروى غيره لا نكذبك وما انت فينا بمكذب وقيل ان الاخنس بن
شريق لقي ابا جهل يوم بدر فقال له يا ابا الحكم ليس هنا غيري وغيرك
يسمع كلامنا تخبرني عن محمد صادق ام كاذب فقال ابو جهل والله ان محمدا
لصادق وما كذب محمد قط وسأل هرقل عنه ابا سفيان فقال هل كنتم
تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال قال لا وقال النضر بن الحارث
لقريش قد كان محمد فيكم غلاما حدثا ارضاكم فيكم واصدقكم حديثا
واعظمكم امانة حتى اذا رأيتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به
قلتم ساحر لا والله ما هو بساحر وفي الحديث عنه صلى الله تعالى عليه وسلم
ما لمست يده يد امرأة قط لا يملك رقها وفي حديث علي رضي الله تعالى
عنه في وصفه عليه الصلاة والسلام اصدق الناس لهجة وقال في الصحيح ويحك
ومن يعدل ان لم اعدل خبت وخسرت ان لم اعدل قالت عائشة رضي

الله تعالى عنها ما خير رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في امرين الا
اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس منه قال ابو العباس
المبرد قسم كسرى ايامه فقال يصلح يوم الريح للنوم ويوم الغيم للصيد
ويوم المطر للشرب واللهو ويوم الشمس للحوائج قال ابن خالويه ما
كان اعرفهم بسياسة دنياهم يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن
الاخرة هم الغافلون ولكن نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم جزأ نهاره
ثلاثة اجزاء جزءا لله تعالى وجزءا لاهله وجزءا لنفسه صلى الله تعالى
عليه وسلم ثم جزأ جزأه بينه وبين الناس فكان يستعين بالخاصة
على العامة ويقول ابلغوا حاجة من لا يستطيع ابلاغي فان من ابلغ
حاجة من لا يستطيع آمنه الله يوم الفزع الاكبر وعن الحسن كان
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يأخذ احدا بقرف احد ولا يصدق
احدا على احد وذكر ابو جعفر الطبري عن علي رضي الله تعالى عنه
عنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال ما هممت بشيء مما كان اهل الجاهلية
يعملون به غير مرتين كل ذلك يحول الله بيني وبين ما اريد من ذلك
ثم ما هممت بسوء حتى اكرمني الله برسالته قلت ليلة لغلام كان
يرعى معي لو ابصرت لي غنمي حتى ادخل مكة فاسمر بها كما يسمر الشباب
فخرجت لذلك حتى جئت اول دار من مكة سمعت عزفا بالدفوف
والمزامير لعرس بعضهم فجلست انظر فضرب على اذني فنمت فما ايقظني
الا مس الشمس فرجعت ولم اقض بشيء فصل واما وقاره صلى الله تعالى
عليه وسلم وصمته وتؤدته ومروءته وحسن هديه فحدثنا ابو علي
الجياني الحافظ اجازة وعارضت بكتابه قال حدثنا ابو العباس

الدلائي حدثنا ابو ذر الهروي حدثنا ابو عبد الله الرازي حدثنا
اللؤلؤي حدثنا ابو داود حدثنا عبد الرحمن ابن سلام حدثنا حجاج بن
محمد عن عبد الرحمن بن ابي الزناد عن عمر بن عبد العزيز وهب سمعت
خارجة بن زيد رضي الله تعالى عنه يقول كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
اوقر الناس في مجلسه لا يكاد يخرج شيئا من اطرافه وروى ابو سعيد الخدري
رضي الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا جلس في المجلس
احتبى بيديه وكذلك كان اكثر جلوسه صلى الله تعالى عليه وسلم محتبيا
وعن جابر بن سمرة رضي الله تعالى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم تربع وربما
جلس القرفصاء وهو في حديث قيلة وكان كثير السكوت لا يتكلم في غير حاجة
يعرض عن من تكلم بغير جميل وكان ضحكه تبسما وكلامه فصلا لا فضول
ولا تقصير وكان ضحك اصحابه عنده التبسم توقيرا له واقتداء به مجلسه
مجلس حكم وحياء وخير وامانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم
اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤسهم الطير وفي صفته صلى الله تعالى
عليه وسلم يخطو تكفؤا ويمشي هونا كانما ينحط من صبب وفي الحديث الاخر
اذا مشى مشى مجتمعا يعرف في مشيه انه غير غرض ولا وكل اي غير ضجر
ولا كسلان فقال عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه ان احسن الهدى
هدى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى
عنه كان في كلام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ترتيل او ترسيل
قال ابن ابي هالة كان سكوته صلى الله تعالى عليه وسلم على اربع على
الحلم والحذر والتقدير والتفكر قالت عائشة رضي الله تعالى عنها
كان صلى الله تعالى عليه وسلم يحدث حديثا لو عده العاد احصاه وكان

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها انها كان
قراشه الذي ينام عليه ادما حشوه ليف
صح

صلى الله تعالى عليه وسلم يحب الطيب والرائحة الحسنة ويستعملها كثيرا ويحض عليهما ويقول حبب الي من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلوة ومن مروته صلى الله تعالى عليه وسلم نهيه عن النفخ في الطعام والشراب والامر بالاكل مما يلي والامر بالسواك وانقاء البراجم والرواجب واستعمال خصال الفطرة فصل واما زهده صلى الله تعالى عليه وسلم في الدنيا فقد تقدم من الاخبار في اثناء هذه السيرة ما يكفي وحسبك من تقلله منها واعراضه عن زهرتها وقد سيقت اليه بحذافيرها وترادفت عليه فتوحها ان توفي صلى الله تعالى عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة عياله وهو يدعو ويقول اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا حدثنا سفيان بن العاصي والحسين بن محمد الحافظ والقاضي ابو عبد الله التميمي قالوا حدثنا احمد بن عمر قال حدثنا ابو العباس الرازي قال حدثنا ابو احمد الجلودي حدثنا ابن سفيان حدثنا ابو الحسين مسلم بن الحجاج حدثنا ابو بكر بن ابي شيبة حدثنا ابو معوية عن الاعمش عن ابراهيم عن الاسود عن عائشة رضي الله تعالى عنها انها قالت ما شبع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثة ايام تباعا من خبز حتى مضى بسبيله وفي رواية اخرى من خبز شعير يومين متواليين ولو شاء لاعطاه الله عز وجل ما لا يخطر ببال وفي رواية اخرى ما شبع آل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من خبز بر حتى لقي الله تعالى و قالت عائشة رضي الله تعالى عنها ما ترك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا وفي حديث عمرو بن الحارث رضي الله تعالى عنه ما ترك صلى الله تعالى عليه وسلم الا سلاحه وبغلته وارضا جعلها صدقة قالت عائشة رضي الله تعالى عنها ولقد مات رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

وما في

وما في بيتي شيء ياكله ذو كبد الا شطر شعير في رف لي وقال صلى الله تعالى عليه وسلم اني عرض علي ان يجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يا رب اجوع يوما واشبع يوما فاما اليوم الذي اجوع فيه فاتضرع اليك وادعوك واما اليوم الذي اشبع فيه فاحمدك واثني عليك وفي حديث آخر ان جبريل عليه السلام نزل عليه فقال له ان الله تعالى يقرئك السلام ويقول لك اتحب ان اجعل هذه الجبال ذهبا وتكون معك حيث ما كنت فاطرق ساعة ثم قال يا جبريل ان الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له قد يجمعها من لا عقل له فقال له جبريل عليه السلام ثبتك الله يا محمد بالقول الثابت وعن عائشة رضي الله تعالى عنها ان كنا آل محمد لنمكث شهرا ما نستوقد نارا ان هو الا التمر والماء وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه قال مات رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يشبع هو واهل بيته من خبز الشعير وعن عائشة وابي امامة وابن عباس نحوه رضي الله تعالى عنهم قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يبيت هو واهله الليالي المتتابعة طاويا لا يجدون عشاء وعن انس رضي الله تعالى عنه قال ما اكل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على خوان ولا في سكرجة ولا خبز له مرقق ولا راى شاة سميطا قط وعن حفصة رضي الله تعالى عنها كان فراش رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في بيتي مسحا نثنيه ثنيتين فينام عليه فثنيناه له ليلة باربع فلما اصبح قال ما فرشتم لي الليلة فذكرنا ذلك له فقال ردوه بحاله فان وطاته منعتني الليلة صلاتي وكان ينام احيانا على سرير مرمول بشريط حتى يؤثر في جنبه وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت لم يمتلئ جوف النبي صلى الله تعالى

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها انما كان فراشه الذي ينام عليه ادما حشوه ليف
صح

عليه وسلم شبعا قط ولم يبث شكوى الى احد وكانت الفاقة احب اليه
من الغنى وان كان ليظل جائعا يلتوي طول ليلته من الجوع فلا يمنعه صيام
يومه ولو شاء سأل ربه جميع كنوز الارض وثمارها ورغد عيشها ولقد
كنت ابكي له رحمة مما ارى به وامسح بيدي على بطنه مما به من الجوع واقول
نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك فيقول يا عائشة مالي
وللدنيا اخواني من اولي العزم من الرسل صبروا على ما هو اشد من هذا
فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فاكرم مآبهم واجزل ثوابهم فاجدني
استحيي ان ترفهت في معيشتي ان يقصر بي غدا دونهم وما من شيء هو
احب الي من اللحوق باخواني واخلائي قالت فما اقام بعد الا شهرا حتى
توفي صلى الله تعالى عليه وسلم **فصل** واما خوفه ربه وطاعته له وشدة
عبادته فعلى قدر علمه بربه ولذلك قال فيما حدثناه ابو محمد بن عتاب قراءة
مني عليه قال حدثنا ابو القاسم الطرابلسي حدثنا ابو الحسن القابسي حدثنا
ابو زيد المروزي حدثنا ابو عبد الله الفربري حدثنا محمد بن اسمعيل
حدثنا يحيى بن بكير عن الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب
ان ابا هريرة رضي الله تعالى عنه كان يقول قال رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا زاد في رواية عن
ابي عيسى الترمذي يرفعه الى ابي ذر اني ارى ما لا ترون واسمع ما لا
تسمعون اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع اربع الا وفيها ملك
واضع جبهته ساجدا لله تعالى والله لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم
كثيرا وما تلذذتم بالنساء وما تلذذتم على الفرش ولخرجتم الى الصعدات
تجأرون الى الله تعالى لوددت اني شجرة تعضد روي هذا الكلام وددت

انى

اني شجرة تعضد من قول ابي ذر رضي الله تعالى عنه نفسه وهو اصح وفي
حديث المغيرة رضي الله تعالى عنه صلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
حتى انتفخت قدماه وفي رواية كان يصلي حتى ترم قدماه فقيل له اتكلف
هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال افلا اكون عبدا
شكورا ونحوه عن ابي سلمة وابي هريرة رضي الله تعالى عنهما وقالت عائشة
رضي الله تعالى عنها كان عمل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ديمة وايكم
يطيق ما كان يطيق وقالت كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يصوم
حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول ونحوه عن ابن عباس وام سلمة
وانس رضي الله تعالى عنهم وقالت كنت لا تشاء ان تراه من الليل مصليا ولا
نائما الا رايته نائما وقال عوف بن مالك رضي الله تعالى عنه كنت مع
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة فاستاك ثم توضأ ثم قام يصلي
فقمت معه فبدأ فاستفتح البقرة فلا يمر بآية رحمة الا وقف فسال
ولا يمر بآية عذاب الا وقف فتعوذ ثم ركع فمكث فيه بقدر قيامه يقول
سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء ثم سجد وقال مثل ذلك ثم
قرأ آل عمران ثم سورة سورة يفعل مثل ذلك وعن حذيفة مثله وقال
سجد نحوا من قيامه وجلس بين السجدتين نحوا منه وقال حتى قرأ البقرة
وآل عمران والنساء والمائدة وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت قام
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بآية من القرآن ليلة وعن عبد الله بن
الشخير رضي الله تعالى عنه اتيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو
يصلي ولجوفه ازيز كازيز المرجل قال ابن ابي هالة كان صلى الله تعالى عليه
متواصل الاحزان دائم الفكرة ليست له راحة وقال صلى الله تعالى عليه وسلم

انی لاستغفر الله فی الیوم مائة مرة وروی سبعین مرة وعن علی رضی
الله عنه قال سالت رسول الله صلی الله تعالی علیه وسلم عن سنته فقال
المعرفة راس مالی والعقل اصل دینی والحب اساسی والشوق مرکبی وذکر الله
انیسی والثقة کنزی والحزن رفیقی والعلم سلاحی والصبر ردائی والرضا
غنیمتی والفقر فخری والزهد حرفتی والیقین قوتی والصدق شفیعی
والطاعة حسبی والجهاد خلقی وقرة عینی فی الصلوة وفی حدیث اخر
وثمرة فؤادی فی ذکره وغمی لاجل امتی وشوقی الی ربی فصل اعلم
وفقنا الله وایاك ان صفات جمیع الانبیاء والرسل صلوات الله
علی نبینا وعلیهم اجمعین من کمال الخلق وحسن الصورة وشرف النسب
وحسن الخلق وجمیع المحاسن هی هذه الصفة لانها صفات الکمال والکمال
والتمام البشری والفضل الجمیع لهم صلوات الله تعالی علیهم اذ رتبتهم
اشرف الرتب ودرجاتهم ولکن فضل الله تعالی بعضهم علی بعض قال
تعالی تلك الرسل فضلنا بعضهم علی وقال تعالی ولقد اخترناهم علی علم علی
العالمین وقد قال صلی الله تعالی علیه وسلم ان اول زمرة یدخلون الجنة
علی صورة القمر لیلة البدر ثم قال اخر الحدیث علی خلق رجل واحد
علی صورة ابیهم آدم علیه السلام طوله ستون ذراعا فی السماء وفی حدیث
ابی هریرة رضی الله تعالی عنه رایت موسی فاذا رجل ضرب رجل اقنی کانه
من رجال شنوءة ورایت عیسی فاذا هو رجل ربعة کثیر خیلان الوجه
احمر کانما خرج من دیماس وفی حدیث اخر مبطن مثل السیف قال صلی الله
تعالی علیه وسلم وانا اشبه ولد ابراهیم به وقال فی حدیث اخر فی صفة
موسی صلوات الله علی نبینا وعلیه کاحسن ما انت راء من ادم الرجال

وفی حدیث ابی هریرة رضی الله تعالی عنه عنه صلی الله تعالی علیه وسلم ما بعث
الله تعالی من بعد لوط نبیا الا فی ذروة من قومه ویروی فی ثروة ای فی کثرة
ومنعة وحکی الترمذی عن قتادة ورواه الدارقطنی من حدیث قتادة
عن انس رضی الله تعالی عنهما ما بعث الله تعالی نبیا الا حسن الوجه حسن الصوت
وکان نبیکم صلی الله تعالی علیه وسلم احسنهم وجها واحسنهم صوتا وفی
حدیث هرقل وسالتك عن نسبه فذکرت انه فیکم ذو نسب وکذلك
الرسل تبعث فی انساب قومها وقال تعالی فی ایوب انا وجدناه صابرا نعم
العبد انه اواب وقال تعالی یا یحیی خذ الکتاب بقوة الی قوله ویوم یبعث حیا
وقال تعالی ان الله یبشرك بیحیی الی الصالحین وقال تعالی ان الله اصطفی ادم ونوحا
وآل ابراهیم وآل عمران علی العالمین الآیتین وقال فی نوح علیه السلام انه
کان عبدا شکورا وقال تعالی ان الله یبشرك بکلمة منه اسمه المسیح الی الصالحین
وقال تعالی حکایة عن عیسی علیه السلام انی عبد الله اتانی الکتاب الی قوله مادمت
حیا وقال تعالی یا ایها الذین امنوا لا تکونوا کالذین اذوا موسی الایة قال
النبی صلی الله تعالی علیه وسلم کان موسی علیه السلام رجلا حییا ستیرا ما یری
من جسده شیء استحیاء الحدیث وقال تعالی عنه فوهب لی ربی حکما وقال ووصف
جماعة منهم انی لکم رسول امین الایات وقال تعالی ان خیر من استاجرت
القوی الامین وقال تعالی فاصبر کما صبر اولوا العزم من الرسل وقال تعالی
ووهبنا له اسحاق ویعقوب کلا هدینا الی قوله فبهداهم اقتده فوصفهم
باوصاف جمة من الصلاح والهدی والاجتباء والحکم والنبوة وقال تعالی
فبشرناه بغلام حلیم وقال تعالی ستجدنی ان شاء الله من الصابرین
وقال تعالی فی اسمعیل علیه السلام انه کان صادق الوعد الآیتین وفی موسی

وقال تعالی ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم
رسول کریم الی قوله امین صح

عليه السلام انه كان مخلصا وفي سليمان عليه السلام نعم العبد انه اواب وقال
تعالى واذكر عبادنا ابراهيم واسحاق ويعقوب اولي الايدي والابصار الى قوله
الاخيار وفي داود عليه السلام انه اواب ثم قال وشددنا ملكه وآتيناه
الحكمة وفصل الخطاب وقال تعالى عن يوسف عليه السلام اجعلني على خزائن
الارض اني حفيظ عليم وفي موسى عليه السلام ستجدني ان شاء الله من الصالحين
وقال تعالى وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه ان اريد الا الاصلاح
ما استطعت وقال تعالى ولوطا آتيناه حكما وعلما وقال تعالى انهم كانوا يسارعون في الخيرات
ويدعوننا رغبا ورهبا الآية وقال سفيان رحمه الله تعالى هو الحزن الدائم في
اي كثيرة ذكر فيها من خصالهم ومحاسن اخلاقهم الدالة على كمالهم وجاء من
ذلك في الاحاديث كثير كقوله انما الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن
يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم نبي بن نبي بن نبي صلى الله تعالى عليه وسلم و
في حديث انس رضي الله تعالى عنه وكذلك الانبياء تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم
وروي ان سليمان عليه السلام كان مع ما اعطي من الملك لا يرفع بصره الى السماء
تخشعا وتواضعا لله عز وجل وكان يطعم الناس لذائذ الاطعمة ويأكل خبز
الشعير واوحى الله تعالى اليه يا رأس العابدين وابن محجة الزاهدين وكانت
العجوز تعترضه وهو على الريح في جنوده فيأمر الريح فتقف فينظر في حاجتها
ويمضي وقيل ليوسف عليه السلام ما لك تجوع وانت على خزائن الارض قال
اخاف ان اشبع فانسى الجائع وروى ابو هريرة رضي الله تعالى عنه
عليه الصلوة والسلام خفف على داود القرآن فكان يأمر بدوابه فتسرج
فيقرأ القرآن قبل ان تسرج ولا يأكل الا من عمل يده قال الله تعالى والنا له
الحديد ان اعمل سابغات وقدر في السرد وكان عليه الصلوة والسلام

وقال تعالى حكاية عن شعيب عليه السلام ستجدني ان شاء الله من الصالحين صح

سأل ربه ان يرزقه عملا بيده يغنيه عن بيت مال الله وقال صلى الله تعالى
عليه وسلم احب الصلوة الى الله تعالى صلوة داود واحب القيام الى الله تعالى
صيام داود عليه السلام كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه
ويصوم يوما ويفطر يوما وكان يلبس الصوف ويفترش الشعر ويأكل خبز
الشعير بالملح والرماد ويمزج شرابه بالدموع ولم ير ضاحكا بعد الخطيئة
ولا شاخصا ببصره الى السماء حياء من ربه عز وجل ولم يزل باكيا حياته
كلها وقيل بكى حتى نبت العشب من دموعه وحتى اتخذت الدموع في
خده اخدودا وقيل كان يخرج متنكرا يتعرف سيرته فيسمع الثناء عليه
فيزداد تواضعا وقيل لعيسى عليه السلام لو اتخذت حمارا فقال انا اكرم على
الله تعالى من ان يشغلني بحمار وكان يأكل الشجر ويلبس الشعر ولم يكن له بيت اينما
ادركه النوم نام وكان احب الاسماء اليه ان يقال له مسكين وقيل
ان موسى عليه السلام لما ورد ماء مدين ترى خضرة البقل في بطنه من
الهزال وقال صلى الله تعالى عليه وسلم لقد كان الانبياء قبلي احدهم
بالفقر والقمل وكان ذلك احب اليهم من العطاء اليكم وقال عيسى عليه السلام
للخنزير لعبه اذهب بسلام فقيل له في ذلك فقال اكره ان اعود لساني
النطق بالسوء وقال مجاهد كان طعام يحيى عليه السلام العشب وكان
يبكي من خشية الله تعالى حتى اتخذ الدمع مجرى في خده وكان يأكل مع
الوحش لئلا يخالط الناس وحكى الطبري عن وهب ان موسى عليه السلام
كان يستظل بعريش ويأكل في نقرة من حجر ويكرع فيها اذا اراد ان يشرب
كما تكرع الدابة تواضعا لله تعالى بما اكرمه به من كلامه واخبارهم عليهم
السلام في هذا كله مسطورة وصفاتهم في الكمال وجميل الاخلاق

وحسن الصوم والشمائل معروفة مشهورة فلا نطول بها ولا نلتفت الى
ما تجده في كتب بعض جهلة المؤرخين او المفسرين مما يخالف هذا فصل قال
المؤلف رحمه الله تعالى قد اتيناك اكرمك الله تعالى من ذكر الاخلاق الحميدة
والفضائل المجيدة وخصال الكمال العديدة واريناك صحتها له صلى الله
تعالى عليه وسلم وجلبنا من الآثار ما فيه مقنع والامر اوسع فمجال هذا الباب
في حقه صلى الله تعالى عليه وسلم ممتد ينقطع دون نفاده الادلاء و
بحر علم خصائصه زاخر لا تكدره الدلاء ولكنا اتينا فيه بالمعروف مما اكثره
في الصحيح والمشهور من المصنفات واقتصرنا في ذلك بقل من كل وغيض
ورأينا ان نختم هذه الفصول بذكر حديث الحسن عن ابن ابي هالة رضي الله
تعالى عنه لجمعه من شمائله واوصافه صلى الله تعالى عليه وسلم كثيرا وادماجه
جملة كافية من سيره وفضائله ونصله بتنبيه لطيف على غريبه ومشكله
حدثنا القاضي ابو علي الحسين بن محمد الحافظ رحمه الله تعالى بقراءتي عليه
سنة ثمان وخمسمائة قال حدثنا الامام ابو بكر القاسم عبد الله بن طاهر
التميمي قرأت عليه اخبركم الفقيه الاديب ابو محمد بن الحسن النيسابوري
ن عبد الله والشيخ الفقيه ابو عبد الله محمد بن احمد بن حسن الجمهري والقاضي
ابو علي الحسن بن علي بن جعفر الوخشي قالوا حدثنا ابو القاسم علي بن احمد
بن محمد بن الحسن الخزاعي قال حدثنا ابو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي
قال حدثنا ابو عيسى محمد بن سورة الحافظ قال حدثنا سفيان بن وكيع
حدثنا جميع بن عمر بن عبد الرحمن العجلي املاء في كتابه قال حدثني رجل
من بني تميم من ولد ابي هالة زوج خديجة ام المؤمنين رضي الله تعالى
عنها يكنى ابا عبد الله عن ابن لابي هالة عن الحسن بن علي بن ابي طالب رضي

الله تعالى عنهما قال سألت خالي هند بن هالة قال القاضي ابو علي رحمه
الله تعالى وقرأت على الشيخ ابي طاهر احمد بن الحسن بن احمد بن خداداذا
الكرجي الباقلاني قال واجاز لنا الشيخ الاجل ابو الفضل احمد بن الحسن بن
خيرون قالا حدثنا ابو علي الحسن بن احمد بن ابراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان
بن حرب بن مهران الفارسي قراءة عليه فاقر به قال حدثنا ابو محمد الحسن
بن محمد بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن ابي
طالب رضي الله تعالى عنهما المعروف بابن اخي طاهر العلوي قال حدثنا اسماعيل
بن محمد بن اسحاق بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب قال
حدثني علي بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عن اخيه موسى بن جعفر بن
عن جعفر بن محمد عن ابيه محمد بن علي بن الحسين قال الحسن بن علي واللفظ
لهذا السند سألت خالي هند بن ابي هالة عن حلية رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم وكان وصافا وانا ارجو ان يصف لي منها شيئا اتعلق به
قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فخما مفخما يتلألأ وجهه تلألؤ
القمر ليلة البدر اطول من المربوع واقصر من المشذب عظيم الهامة رجل
الشعر ان انفرقت عقيقته فرق والا فلا يجاوز شعره شحمة اذنيه اذا هو
وفره ازهر اللون واسع الجبين ازج الحواجب سوابغ من غير قرن بينهما
عرق يدره الغضب اقنى العرنين له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله
اشم كث اللحية ادعج سهل الخدين ضليع الفم اشنب مفلج الاسنان
دقيق المسربة كأن عنقه جيد دمية في صفاء الفضة معتدل الخلق
بادن متماسك سواء البطن والصدر فسيح الصدر بعيد ما بين المنكبين
ضخم الكراديس انور المتجرد موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري

كالخط عاري الثديين مما سوى ذلك اشعر الذراعين والمنكبين واعالي
الصدر طويل الزندين رحب الراحة شثن الكفين والقدمين سائل
الاطراف او قال شائن الاطراف وسائل الاطراف سبط العصب خمصان
الاخمصين مسيح القدمين ينبو عنهما الماء اذا زال زال تقلعا ويخطو
تكفؤا ويمشي هونا ذريع المشية اذا مشى كانما ينحط من صبب واذا
التفت التفت جميعا خافض الطرف نظره الى الارض من نظره الى السماء
جل نظره الملاحظة يسوق اصحابه ويبدأ من لقيه بالسلام قلت
صف لي منطقه قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم متواصل
الاحزان دائم الفكرة ليست له راحة ولا يتكلم في غير حاجة طويل السكوت
يفتح الكلام ويختمه باشداقه ويتكلم بجوامع الكلم فصلا لا فضول فيه
ولا تقصير دمثا ليس بالجافي ولا المهين يعظم النعمة وان دقت لا يذم شيئا
لم يكن يذم ذواقا ولا يمدحه ولا يقام لغضبه اذا تعرض للحق بشيء حتى
ينتصر له ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها اذا اشار اشار بكفه كلها واذا
تعجب قلبها واذا تحدث اتصل بها فضرب بابهامه اليمنى راحته اليسرى
واذا غضب اعرض واشاح واذا فرح غض طرفه جل ضحكه التبسم و
يفتر عن مثل حب الغمام قال الحسن فكتمها الحسين بن علي زمانا ثم حدثته
فوجدته قد سبقني اليه فسأل اباه عن مدخل رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم ومخرجه ومجلسه وشكله فلم يدع منه شيئا قال الحسين رضي الله
تعالى عنه سألت ابي دخوله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال كان دخوله
عليه الصلوة والسلام لنفسه مأذونا في ذلك فكان اذا اوى الى منزله
جزأ دخوله ثلاثة اجزاء جزأ لله تعالى وجزأ لاهله وجزأ لنفسه ثم

جزأه

جزأ جزأه بينه وبين الناس فيرد ذلك على العامة بالخاصة ولا يدخر
عنهم شيئا فكان من سيرته صلى الله تعالى عليه وسلم في جزء الامة ايثار
اهل الفضل باذنه وقسمته على قدر فضلهم في الدين فمنهم ذو الحاجة ومنهم
ذو الحاجتين ومنهم ذو الحوائج فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما اصلحهم والامة
من مسألته عنهم واخبارهم بالذي ينبغي لهم ويقول ليبلغ الشاهد منكم
الغائب وابلغوني حاجة من لا يستطيع ابلاغي حاجته فانه من ابلغ
سلطانا حاجة من لا يستطيع ابلاغها ثبت الله قدميه يوم القيمة
لا يذكر عنده الا ذلك ولا يقبل من احد غيره قال في حديث سفيان بن
وكيع يدخلون روادا ولا يفترقون الا عن ذواق ويخرجون ادلة يعني
فقهاء قلت فاخبرني عن مخرجه كيف كان يصنع فيه قال كان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم يخزن لسانه الا فيما يعنيهم ويؤلفهم ولا ينفرهم
يكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير
ان يطوي عن احد منهم بشره وخلقه ويتفقد اصحابه ويسأل الناس عما
في الناس ويحسن الحسن ويصوبه ويقبح القبيح ويوهنه معتدل
الامر غير مختلف لا يغفل مخافة ان يغفلوا او يملوا لكل حال عنده عتاد
لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه الى غيره الذين يلونه من الناس خيارهم وافضلهم
عنده اعمهم نصيحة واعظمهم عنده منزلة احسنهم مواساة وموازرة
فسألته عن مجلسه عما كان يصنع فيه فقال كان رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم لا يجلس ولا يقوم الا على ذكر ولا يوطن الاماكن وينهى عن
ايطانها واذا انتهى الى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس ويأمر بذلك
ويعطي كل جلسائه نصيبه حتى لا يحسب جليسه ان احدا اكرم عليه منه

من جالسه او قاومه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه ومن سأله
حاجة لم يرده الا بها او بميسور من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه
فصار لهم ابا وصاروا عنده في الحق متقاربين متفاضلين فيه بالتقوى
وفي الرواية الاخرى صاروا عنده في الحق سواء مجلسه مجلس علم
حلم وحياء وصبر وامانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم
ولا تثنى فلتاته وهذه الكلمة من غير الرواية يتعاطفون فيه بالتقوى
متواضعين يوقرون فيه الكبير ويرحمون الصغير ويرفدون ذا الحاجة
ويرحمون الغريب فسألته عن سيرته صلى الله تعالى عليه وسلم في جلسائه
فقال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم دائم البشر سهل الخلق لين
الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب ولا عياب ولا مداح يتغافل
عما لا يشتهي ولا يؤيس منه قد ترك نفسه من ثلاث الرياء والاكثار وما
لا يعنيه وترك الناس من ثلاث كان لا يذم احدا ولا يعيره ولا يطلب عورته
ولا يتكلم الا فيما رجا ثوابه اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤوسهم الطير
واذا سكت تكلموا لا يتنازعون عنده الحديث من تكلم عنده انصتوا له
حتى يفرغ حديثهم حديث اولهم يضحك مما يضحكون منه ويتعجب مما يتعجبون
منه ويصبر للغريب على الجفوة في المنطق ويقول اذا رايتم صاحب
الحاجة يطلبها فارفدوه ولا يطلب الثناء الا من مكافئ ولا يقطع على
احد حديثه حتى يجوزه فيقطعه بانتهاء او قيام هنا انتهى حديث سفيان
بن وكيع وزاد الآخر قلت كيف كان سكوته صلى الله تعالى عليه وسلم
قال كان سكوته صلى الله تعالى عليه وسلم على اربع على الحلم والحذر والتقدير
والتفكر فاما تقديره ففي تسوية النظر والاستماع بين الناس واما تفكره

ففيما يبقى ويفنى وجمع له صلى الله تعالى عليه وسلم الحلم في الصبر فكان
لا يغضبه شيء يستفزه وجمع له صلى الله تعالى عليه وسلم في الحذر اربع
اخذه بالحسن ليقتدى به وتركه القبيح لينتهى عنه واجتهاده الراي بما اصلح
امته والقيام لهم بما جمع لهم امر الدنيا والآخرة انتهى الوصف بحمد الله تعالى
وعونه فصل في تفسير غريب هذا الحديث ومشكله قوله المشذب اي
البائن الطول في نحافة وهو مثل قوله في الحديث الآخر ليس بالطويل الممغط
والشعر الرجل الذي كانه مشط فتكسر قليلا ليس بسبط ولا جعد و
العقيقة شعر الراس اراد ان انفرقت من ذات نفسها فرقها والا تركها
معقوصة ويروى عقيصته وازهر اللون نيره وقيل ازهر حسن ومنه
قوله تعالى زهرة الحيوة الدنيا اي زينتها وهذا كما قال في الحديث الآخر ليس
بالابيض الامهق ولا بالآدم والامهق هو الناصع البياض والآدم اسمر
اللون ومثله في الحديث الآخر ابيض مشرب اي فيه حمرة والحاجب الازج
المقوس الطويل الوافر الشعر والاقنى السائل الانف المرتفع وسطه والاشم
الطويل قصبة الانف والقرن اتصال شعر الحاجبين وضده البلج ووقع
في حديث ام معبد وصفه بالقرن والادعج الشديد سواد الحدقة وفي
الحديث الآخر اشكل العين واسجر العين وهو الذي في بياضها حمرة
والضليع الواسع والشنب رونق الاسنان وماؤها وقيل رقتها وتحزيز
فيها كما يوجد في اسنان الشباب والفلج فرق بين الثنايا ودقيق المسربة
خيط الشعر الذي بين الصدر والسرة بادن ذو لحم ومتماسك معتدل
الخلق يمسك بعضه بعضا مثل قوله في الحديث الآخر لم يكن بالمطهم ولا
بالمكلثم اي ليس بمسترخي اللحم والمكلثم القصير الذقن وسواء البطن والصدر

اى مستويهما ومشيح الصدر ان صحت هذه اللفظة فتكون من الاقبال وهو احد معانى اشاح اى ان كان بادى الصدر ولم يكن فى صدره قعس وهو تطامن فيه وبه يتضح قوله قبل سواء الصدر والبطن اى ليس بمتقاعس الصدر ولا مفاض البطن ولعل اللفظ مسيح بالسين و فتح الميم بمعنى عريض كما وقع فى الرواية الاخرى وحكاه ابن دريد و الكراديس رؤس العظام وهو مثل قوله فى الحديث الآخر جليل المشاش والكتد المشاش رؤس المناكب والكتد مجتمع الكتفين وشثن الكفين و القدمين لحيمهما والزندان عظما الذراعين وسائل الاطراف اى طويل الاصابع وذكر ابن الانبارى انه روى سائن الاطراف او قال سائل بالنون قال وهما بمعنى واحد تبدل اللام من النون ان صحت الرواية بها واما على الرواية الاخرى وسائر الاطراف فاشارة الى فخامة جوارحه كما وقعت مفصلة فى الحديث ورحب الراحة واسعها وقيل كنى به عن سعة العطاء والجود وخمصان الاخمصين اى متجافى اخمص القدم وهو الموضع الذى لا تناله الارض من وسط القدم ولهذا قال ينبو عنهما الماء ومسيح القدمين اى املسهما وفى حديث ابى هريرة رضى الله تعالى عنه خلاف هذا قال فيه اذا وطئ بقدمه وطئ بكلها ليس له اخمص وهذا يوافق قوله مسيح القدمين وبه قالوا سمى المسيح عيسى بن مريم عليه السلام اى لم يكن له اخمص وقيل مسيح لا لحم عليهما وهذا ايضا يخالفه شثن القدمين والتقلع رفع الرجل بقوة والتكفؤ الميل الى سنن المشى وقصده والهون الرفق والوقار والذريع الواسع الخطوة اى ان مشيه كان يرفع فيه رجليه بسرعة ويمد خطوه خلاف مشية المختال ويقصد سمته

وكل

وكل ذلك برفق وتثبت دون عجلة كما قال كانما ينحط من صبب وقوله يفتتح الكلام ويختمه باشداقه اى لسعة فمه والعرب تتمادح بهذا وتذم بصغر الفم واشاح مال وانقبض وحب الغمام البرد وقوله فيرد ذلك بالخاصة على العامة اى جعل من جزء نفسه ما يوصل الخاصة اليه فتوصل عنه للعامة وقيل يجعل منه للخاصة ثم يبدلها فى جزء آخر بالعامة ويدخلون روادا اى محتاجين اليه وطالبين لما عنده ولا يتفرقون الا عن ذواق قيل عن علم يتعلمونه ويشبه ان يكون ظاهره اى فى الغالب والاكثر والعتاد العدة والشئ الحاضر المعد والموازرة المعاونة وقوله لا يوطن الاماكن اى لا يتخذ لمصلاه موضعا معلوما وقد ورد نهيه عن هذا مفسرا فى غير هذا الحديث وصابره اى حبس نفسه على ما يريد صاحبه ولا تؤبن فيه الحرم اى لا يذكرن بسوء ولا تنثى فلتاته اى لا يتحدث بها اى لم تكن فيه فلتة وان كانت من احد سترت ويرفدون يعينون والسخاب الكثير الصياح وقوله ولا يقبل الثناء الا من مكافئ قيل مقتصد فى ثنائه ومدحه وقيل الا من مسلم وقيل الا من مكافئ على يد سبقت من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم له ويستفزه يستخفه وفى حديث آخر وصفه له منهوس العقب اى قليل لحمها واهدب الاشفار اى طويل شعرها

الباب الثالث فيما ورد من صحيح الاخبار ومشهورها بعظيم قدره عند ربه ومنزلته وما خصه به فى الدارين من كرامته صلوات الله تعالى وسلامه عليه لا خلاف انه صلى الله تعالى عليه وسلم اكرم البشر وسيد ولد آدم وافضل الناس منزلة عند الله تعالى واعلاهم درجة

واقربهم زلفى واعلم ان الاحاديث الواردة فى ذلك كثيرة جدا وقد
اقتصرنا منها على صحيحها ومنتشرها وقد حصرنا معانى ما ورد منها فى اثنى
عشر الفصل الاول فيما ورد من ذكر مكانته عند ربه تعالى والاصطفا
ورفعة الذكر والتفضيل وسيادة ولد آدم وما خصه به فى الدنيا
من مزايا الرتب وبركة اسمه الطيب اخبرنا الشيخ ابو عبد الله محمد بن
احمد العدل اذنا بلفظه قال حدثنا ابو الحسن القرغانى حدثتنا ام
القاسم بنت ابى بكر بن يعقوب عن ابيها حدثنا حاتم وهو ابن عقيل
عن يحيى هو ابن اسمعيل عن يحيى الحمانى حدثنا قيس عن الاعمش عن عباية
بن ربعى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم ان الله قسم الخلق قسمين فجعلنى من خيرهم قسما فذلك
قوله تعالى واصحاب اليمين واصحاب الشمال فانا من اصحاب اليمين وانا
خير اصحاب اليمين ثم جعل القسمين اثلاثا فجعلنى فى خيرها ثلثا و
ذلك قوله واصحاب الميمنة واصحاب المشئمة والسابقون السابقون
فانا من السابقين وانا خير السابقين ثم جعل الاثلاث قبائل فجعلنى
من خيرها قبيلة وذلك قوله تعالى وجعلناكم وقبائل الاية فانا اتقى
ولد آدم واكرمهم على الله تعالى ولا فخر ثم جعل القبائل بيوتا فجعلنى فى خيرها
بيتا فذلك قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت
الاية وعن ابى سلمة عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قالوا يا رسول الله
متى وجبت لك النبوة قال وآدم بين الروح والجسد وعن واثلة
بن الاسقع رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ان الله اصطفى من ولد ابرهيم اسمعيل واصطفى من ولد اسمعيل بنى كنانة

واصطفى من بنى كنانة قريشا واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى
من بنى هاشم ومن حديث انس رضى الله تعالى عنه انا اكرم ولد آدم على ربى
ولا فخر وفى حديث ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انا اكرم الاولين والآخرين
ولا فخر وعن عائشة رضى الله تعالى عنها عنه عليه الصلوة والسلام قال اتانى جبريل
عليه السلام فقال قلبت مشارق الارض ومغاربها فلم ار رجلا افضل من
محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ولم ار بنى اب افضل من بنى هاشم وعن انس
رضى الله تعالى عنه ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اتى بالبراق ليلة اسرى به
فاستصعب عليه فقال له جبرئيل عليه السلام ابمحمد تفعل هذا فما ركبك
احد اكرم على الله منه فارفض عرقا وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما
عنه صلى الله تعالى عليه وسلم لما خلق الله آدم اهبطنى فى صلبه الى
الارض وجعلنى فى صلب نوح فى السفينة وقذف بى فى النار فى صلب
ابرهيم عليه السلام ثم لم يزل ينقلنى فى الاصلاب الكريمة الى الارحام الطاهرة
حتى اخرجنى من بين ابوى لم يلتقيا على سفاح قط والى هذا اشار العباس
بن عبد المطلب رضى الله تعالى عنه بقوله ٭ من قبلها طبت فى الظلال وفى ٭
مستودع حين يخصف الورق ٭ هبطت البلاد لا بشر انت ولا مضغة
ولا علق ٭ بل نطفة تركب السفين وقد ٭ الجم نسرا واهله الغرق ٭
تنقل من صالب الى رحم ٭ اذا مضى عالم بدا طبق ٭ فى ابيات اخر وروى
عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ابو ذر وابن عمر وابن عباس وابو هريرة
وجابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهم قال اعطيت خمسا وفى بعضها ستا
لم يعطهن نبى قبلى نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لى الارض مسجدا
وطهورا وايما رجل من امتى ادركته الصلوة واحلت لى الغنايم وكم

تحل لنبي قبلي وبعثت الى الناس كافة واعطيت الشفاعة وفي رواية
بدل هذه الكلمة وقيل لي سل تعطه وفي رواية اخرى وعرض علي امتي
فلم يخف علي التابع من المتبوع وفي رواية بعثت الى الاحمر والاسود قيل
السود العرب لان الغالب على الوانهم الادمة فهم من السود والحمر العجم
وقيل البيض والسود من الامم وقيل الحمر الانس والسود الجن وفي
الحديث الاخر عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ونصرت بالرعب واوتيت
جوامع الكلم وبينا انا نائم اذ جيء بمفاتيح خزائن الارض فوضعت
في يدي وفي رواية عنه وختم بي النبيون وعن عقبة بن عامر رضي
الله تعالى عنه انه قال صلى الله تعالى عليه وسلم اني فرط لكم واني شهيد
عليكم واني والله لانظر الى حوضي الآن واني قد اعطيت مفاتيح خزائن
الارض واني والله ما اخاف عليكم ان تشركوا بعدي ولكني اخاف
عليكم ان تنافسوا فيها وعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنه وان رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال انا محمد النبي الامي لا نبي بعدي اوتيت
جوامع الكلم وخواتمه وعلمت خزنة النار وحملة العرش وعن ابن عمر رضي
الله تعالى عنهما بعثت بين يدي الساعة ومن رواية ابن وهب رضي الله
تعالى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال قال تعالى سل يا محمد فقلت ما اسال
يا رب اتخذت ابراهيم خليلا وكلمت موسى تكليما واصطفيت نوحا واعطيت
سليمان ملكا لا ينبغي لاحد من بعده فقال الله تعالى ما اعطيتك خير من
ذلك اعطيتك الكوثر وجعلت اسمك مع اسمي ينادى به في جوف
السماء وجعلت الارض طهورا لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر
فانت تمشي في الناس مغفورا لك ولم اصنع ذلك لاحد قبلك وجعلت

قلوب

قلوب امتك مصاحفها وخبأت لك شفاعتك ولم اخبأها لنبي غيرك
قبلك وفي حديث اخر رواه حذيفة رضي الله تعالى عنه بشرني يعني
ربه اول من يدخل الجنة معي من امتي سبعون الفا مع كل الف سبعون الفا
ليس عليهم حساب واعطاني ان لا تجوع امتي ولا تغلب واعطاني النصر
والعزة والرعب يسعى بين يدي امتي شهرا وطيب لي ولامتي المغانم — الغنايم نسخ
واحل لنا كثيرا مما شدد على من قبلنا ولم يجعل علينا في الدين من حرج
وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ما من
نبي من الانبياء الا وقد اعطي من الايات ما مثله امن عليه البشر و
انما كان الذي اوتيت وحيا اوحى الله الي فارجو ان اكون اكثرهم تابعا
يوم القيمة معنى هذا عند المحققين بقاء معجزته صلى الله تعالى عليه وسلم (وارجو نخ)
ما بقيت الدنيا وسائر معجزات الانبياء عليهم السلام ذهبت للحين ولم يشاهدها
الا الحاضر لها ومعجزة القران يقف عليها قرن بعد قرن عيانا لا خبرا الى
يوم القيمة وفيه كلام يطول هذا نخبته وقد بسطنا القول فيه وفيما يذكر
فيه سوى هذا في باب المعجزات وعن علي رضي الله تعالى عنه كل نبي اعطي
سبعة نجباء من امته واعطي نبيكم صلى الله تعالى عليه وسلم اربعة عشر
نجيبا منهم ابو بكر وعمر وابن مسعود وعمار رضي الله تعالى عنهم وقال صلى
الله تعالى عليه وسلم ان الله قد حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله
والمؤمنين وانها لا تحل لاحد بعدي وانما احلت لي ساعة من نهار وعن — لم تحل ولن تحل نسخ
العرباض بن سارية رضي الله تعالى عنه سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم يقول اني عبد الله وخاتم النبيين وان ادم لمنجدل في طينته وعدة
ابي ابراهيم عليهما السلام وبشارة عيسى ابن مريم عليه السلام وعن ابن عباس

رضي الله تعالى عنهما ان الله تعالى فضل محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم على اهل
السماء قال ان الله تعالى قال لاهل السماء ومن يقل منهم اني اله من دونه
فذلك نجزيه جهنم الاية وقال لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم انا فتحنا لك فتحا
مبينا الاية قالوا فما فضله على الانبياء عليهم السلم قال ان الله تعالى قال وما
ارسلنا من رسول الا بلسان قومه الاية وقال لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم
وما ارسلناك الا كافة للناس وعن خالد بن معدان ان نفرا من اصحاب
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قالوا يا رسول الله اخبرنا عن نفسك
وقد روى نحوه عن ابي ذر وشداد بن اوس وانس بن مالك رضي
الله تعالى عنهم فقال نعم انا دعوة ابي ابراهيم يعني قوله تعالى ربنا وابعث
فيهم رسولا منهم وبشرى عيسى ورأت امي حين حملت بي انه خرج منها
نور اضاءت له قصور بصرى من ارض الشام واسترضعت في بني سعد بن
بكر فبينا انا مع اخ لي خلف بيوتنا نرعى بهما لنا اذ جاءني رجلان
عليهما ثياب بيض وفي حديث آخر ثلاثة رجال بطست من ذهب
مملوءة ثلجا فاخذاني فشقا بطني قال غير هذا الحديث من نحري الى مراق
بطني ثم استخرجا منه علقة سوداء فطرحاها ثم غسلا قلبي وبطني بذلك
الثلج حتى انقياه قال في حديث آخر ثم تناول احدهما شيئا فاذا بخاتم في
يده من نور يحار الناظر دونه فختم به قلبي فامتلأ ايمانا وحكمة ثم اعاده
مكانه وامر الاخر يده على مفرق صدري فالتأم وفي رواية ان جبريل
عليه السلم قال قلب وكيع اي شديد فيه عينان تبصران واذنان
سميعتان ثم قال احدهما لصاحبه زنه بعشرة من امته فوزنني بهم
فرجحتهم ثم قال زنه بمائة من امته فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال

زنه بالف من امته فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال دعه عنك فلو وزنته
بامته لوزنها قال في الحديث الاخر ثم ضموني الى صدورهم وقبلوا راسي
وما بين عيني ثم قالوا يا حبيب لم ترع انك لو تدري ما يراد بك من
الخير لقرت عيناك وفي بقية هذا الحديث من قولهم ما اكرمك على الله
تعالى ان الله معك وملائكته قال في حديث ابي ذر رضي الله تعالى عنه فما
هو الا ان وليا عني فكانما ارى الامر معاينة وحكى ابو محمد مكي وابو
الليث السمرقندي وغيرهما ان آدم عليه السلم عند معصيته قال اللهم
بحق محمد اغفر لي خطيئتي ويروى تقبل توبتي فقال له الله عز وجل
من اين عرفت محمدا قال رايت في كل موضع من الجنة لا اله الا الله محمد
رسول الله ويروى محمد عبدي ورسولي فعلمت انه اكرم خلقك عليك
فتاب الله عليه وغفر له وهذا عند قائله تاويل قوله تعالى فتلقى آدم
من ربه كلمات فتاب عليه وفي رواية الاخرى فقال آدم عليه السلم
لما خلقتني رفعت راسي الى عرشك فاذا فيه مكتوب لا اله الا الله
محمد رسول الله فعلمت انه ليس احد اعظم قدرا عندك ممن جعلت
اسمه مع اسمك فاوحى الله تعالى اليه وعزتي وجلالي انه لآخر النبيين
من ذريتك ولولاه ما خلقتك قال وكان آدم عليه السلم يكنى بابي محمد
وقيل بابي البشر وروى عن سريج بن يونس انه قال ان لله تعالى ملائكة
سياحين عبادتهم زيارة كل دار فيها احمد او محمد اكراما منهم لمحمد صلى
الله تعالى عليه وسلم وروى ابن قانع القاضي عن ابي الحمراء قال قال رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما اسري بي الى السماء اذا على العرش مكتوب
لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ايدته بعلي وفي التفسير

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى وكان تحته كنز لهما قال لوح
من ذهب فيه مكتوب عجبا لمن ايقن بالقدر كيف ينصب عجبا لمن ايقن
بالنار كيف يضحك عجبا لمن يرى الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها
انا الله لا اله الا انا محمد عبدي ورسولي وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
على باب الجنة مكتوب انى انا الله لا اله الا انا محمد رسول الله لا اعذب
من قالها وذكر انه وجد على الحجارة القديمة مكتوب لا اله الا الله محمد
تقي مصلح وسيد امين وذكر السمنطاري انه شاهد في بعض بلاد
خراسان مولودا ولد على احد جنبيه مكتوب لا اله الا الله وعلى الاخر
محمد رسول الله وذكر الاخباريون ان ببلاد الهند وردا احمر مكتوب
عليه بالابيض لا اله الا الله محمد رسول الله وروى عن جعفر بن محمد عن
ابيه ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا كان يوم القيمة نادى مناد
الا ليقم من اسمه محمد فليدخل الجنة لكرامة اسمه صلى الله تعالى عليه وسلم
وروى ابن القاسم في سماعه وابن وهب في جامعه عن مالك قال سمعت
اهل مكة يقولون ما من بيت فيه اسم محمد الا نما ورزقوا ورزق
جيرانهم وعنه عليه الصلوة والسلام ما ضر احدكم ان يكون في بيته محمد
ومحمدان وثلاثة وعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه ان الله تعالى
نظر الى قلوب العباد فاختار منها قلب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
فاصطفاه لنفسه فبعثه برسالته وحكى النقاش ان النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم لما نزلت وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا
ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا الاية قام خطيبا فقال يا معشر
اهل الايمان ان الله تعالى فضلني عليكم تفضيلا وفضل نسائي على

نسائكم تفضيلا الحديث فصل في تفضيله صلى الله تعالى عليه وسلم
بما تضمنته كرامة الاسراء من المناجاة والرؤية وامامة الانبياء عليهم
السلام والعروج به عليه السلام الى سدرة المنتهى وما رأى من ايات ربه
الكبرى ومن خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم قصة الاسراء وما انطوت
عليه من درجات الرفعة مما نبه عليه الكتاب العزيز وشرحته صحاح
الاخبار قال الله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام
الاية وقال الله تعالى والنجم اذا هوى الى قوله لقد رأى من ايات ربه
الكبرى ولا خلاف بين المسلمين في صحة الاسراء به عليه السلام اذ هو نص القرآن
وجاءت بتفصيله وشرح عجائبه وخواص نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
فيه احاديث كثيرة منتشرة رأينا ان نقدم اكملها ونشير الى زيادة
من غيره يجب ذكرها حدثنا القاضي الشهيد ابو علي والفقيه ابو بحر بسماعي
عليهما والقاضي ابو عبد الله التميمي وغير واحد من شيوخنا قالوا حدثنا
ابو العباس العذري حدثنا ابو العباس الرازي حدثنا ابو احمد الجلودي
حدثنا ابن سفيان حدثنا مسلم بن الحجاج حدثنا شيبان بن فروخ حدثنا
حماد بن سلمة حدثنا ثابت البناني عن انس بن مالك رضي الله تعالى عنه
ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال اتيت بالبراق وهو دابة ابيض
طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه قال فركبته
حتى اتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي يربط بها الانبياء عليهم
السلام ثم دخلت المسجد فصليت ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل عليه
السلام باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل عليه السلام
اخترت الفطرة ثم عرج بنا الى السماء فاستفتح جبريل عليه السلام فقيل

من انت قال جبرئيل عليه السلم قيل ومن معك قال محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
قيل وقد بعث اليه ففتح لنا فاذا بادم عليه السلم فرحب بي ودعا لي
بخير ثم عرج بنا الى السماء الثانية فاستفتح جبريل عليه السلم فقيل من
من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
قيل وقد بعث قال بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بابني الخالة عيسى بن مريم
ويحيى بن زكرياء عليهما السلام فرحبا بي ودعيا لي بخير ثم عرج بنا الى
السماء الثالثة فذكر مثل الاول ففتح لنا فاذا انا بيوسف عليه السلم
واذا هو قد اعطي شطر الحسن فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى
السماء الرابعة وذكر مثله فاذا انا بادريس عليه السلم فرحب بي ودعا لي
بخير قال الله تعالى ورفعناه مكانا عليا ثم عرج بنا الى السماء الخامسة
فذكر مثله فاذا بهارون عليه السلم فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا
الى السماء السادسة فذكر مثله فاذا انا بموسى عليه السلم فرحب بي ودعا لي
بخير ثم عرج بنا الى السماء السابعة فذكر مثله فاذا انا بابرهيم عليه السلم
مسند ظهره الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون الف
ملك لا يعودون اليه ثم ذهب بي الى سدرة المنتهى واذا ورقها
كاذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها من امر الله ما غشي
تغيرت فما احد من خلق الله يستطيع ان ينعتها من حسنها فاوحى الله
الي ما اوحى ففرض علي خمسين صلوة في كل يوم وليلة فنزلت
الى موسى فقال ما فرض ربك على امتك قلت خمسين صلوة قال
ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فان امتك لا يطيقون ذلك فاني
قد بلوت بني اسرائيل وخبرتهم قال فرجعت الى ربي فقلت يا رب خفف

على امتي

على امتي فحط عني خمسا فرجعت الى موسى فقلت حط عني خمسا قال
ان امتك لا يطيقون ذلك فارجع الى ربك فاسأله التخفيف قال فلم
ازل ارجع بين ربي تعالى وبين موسى حتى قال يا محمد انهن خمس صلوات كل
يوم وليلة لكل صلوة عشر فتلك خمسون صلوة ومن هم بحسنة
فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم
يعملها لم تكتب شيئا فان عملها كتبت سيئة واحدة قال فنزلت حتى
انتهيت الى موسى فاخبرته فقال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف
فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقلت قد رجعت الى ربي حتى
استحييت منه قال القاضي رحمه الله تعالى جود ثابت هذا الحديث عن
انس رضي الله تعالى عنه ما شاء ولم يأت احد عنه باصوب من هذا وقد
خلط فيه غيره عن انس رضي الله تعالى عنه تخليطا كثيرا لا سيما من
رواية شريك بن ابي نمر رضي الله تعالى عنه فقد ذكر في اوله مجيء
الملك له وشق بطنه وغسله بماء زمزم وهذا انما كان وهو صبي
وقبل الوحي وقد قال شريك رضي الله تعالى عنه في حديثه وذلك قبل
ان يوحى اليه وذكر قصة الاسراء ولا خلاف انها كانت بعد الوحي
وقد قال غير واحد انها كانت قبل الهجرة بسنة وقيل قبل هذا وقد روى
ثابت عن انس رضي الله تعالى عنه من رواية حماد بن سلمة ايضا مجيء
جبرائيل عليه السلم الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يلعب مع الغلمان
عند ظئره وشقه وقلبه تلك القصة مفردة من حديث الاسراء
كما رواه الناس فجود في القصتين وفي ان الاسراء الى بيت المقدس
والى سدرة المنتهى كان قصة واحدة وانه وصل الى بيت المقدس

ثم عرج بي من هناك فازاح كل اشكال اوهمه غيره وقد روى يونس
عن ابن شهاب عن انس رضي الله تعالى عنه قال كان ابو ذر رضي الله
تعالى عنه يحدث ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال فرج سقف
بيتي فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء
بطست من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا فافرغها في صدري ثم اطبقه
ثم اخذ بيدي فعرج بنا الى السماء فذكر القصة وروى قتادة رضي
الله تعالى عنه الحديث بمثله عن انس عن مالك بن صعصعة وفيها تقديم
وتاخير وزيادة ونقص وخلاف في ترتيب الانبياء في السموات
وحديث ثابت عن انس رضي الله تعالى عنه اتقن واجود وقد وقعت
في حديث الاسراء زيادات نذكر منها نكتا مقيدة في غرضنا منها في
حديث ابن شهاب وفيه قول كل نبي له مرحبا بالنبي الصالح والاخ
الصالح الا آدم وابرهيم عليهما السلام فقالا له والابن الصالح وفيه
من طريق ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ثم عرج بي حتى ظهرت بمستوى
اسمع فيه صريف الاقلام وعن انس رضي الله تعالى عنه ثم انطلق بي
حتى اتيت سدرة المنتهى فغشيها الوان لا ادري ما هي قال ثم ادخلت
الجنة وفي حديث مالك بن صعصعة فلما جاوزته يعني موسى عليه السلام بكى
فنودي ما يبكيك قال رب هذا غلام بعثته بعدي يدخل من امته
الجنة اكثر مما يدخل من امتي وفي حديث ابي هريرة رضي الله تعالى عنه
وقد رايتني في جماعة من الانبياء فحانت الصلوة فاممتهم فقال قائل
يا محمد هذا مالك خازن النار فسلم عليه فالتفت فبداني بالسلام وفي
حديث ابي هريرة ثم سار حتى اتى بيت المقدس فنزل فربط فرسه الى

صخرة فصلى مع الملائكة فلما قضيت الصلوة قالوا يا جبريل ومن هذا معك
قال هذا محمد رسول الله خاتم النبيين قالوا وقد ارسل اليه قال نعم قالوا
حياه الله من اخ وخليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ثم لقوا ارواح الانبياء
فاثنوا على ربهم وذكر كلام كل واحد منهم وهم ابرهيم وموسى وعيسى
وداود وسليمان عليهم السلام ثم ذكر كلام النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم فقال وان محمدا رسول الله اثنى على ربه فقال كلكم اثنى على ربه
وانا اثني على ربي الحمد لله الذي ارسلني رحمة للعالمين وكافة للناس
اجمعين بشيرا ونذيرا وانزل علي الفرقان فيه تبيان كل شيء وجعل امتي
خير امة وجعل امتي امة وسطا وجعل امتي هم الاولون وهم الاخرون
وشرح لي صدري ووضع عني وزري ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا
وخاتما فقال ابرهيم بهذا فضلكم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ذكر انه
عرج به الى السماء الدنيا ومن سماء الى سماء نحو ما تقدم وفي حديث ابن
مسعود رضي الله تعالى عنه وانتهى بي الى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة
اليها ينتهي ما يعرج به من الارض فيقبض منها واليها ينتهي ما يهبط من فوقها
فيقبض منها قال اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب وفي
رواية ابي هريرة رضي الله تعالى عنه من طريق الربيع ابن انس رضي الله تعالى
عنه فقيل لي هذه سدرة المنتهى ينتهي اليها كل احد من امتك خلا على
سبيلك وهي السدرة المنتهى يخرج من اصلها انهار من ماء غير اسن
وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من
عسل مصفى وهي شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عاما وان ورقة
منها مظلة الخلق فغشيها نور وغشيتها الملائكة قال فهو قوله تعالى

ذ يغشى السدرة ما يغشى فقال تبارك وتعالى له سل فقال انك اتخذت
ابراهيم خليلا واعطيته ملكا عظيما وكلمت موسى تكليما واعطيت داود
ملكا عظيما والنت له الحديد وسخرت له الجبال واعطيت سليمان ملكا
عظيما سخرت له الجن والانس والشياطين والرياح واعطيته ملكا لا
ينبغي من بعده وعلمت موسى التورية وعيسى الانجيل وجعلته يبرئ الاكمه
والابرص واعذته وامه من الشيطان الرجيم فلم يكن له عليهما سبيل فقال
له ربه تبارك وتعالى قد اتخذتك حبيبا فهو مكتوب في التورية محمد حبيب
الرحمن وارسلتك الى الناس كافة وجعلت امتك هم الاولون وهم
الاخرون وجعلت امتك لا يجوز لهم خطبة حتى يشهدوا انك عبدي
ورسولي وجعلتك اول النبيين خلقا واخرهم بعثا واعطيتك سبعا
من المثاني ولم اعطها نبيا قبلك واعطيتك خواتيم سورة البقرة
من كنز تحت عرشي لم اعطها نبيا قبلك وجعلتك فاتحا وخاتما وفي
الرواية الاخرى قال فاعطي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثا
اعطي الصلوة الخمس واعطي خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك
بالله شيئا من امته المقحمات وقال تعالى ما كذب الفؤاد ما راى الايتين
رأى اي جبريل في صورته له ستمائة جناح وفي الحديث شريك انه
رأى موسى في السابعة قال بتفضيل كلام الله تعالى قال ثم علا بذلك فوق
ذلك بما لا يعلمه الا الله فقال موسى عليه السلام لم اظن ان يرفع علي احد
وقد روي عن انس رضي الله تعالى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم بالانبياء
عليهم السلام بيت المقدس وعن انس رضي الله تعالى عنه قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم بينا انا قاعد ذات يوم اذ دخل جبريل عليه

السلام

السلام فوكز بين كتفي فقمت الى شجرة فيها مثل وكري الطائر فقعد في واحدة
وقعدت في الاخرى فسمت حتى سدت الخافقين ولو شئت لمسست السماء
وانا اقلب طرفي ونظرت جبريل عليه السلام كانه حلس لاطئ فعرفت فضل
علمه بالله تعالى علي وفتح لي باب السماء ورأيت النور الاعظم ولط دوني
الحجاب وفرجه الدر والياقوت ثم اوحى الله تعالى الي ما شاء ان يوحي
وذكر البزار عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه لما اراد الله تعالى ان
يعلم رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم الاذان جاءه جبريل عليه السلام
بدابة يقال لها البراق فذهب يركبها فاستصعبت عليه فقال لها جبريل
عليه السلام فوالله ما ركبك عبد اكرم على الله تعالى من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
فركبها حتى اتى بها الى الحجاب الذي يلي الرحمن عز وجل فبينا هو كذلك اذ
خرج ملك من الحجاب فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا جبريل من
هذا فقال والذي بعثك بالحق اني لاقرب الخلق مكانا وان هذا الملك
ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتي هذه فقال الملك الله اكبر الله اكبر فقيل له
من وراء الحجاب صدق عبدي انا اكبر انا اكبر ثم قال الملك اشهد ان لا اله
الا الله فقيل من وراء الحجاب صدق عبدي انا الله لا اله الا انا وذكر
مثل هذا في بقية الاذان الا انه لم يذكر جوابا عن قوله حي على الصلوة حي
على الفلاح وقال ثم اخذ الملك بيد محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فقدمه
فام اهل السماء فيهم ادم ونوح عليهما السلام فقال ابو جعفر محمد بن
علي بن الحسين راويه اكمل الله لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم الشرف على اهل
السموات والارض قال القاضي ابو الفضل رحمه الله تعالى ما في هذا الحديث
من ذكر الحجاب فهو في حق المخلوق لا في حق الخالق تعالى فهم المحجوبون والباري

جل اسمه منزة عما يحجبه اذ الحجب انما تحيط بمقدر محسوس ولكن حجبه
على ابصار خلقه وبصائرهم وادراكاتهم بما شاء وكيف شاء ومتى شاء
كقوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فقوله وفي هذا الحديث
الحجاب واذ خرج ملك من الحجاب يجب ان يقال انه حجاب يحجب به من وراءه
من ملائكته عن الاطلاع على ما دونه من سلطانه وعظمته وعجائب ملكوته
وجبروته ويدل عليه من الحديث قول جبريل عليه السلام عن الملك الذي
خرج من وراءه ان هذا الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتي هذه
فدل ان هذا الحجاب لم يختص بالذات الشريفة ويدل عليه قول كعب
في تفسير سدرة المنتهى قال اليها ينتهي علم الملائكة وعندها يجدون
امر الله تعالى لا يجاوزها علمهم واما قوله الذي يلي الرحمن فيحمل على حذف
المضاف اي يلي عرش الرحمن او امرا ما من عظيم اياته او مبادي
حقايق معارفه مما هو اعلم به كما قال تعالى واسئل القرية اي اهلها وقوله
فقيل من وراء الحجاب صدق عبدي انا اكبر فظاهره انه سمع في هذا
المواطن كلام تعالى ولكن من وراء حجاب كما قال تعالى وما كان لبشر ان
يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب اي وهو لا يراه حجب بصره
عن رؤيته فان صح القول بان محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم رأى
ربه جل وعز فيحتمل ان في غير هذا المواطن بعد هذا او قبله رفع الحجاب
عن بصره حتى رآه والله اعلم فصل ثم اختلف السلف والعلماء
هل كان اسراؤه بالروح وانه رؤيا منام مع اتفاقهم ان رؤيا
الانبياء عليهم السلام حق ووحي والى هذا ذهب معاوية وحكي
عن الحسن والمشهور عنه خلافه واليه اشار محمد بن اسحاق وحجتهم

اسراؤه بروحه او بجسده على ثلث
مقالات فذهبت طائفة الى انه
صح

قوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس وما حكوا عن عائشة
رضي الله تعالى عنها قالت ما فقدت جسد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وقوله عليه السلام بينا انا نائم وقول انس رضي الله تعالى عنه وهو نائم في
المسجد الحرام وذكر القصة ثم قال في آخرها فاستيقظت وانا بالمسجد
الحرام وذهب معظم السلف والمسلمين الى انه اسرى بالجسد وفي
اليقظة وهذا هو الحق وهو قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وجابر
وانس وحذيفة وعمر وابي هريرة ومالك بن صعصعة وابي حبة البدري
وابن مسعود والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة وابن المسيب وابن
شهاب وابن زيد والحسن وابراهيم ومسروق ومجاهد وعكرمة وابن
جريج رضي الله تعالى عنهم وهو دليل قول عائشة رضي الله تعالى عنها وهو
الطبري وابن حنبل رحمهما الله تعالى وجماعة عظيمة من المسلمين وهو
قول اكثر المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والمفسرين قالت
طائفة كان الاسراء بالجسد يقظة من المسجد الحرام الى بيت المقدس والى
السماء بالروح واحتجوا بقوله سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد
الحرام الى المسجد الاقصى فجعل الى المسجد الاقصى غاية الاسراء الذي
وقع التعجب فيه بعظيم القدرة والتمدح بتشريف النبي محمد صلى الله تعالى
عليه وسلم به واظهار الكرامة له بالاسراء اليه قال هؤلاء ولو كان
الاسراء بجسده الى زائد عن المسجد الاقصى لذكره فيكون ابلغ في المدح
ثم اختلفت هاتان الفرقتان هل صلى ببيت المقدس ام لا ففي حديث
انس وغيره رضي الله تعالى عنهم ما تقدم من صلاته فيه وانكر ذلك
حذيفة بن اليماني رضي الله تعالى عنه وقال والله ما زالا عن ظهر البراق

حتى رجعا قال القاضي المصنف رحمه الله تعالى والحق من هذا والصحيح ان
شاء الله تعالى انه اسراء بالجسد والروح في القصة كلها وعليه تدل الآية
وصحيح الاخبار والاعتبار ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة الى التأويل
الا عند الاستحالة وليس في الاسراء بجسده وحال يقظته استحالة اذ
لو كان مناما لقال بروح عبده ولم يقل بعبده وقوله تعالى ما زاغ البصر
وما طغى ولو كان مناما لما كانت فيه آية ولا معجزة ولما استبعده
الكفار ولا كذبوه فيه ضعفاء من اسلم وافتتنوا به اذ مثل هذا من المنامات
لا ينكر بل لم يكن ذلك منهم الا وقد علموا ان خبره انما كان عن جسمه وحال
يقظته الى ما ذكر في الحديث من ذكر صلاته بالانبياء عليهم السلام ببيت المقدس
في رواية انس رضي الله تعالى عنه او في السماء على ما روى غيره وذكر مجيء
جبريل عليه السلام له بالبراق وخبر المعراج واستفتاح السماء فيقال ومن
معك فيقول محمد ولقائه الانبياء فيها وخبرهم معه وترحيبهم به وشأنه
في فرض الصلوة ومراجعته مع موسى عليهما الصلوة والسلام في ذلك
وفي بعض هذه الاخبار فاخذ يعني جبريل عليه السلام بيدي فعرج بي الى السماء
الى قوله ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى اسمع فيه صريف الاقلام وانه
وصل الى سدرة المنتهى وانه دخل الجنة ورأى فيها ما ذكره قال ابن
عباس رضي الله تعالى عنهما هي رؤيا عين رآها رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم لا رؤيا منام وعن الحسن فيه بينا انا نائم جالس في الحجر اذ جاءني
جبريل عليه السلام فهمزني بعقبه فقمت فجلست فلم ار شيئا فعدت لمضجعي
ذكر ذلك ثلاثا فقال في الثالثة فاخذ بعضدي فجرني الى باب المسجد
فاذا بدابة وذكر خبر البراق وعن ام هانئ رضي الله تعالى عنها ما اسري

رسول

رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا وهو في بيتي تلك الليلة صلى
العشاء الآخرة ونام بيننا فلما كان قبيل الفجر اهبنا رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم فلما صلى الصبح وصلينا قال يا ام هانئ لقد صليت معكم
العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادي ثم جئت بيت المقدس فصليت
فيه ثم صليت الغداة معكم الآن كما ترون وهذا بين في انه بجسده
وعن ابي بكر رضي الله تعالى عنه من رواية شداد بن اوس عنه انه قال
للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة اسري به طلبتك يا رسول الله البارحة
في مكانك فلم اجدك فاجابه ان جبريل عليه السلام حمله الى المسجد الاقصى
وعن عمر رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
صليت ليلة اسري بي في مقدم المسجد ثم دخلت الصخرة فاذا بملك قائم
معه آنية ثلاث وذكر الحديث وهذه التصريحات ظاهرة غير مستحيلة
فتحمل على ظاهرها وعن ابي ذر رضي الله تعالى عنه عنه صلى الله تعالى عليه
وسلم فرج عن سقف بيتي وانا بمكة فنزل جبريل فشرح صدري ثم
غسله بماء زمزم الى آخر القصة ثم اخذ بيدي فعرج بي وعن انس
رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اتيت فانطلقوا بي
الى زمزم فشرح عن صدري وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه عنه
عليه الصلوة والسلام لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي فسألتني
عن اشياء لم اثبتها فكربت كربا ما كربت مثله قط فرفعه الله لي انظر
اليه ونحوه عن جابر رضي الله تعالى عنه وقد روى عمر بن الخطاب رضي
الله تعالى عنه في حديث الاسراء عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال
رجعت الى خديجة وما تحولت عن جنبها فصل في ابطال حجج من قال

انها نوم احتجوا بقوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي اريناك فسماها رؤيا
قلنا قوله سبحان الذي اسرى بعبده يرده لانه لا يقال في النوم اسرى
وقوله تعالى فتنة للناس يؤيد انها رؤيا عين واسرى بشخص اذ ليس
في الحلم فتنة ولا يكذب به احد لان كل احد يرى مثل ذلك في منامه من
الكون في ساعة واحدة في اقطار متباينة على ان المفسرين اختلفوا
في هذه الاية فذهب بعضهم الى انها نزلت في قضية الحديبية وما
وقع في نفوس الناس من ذلك وقيل غير هذا واما قولهم انه قد سماها
في الحديث مناما وقوله في حديث اخر بين النائم واليقظان وقوله
ايضا وهو نائم وقوله ثم استيقظت فلا حجة فيه وقد اذ يحتمل
ان اول وصول الملك اليه كان وهو نائم او اول حمله والاسراء به
وليس في الحديث انه كان نائما في القصة كلها الا ما يدل عليه ثم
استيقظت وانا في المسجد الحرام فلعل قوله استيقظت بمعنى اصبح
واستيقظ من نوم اخر بعد وصوله بيته صلى الله تعالى عليه وسلم ويدل
عليه ان مسراه لم يكن طول ليله وانما كان في بعضه وقد يكون قوله
استيقظت وانا في المسجد الحرام لما كان غمره من عجائب ما طالع من ملكوت
السموات والارض وخامر باطنه من مشاهدة الملأ الاعلى وما رأى
من ايات ربه الكبرى فلم يستفق ويرجع الى حال البشرية الا وهو بالمسجد
الحرام ووجه ثالث ان يكون نومه واستيقاظه حقيقة على مقتضى
لفظه ولكنه اسرى بجسده وقلبه حاضر ورؤيا الانبياء عليهم السلام
حق تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم وقد مال بعض اهل الاشارات الى
نحو من هذا قال تغميض عينيه لئلا يشغله شيء من المحسوسات عن الله تعالى

ولا يصح

ولا يصح هذا ان يكون في وقت صلاته بالانبياء عليهم السلام ولعله
كانت له في هذا الاسراء حالات ووجه رابع وهو ان يعبر بالنوم ههنا
هيئة النائم من الاضطجاع ويقويه قوله في رواية عبد بن حميد عن
همام رضي الله تعالى عنه قال بينا انا نائم وربما قال في الحجر مضطجع وفي
رواية هدبة عنه بينا انا في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجع وقوله
في الرواية الاخرى بين النائم واليقظان فيكون سمى هيئته بالنوم لما
كانت هيئة النائم غالبا وذهب بعضهم الى ان هذه الزيادات من النوم
وذكر شق البطن ودنو الرب تعالى الواقعة في هذا الحديث انما هي من
رواية شريك عن انس رضي الله تعالى عنه فهي منكرة من روايته اذ شق
البطن في الاحاديث الصحيحة انما كان في صغره عليه الصلوة والسلام وقبل
النبوة ولانه قال في الحديث قبل ان يبعث والاسراء باجماع كان
المبعث فهذا كله يوهن ما وقع في رواية انس رضي الله تعالى عنه مع
ان انسا قد بين من غير طريق انه انما رواه من غيره وانه لم يسمعه من
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال مرة عن مالك بن صعصعة وفي
كتاب مسلم لعله عن مالك بن صعصعة على الشك وقال مرة كان ابو
ذر رضي الله تعالى عنه يحدث واما قول عائشة رضي الله تعالى عنها ما
فقدت جسده فعائشة لم تحدث به عن مشاهدة لانها لم تكن حينئذ
زوجته ولا في سن من يضبط ولعلها لم تكن ولدت بعد على الخلاف
في الاسراء متى كان فان الاسراء كان في اول الاسلام على قول الزهري
ومن وافقه بعد المبعث بعام ونصف وكانت عائشة رضي الله تعالى
عنها في الهجرة بنت نحو ثمانية اعوام وقيل كان الاسراء لخمس قبل الهجرة

وقيل قبل الهجرة بعام والاشبه انه لخمس والحجة لذلك تطول ليست
من غرضنا فاذا لم تشاهد ذلك عائشة رضي الله تعالى عنها دل انها حدثت
بذلك عن غيرها فلم يرجح خبرها على خبر غيرها وغيرها يقول خلافه مما وقع
نصا في حديث ام هانئ وغيره رضي الله تعالى عنها وايضا فليس حديث
عائشة رضي الله تعالى عنها بالثابت والاحاديث الاخر اثبت لسنا نعني
حديث ام هانئ وما ذكرت فيه خديجة رضي الله تعالى عنهما وايضا فقد
روي في حديث عائشة رضي الله تعالى عنها ما فقدت ولم يدخل بها
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الا بالمدينة وكل هذا يوهنه بل الذي يدل
عليه صحيح قولها انه بجسده لانكارها ان تكون رؤياه لربه رؤيا عين
ولو كانت عندها مناما لم تنكره فان قيل فقد قال الله تعالى ما كذب
الفؤاد ما رأى فقد جعل ما رآه للقلب وهذا يدل على انها رؤيا
نوم ووحي لا مشاهدة عين وحس قلنا يقابله قوله تعالى ما زاغ
البصر وما طغى فقد اضاف الامر للبصر وقد قال اهل التفسير في قوله
تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى اي لم يوهم القلب العين غير الحقيقة بل
صدق رؤيتها وقيل ما انكر قلبه ما رأته عينه فصل
واما رؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم لربه عز وجل فاختلف السلف
فيها فانكرته عائشة رضي الله تعالى عنها حدثنا ابو الحسين سراج بن عبد الملك
الحافظ بقراءتي عليه قال حدثني ابي وابو عبد الله بن عتاب الفقيه
قالا حدثنا القاضي يونس بن مغيث حدثنا ابو الفضل الصقلي حدثنا
ثابت بن قاسم بن ثابت عن ابيه وجده قالا حدثنا عبد الله بن علي
حدثنا محمود بن آدم حدثنا وكيع عن ابن ابي خالد عن عامر عن مسروق

رضي الله تعالى عنه انه قال لعائشة رضي الله تعالى عنها يا ام المؤمنين هل رأى
محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ربه فقالت لقد قف شعري مما قلت ثلاث
من حدثك بهن فقد كذب من حدثك ان محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم
رأى ربه فقد كذب ثم قرأت لا تدركه الابصار الاية وذكر الحديث وقال
جماعة بقول عائشة رضي الله تعالى عنها وهو المشهور عن ابن مسعود
رضي الله تعالى عنه ومثله عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه انه انما رأى
جبريل عليه السلام واختلف عنه وقال بانكار هذا وامتناع رؤيته في الدنيا
جماعة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين وعن ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما انه رآه بعينه وروى عطاء عنه انه رآه بقلبه وعن
ابي العالية عنه بفؤاده مرتين وذكر ابن اسحاق ان ابن عمر ارسل
الى ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يسأله هل رأى محمد صلى الله تعالى عليه
وسلم ربه فقال نعم والاشهر عنه انه رأى بعينه روي عنه ذلك
من طرق وقال ان الله تعالى خص موسى بالكلام وابراهيم بالخلة ومحمدا
صلى الله تعالى عليه وسلم بالرؤية وحجته قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى
افتمارونه على ما يرى ولقد رآه نزلة اخرى قال الماوردي قيل
ان الله قسم كلامه ورؤيته بين موسى ومحمد صلى الله تعالى عليه وسلم
فرآه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم مرتين وكلمه موسى مرتين وحكى
ابو الفتح الرازي وابو الليث السمرقندي الحكاية عن كعب رضي الله تعالى
عنه وروى عبد الله بن الحارث قال اجتمع ابن عباس وكعب رضي
الله تعالى عنهما فقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما اما نحن بنو هاشم فنقول
ان محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم قد رأى ربه مرتين فكبر كعب حتى جاوبته

الجبال وقال ان الله تعالى قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى صلى
الله تعالى عليهما وسلم فكلمه موسى ورآه محمد بقلبه وروى شريك
عن ابي ذر رضي الله تعالى عنه في تفسير الاية قال رأى النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم ربه وحكى السمرقندى عن محمد بن كعب القرظي و
ربيع بن انس رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
وسئل هل رأيت ربك قال رأيته بفؤادي ولم اره بعيني وروى
مالك بن يخامر عن معاذ رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم قال رأيت ربي وذكر كلمة فقال يا محمد فيم يختصم الملأ الاعلى
الحديث وحكى عبد الرزاق ان الحسن كان يحلف بالله لقد رأى
محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ربه تبارك وتعالى وحكاه ابو عمر الطلمنكي
عن عكرمة وحكى بعض المتكلمين هذا المذهب عن ابن مسعود رضي الله
تعالى عنه وحكى ابن اسحاق ان مروان سأل ابا هريرة رضي الله تعالى عنه
هل رأى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ربه قال نعم وحكى النقاش عن احمد
بن حنبل رحمه الله تعالى انه قال انا اقول بحديث ابن عباس رضي الله عنهما
بعينه رآه حتى انقطع نفسه يعني نفس احمد وقال ابو عمر قال احمد
بن حنبل رآه بقلبه وجبن عن القول برؤيته في الدنيا بالابصار
وقال سعيد بن جبير لا اقول رآه ولا لم يره وقد اختلف في تأويل
الاية عن ابن عباس وعكرمة رضي الله تعالى عنهما رآه بقلبه وعن
الحسن وابن مسعود رضي الله تعالى عنهما رأى جبريل عليه السلام وحكى
عبد الله بن احمد بن حنبل عن ابيه انه قال رآه وعن ابن عطاء
في قوله تعالى الم نشرح لك صدرك قال شرح صدره للرؤية وشرح

صدر موسى للكلام وقال ابو الحسن علي بن اسمعيل الاشعري رضي
الله تعالى عنه وجماعة من اصحابه انه رأى الله ببصره وعيني رأسه
وقال كل آية اوتيها نبي من الانبياء عليهم السلام فقد اوتي مثلها نبينا صلى
الله تعالى عليه وسلم وخص من بينهم بتفضيل الرؤية ووقف بعض
مشايخنا في هذا وقال ليس عليه دليل واضح ولكنه جائز ان يكون قال
القاضي ابو الفضل المصنف رحمه الله تعالى والحق الذي لا امتراء
فيه ان رؤيته تعالى في الدنيا جائزة عقلا وليس في العقل ما يحيلها
والدليل على جوازها في الدنيا سؤال موسى عليه السلام لها ومحال ان يجهل
نبي ما يجوز على الله وما لا يجوز عليه بل لم يسأل الا جائزا غير مستحيل ولكن
وقوعه ومشاهدته من الغيب الذي لا يعلمه الا من علمه الله تعالى فقال له
الله تعالى لن تراني اي لن تطيق ولا تحتمل رؤيتي ثم ضرب له مثلا مما هو
اقوى من بنية موسى عليه السلام واثبت وهو الجبل وكل هذا ليس فيه
ما يحيل رؤيته في الدنيا بل فيه جوازها على الجملة وليس في الشرع دليل
قاطع على استحالتها ولا امتناعها اذ كل موجود فرؤيته جائزة غير
مستحيلة ولا حجة لمن استدل على منعها بقوله تعالى لا تدركه الابصار
لاختلاف التأويلات في الاية واذ ليس يقتضي قول من قال في الدنيا
الاستحالة وقد استدل بعضهم بهذه الاية نفسها على جواز الرؤية
وعدم استحالتها على الجملة وقد قيل لا تدركه ابصار الكفار وقيل
لا تدركه الابصار لا تحيط به وهو قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
وقد قيل لا تدركه الابصار وانما يدركه المبصرون وكل هذه التأويلات
لا تقتضي منع الرؤية ولا استحالتها وكذلك لا حجة لهم بقوله لن تراني

الاية وقوله تبت اليك لما قدمناه ولانها ليست على العموم ولان من
قال معناها لن تراني في الدنيا انما هو تاويل وايضا فليس فيه نص الامتناع
وانما جاءت في حق موسى عليه السلم وحيث تتطرق التاويل وتتسلط
الاحتمالات فليس للقطع اليه سبيل وقوله تبت اليك اي من سؤالي
ما لم تقدر لي وقد قال ابو بكر الهذلي في قوله تعالى لن تراني اي ليس
لبشر ان يطيق ان ينظر الي في الدنيا وان من نظر الي مات وقد
رايت لبعض السلف والمتاخرين ما معناه ان رؤيته تعالى في الدنيا
ممتنعة لضعف تركيب اهل الدنيا وقواهم وكونها متغيرة عرضا
للافات والفنا فلم تكن لهم قوة على الرؤية فاذا كان في الاخرة وركبوا
تركيبا اخر ورزقوا قوى ثابتة باقية واتم انوار ابصارهم وقلوبهم
قووا بها على الرؤية وقد رايت نحو هذا لمالك بن انس رضي الله تعالى
عنه قال لم ير في الدنيا لانه باق ولا يرى الباقي بالفاني فاذا كان في
الاخرة ورزقوا ابصارا باقية رؤي الباقي بالباقي وهذا كلام
حسن مليح وليس فيه دليل على الاستحالة الا من حيث ضعف القدرة
فاذا قوى الله تعالى من شاء من عباده واقدره على حمل اعباء الرؤية لم
يمتنع في حقه وقد تقدم ما ذكر في قوة بصر موسى ومحمد صلى الله تعالى
عليهما وسلم ونفوذ ادراكهما بقوة الهية منحاها لادراك ما ادركاه
ورؤية ما راياه والله اعلم وقد ذكر القاضي ابو بكر في اثناء اجوبته
عن الايتين ما معناه ان موسى عليه السلم راى الله تعالى فلذلك خر صعقا
وان الجبل راى ربه فصار دكا بادراك خلقه الله له واستنبط
ذلك والله اعلم من قوله تعالى ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه

فسوف

فسوف تراني ثم قال تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا
وتجليه للجبل هو ظهوره له حتى راه على هذا القول وقال جعفر بن
محمد شغله بالجبل حتى تجلى ولولا ذلك لمات صعقا بلا افاقة وقوله
هذا يدل على ان موسى عليه السلم راه وقد وقع لبعض المفسرين في الجبل
انه راه وبرؤية الجبل له استدل من قال برؤية محمد نبينا صلى الله
تعالى عليه وسلم له اذ جعله دليلا على الجواز ولا مرية في الجواز اذ ليس
في الايات نص بالمنع واما وجوبه لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم والقول
بانه راه بعينه فليس فيه قاطع ايضا ولا نص اذ المعول فيه على ايتي
النجم والتنازع فيهما ماثور والاحتمال لهما ممكن ولا اثر قاطع متواتر
عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك وحديث ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما خبر عن اعتقاده لم يسنده الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
فيجب العمل باعتقاد مضمنه ومثله حديث ابي ذر رضي الله تعالى في
تفسير الاية وحديث معاذ رضي الله تعالى عنه محتمل للتاويل وهو مضطرب
الاسناد والمتن وحديث ابي ذر رضي الله تعالى الاخر مختلف محتمل مشكل
فروي نور اني اراه وحكى بعض شيوخنا انه روي نوراني اراه
وفي حديثه الاخر سالته فقال رايت نورا وليس يمكن الاحتجاج
بواحد منهما على صحة الرؤية فان كان الصحيح رايت نورا فهو قد اخبر
انه لم ير الله سبحانه وانما راى نورا منعه وحجبه عن رؤية الله تعالى
والى هذا يرجع قوله نور اني اراه اي كيف اراه مع حجاب النور المغشي
للبصر وهذا مثل ما جاء في الحديث الاخر حجابه النور وفي الحديث الاخر
لم اره بعيني ولكن رايته بقلبي مرتين وتلا ثم دنا فتدلى والله قادر

على خلق الادراك الذي في البصر في القلب وكيف شاء لا اله غيره فان ورد حديث نص بين في الباب اعتقد ووجب المصير اليه اذ لا استحالة فيه ولا مانع قطعي يرده والله تعالى الموفق للصواب

فصل واما ما ورد في هذه القصة من مناجاته الله تعالى وكلامه له معه بقوله فاوحى الى عبده ما اوحى الى ما تضمنته الاحاديث فاكثر المفسرين على ان الموحي الله تعالى الى جبريل وجبريل الى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الا شذوذا منهم فذكر عن جعفر بن محمد الصادق رضي الله تعالى عنهم قال اوحى اليه بلا واسطة ونحوه عن الواسطي والى هذا ذهب بعض المتكلمين ان محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم كلم ربه في الاسراء وحكي عن الاشعري وحكوه عن ابن مسعود وابن عباس رضي الله تعالى عنهما وانكره اخرون وذكر النقاش عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قصة الاسراء عنه عليه الصلوة والسلام في قوله دنى فتدلى قال فارقني جبريل فانقطعت الاصوات حتى سمعت كلام ربي عز وجل وهو يقول ليهدأ روعك يا محمد ادن ادن وفي حديث انس رضي الله تعالى عنه في الاسراء نحو منه وقد احتجوا في هذا بقوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء فقالوا هي ثلاثة اقسام من وراء حجاب كتكليم موسى عليه السلام وارسال الملائكة كحال جميع الانبياء عليهم السلام واكثر احوال نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الثالث قوله وحيا ولم يبق من تقسيم صور الكلام الا المشافهة مع المشاهدة وقد قيل الوحي هنا هو ما يلقيه في قلب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم دون واسطة

وقد

وقد ذكر ابو بكر البزار عن علي كرم الله وجهه ورضي الله تعالى عنه في حديث الاسراء ما هو اوضح في سماع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لكلام الله تعالى من الاية فذكر فيه فقال الملك الله اكبر الله اكبر فقيل لي من وراء الحجاب صدق عبدي انا اكبر انا اكبر وقال في سائر كلمات الاذان مثل ذلك ويجيء الكلام في مشكل هذين الحديثين في الفصل بعد هذا مع ما يشبهه وفي اول فصل من الباب منه وكلام الله لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم ومن اختصه من انبيائه عليهم السلام جائز غير ممتنع عقلا ولا ورد في الشرع قاطع يمنعه فان صح في ذلك خبر اعتمد عليه وكلامه تعالى لموسى عليه السلام كائن حق مقطوع به نص ذلك في الكتاب واكده بالمصدر دلالة على الحقيقة ورفع مكانه على ما ورد في الحديث في السماء السابعة بسبب كلامه ورفع محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم فوق هذا كله حتى بلغ مستوى وسمع صريف الاقلام فكيف يستحيل في حق هذا او يبعد سماع الكلام فسبحانه من خص من شاء بما شاء ورفع بعضهم فوق بعض درجات

فصل واما ما ورد في حديث الاسراء وظاهر الاية من الدنو والقرب من قوله تعالى دنى فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى فاكثر المفسرين ان الدنو والتدلي منقسم ما بين محمد وجبريل صلى الله تعالى عليه وسلم او مختص باحدهما من الاخر او من السدرة المنتهى قال الرازي وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم دنى فتدلى من ربه تعالى وقيل معنى دنا قرب وتدلى في القرب وقيل هما بمعنى واحد اي قرب وحكى مكي والماوردي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هو مقدم ومؤخر تدلى الرفرف لمحمد صلى الله تعالى

عليه وسلم ليلة المعراج فجلس عليه ثم رفع فدنا من ربه تعالى قال
عليه الصلوة والسلام فارقني جبريل وانقطعت الاصوات عني وسمعت كلام
ربي عز وجل وعن انس رضي الله تعالى عنه في الصحيح عرج بي جبريل
عليه السلام الى سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان
منه قاب قوسين او ادنى فاوحى اليه بما شاء واوحى اليه خمسين
صلوة وذكر حديث الاسراء وعن محمد بن كعب هو محمد صلى الله تعالى
عليه وسلم دنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم من ربه فكان قاب قوسين
قال وقال جعفر بن محمد والدنو من الله لا حد له ومن العباد بالحدود
وقال ايضا انقطعت الكيفية عن الدنو الا ترى كيف حجب جبريل
عليه السلام عن دنوه ودنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الى ما اودع قلبه
من المعرفة والايمان فتدلى بسكون قلبه الى ما ادناه وزال عن قلبه
الشك والارتياب قال القاضي ابو الفضل المصنف رحمه الله تعالى
عنه اعلم ان ما وقع من اضافة الدنو والقرب هنا من الله تعالى او الى الله
تعالى فليس بدنو مكان ولا قرب مدى بل كما ذكرنا عن جعفر الصادق ليس
بدنو حد وانما دنو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من ربه عز وجل وقربه
منه ابانة عظيم منزلته وتشريف رتبته واشراق انوار معرفته
ومشاهدة اسرار غيبه وقدرته ومن الله تعالى له مبرة وتانيس و
بسط واكرام ويتأول في قوله ينزل ربنا الى السماء الدنيا على احد الوجوه
نزول افضال واجمال وقبول واحسان قال الواسطي من توهم
انه بنفسه دنا جعل ثم مسافة بل كل ما دنا بنفسه من الحق تدلى بعدا
يعني عن درك حقيقته اذ لا دنو للحق ولا بعد وقوله تعالى قاب قوسين

او ادنى

او ادنى فان جعل الضمير عائدا الى الله تعالى لا الى جبريل عليه السلام على هذا
كان عبارة عن نهاية القرب ولطف المحل واتضاح المعرفة والاشراف
على الحقيقة من محمد صلى الله تعالى وعبارة عن اجابة الرغبة وقضاء
المطالب واظهار التحفي وانافة المنزلة والمرتبة من الله تعالى له و
يتأول في قوله من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ومن اتاني
يمشي اتيته هرولة قرب بالاجابة والقبول واتيان بالاحسان و
تعجيل المامول فصل في ذكر تفضيله في القيمة بخصوص الكرامة حدثنا
القاضي ابو علي حدثنا ابو الفضل وابو الحسين حدثنا ابو يعلى حدثنا
السنجي حدثنا ابن محبوب حدثنا الترمذي حدثنا الحسين بن يزيد
الكوفي حدثنا عبد السلام بن حرب عن ليث عن الربيع بن انس
عن انس رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا خطيبهم اذا وفدوا وانا مبشرهم
اذا ايسوا لواء الحمد بيدي وانا اكرم ولد آدم على ربي ولا فخر وفي
رواية ابن زحر عن الربيع عن انس رضي الله تعالى عنه في لفظ هذا
الحديث انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا قائدهم اذا وفدوا
وانا خطيبهم اذا انصتوا وانا شفيعهم اذا حبسوا وانا مبشرهم
اذا ابلسوا لواء الكرم بيدي وانا اكرم ولد آدم على ربي ولا فخر
ويطوف علي الف خادم كانهم لؤلؤ مكنون وعن ابي هريرة رضي الله
تعالى عنه واكسى حلة من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش ليس احد
من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري وعن ابي سعيد رضي الله تعالى
عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انا سيد الناس يوم

القيمة وبيدى لواء الحمد ولا فخر ومامن نبى يومئذ آدم فمن سواه الا
تحت لوائى وانا اول من ينشق عنه الارض ولا فخر وعن ابى هريرة رضى
الله تعالى عنه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انا سيد ولد آدم يوم القيمة
واول من ينشق عنه القبر واول شافع واول مشفع وعن ابن عباس
رضى الله تعالى عنهما انا حامل لواء الحمد يوم القيمة ولا فخر وانا اول شافع
واول مشفع ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح لى فادخلها
مع فقراء المؤمنين ولا فخر وانا اكرم الاولين والاخرين ولا فخر وعن
انس رضى الله تعالى عنه انا اول الناس يشفع فى الجنة وانا اكثر الناس
تبعا وعن انس رضى الله تعالى عنه قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
انا سيد ولد آدم يوم القيمة وتدرون لم ذلك يجمع الله الناس
وذكر حديث الشفاعة وعن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه انه عليه
الصلوة والسلام قال اطمع ان اكون اعظم الانبياء اجرا يوم القيمة وفى
حديث آخر اما ترضون ان يكون ابراهيم وعيسى عليهما السلام فيكم يوم
القيمة ثم قال انهما فى امتى يوم القيمة اما ابراهيم عليه السلام فيقول انت
دعوتى وذريتى فاجعلنى من امتك واما عيسى عليه السلام فالانبياء
عليهم السلام اخوة بنو علات امهاتهم شتى وان عيسى اخى ليس بينى
وبينه نبى وانا اولى الناس به قوله صلى الله تعالى عليه وسلم انا سيد
الناس يوم القيمة هو سيدهم فى الدنيا ويوم القيمة ولكن اشار صلى الله
تعالى عليه وسلم لانفراده فيه بالسودد والشفاعة دون غيره اذ لجأ
اليه الناس فى ذلك فلم يجدوا سواه والسيد هو الذى يلجأ الناس
اليه فى حوائجهم وكان حينئذ سيدا منفردا من بين البشر لم يزاحمه

احد فى ذلك ولا ادعاه كما قال الله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار
والملك له تعالى فى الدنيا والآخرة لكن فى الآخرة انقطع دعوى المدعين
لذلك فى الدنيا وكذلك لجاء الى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم جميع الناس
فى الشفاعة فكان سيدهم فى الآخرة دون دعوى وعن انس رضى الله
عنه قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اتى باب الجنة يوم القيمة
فاستفتح فيقول الخازن من انت فاقول محمد فيقول بك امرت لا افتح
لاحد قبلك وعن عبد الله بن عمرو رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم حوضى مسيرة شهر وزواياه سواء وماؤه
ابيض من اللبن وريحه اطيب من المسك كيزانه كنجوم السماء من شرب
منه لم يظمأ ابدا وعن ابى ذر رضى الله تعالى عنه نحوه وقال طوله
ما بين عمان الى ايلة يشخب فيه ميزابان من الجنة وعن ثوبان رضى
الله تعالى عنه مثله وقال احدهما من ذهب والآخر من ورق وفى رواية
حارثة بن وهب رضى الله تعالى عنه كما بين المدينة وصنعاء وقال انس
رضى الله تعالى عنه ايلة وصنعاء وقال ابن عمر كما بين الكوفة والحجر الاسود
وروى حديث الحوض ايضا انس وجابر بن سمرة وابن عمر وعقبة
بن عامر وحارثة بن وهب الخزاعى والمستورد وابو برزة الاسلمى
وحذيفة بن اليمان وابو امامة وزيد بن ارقم وابن مسعود وعبد الله
بن زيد وسهل بن سعد وسويد بن جبلة وابو سعيد الخدرى وابو بكر
وعمر بن الخطاب وابن بريدة وعبد الله الصنابحى وابو هريرة والبراء
وجندب وعائشة واسماء بنتا ابى بكر وابو بكرة وخولة بنت قيس
وغيرهم رضى الله تعالى عنهم فصل فى تفضيله بالمحبة والخلة جاءت بذلك

الآثار الصحيحة واختص صلى الله تعالى عليه وسلم على السنة المسلمين بحبيب
الله تعالى اخبرنا ابو القاسم بن ابراهيم الخطيب وغيره عن كريمة بنت احمد حدثنا
ابو الهيثم حدثنا حسين بن محمد الحافظ سماعا عليه حدثنا القاضي ابو الوليد
حدثنا عبد بن احمد حدثنا الهيثم حدثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف
حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا ابو عامر حدثنا
فليح حدثنا ابو النضر عن بسر بن سعيد عن ابي سعيد عن النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم انه قال لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت ابا
بكر وفي حديث آخر وان صاحبكم خليل الله ومن طريق عبد الله بن
مسعود رضي الله تعالى عنه وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا وعن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما قال جلس ناس من اصحاب رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم ينتظرونه قال فخرج حتى اذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون
فسمع حديثهم فقال بعضهم عجبا ان الله قد اتخذ ابراهيم من خلقه خليلا
وقال آخر ماذا باعجب من كلام موسى كلمه الله تعالى تكليما وقال
آخر فعيسى كلمة الله تعالى وروحه وقال آخر آدم اصطفاه الله
فخرج عليهم فسلم وقال قد سمعت كلامكم وعجبكم ان الله اتخذ ابراهيم
خليلا وهو كذلك وموسى نجي الله وهو كذلك وعيسى روح الله
وهو كذلك وآدم اصطفاه الله وهو كذلك الا وانا حبيب الله ولا فخر
وانا حامل لواء الحمد يوم القيمة ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع
ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعي
فقراء المؤمنين ولا فخر وانا اكرم الاولين والآخرين ولا فخر وفي حديث
ابي هريرة رضي الله تعالى عنه من قول الله تعالى لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم

اني اتخذتك خليلا فهو مكتوب في التورية محمد حبيب الرحمن فصل
قال القاضي ابو الفضل رحمه الله تعالى اختلف في تفسير الخلة واصل
اشتقاقها فقيل الخليل المنقطع الى الله تعالى الذي ليس له في انقطاعه
الى الله ومحبته له اختلال وقيل الخليل المختص واختار هذا القول غير
واحد وقال بعضهم اصل الخلة الاستصفاء وسمي ابراهيم عليه السلام
خليل الله لانه يوالي فيه ويعادي فيه وخلة الله له نصره وجعله اماما
لمن بعده وقيل الخليل اصله الفقير المحتاج المنقطع مأخوذ من الخلة
وهي الحاجة فسمي بها ابراهيم عليه السلام لانه قصر حاجته على ربه وانقطع
اليه بهمته ولم يجعله قبل غيره اذ جاءه جبريل عليه السلام وهو في المنجنيق
ليرمى في النار الك حاجة قال اما اليك وقال ابو بكر بن فورك
الخلة صفاء المودة التي توجب الاختصاص بتخلل الاسرار وقال
بعضهم اصل الخلة المحبة ومعناها الاسعاف والالطاف والترفيع
والتشفيع وقد بين ذلك تعالى في كتابه بقوله يقول له تعالى وقالت اليهود
والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم فاوجب
للمحبوب ان لا يؤاخذ بذنوبه قال هذا والخلة اقوى من البنوة لان
البنوة قد يكون فيها العداوة كما قال تعالى ان من ازواجكم واولادكم
عدوا لكم ولا يصح ان تكون عداوة مع خلة فاذا تسمية ابراهيم و
محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بالخلة اما بانقطاعهما الى الله تعالى ووقف
حوائجهما عليه والانقطاع عمن دونه والاضراب عن الوسائط
والاسباب او لزيادة الاختصاص منه تعالى لهما وخفي الطافه عندهما
وما خالل بواطنهما من اسرار الهيبة ومكنون غيوبه ومعرفته والان

لهما واستصفاء قلوبهما عمن سواه حتى لم يبق لهما حب لغيره ولهذا قال
بعضهم الخليل من لا يتسع قلبه لسواه وهو عندهم معنى قوله عليه الصلوة
والسلام ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا لكن اخوة الاسلام
واختلف العلماء وارباب القلوب ايهما ارفع او درجة الخلة المحبة
فجعلهما بعضهم سواء فلا يكون الحبيب الا خليلا ولا الخليل الا حبيبا
لكنه خص ابراهيم بالخلة ومحمدا صلى الله تعالى عليه وسلم بالمحبة وبعضهم
قال درجة الخلة ارفع واحتج بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لو كنت
متخذا خليلا غير ربي ولم يتخذه وقد اطلق المحبة عليه السلام لفاطمة وابنيها
واسامة وغيرهم واكثرهم جعل المحبة ارفع من الخلة لان درجة الحبيب
نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ارفع من درجة ابراهيم الخليل عليه السلام
فاصل المحبة الميل الى ما يوافق المحب ولكن هذا الى حق من يصح الميل
منه والانتفاع بالوفق وهي درجة المخلوق فاما الخالق جل جلاله
فمنزه عن الاعراض فمحبته لعبده تمكينه من سعادته وعصمته وتوفيقه
وتهيئة اسباب القرب وافاضة رحمته عليه وقصواها كشف الحجب عن قلبه
حتى يراه بقلبه وينظر اليه ببصيرته فيكون كما قال في الحديث فاذا
احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي
ينطق به فلا ينبغي ان يفهم من هذا سوى التجرد لله تعالى والانقطاع
الى الله تعالى والاعراض عن غير الله تعالى وصفاء القلب لله تعالى واخلاص
الحركات لله تعالى كما قالت عائشة رضي الله تعالى عنها كان خلقه القرآن
برضاه يرضى وبسخطه يسخط ومن هذا عبر بعضهم عن الخلة بقوله قد
تخللت مسلك الروح مني وبذا سمي الخليل خليلا فاذا ما نطقت كنت

حدثني

حديثي واذا ما سكت كنت الغليلا فاذا مزية الخلة وخصوصية المحبة حاصلة
لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم بما دلت عليه الآثار الصحيحة المنتشرة
المتلقاة بالقبول من الامة وكفى بقوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله
الاية حكى اهل التفسير ان هذه الاية لما نزلت قال الكفار انما يريد
محمد ان نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى عيسى عليه السلام فانزل الله تعالى
غيظا لهم ورغما على مقالتهم هذه الاية قل اطيعوا الله والرسول فزاده
صلى الله تعالى عليه وسلم شرفا بامرهم بطاعته وقرنها بطاعته ثم
توعدهم على التولي عنه بقوله تعالى فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين
وقد نقل الامام ابو بكر بن فورك عن بعض المتكلمين كلاما في الفرق
بين المحبة والخلة يطول جملة اشاراته الى تفضيل مقام المحبة على
الخلة ونحن نذكر منه طرفا يهدي الى ما بعده فمن ذلك قولهم الخليل
يصل بالواسطة من قوله وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض
والحبيب يصل الحبيب به من قوله تعالى فكان قاب قوسين او ادنى و
قيل الخليل الذي تكون مغفرته في حد الطمع من قوله تعالى والذي اطمع
ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين والحبيب الذي مغفرته في حد اليقين من
قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك الاية والخليل قال ولا تخزني
والحبيب قيل له يوم لا يخزي الله النبي فابتدئ بالبشارة قبل السؤال
والخليل قال في المحنة حسبي الله والحبيب قيل له يا ايها النبي حسبك الله
والخليل قال واجعل لي لسان صدق والحبيب قيل له ورفعنا لك ذكرك
اعطي بلا سؤال والخليل قال واجنبني وبني ان نعبد الاصنام و
الحبيب قيل له انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت وفيما ذكرناه

تنبيه على مقصد اصحاب هذا المقال من تفضيل المقامات والاحوال
وكل يعمل على شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا فصل في تفضيله
بالشفاعة والمقام المحمود قال الله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا
حدثنا الشيخ ابو على الغساني الجياني فيما كتبه الى بخطه حدثنا
سراج بن عبد الله القاضي حدثنا ابو محمد الاصيلي حدثنا ابو زيد وابو
احمد قالا حدثنا محمد بن يوسف قال حدثنا محمد بن اسمعيل قال حدثنا
اسمعيل بن ابان حدثنا ابو الاحوص عن ادم بن على قال سمعت ابن
عمر يقول ان الناس يصيرون يوم القيمة جثى كل امة تتبع نبيها يقولون
يا فلان اشفع لنا حتى تنتهى الشفاعة الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود وعن ابي هريرة رضى الله تعالى عنه
سئل عنها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يعنى قوله تعالى عسى ان
يبعثك ربك مقاما محمودا فقال هي الشفاعة وروى كعب بن مالك
عنه صلى الله تعالى عليه وسلم يحشر الناس يوم القيمة فاكون انا وامتى
على تل ويكسونى ربى حلة خضراء ثم يؤذن لى فاقول ما شاء الله ان
اقول فذلك المقام المحمود وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنه وذكر حديث
الشفاعة قال فيمشى حتى ياخذ بحلقة الجنة فيومئذ يبعثه الله المقام
المحمود الذى وعده وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم انه قيامه عن يمين العرش مقاما لا يقومه غيره
يغبطه فيه الاولون والاخرون ونحوه عن كعب والحسن رضى الله
تعالى عنهما وفي رواية هو المقام الذى اشفع لامتى فيه وعن ابن مسعود
رضى الله تعالى عنه قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انى لقائمة

المقام المحمود قيل وما هو قال ذلك يوم ينزل الله تبارك وتعالى على
كرسيه الحديث وعن ابي موسى رضى الله تعالى عنه عنه صلى الله تعالى
عليه وسلم خيرت بين ان يدخل نصف امتى الجنة وبين الشفاعة فاخترت
الشفاعة لانها اعم اترونها للمتقين ولكنها للمذنبين الخطائين وعن
ابي هريرة رضى الله تعالى عنه قلت يا رسول الله ماذا ورد عليك في الشفاعة
فقال شفاعتى لمن شهد ان لا اله الا الله مخلصا يصدق لسانه قلبه وعن
ام حبيبة رضى الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم اريت ما تلقى امتى من بعدى وسفك بعضهم دماء بعض وسبق
لهم من الله ما سبق للامم قبلهم فسالت الله تعالى ان يوتينى شفاعة يوم
القيمة فيهم ففعل وقال حذيفة رضى الله تعالى عنه يجمع الله الناس
في صعيد واحد حيث يسمعهم الداعى وينفذهم البصر حفاة عراة
كما خلقوا سكوتا لا تكلم نفس الا باذنه فينادى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك والشر ليس اليك والمهدى
من هديت وعبدك بين يديك ولك واليك لا ملجا ولا منجى منك
الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت قال فذلك المقام
المحمود الذى ذكره الله تعالى وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما اذا
دخل اهل النار النار والجنة الجنة فتبقى اخر زمرة من النار فيقول
زمرة النار لزمرة الجنة ما نفعكم ايمانكم فيدعون ربهم ويضجون
فيسمعهم اهل الجنة فيسالون ادم وغيره بعده عليهم السلام في الشفاعة
لهم فكل يعتذر حتى ياتوا محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم فيشفع لهم
فذلك المقام المحمود ونحوه عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه ايضا

ومجاهداً رضي الله تعالى عنه وذكره علي بن الحسين رضي الله تعالى عنهما
عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقال جابر بن عبد الله رضي الله تعالى
عنه ليزيد الفقير سمعت بمقام محمد صلى الله تعالى عليه وسلم يعني الذي
يبعثه الله تعالى فيه قال قلت نعم قال فانه مقام محمد عليه الصلوة والسلام
المحمود الذي يخرج الله به من يخرج يعني من النار وذكر حديث الشفاعة
في اخراج الجهنميين وعن انس رضي الله تعالى عنه نحوه وقال فهذا المقام
المحمود الذي وعده وعن سلمان رضي الله تعالى عنه المقام المحمود هو
الشفاعة من امته يوم القيمة ومثله عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه
وقال قتادة رحمه الله تعالى كان اهل العلم يرون ان المقام المحمود شفاعته
يوم القيمة وعلى ان المقام المحمود هو مقامه عليه الصلوة والسلام
للشفاعة مذاهب السلف من الصحابة والتابعين وعامة ائمة المسلمين
وبذلك جاءت مفسرة في صحيح البخاري الاخبار عنه عليه الصلوة
والسلام وجاءت مقالة في تفسيرها شاذة عن بعض السلف يجب
ان لا تثبت اذ لم يعضدها صحيح اثر ولا سند نظر ولو صحت لكان لها
تاويل غير مستنكر لكن ما فسره النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في صحاح الآثار
يرده فلا تلتفت اليه مع انه لم يات في كتاب ولا سنة ولا اتفقت
على المقالة بها امة وفي اطلاق ظاهره منكر من القول وشنعه وفي
رواية انس وابي هريرة وغيرهما رضي الله تعالى عنهم دخل حديث بعضهم
في حديث بعض قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يجمع الله الاولين
والاخرين يوم القيمة فيهتمون او قال فيلهمون لو استشفعنا الى ربنا
ومن طريق عنه ماج الناس بعضهم في بعض وعن ابي هريرة رضي الله تعالى

عنه وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقولون
الا تنظرون من يشفع لكم فيأتون آدم عليه السلام فيقولون زاد بعضهم انت
آدم ابو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه واسكنك جنته
واسجد لك ملائكته وعلمك اسماء كل شيء اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا
من مكاننا الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب
قبله مثله ونهاني عن الشجرة فعصيت نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا
الى نوح فيأتون نوحا فيقولون انت اول الرسل الى اهل الارض وسماك
الله عبدا شكورا الا ترى ما نحن فيه الا ترى ما بلغنا الا تشفع لنا الى
ربك فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب
بعده مثله نفسي نفسي قال في رواية انس رضي الله تعالى عنه ويذكر
خطيئته التي اصاب سؤال ربه بغير علم وفي رواية ابي هريرة رضي
الله تعالى عنه وقد كانت لي دعوة دعوتها على قومي اذهبوا الى ابراهيم فانه
خليل الله فيأتون ابراهيم فيقولون انت نبي الله وخليله من اهل الارض
اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي قد غضب اليوم
غضبا وذكر مثله وذكر ثلاث كلمات كذبهن نفسي نفسي لست لها
ولكن عليكم بموسى فانه كليم الله وفي رواية فانه عبد آتاه الله التوراة
وكلمه وقربه نجيا قال فيأتون موسى عليه السلام فيقول لست لها ويذكر
خطيئته التي اصاب وقتله النفس نفسي نفسي ولكن عليكم بعيسى
فانه روح الله وكلمته فيأتون عيسى عليه السلام فيقول لست لها ولكن
عليكم بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم فانه عبد غفر الله له ما تقدم وما
تأخر فاوتى فاقول انا لها فانطلق فاستأذن على ربي فيؤذن لي فاذا

ربه وتحت له ساجداً وفي رواية فأتي تحت العرش فاخر ساجداً وفي
رواية فاقوم بين يديه فاحمده بمحامد لا اقدر الان عليها الا ان يلهمنيها
الله تعالى وفي رواية فيفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً
لم يفتحه على احد قبلي قال في رواية ابي هريرة رضي الله تعالى عنه فيقال
يا محمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع فارفع رأسي فاقول يا رب
امتي فيقول ادخل من امتك من لا حساب عليه من الباب الايمن
من ابواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب ولم يذكر
في رواية انس رضي الله تعالى عنه هذا الفصل وفي رواية وقال مكانه
ثم اخر ساجداً فيقال لي يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك واشفع تشفع
وسل تعطه فاقول يا رب امتي امتي فيقال انطلق فمن كان في قلبه
مثقال حبة من برة او شعيرة من ايمان فاخرجه فانطلق فافعل
ثم ارجع الى ربي فاحمده بتلك المحامد وذكر مثل الاول وقال فيه
مثقال حبة من خردل قال فافعل ثم ارجع وذكر مثل ما تقدم وقال
فيه من كان في قلبه ادنى ادنى ادنى من مثقال حبة من خردل
فافعل وذكر في المرة الرابعة فيقال لي ارفع رأسك وقل يسمع
واشفع تشفع وسل تعطه فاقول يا رب ائذن لي فيمن قال لا اله الا الله
قال ليس ذلك اليك ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي وجبريائي لاخرجن
من النار من قال لا اله الا الله ومن رواية قتادة رضي الله تعالى عنه
قال فلا ادري في الثالثة او الرابعة فاقول يا رب ما بقي في النار
الا من حبسه القرآن اي وجب عليه الخلود وعن ابي بكر وعقبة بن
عامر وابي سعيد وحذيفة رضي الله تعالى عنهم مثله قال فيأتون محمداً

صلى الله تعالى عليه وسلم فيؤذن له ويأتي الامانة والرحم فتقومان
جنبتي الصراط وذكر في رواية ابي مالك عن حذيفة رضي الله تعالى عنه فيأتون
محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم فيشفع ويضرب الصراط فيمرون اولهم كالبرق
ثم كالريح والطير وشد الرجال ونبيكم صلى الله تعالى عليه وسلم على الصراط
يقول اللهم سلم سلم حتى يجتاز الناس وذكر اخرهم جوازاً الحديث
وفي رواية ابي هريرة رضي الله تعالى عنه فاكون من يجيز يومئذ وعن
ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عنه عليه السلام يوضع للانبياء عليهم السلام
منابر يجلسون عليها ويبقى منبري لا اجلس عليه قائماً بين يدي ربي
عز وجل منتصباً فيقول الله تبارك وتعالى ما تريد ان اصنع بامتك
فاقول يا رب عجل حسابهم فيدعى بهم فيحاسبون فمنهم من يدخل الجنة
برحمته ومنهم من يدخلها بالشفاعة ولا ازال اشفع حتى اعطى
صكاكاً برجال قد امر بهم الى النار حتى ان خازن النار ليقول يا محمد
ما تركت لغضب ربك في امتك من نقمة ومن طريق زياد النميري
عن انس رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال
انا اول من تنفلق الارض عن جمجمته ولا فخر وانا سيد الناس يوم القيمة
ولا فخر ومعي لواء الحمد يوم القيمة وانا اول من تفتح له الجنة ولا فخر
فاتي فآخذ بحلقة الجنة فيقال من هذا فاقول محمد فيفتح لي فيستقبلني
الجبار سبحانه وتعالى فاخر له ساجداً وذكر نحو ما تقدم ومن رواية انس
رضي الله تعالى عنه سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول
لاشفعن يوم القيمة لاكثر مما في الارض من شجر وحجر فقد اجتمع من
اختلاف الفاظ هذه الاثار ان شفاعته عليه الصلوة والسلام ومقامه

المحمود من اول الشفاعات الى آخرها من حين مجتمع الناس للحشر وضيق
الحناجر وبلغ منهم العرق والشمس والوقوف مبلغه وذلك قبل
الحساب فيشفع حينئذ لاراحة الناس من الموقف ثم يوضع الصراط
ويحاسب كما جاء في الحديث عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه وحذيفة
رضي الله تعالى عنه وهذا الحديث اتقن فيشفع في تعجيل من لا حساب
عليه من امته الى الجنة كما تقدم في الحديث ثم يشفع فيمن وجب عليه
العذاب ودخل النار منهم حسبما تقتضيه الاحاديث الصحيحة ثم
فيمن قال لا اله الا الله وليس هذا لسواه صلى الله تعالى عليه وسلم
وفي الحديث المنتشر الصحيح لكل نبي دعوة يدعو بها واختبأت
دعوتي شفاعة لامتي يوم القيمة قال اهل العلم معناه دعوة اعلم
انها يستجاب لهم ويبلغ فيها مرغوبهم والا فكم لكل نبي منهم من دعوة
مستجابة ولنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم منها ما لا يعد لكن حالهم
عند الدعاء بها بين الرجاء والخوف وضمنت لهم اجابة دعوة فيما شاؤ
يدعون بها على يقين من الاجابة وقد قال محمد بن زياد وابو صالح
عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه في هذا الحديث لكل نبي دعوة دعا بها
في امته فاستجيب له وانا اريد ان اؤخر دعوتي شفاعة لامتي
يوم القيمة وفي رواية ابي صالح لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي
دعوته ونحوه في رواية ابي زرعة عن ابي هريرة وعن انس مثل
رواية ابن زياد عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنهم فتكون هذه الدعوة
المذكورة مخصوصة بالامة مضمونة الاجابة والا فقد اخبر صلى
الله تعالى عليه وسلم انه سال لامته اشياء من امور الدين والدنيا

اعطى

اعطى بعضها ومنع بعضها وادخر لهم هذه الدعوة ليوم الفاقة وخاتمة
المحن وعظيم السؤل والرغبة جزاه الله تعالى احسن ما جزى نبيا عن
امته وصلى الله تعالى عليه وسلم كثيرا فصل في تفضيله في الجنة
بالوسيلة والدرجة الرفيعة والكوثر والفضيلة حدثنا القاضي
ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي والفقيه ابو الوليد هشام بن احمد
بقراءتي عليهما قالا حدثنا ابو علي الغساني حدثنا النمري حدثنا ابن عبد
المؤمن حدثنا ابو بكر التمار حدثنا ابو داود حدثنا محمد بن سلمة حدثنا
ابن وهب عن ابن لهيعة وحيوة وسعيد بن ابي ايوب عن كعب بن
علقمة عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله
تعالى عنهم انه سمع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول اذا سمعتم المؤذن
فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فانه من صلى علي مرة صلى الله تعالى
عليه عشرا ثم سلوا الله تعالى لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة
لا تنبغي الا لعبد من عباد الله تعالى وارجو ان اكون انا هو فمن سال الله تعالى
لي الوسيلة اعلى درجة في الجنة وعن انس رضي الله تعالى عنه قال
قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بينا انا اسير في الجنة اذ عرض لي
نهر حافتاه قباب اللؤلؤ قلت لجبريل ما هذا الكوثر الذي اعطاكه
الله تعالى قال النبي عليه السلام ثم ضرب بيده الى طينته فاستخرج مسكا
وعن عائشة وعبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهم مثله قال ومجراه
على الدر والياقوت وماؤه احلى من العسل وابيض من الثلج وفي رواية
عنه فاذا هو يجري ولم يشق شقا عليه حوض ترد عليه امتي وذكر
حديث الحوض ونحوه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ايضا قال الكوثر

حلت عليه الشفاعة وفي رواية اخرى عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه الوسيلة صح

قال هذا صح

الخير الذى اعطاه الله تعالى اياه وقال سعيد بن جبير والنهر الذى
فى الجنة من الخير الذى اعطاه الله تعالى وعن حذيفة رضى الله
تعالى فيما ذكر عليه الصلوة والسلام عن ربه تعالى واعطانى الكوثر نهر فى الجنة
يسيل فى حوضى وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى قوله تعالى
ولسوف يعطيك ربك فترضى قال الف قصر من لؤلؤ ترابهن المسك
وفيه ما يصلحهن وفى رواية اخرى وفيه ما ينبغى له من الازواج
والخدم فصل فان قلت اذا تقرر من دليل القران وصحيح الاثر واجماع
الامة كونه صلى الله تعالى عليه وسلم اكرم البشر وافضل الانبياء
عليهم السلام فما معنى الاحاديث الواردة بنهيه صلى الله تعالى عليه
وسلم عن التفضيل كقوله فيما حدثناه الاسدى قال حدثنا السمرقندى
حدثنا الفارسى حدثنا الجلودى حدثنا ابن سفين حدثنا مسلم حدثنا
ابن مثنى حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن قتادة رضى الله تعالى
عنه رضى الله تعالى عنه سمعت ابا العالية يقول حدثنى ابن عم نبيكم صلى
الله تعالى عليه وسلم يعنى ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عن النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم قال ما ينبغى لعبد ان يقول انا خير من يونس بن متى وفى
غير هذا الطريق عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال يعنى ما ينبغى لعبد
الحديث وفى حديث ابى هريرة رضى الله تعالى عنه فى اليهودى الذى
قال والذى اصطفى موسى على البشر فلطمه رجل من الانصار وقال له
تقول ذلك ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بين اظهرنا فبلغ
ذلك النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال لا تفضلوا بين الانبياء وفى
رواية لا تخيرونى على موسى فذكر الحديث وفيه ولا اقول ان احدا

افضل من يونس بن متى وعن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ومن قال انا خير
من يونس بن متى فقد كذب وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه لا يقولن
احدكم انا خير من يونس بن متى وفى حديثه الاخر فجاءه رجل فقال يا خير
البرية فقال ذاك ابرهيم عليه السلام فاعلم ان العلماء فى هذه الاحاديث
تاويلات احدها ان نهيه عليه السلام عن التفضيل كان قبل ان يعلم انه
سيد ولد ادم فنهى عن التفضيل اذ يحتاج الى توقيف وان من فضل
بلا علم فقد كذب وكذلك قوله عليه الصلوة والسلام لا اقول ان احدا
افضل منه لا يقتضى تفضيله هو وانما هو فى ظاهر كف عن التفضيل
الوجه الثانى انه قال صلى الله تعالى عليه وسلم على طريق التواضع ونفى
التكبر والعجب وهذا لا يسلم من الاعتراض الوجه الثالث ان لا يفضل
بينهم تفضيلا يؤدى الى تنقص بعضهم او الغض منه لا سيما فى جهة يونس
عليه السلام اذ اخبر الله تعالى عنه بما اخبر لئلا يقع فى نفس من لا يعلم منه
بذلك غضاضة وانحطاط من رتبته الرفيعة اذ قال تعالى اذ ابق الى
الفلك المشحون فظن ان لن نقدر عليه فربما يخيل لمن لا علم عنده
بذلك الوجه الرابع منع التفضيل فى حق النبوة والرسالة فان الانبياء
صلوات الله تعالى عليهم فيها على حد واحد اذ هى شىء واحد لا تتفاضل
وانما التفاضل فى زيادة الاحوال والخصوص والكرامات والرتب
والالطاف واما النبوة فى نفسها فلا تتفاضل وانما التفاضل بامور
اخر زائدة عليها ولذلك منهم رسل ومنهم اولو عزم من الرسل و
منهم من رفع مكانا عليا ومنهم من اوتى الحكم صبيا واوتى بعضهم
الزبر وبعضهم البينات ومنهم من كلم الله تعالى ورفع بعضهم درجات

قال الله تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض الاية وقال الله تعالى تلك
الرسل فضلنا بعضهم على بعض الاية قال بعض اهل العلم والتفضيل المراد
لهم هنا في الدنيا وذلك بثلاثة احوال ان تكون اياته ومعجزاته اظهر واشهر
او تكون امته ازكى واكثر او يكون في ذاته افضل واظهر وفضله في ذاته
راجع الى ما خصه الله تعالى به من كرامته واختصاصه من كلام او خلة
او رؤية او ما شاء الله تعالى من الطافه وتحف ولايته واختصاصه
وقد روي ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان للنبوة اثقالا وان
يونس تفسخ منها تفسخ الربع فحفظ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
موضع الفتنة من اوهام من يسبق اليه بسببها جرح في نبوته او قدح
في اصطفائه وحط من رتبته ووهن في عصمته شفقة منه صلى
الله تعالى عليه وسلم على امته وقد يتوجه على هذا الترتيب وجه خامس
وهو ان يكون انا راجعا الى القائل نفسه اي لا يظن احد وان بلغ من الزكاء
العصمة والطهارة ما بلغ انه خير من يونس لاجل ما حكى الله تعالى عنه فان
درجة النبوة افضل واعلى وان تلك الاقدار لم تحطه عنها حبة خردل
ولا ادنى وسنزيد في القسم الثالث في هذا بيانا ان شاء الله تعالى فقد
بان لك الغرض وسقط بما حررناه شبهة المعترض فصل في اسمائه
صلى الله تعالى عليه وسلم وما تضمنته من فضيلته حدثنا ابو عمران موسى
بن ابي تليد الفقيه قال حدثنا ابو عمر الحافظ حدثنا سعيد بن نصر
حدثنا القاسم بن اصبغ حدثنا محمد بن وضاح حدثنا يحيى حدثنا مالك
عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم عن ابيه رضي الله تعالى عنهم قال
قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لي خمسة اسماء انا محمد وانا احمد

وانا الماحي

وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي
وانا العاقب وقد سماه الله عز وجل في كتابه محمدا واحمد فمن خصائصه
تعالى له ان ضمن اسماءه ثناءه فطوى اثناءه ذكر عظيم شكره فاما
اسمه احمد فافعل مبالغة من صفة الحمد ومحمد مفعل مبالغة من كثرة الحمد
فهو صلى الله تعالى عليه وسلم اجل من حمد وافضل من حمد واكثر الناس
حمدا فهو احمد المحمودين واحمد الحامدين ومعه لواء الحمد يوم القيمة ليتم له
كمال الحمد ويشتهر في تلك العرصات بصفة الحمد ويبعثه ربه هناك
مقاما محمودا كما وعده يحمده الاولون والاخرون بشفاعته لهم ويفتح
عليه فيه من المحامد كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم ما لم يعط غيره
وسمى امته في كتب انبيائه عليهم السلام بالحمادين فحقيق ان يسمى
محمدا واحمد ثم في هذين الاسمين من عجائب خصائصه وبدائع اياته
فن اخر هو ان الله تعالى حمى ان يسمى بهما احد قبل زمانه اما احمد
الذي اتى في الكتب وبشرت به الانبياء عليهم السلام فمنع الله تعالى
بحكمته ان يسمى به احد غيره ولا يدعى به مدعو قبله حتى لا يدخل لبس على
ضعيف القلب او شك وكذلك محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ايضا لم يسم به
احد من العرب ولا غيرهم الى ان شاع قبيل وجوده عليه الصلوة والسلام
وميلاده ان نبيا يبعث اسمه محمد فسمى قوم قليل من العرب ابناءهم بذلك
رجاء ان يكون احدهم هو والله اعلم حيث يجعل رسالته وهم محمد بن احيحة
بن الجلاح الاوسي ومحمد بن مسلمة الانصاري ومحمد بن براء البكري
ومحمد بن سفيان بن مجاشع ومحمد بن حمران الجعفي ومحمد بن خزاعي السلمي لا سابع لهم
ويقال ان اول من سمي محمد محمد بن سفيان واليمن تقول بل محمد بن اليحمد

من الارد ثم حمى الله تعالى كل من تسمى به ان يدعي النبوة او يدعيها له احد
او يظهر عليه سبب يشكك احدا في امره حتى تحققت السمتان له صلى
الله تعالى عليه وسلم ولم ينازع فيهما واما قوله صلى الله تعالى عليه وسلم وانا
الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ففسر في الحديث ويكون محو الكفر اما من مكة و
بلاد العرب وما زوي له من الارض ووعد ان يبلغه ملك امته او يكون
المحو عاما بمعنى الظهور والغلبة كما قال الله تعالى ليظهره على الدين كله وقد
ورد تفسيره في الحديث انه الذي محيت به سيئات من اتبعه وقوله عليه
الصلوة والسلام وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي ويروى على عقبي
اي على زماني وعهدي اي ليس بعدي نبي قال تعالى وخاتم النبيين وسمي
عاقبا لانه عليه الصلوة والسلام عقب غيره من الانبياء عليهم السلام وفي الصحيح
وانا العاقب الذي ليس بعدي نبي وقيل معنى على قدمي اي يحشر الناس
بمشاهدتي كما قال الله تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم
شهيدا وقيل على قدمي على سابقتي قال الله تعالى لهم قدم صدق عند ربهم
وقيل على قدمي اي قدامي وحولي اي يجتمعون الي في القيامة وقيل على سنتي
ومعنى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لي خمسة اسماء قيل انها موجودة في
الكتب المتقدمة وعند اولي العلم من الامم السالفة وقد روي عنه
صلى الله تعالى عليه وسلم لي عشرة اسماء فذكر منها طه ويس حكاه مكي وقد قيل في بعض
تفاسير طه انه يا طاهر يا هادي وفي يس يا سيد حكاه السلمي عن
الواسطي وجعفر بن محمد وذكر غيره لي عشرة اسماء فذكر الخمسة التي
في الحديث الاول قال وانا رسول الرحمة ورسول الراحة ورسول الملاحم
وانا المقفي قفيت النبيين وانا قيم والقيم الجامع الكامل كذا وجدته ولم

اروه

اروه واري ان صوابه قثم بالثاء كما ذكرناه بعد عن الحربي وهو اشبه بالتفسير
وقد وقع ايضا في كتب الانبياء عليهم السلام قال داود عليه السلام اللهم
ابعث لنا محمدا مقيم السنة بعد الفترة فقد يكون القيم بمعناه وروى
النقاش عنه صلى الله تعالى عليه وسلم لي في القرآن سبعة اسماء محمد واحمد
ويس وطه والمدثر والمزمل وعبد الله وفي حديث ابي موسى الاشعري
انه كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يسمي لنا نفسه اسماء فيقول
انا محمد واحمد والمقفي والحاشر ونبي التوبة ونبي الملحمة ويروى المرحمة
والرحمة والراحة وكل صحيح ان شاء الله تعالى ومعنى المقفي معنى العاقب
وفي حديث عن جبير بن مطعم رضي الله تعالى عنه هي ستة محمد واحمد و
خاتم وحاشر وعاقب وماح ومعنى المقفي معنى العاقب وقيل المتبع للنبيين
واما نبي الرحمة والتوبة والمرحمة والراحة فقد قال الله تعالى وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين وكما وصفه تعالى بانه يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة
ويهديهم الى صراط مستقيم وبالمؤمنين رؤوف رحيم وقد قال في صفة
امته انها امة مرحومة وقال تعالى فيهم وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة
اي يرحم بعضهم بعضا فبعثه صلى الله تعالى عليه وسلم ربه تعالى رحمة
لامته ورحمة للعالمين ورحيما بهم ومترحما ومستغفرا لهم وجعل
امته امة مرحومة ووصفها بالرحمة وامرها عليه السلام
بالتراحم واثنى صلى الله تعالى عليه وسلم عليها فقال ان الله يحب من عباده
الرحماء ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء واما رواية نبي
الملحمة فاشارة الى ما بعث به من القتال والسيف صلى الله تعالى عليه
وسلم وهي صحيحة وروى حذيفة رضي الله تعالى عنه مثل حديث ابي موسى

رضي الله تعالى عنه وفيه ونبي الرحمة ونبي التوبة ونبي الملاحم وروى
الحربي في حديثه انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال اتاني ملك فقال لي
انت قثم اي مجتمع قال والقثوم الجامع للخير وهذا اسم هو في اهل بيته
عليه الصلوة والسلام معلوم وقيل هو مشتق من القثم وهو الاعطاء
يقال قثم له من العطاء يقثم اذا اعطاه وكان عليه الصلوة والسلام
اجود بالخير من الريح الهابة وقد جاءت من القابه عليه السلام وسماته
في القرآن عدة كثيرة سوى ما ذكرناه كالنور والسراج المنير والمنذر
والنذير والمبشر والبشير والشاهد والشهيد والحق المبين
وخاتم النبيين والرؤف الرحيم والامين وقدم الصدق ورحمة
للعالمين ونعمة الله والعروة الوثقى والصراط المستقيم والنجم
الثاقب والكريم والنبي الامي وداعي الله في اوصاف كثيرة وسمات
جليلة وجرى منها في كتب الله المتقدمة وكتب انبيائه واحاديث
رسوله واطلاق الامة جملة شافية كتسميته صلى الله تعالى عليه وسلم
بالمصطفى والمجتبى وابي القاسم والحبيب ورسول رب العالمين
والشفيع المشفع والمتقي والمصلح والطاهر والمهيمن والصادق
والمصدوق والهادي وسيد ولد آدم وسيد المرسلين وامام
المتقين وقائد الغر المحجلين وحبيب الله وخليل الرحمن وصاحب
الحوض المورود والشفاعة والمقام المحمود وصاحب الوسيلة
والفضيلة والدرجة الرفيعة وصاحب التاج والمعراج واللواء
والقضيب وراكب البراق والناقة والنجيب وصاحب الحجة والسلطان
والخاتم والعلامة والبرهان وصاحب الهراوة والنعلين ومن

اسمائه

اسمائه عليه الصلوة والسلام في الكتب السالفة ماذماذ ومعناه طيب
طيب وحمطايا والخاتم والحاتم حكاه كعب الاحبار وقال ثعلب فالخاتم
الذي ختم الانبياء والحاتم احسن الانبياء عليهم السلام خلقا وخلقا
ويسمى بالسريانية مشفح والمنحمنا واسمه عليه الصلوة والسلام ايضا في
في التورية احيد روي ذلك عن ابن سيرين ومعنى صاحب القضيب
اي السيف وقع ذلك مفسرا في الانجيل قال معه قضيب من حديد يقاتل
وامته كذلك وقد يحمل على انه القضيب الممشوق الذي كان يمسكه عليه
السلام وهو الآن عند الخلفاء واما الهراوة التي وصف بها فهي في اللغة
العصا واراها والله اعلم العصا المذكورة في الحديث الحوض اذود
الناس عنه بعصاي لاهل اليمن واما التاج فالمراد به العمامة ولم تكن
حينئذ الا للعرب والعمائم تيجان العرب والقابه واوصافه قال
القاضي ابو الفضل رحمه الله تعالى وسماته في الكتب كثيرة وفيما ذكرناه
مقنع ان شاء الله تعالى وكانت كنيته المشهورة ابا القاسم وروى
عن انس رضي الله تعالى عنه انه لما ولد ابراهيم جاءه جبريل عليه السلام
فقال السلام عليك يا ابا ابراهيم فصل في تشريف الله تعالى له بما
سماه به من اسمائه الحسنى ووصفه به من صفاته العلى قال القاضي
ابو الفضل رحمه الله تعالى ما احرى هذا الفصل بفصول الباب الاول
لانخراطه في سلك مضمونها وامتزاجه بعذب معينها لكن لم يشرح
الله الصدر للهداية الى استنباطه ولا انار الفكر لاستخراج جوهره
والتقاطه الا عند الخوض في الفصل الذي قبله فرأينا ان نضيفه
اليه ونجمع به شمله فاعلم ان الله تعالى خص كثيرا من انبيائه بكرامة

بينها خلعها عليهم من اسمائه كتسميته اسحاق واسمعيل بعليم وحليم
وابرهيم بحليم ونوحا بشكور وعيسى ويحيى ببر وموسى بكريم وقوي
ويوسف بحفيظ عليم وايوب بصابر واسمعيل بصادق الوعد كما نطق
بذلك الكتاب العزيز في مواضع ذكرهم وفضل محمدا نبينا صلى الله تعالى
عليه وسلم بان حلاه منها في كتابه العزيز وعلى السنة انبيائه بعدة
كثيرة اجتمع لنا منها جملة بعد اعمال الفكر واحضار الذكر اذ لم نجد من
جمع فوق اسمين ولا من تفرغ فيها لتاليف فصلين وحررنا منها في
هذا الفصل نحو ثلاثين اسما ولعل الله تعالى كما الهم الى ما علم منها وحققه
يتم النعمة بابانة ما لم يظهره لنا الآن ويفتح غلقه فمن اسمائه تعالى
الحميد ومعناه المحمود لانه حمد نفسه وحمده عباده ويكون ايضا بمعنى
الحامد لنفسه ولاعمال الطاعات وسمى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
محمدا واحمد فمحمد بمعنى محمود وكذا وقع اسمه في زبور داود عليه السلام
واحمد بمعنى اكبر من حمد واجل من حمد وقد اشار الى نحو هذا حسان
بقوله وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد ومن اسمائه
تعالى الرؤف الرحيم وهما بمعنى متقارب وسماه في كتابه بذلك فقال
بالمؤمنين رؤف رحيم ومن اسمائه تعالى الحق المبين ومعنى الحق الموجود
والمتحقق امره وكذلك المبين اى البين امره والهيته بان وابان
بمعنى ويكون بمعنى المبين لعباده امر دينهم ومعادهم وسمى النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم بذلك في كتابه فقال حتى جاءهم الحق ورسول مبين وقال
وقل اني انا النذير المبين وقال الله تعالى قد جاءكم الحق من ربكم وقال الله تعالى
فقد كذبوا بالحق لما جاءهم قيل محمد وقيل القرآن ومعناه هنا ضد الباطل

والمحقق

والمحقق صدقه وامره وهو بالمعنى الاول والمبين البين امره ورسالته
او المبين عن الله تعالى ما بعثه به كما قال الله تعالى لتبين للناس ما نزل اليهم
ومن اسمائه تعالى النور ومعناه ذو النور اى خالقه او هو منور السموات
والارض بالانوار ومنور قلوب المؤمنين بالهداية وسماه نورا فقال تعالى
قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين قيل محمد عليه السلام وقيل القرآن وقال فيه سراجا
منيرا سمي بذلك لوضوح امره وبيان نبوته وتنوير قلوب المؤمنين والعارفين
بما جاء به ومن اسمائه تعالى الشهيد ومعناه العالم وقيل الشاهد على عباده
يوم القيمة وسماه صلى الله تعالى عليه وسلم شهيدا وشاهدا فقال انا
ارسلناك شاهدا وقال الله تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا وهو بمعنى
الاول ومن اسمائه تعالى الكريم ومعناه الكثير الخير وقيل المفضل وقيل
العفو وقيل العلي وفي الحديث المروي في اسمائه تعالى الاكرم وسماه
صلى الله تعالى عليه وسلم كريما بقوله تعالى انه لقول رسول كريم قيل محمد
عليه السلام وقيل جبريل عليه السلام وقال عليه السلام انا اكرم ولد آدم ومعاني
الاسم صحيحة في حقه عليه السلام ومن اسمائه تعالى العظيم ومعناه الجليل الشأن
الذي كل شيء دونه ووقع في اول سفر من التورية عن اسمعيل عليه السلام
وسيلد عظيما لامة عظيمة فهو صلى الله تعالى عليه وسلم عظيم وعلى خلق
عظيم ومن اسمائه تعالى الجبار ومعناه المصلح وقيل القاهر وقيل العلي
العظيم الشأن وقيل المتكبر وسمي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في كتاب
داود عليه السلام بجبار فقال تقلد ايها الجبار سيفك فان ناموسك
وشرائعك مقرونة بهيبة يمينك ومعناه في حق النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم اما لاصلاحه الامة بالهداية والتعليم او لقهره اعداءه

او لعلو منزلته على البشر وعظيم خطره ونفى عنه في القرآن جبرية
التكبر التي لا تليق به فقال وما انت عليهم بجبار ومن اسمائه تعالى الخبير
ومعناه المطلع بكنه الشيء العالم بحقيقته وقيل معناه المخبر وقال الله
تعالى الرحمن فاسئل به خبيرا قال القاضي بكر بن العلاء امر بالسؤال
غير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والمسؤول الخبير هو النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم وقال غيره بل السائل النبي عليه الصلوة والسلام والمسؤول
هو الله تعالى فالنبي عليه الصلوة والسلام خبير بالوجهين المذكورين قيل
لانه عالم على غاية من العلم بما اعلمه الله تعالى من مكنون علمه وعظيم معرفته
مخبر لامته بما اذن له في اعلامهم به ومن اسمائه تعالى الفتاح ومعناه
الحاكم بين عباده او فاتح ابواب الرزق والرحمة والمنغلق من امورهم
او يفتح قلوبهم وبصائرهم لمعرفة الحق ويكون ايضا بمعنى الناصر كقوله
تعالى ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح اي ان تستنصروا فقد جاءكم النصر
وقيل معناه مبتدئ الفتح والنصر وسمى الله تعالى نبيه محمدا صلى الله
تعالى عليه وسلم بالفاتح في حديث الاسراء الطويل من رواية الربيع بن
انس عن ابي العالية وغيره عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنهم وفيه
من قول الله تعالى وجعلتك فاتحا وخاتما وفيه من قول النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم في ثنائه على ربه وتعديد مراتبه ورفع لي ذكري و
جعلني فاتحا وخاتما فيكون الفاتح هنا بمعنى الحاكم او الفاتح لابواب الرحمة
على امته والفاتح لبصائرهم لمعرفة الحق والايمان بالله تعالى او الناصر
للحق والمبتدي بهداية الامة او المبدأ المقدم في الانبياء والخاتم
كما قال عليه السلام كنت اول الانبياء في الخلق وآخرهم في البعث ومن

اسمائه تعالى في

اسمائه تعالى في الحديث المذكور ومعناه المثيب على العمل القليل وقيل
المثني على المطيعين ووصف بذلك نبيه نوحا عليه الصلوة والسلام فقال
تعالى انه كان عبدا شكورا وقد وصف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
نفسه بذلك فقال افلا اكون عبدا شكورا اي معترفا بنعم ربي عارفا
بقدر ذلك مثنيا عليه مجهدا نفسي في الزيادة من ذلك كقوله تعالى
لئن شكرتم لازيدنكم ومن اسمائه تعالى العليم والعلام وعالم الغيب والشهادة
ووصف نبيه صلى الله تعالى وسلم بالعلم وخصه بمزية منه فقال تعالى
وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وقال تعالى ويعلمكم
الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ومن اسمائه تعالى الاول والآخر
ومعناهما السابق للاشياء قبل وجودها والباقي بعد فنائها وتحقيقه
انه ليس له اول ولا آخر وقال صلى الله تعالى عليه وسلم كنت اول الانبياء
في الخلق وآخرهم في البعث وفسر بهذا قوله تعالى واذ اخذنا من النبيين
ميثاقهم ومنك ومن نوح فقدم محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم وقد اشار
الى نحو منه عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ومنه قوله عليه الصلوة والسلام
نحن الآخرون السابقون وقوله عليه الصلوة والسلام انا اول من تنشق
عنه الارض واول من يدخل الجنة واول شافع واول مشفع وهو صلى
الله تعالى عليه وسلم خاتم النبيين وآخر الرسل صلى الله تعالى عليه وسلم
ومن اسمائه تعالى القوي وذو القوة المتين ومعناه القادر وقد وصفه
الله تعالى بذلك فقال ذي قوة عند ذي العرش مكين قيل محمد عليه الصلوة
والسلام وقيل جبريل عليه السلام ومن اسمائه تعالى الصادق في الحديث المأثور
وورد في الحديث ايضا اسمه عليه الصلوة والسلام بالصادق والمصدوق

ومن اسمائه تعالى الولىّ والمولى ومعناهما الناصر وقد قال الله تعالى انما
وليكم الله ورسوله وقال عليه الصلوة والسلام انا ولىّ كل مؤمن وقال الله
تعالى النبىّ اولى بالمؤمنين وقال عليه الصلوة والسلام من كنت مولاه فعلىّ
مولاه ومن اسمائه تعالى العفوّ ومعناه الصفوح وقد وصف الله تعالى بهذا
نبيه محمدًا صلى الله تعالى عليه وسلم وقال الله تعالى فاعف عنهم واصفح و
قال له جبريل عليه السلام وقد سأله عن قوله خذ العفو قال ان تعفو عمن
ظلمك وقال فى التورية والانجيل فى الحديث المشهور فى صفته صلى
الله تعالى عليه وسلم ليس بفظ ولا غليظ ولكن يعفو ويصفح ومن اسمائه
تعالى الهادى وهو بمعنى توفيق الله تعالى لمن اراد من عباده وبمعنى الدلالة
والدعاء قال الله تعالى والله يدعو الى دار السلام ويهدى من يشاء الى
صراط مستقيم واصل الجميع من الميل وقيل من التقديم وقيل فى تفسير
طه يا طاهر يا هادى يعنى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقال تعالى له
وانك لتهدى الى صراط مستقيم وقال تعالى فيه وداعيًا الى الله باذنه و
سراجًا منيرًا فالله تعالى مختص بالمعنى الاول وقال تعالى انك لا تهدى من
احببت ولكن الله يهدى من يشاء وبمعنى الدلالة ينطلق على غيره تعالى
ومن اسمائه تعالى المؤمن المهيمن وقيل هما بمعنى واحد فمعنى المؤمن فى حقه
تعالى المصدق من الاصداق وعده عباده والمصدق قوله الحق والمصدق
لعباده المؤمنين ورسله وقيل الموحد نفسه وقيل المؤمن عباده فى
الدنيا من ظلمه والمؤمنين فى الاخرة من عذابه وقيل المهيمن بمعنى الامين
مصغر منه فقلبت الهمزة هاء وقد قيل ان قولهم فى الدعاء امين انه
اسم من اسماء الله تعالى ومعناه معنى المؤمن وقيل المهيمن بمعنى الشاهد

والحافظ

والحافظ والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم امين ومهيمن ومؤمن وقد سماه
الله تعالى امينًا فقال ثم امين وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يعرف بالامين
وشهر به قبل النبوة وبعدها وسماه العباس رضى الله تعالى عنه فى شعره مهيمنًا
فى قوله ثم احتوى بيتك المهيمن من خندف علياء تحتها النطق قيل المراد يا ايها
المهيمن قاله القتبى والامام ابو القاسم القشيرى وقال تعالى يؤمن بالله و
يؤمن للمؤمنين اى يصدق وقال صلى الله تعالى عليه وسلم انا امنة لاصحابى
واصحابى امنة لامتى فهذا بمعنى المؤمن ومن اسمائه تعالى القدوس ومعناه
المنزه من النقايص المطهر من سمات الحدث وسمى بيت المقدس لانه
يتطهر فيه من الذنوب ومنه الوادى المقدس وروح القدس ووقع
فى كتب الانبياء فى اسمائه عليه الصلوة والسلام المقدس اى المطهر من الذنوب
كما قال الله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر او الذى
يتطهر به من الذنوب ويتنزه باتباعه عنها كما قال تعالى ويزكيهم وقال
تعالى ويخرجهم من الظلمات الى النور او يكون مقدسًا بمعنى مطهرًا من الاخلاق
الذميمة والاوصاف الدنية ومن اسمائه تعالى العزيز ومعناه الممتنع الغالب
او الذى لا نظير له او المعز لغيره وقال تعالى ولله العزة ولرسوله اى
الامتناع وجلالة القدر فقد وصف الله تعالى نفسه بالبشارة والنذارة
وقال تعالى يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وقال تعالى ان الله يبشرك بيحيى
ويبشرك بكلمة منه وسماه الله عز وجل مبشرًا ونذيرًا اى مبشرًا لاهل
طاعته ونذيرًا لاهل معصيته ومن اسمائه تعالى فيما ذكره بعض المفسرين
طه ويس وقد ذكر بعضهم ايضًا انهما من اسماء محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
وشرف وكرم الفصل قال القاضى ابو الفضل المصنف رحمه الله تعالى

وهنا اذكر نكتة اذيل بها هذا الفصل واختم بها هذا القسم واذرع الا
بها فيما تقدم من كل ضعيف الوهم سقيم الفهم تخلصه من مهاوي التشبيه
وتزحزحه عن شبه التمويه وهو ان يعتقد ان الله تعالى جل اسمه في عظمته
وكبريائه وملكوته وحسنى اسمائه وعلى صفاته لا يشبه شيئا من مخلوقاته
ولا يشبه به وان ما جاء مما اطلقه الشرع على الخالق وعلى المخلوق
فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي اذ صفات القديم بخلاف صفات
المخلوق فكما ان ذاته تعالى لا تشبه الذوات كذلك صفاته عز وجل
لا تشبه صفات المخلوقين اذ صفاتهم لا تنفك عن الاعراض والاغراض
وهو تعالى منزه عن ذلك بل لم يزل بصفاته واسمائه وكفى في هذا قوله الحق
ليس كمثله شيء ولله در من قال من العلماء العارفين المحققين التوحيد
اثبات ذات غير مشبهة للذوات ولا معطلة للمعتزلي فانهم ينكرون
الصفات من الصفات وزاد هذه النكتة الواسطي رحمه الله تعالى بيانا
وهي مقصودنا فقال ليس كذاته ذات ولا كاسمه اسم ولا كفعله فعل ولا
كصفته صفة الا من جهة موافقة اللفظ اللفظ وجلت الذات القديمة
ان يكون لها صفة حديثة كما استحال ان يكون للذات المحدثة صفة قديمة
وهذا كله مذهب اهل الحق والسنة والجماعة رضي الله تعالى عنهم وقد فسر
الامام ابو القاسم القشيري رحمه الله تعالى قوله هذا ليزيده بيانا فقال
هذه الحكاية تشتمل على جوامع مسائل التوحيد وكيف تشبه ذاته ذات
المحدثات وهي بوجودها مستغنية وكيف يشبه فعله فعل الخلق وهو
لغير جلب انس او دفع نقص حصل ولا بخواطر واغراض وجد ولا بمباشرة
ومعالجة ظهر وفعل الخلق لا يخرج عن هذه الوجوه وقال آخر من مشايخنا

ما توهمتموه باوهامكم او ادركتموه بعقولكم فهو محدث مثلكم قال الامام
ابو المعالي استاذ الغزالي الجويني من اطمأن الى موجود انتهى اليه فكره فهو
مشبه ومن اطمأن الى النفي المحض فهو معطل وان قطع بموجود اعترف
بالعجز عن درك حقيقته فهو موحد وما احسن قول ذي النون المصري
حقيقة التوحيد ان تعلم ان قدرة الله تعالى في الاشياء بلا علاج وصنعه
لها بلا مزاج وعلة كل شيء صنعه ولا علة لصنعه وما تصور في وهمك
فالله تعالى بخلافه وهذا كلام عجيب نفيس محقق والفصل الاخير تفسير
لقوله ليس كمثله شيء والثاني وهو قوله وعلة كل شيء صنعه ولا علة
لصنعه لقوله تعالى لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون والثالث لقوله عز
وجل انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ثبتنا الله تعالى
واياك على التوحيد والاثبات والتنزيه وجنبنا طرفي الضلالة و
الغواية من التعطيل والتشبيه بمنه ورحمته فصل فيما اظهره الله تعالى
على يديه من المعجزات وشرفه به من الخصائص والكرامات قال القاضي ابو الفضل
رحمه الله تعالى حسب المتامل ان يحقق ان كتابنا هذا لم نجمعه لمنكر نبوة
نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ولا لطاعن في معجزاته عليه السلام فنحتاج الى
نصب البراهين عليها وتحصين حوزتها حتى لا يتوصل الطاعن اليها
ونذكر شروط المعجزة والتحدي وحده وفساد قول من ابطل نسخ
الشرائع ورده بل الفناه لاهل ملته الملبين لدعوته المصدقين
لنبوته ليكون تاكيدا في محبتهم له ومنماة لاعمالهم وليزدادوا ايمانا مع
ايمانهم ونيتنا ان نثبت في هذا الباب امهات معجزاته ومشاهير آياته
لتدل على عظيم قدره عند ربه واتينا منها بالمحقق والصحيح الاسناد

واكثره مما بلغ القطع او كاد واضفنا اليها بعض ما وقع في مشاهير كتب الائمة واذا تامل المتامل المنصف ما قدمناه من جميل اثره وحميد سيره وبراعة علمه ورجاحة عقله وحلمه وجملة كماله وجميع خصاله وشاهد حاله وصواب مقاله صلى الله تعالى عليه وسلم لم يمتر في صحة نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم وصدق دعوته وقد كفى هذا غير واحد في اسلامه والايمان به فروينا عن الترمذي وابن قانع وغيرهما باسانيدهم ان عبد الله بن سلام رضي الله تعالى عنه قال لما قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة جئته لانظر اليه فلما استبنت وجهه عرفت ان وجهه ليس بوجه كذاب حدثنا به القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله تعالى قال حدثنا ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل بن خيرون عن ابي يعلى البغدادي عن ابي علي السنجي عن ابن محبوب عن الترمذي حدثنا محمد بن بشار حدثنا عبد الوهاب الثقفي ومحمد بن جعفر وابن ابي عدي ويحيى بن سعيد عن عوف بن ابي جميلة الاعرابي عن زرارة بن اوفى عن عبد الله بن سلام الحديث وعن ابي رمثة التيمي قال اتيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومعي ابن لي فاريته فلما رايته قلت هذا نبي الله وروى مسلم وغيره ان ضمادا رضي الله تعالى عنه لما وفد عليه وقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان الحمد لله نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله قال له اعد علي كلماتك هؤلاء فقد بلغن قاموس البحر هات يدك ابايعك وقال جامع بن شداد كان رجل منا يقال له طارق فاخبر

انه راى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة فقال هل معكم شيء تبيعونه قلنا هذا البعير قال بكم قلنا بكذا وكذا وسقا من تمر فاخذ بخطامه وسار الى المدينة فقلنا بعنا من رجل لا ندري من هو ومعنا ظعينة فقالت انا ضامنة لثمن البعير رايت وجه رجل مثل القمر ليلة البدر لا يخيس بكم فاصبحنا فجاء رجل بتمر فقال انا رسول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اليكم يامركم ان تاكلوا من هذا التمر وتكتالوا حتى تستوفوا ففعلنا وفي خبر الجلندى ملك عمان لما بلغه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يدعوه الى الاسلام قال الجلندى والله لقد دلني على هذا النبي الامي انه لا يامر بخير الا كان اول اخذ به ولا ينهى عن شيء الا كان اول تارك له وانه يغلب فلا يبطر ويغلب فلا يضجر ويفي بالعهد وينجز الموعود واشهد انه نبي وقال نفطويه في قوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار وهذا مثل ضربه الله تعالى لنبيه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم يقول يكاد منظره يدل على نبوته وان لم يتل قرانا كما قال ابن رواحة رحمه الله تعالى لو لم تكن فيه ايات مبينة لكان منظره ينبيك بالخبر وقد آن ان ناخذ في ذكر النبوة والوحي والرسالة وبعده في معجزة القرآن وما فيه من برهان ودلالة

فصل اعلم ان الله تعالى قادر على خلق المعرفة في قلوب عباده والعلم بذاته واسمائه وصفاته وجميع تكليفاته ابتداء دون واسطة لو شاء كما حكي عن سنته في بعض الانبياء وذكره بعض اهل التفسير في قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا وجائز ان يوصل اليهم جميع ذلك بواسطة تبلغهم كلامه وتكون تلك الواسطة اما من غير البشر كالملائكة مع الانبياء او من جنسهم كالانبياء مع الامم ولا مانع لهذا من دليل العقل

وإذا جاز هذا ولم يستحل وجاءت الرسل بما دل على صدقهم من معجزاتهم
وجب تصديقهم في جميع ما أتوا به لأن المعجز مع التحدي من النبي قائم مقام
قول الله تعالى صدق عبدي فأطيعوه واتبعوه وشاهد على صدقه فيما يقول
وهذا كاف والتطويل فيه خارج عن الغرض فمن يتبعه وجده مستوفى في
مصنفات أئمتنا رحمهم الله تعالى والنبوة في لغة من همزه مأخوذة
من النبأ وهو الخبر وقد لا تهمز على هذا التأويل تسهيلاً والمعنى أن الله
تعالى أطلعه على غيبه وأعلمه أنه نبيه فيكون نبي منبأ فقيل بمعنى مفعول
أو يكون مخبراً عما بعثه الله تعالى به ومنبئاً بما أطلعه الله تعالى عليه فعيل
بمعنى فاعل ويكون عند من لم يهمزه من النبوة وهو ما ارتفع من الأرض
معناه أن له رتبة شريفة ومكانة نبيهة عند مولاه منيفة فالوصفان
في حقه مؤتلفان وأما الرسول فهو المرسل ولم يأت فعول بمعنى مفعل
في اللغة إلا نادراً وإرساله أمر الله له بالإبلاغ إلى من أرسله إليه
واشتقاقه في اللغة من التتابع ومنه قولهم جاء الناس أرسالاً إذا تبع
بعضهم بعضاً فكأنه ألزم تكرير التبليغ أو ألزمت الأمة اتباعه
واختلف العلماء هل النبي والرسول بمعنى أو بمعنيين فقيل هما سواء
وأصله من الإنباء وهو الإعلام واستدلوا بقوله تعالى وما أرسلنا
من قبلك من رسول ولا نبي فقد أثبت لهما معاً الإرسال قال ولا يكون
النبي إلا رسولاً ولا الرسول إلا نبياً وقيل هما مفترقان من وجه إذ قد اجتمعا
في النبوة التي هي الاطلاع على الغيب والإعلام بخواص النبوة والرفعة لمعرفة
ذلك وحوز درجتها وافترقا في زيادة الرسالة التي للرسول وهو الأمر
بالإنذار والإعلام كما قلنا وحجتهم من الآية نفسها التفريق بين الاسمين

ولوكانا

ولو كانا شيئاً واحداً لما حسن تكرارهما في الكلام البليغ قالوا والمعنى وما
أرسلنا من نبي إلى أمة أو نبي ليس بمرسل إلى أحد وقد ذهب بعضهم إلى
أن الرسول من جاء بشرع مبتدأ ومن لم يأت به نبي غير رسول وإن أمر
بالإبلاغ والإنذار والصحيح والذي عليه الجم الغفير أن كل رسول نبي
وليس كل نبي رسولاً وأول الرسل آدم عليه السلام وآخرهم محمد صلى الله
تعالى عليه وسلم وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه عليه السلام أن الأنبياء مائة
ألف وأربعة وعشرون ألف نبي وذكر أن الرسل منهم ثلاثمائة
وثلاثة عشر أولهم آدم عليه السلام فقد بان لك معنى النبوة والرسالة
وليستا عند المحققين ذاتاً للنبي ولا وصف ذات خلافاً للكرامية
في تطويل لهم وتهويل ليس عليه تعويل وأما الوحي فأصله الإسراع فلما
كان النبي عليه السلام يتلقى ما يأتيه من ربه بعجل سمي وحياً وسميت أنواع
الإلهامات وحياً تشبيهاً بالوحي إلى النبي وسميت الخط وحياً لسرعة
حركة يد كاتبه ووحي الحاجب واللحظ سرعة إشارتهما ومنه قوله تعالى
فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشياً أي أومأ ورمز وقيل كتب ومنه
قولهم الوحا الوحا أي السرعة وقيل أصل الوحي السر والإخفاء ومنه
سمي الإلهام وحياً ومنه قوله تعالى وإن الشياطين ليوحون إلى
أوليائهم أي يوسوسون في صدورهم ومنه قوله تعالى وما كان لبشر
أن يكلمه الله إلا وحياً أي ما يلقيه في قلبه دون واسطة فصل اعلم
أن معنى تسميتنا ما جاءت به الأنبياء عليهم السلام معجزة هو أن الخلق
عجزوا عن الإتيان بمثلها وهي على ضربين ضرب هو من نوع قدرة البشر
فعجزوا عنه فتعجيزهم عنه فعل لله تعالى دل على صدق نبيه كصرفهم

عن تمني الموت وتعجيزهم عن الاتيان بمثل القرآن على رأي بعضهم ونحوه وضرب هو خارج عن قدرتهم فلم يقدروا على الاتيان بمثله كاحياء الموتى وقلب العصى حية واخراج ناقة من صخرة وكلام شجرة ونبع الماء من بين الاصابع وانشقاق القمر مما لا يمكن ان يفعله احد الا الله فكون ذلك على يد النبي عليه السلام من فعل الله تعالى وتحديه من يكذبه بان يأتي بمثله تعجيز له واعلم ان المعجزات التي ظهرت على يد نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ودلائل نبوته وبراهين صدقه من هذين النوعين معا وهو اكثر الرسل معجزة وابهرهم آية واظهرهم برهانا كما سنبينه وهي في كثرتها لا يحيط بها ضبط فان واحدا منها وهو القرآن لا يحصى عدد معجزاته بالف ولا الفين ولا اكثر لان النبي صلى الله تعالى قد تحدى بسورة منه فعجز عنها قال اهل العلم واقصر السور انا اعطيناك الكوثر فكل آية او آيات منه بعددها وقدرها معجزة ثم فيها نفسها معجزات على ما نفصله فيما انطوى عليه من المعجزات ثم معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم على قسمين قسم منها علم قطعا ونقل الينا متواترا كالقرآن فلا مرية ولا خلاف بمجيء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وظهوره من قبله واستدلاله بحجته وان انكر هذا معاند جاحد فهو كانكاره وجود محمد صلى الله تعالى عليه وسلم في الدنيا وانما جاء اعتراض الجاحدين في الحجة به فهو في نفسه وجميع ما تضمنه من معجز معلوم ضرورة ووجه اعجازه معلوم ضرورة ونظرا كما سنشرحه قال بعض ائمتنا ويجري هذا المجرى على الجملة انه قد جرى على يديه صلى الله عليه وسلم آيات وخوارق عادات ان لم يبلغ واحد منها معينا

القطع

القطع فيبلغه جميعها فلا مرية في جريان معانيها على يديه ولا يختلف مؤمن ولا كافر انه جرت على يديه عجائب وانما خلاف المعاند في كونها من قبل الله تعالى وقد قدمنا كونها من قبل الله تعالى وان ذلك بمثابة قوله تعالى صدقت فقد علم وقوع مثل هذا ايضا من نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ضرورة لاتفاق معانيها كما يعلم ضرورة جود حاتم وشجاعة عنترة وحلم احنف لاتفاق الاخبار الواردة عن كل واحد منهم على كرم هذا وشجاعة هذا وحلم هذا وان كان كل خبر بنفسه لا يوجب العلم ولا يقطع بصحته والقسم الثاني ما لم يبلغ مبلغ الضرورة والقطع وهو على نوعين نوع مشتهر منتشر رواه العدد وشاع الخبر به عند المحدثين والرواة ونقلة السير والاخبار كنبع الماء من بين الاصابع وتكثير الطعام ونوع منه اختص به الواحد او الاثنان ورواه العدد اليسير ولم يشتهر اشتهار غيره لكنه اذا جمع الى مثله اتفقا في المعنى واجتمعا على الاتيان بالمعجز كما قدمنا قال القاضي ابو الفضل المصنف رحمه الله تعالى وانا اقول صدعا بالحق ان كثيرا من هذه الآيات المأثورة عنه صلى الله تعالى عليه وسلم معلومة بالقطع اما انشقاق القمر فالقرآن نص بوقوعه واخبر عن وجوده ولا يعدل عن ظاهر الا بدليل وجاء برفع احتماله صحيح الاخبار من طرق كثيرة فلا يوهن عزمنا خلاف اخرق منحل عرى الدين ولا يلتفت الى سخافة مبتدع يلقي الشك على قلوب ضعفاء المؤمنين بل نرغم بهذا انفه وننبذ بالعراء سخفه وكذلك قصة نبع الماء وتكثير الطعام رواها الثقات والعدد الكثير عن الجم الغفير عن العدد الكثير من الصحابة رضي الله تعالى عنهم ومنها ما رواه الكافة عن الكافة متصلا عمن حدث بها من جملة الصحابة

رضي الله تعالى عنهم واخبارهم ان ذلك كان في مواطن اجتماع الكثير منهم
يوم الخندق وفي غزوة بواط وعمرة الحديبية وغزوة تبوك وامثالها
من محافل المسلمين ومجمع العساكر ولم يؤثر عن احد من الصحابة مخالفة
للراوي فيما حكاه ولا انكار لما ذكر عنهم انهم رأوه كما رآه فسكوت
الساكت منهم كنطق الناطق اذ هم المنزهون عن السكوت على باطل
والمداهنة في كذب وليس هناك رغبة ولا رهبة تمنعهم ولو كان
ما سمعوه منكرا عندهم وغير معروف لديهم لانكروه كما انكر بعضهم على بعض
اشياء رواها من السنن والسير وحروف القرآن وخطأ بعضهم بعضا
ووهمه في ذلك مما هو معلوم فهذا النوع كله يلحق بالقطعي من معجزاته
لما بيناه وايضا فان امثال الاخبار التي لا اصل لها وتبنى على باطل
لا بد مع مرور الزمان وتداول الناس واهل البحث من انكشاف
ضعفها وخمول ذكرها كما يشاهد في كثير من الاخبار الكاذبة والاراجيف
الطارئة واعلام نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم هذه الواردة من طريق
الآحاد لا تزداد مع مرور الزمان الا ظهورا ومع تداول الفرق
وكثير طعن العدو وحرصه على توهينها وتضعيف اصلها واجتهاد
الملحد على اطفاء نورها الا قوة وقبولا ولا للطاعن عليها الا حسرة
وغليلا وكذلك اخباره صلى الله تعالى عليه وسلم عن الغيوب وانباؤه
بما كان ويكون معلوم من آياته على الجملة بالضرورة وهذا حق لا غطاء
عليه وقد قال به من ائمتنا القاضي والاستاذ ابو بكر وغيرهما رحمهما
الله تعالى وما عندي اوجب قول القائل ان هذه القصص المشهورة
من باب خبر الواحد الا قلة مطالعته للاخبار وروايتها وشغله

بغير ذلك

بغير ذلك من المعارف والا فمن اعتنى بطرق النقل وطالع الاحاديث
والسير لم يرتب في صحة هذه القصص المشهورة على الوجه الذي
ذكرناه ولا يبعد ان يحصل العلم بالتواتر عند واحد ولا يحصل عند آخر
فان اكثر الناس يعلمون بالخبر كون بغداد موجودة وانها مدينة عظيمة
ودار الامامة والخلافة وآحاد من الناس لا يعلمون اسمها فضلا عن
وصفها وهكذا يعلم الفقهاء من اصحاب مالك بالضرورة والتواتر
النقل عنه ان مذهبه ايجاب قراءة ام القرآن في الصلاة للمنفرد
والامام واجزاء النية في اول ليلة من رمضان عما سواه وان الشافعي
رحمه الله تعالى يرى تجديد النية كل ليلة والاقتصار في المسح على بعض
الراس وان مذهبهما القصاص في القتل بالمحدد وغيره وايجاب النية
في الوضوء واشتراط الولي في النكاح وان ابا ح يخالفهما في هذه
المسائل وغيرهم ممن لم يشتغل بمذاهبهم ولا روى اقوالهم لا يعرف هذا
من مذاهبهم فضلا عمن سواه وعند ذكرنا آحاد هذه المعجزات نزيد الكلام
فيها بيانا ان شاء الله تعالى فصل في اعجاز القرآن اعلم وفقنا الله تعالى
واياك ان كتاب الله العزيز منطو على وجوه من الاعجاز كثيرة وتحصيلها
من جهة ضبط انواعها في اربعة وجوه اولها حسن تأليفه والتئام
كلمه وفصاحته ووجوه ايجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب وذلك
انهم كانوا ارباب هذا الشان وفرسان الكلام قد خصوا من البلاغة والحكم
ما لم يخص به غيرهم من الامم واوتوا من ذرابة اللسان ما لم يؤت انسان
ومن فصل الخطاب ما يقيد الالباب جعل الله تعالى ذلك لهم طبعا وخلقة
وفيهم غريزة وقوة يأتون منه على البديهة بالعجب ويدلون به الى كل سبب

يخطبون بليغها في المقامات وشديد الخطب ويرتجلون به بين الطعن
والضرب ويمدحون ويقدحون ويتوسلون ويتوصلون ويرفعون
ويضعون فيأتون من ذلك بالسحر الحلال ويطوقون من
اوصافهم اجمل من سمط اللآل فيخدعون الالباب ويذللون الصعاب
ويذهبون الاحن ويهيجون الدمن ويجرئون الجبان ويبسطون يد الجعد
البنان ويصيرون الناقص كاملا ويتركون النبيه خاملا منهم
البدوي ذو اللفظ الجزل والقول الفصل والكلام الفخم والطبع
الجوهري والمنزع القوي ومنهم الحضري ذو البلاغة البارعة و
الالفاظ الناصعة والكلمات الجامعة والطبع السهل والتصرف
في القول القليل الكلفة الكثير الرونق الرقيق الحاشية وكلا
البابين فلهما في البلاغة الحجة البالغة والقوة الدامغة والقدح
الفالج والمهيع الناهج لا يشكون ان الكلام طوع مرادهم والبلاغة
ملك قيادهم قد حووا فنونها واستنبطوا عيونها ودخلوا من كل
باب من ابوابها وعلوا صرحا لبلوغ اسبابها فقالوا في الخطير والمهين
وتفننوا في الغث والسمين وتقاولوا في القل والكثر وتساجلوا
في النظم والنثر فما راعهم الا رسول كريم بكتاب عزيز لا ياتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد احكمت اياته وفصلت
كلماته وبهرت بلاغته العقول وظهرت فصاحته على كل مقول وتظافر
ايجازه واعجازه وتظاهرت حقيقته ومجازه وتبارت في الحسن مطالعه
ومقاطعه وحوت كل البيان جوامعه وبدايعه واعتدل مع ايجازه
حسن نظمه وانطبق على كثرة فوائده مختار لفظه وهم افسح ما كانوا في

هذا الباب

هذا الباب مجالا واشهر في الخطابة رجالا واكثر في السجع والشعر سجالا
واوسع في الغريب واللغة مقالا بلغتهم التي بها يتحاورون ومنازعهم التي
عنها يتناضلون صارخا بهم في كل حين ومقرعا لهم بضعا وعشرين عاما على
رؤس الملاء اجمعين ام يقولون افتراه قل فاتوا بسورة مثله وادعوا
من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين وان كنتم في ريب مما نزلنا
على عبدنا الى قوله ولن تفعلوا وقل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا
بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله الاية وقال فاتوا بعشر سور مثله مفتريات
وذلك ان المفترى اسهل ووضع الباطل والمختلق على الاختيار اقرب
واللفظ اذا تبع المعنى الصحيح كان اصعب ولهذا قيل فلان يكتب كما يقال له وفلان
يكتب كما يريد وللاول على الثاني فضل وبينهما شاو بعيد فلم يزل يقرعهم
صلى الله تعالى عليه وسلم اشد التقريع ويوبخهم غاية التوبيخ ويسفه احلامهم
ويحط اعلامهم ويشتت نظامهم ويذم آلهتهم واباءهم ويستبيح ارضهم
وديارهم واموالهم وهم في كل هذا ناكصون عن معارضته محجمون عن مماثلته
يخادعون انفسهم بالتشغيب بالتكذيب والاغراء بالافتراء وقولهم ان هذا
الا سحر يؤثر وسحر مستمر وافك افتراه واساطير الاولين والمباهتة
والرضى بالدنية كقولهم قلوبنا غلف وفي اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا
وقر ومن بيننا وبينك حجاب ولا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم
تغلبون والادعاء مع العجز بقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا وقد قال لهم الله
ولن تفعلوا فما فعلوا ولا قدروا ومن تعاطى ذلك من سخفائهم كمسيلمة
لعنه الله تعالى كشف عواره لجميعهم وسلبهم الله تعالى ما الفوه من فصيح
كلامهم والا فلم يخف على اهل الميز منهم انه ليس من نمط فصاحتهم

ولا تجنيس بلاغتهم بل ولوا عنه مدبرين واتوا مذعنين من بين مهتدٍ
وبين مفتونٍ ولهذا لما سمع الوليد بن المغيرة من النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم ان الله يأمر بالعدل والاحسان الاية قال والله ان له
لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اسفله لمغدق وان اعلاه لمثمر
وما يقول هذا بشر وذكر ابو عبيد ان اعرابيا سمع رجلا يقرأ فاصدع
بما تؤمر الاية فسجد وقال سجدت لفصاحته وسمع آخر رجلا
يقرأ فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا فقال اشهد ان مخلوقا لا يقدر
على مثل هذا الكلام وحكي ان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه كان
يوما نائما في المسجد فاذا هو بقائم على رأسه يتشهد شهادة الحق
فاستخبره فاعلمه انه من بطارقة الروم ممن يحسن كلام العرب
وغيرها وانه سمع رجلا من اسرى المسلمين يقرأ آية من كتابكم فتأملتها
فاذا هي قد جمع فيها ما انزل الله تعالى على عيسى بن مريم من احوال الدنيا
والآخرة وهي قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه الاية
وحكى الاصمعي انه سمع كلام جارية فقال لها قاتلك الله تعالى ما افصحك
فقالت او يعد هذا فصاحة بعد قول الله تعالى واوحينا الى ام موسى
ان ارضعيه الاية فجمع في آية واحدة امرين ونهيين وخبرين وبشارتين
فهذا نوع من اعجازه منفرد بذاته غير مضاف الى غيره على التحقيق
والصحيح من القولين وكون القرآن من قبل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
وانه اتى به معلوم ضرورة وكونه في فصاحته خارقا للعادة معلوم
ضرورة للعالمين بالفصاحة ووجوه البلاغة وسبيل من ليس
من اهلها علم ذلك بعجز المنكرين من اهلها عن معارضته واعتراف المقرين

باعجاز بلاغته وانت اذا تاملت قوله تعالى ولكم في القصاص حيوة وقوله
تعالى ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت واخذوا من مكان قريب وقوله تعالى
ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم
وقوله تعالى وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي الاية وقوله تعالى فكلا
اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا الاية واشباهها من الاية
بل اكثر القرآن حققت ما بينته من ايجاز الفاظه وكثرة معانيها وديباجة
عبارتها وحسن تأليف حروفها وتلاؤم كلمها وان تحت كل لفظة منها
جملا كثيرة وفصولا جمة وعلوما زواخر ملئت الدواوين من بعض
ما استفيد منها وكثرت المقالات في المستنبطات عنها ثم هو في
سرد القصص الطوال واخبار القرون السوالف التي يضعف في عادة
الفصحاء عندها الكلام ويذهب ماء البيان آية لمتامله من ربط الكلام
بعضه ببعض والتئام سرده وتناصف وجوهه كقصة يوسف عليه
السلام على طولها ثم اذا ترددت قصصه اختلفت العبارات عنها
على كثرة ترددها حتى تكاد كل واحدة تنسي في البيان صاحبتها وتناصف
في الحسن وجه مقابلتها ولا نفور للنفوس من ترددها ولا معاداة لمعادها
فصل الوجه الثاني من اعجازه صورة نظمه العجيب والاسلوب الغريب
المخالف لاساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء
عليه ووقفت مقاطع آيه وانتهت فواصل كلماته اليه ولم يوجد
قبله ولا بعده نظير له ولا استطاع احد مماثلة شيء منه بل حارت
فيه عقولهم وتولهت دونه احلامهم ولم يهتدوا الى مثله في جنس كلامهم
من نثر او نظم او سجع او رجز او شعر ولما سمع كلامه صلى الله تعالى

الوليد بن المغيرة وقرأ عليه القرآن رق فجاءه ابو جهل لعنه الله تعالى
منكراً عليه قال والله ما منكم من احد اعلم بالاشعار مني والله ما يشبه
الذي يقول شيئاً من هذا وفي خبره الآخر حين جمع قريشاً عند حضور
الموسم وقال ان وفود العرب ترد فاجمعوا فيه رأياً لا يكذب بعضكم
بعضاً فقالوا نقول كاهن قال ما هو بكاهن ما هو بزمزمته ولا سجعه
قالوا مجنون قال ما هو بمجنون ولا بخنقه ولا وسوسته قالوا فنقول
شاعر قال ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومبسوطه
ومقبوضه ما هو بشاعر قالوا فنقول ساحر قال ما هو بساحر ولا نفثه
ولا عقده قالوا فما نقول قال ما انتم بقائلين من هذا شيئاً الا وانا
اعرف انه باطل وان اقرب القول انه ساحر فانه سحر يفرق بين المرء
وابنه والمرء واخيه والمرء وزوجه والمرء وعشيرته فتفرقوا
وجلسوا على السبل يحذرون الناس فانزل الله تعالى في الوليد ذرني ومن
خلقت وحيداً الآيات وقال عتبة بن ربيعة حين سمع القرآن يا قوم
قد علمتم اني لم اترك شيئاً الا وقد علمته وقرأته وقلته والله لقد
سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة
وقال النضر بن الحارث نحوه وفي حديث اسلام ابي ذر ووصف اخاه
انيساً فقال والله ما سمعت باشعر من اخي انيس لقد ناقض اثني عشر
شاعراً في الجاهلية انا احدهم وانه انطلق الى مكة وجاء الى ابي ذر
بخبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قلت فما يقول الناس قال يقولون
شاعر كاهن ساحر لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد وضعته
على اقراء الشعر فلم يلتئم وما يلتئم على لسان احد بعدي انه شعر

وانه لصادق وانهم لكاذبون والاخبار في هذا صحيحة كثيرة والاعجاز
بكل واحد من النوعين الايجاز والبلاغة بذاتها والاسلوب الغريب بذاته
كل واحد منهما نوع اعجاز على التحقيق لم تقدر العرب على الاتيان بواحد منهما
اذ كل واحد منهما خارج عن قدرتها مباين لفصاحتها وكلامها والى هذا ذهب
غير واحد من ائمة المحققين وذهب بعض المقتدى بهم الى ان الاعجاز
في مجموع البلاغة والاسلوب واتى على ذلك بقول تمجه الاسماع وتنفر
منه القلوب والصحيح ما قدمناه والعلم بهذا كله ضرورة وقطعاً ومن
تفنن في علوم البلاغة وارهف خاطره ولسانه ادب هذه الصناعة
لم يخف عليه ما قلناه وقد اختلف ائمة اهل السنة في وجه عجزهم عنه
فاكثرهم يقول انه مما جمع في قوة جزالته ونصاعة الفاظه وحسن
نظمه وايجازه وبديع تأليفه واسلوبه لا يصح ان يكون في مقدور البشر
وانه من باب الخوارق الممتنعة عن اقدار الخلق عليها كاحياء الموتى
وقلب العصا وتسبيح الحصى وذهب الشيخ ابو الحسن القابسي الى انه
مما يمكن ان يدخل مثله تحت مقدور البشر ويقدرهم الله تعالى عليه
ولكنه لم يكن هذا ولا يكون فمنعهم الله تعالى هذا وعجزهم عنه وقال به
جماعة من اصحابه وعلى الطريقين فعجز العرب عنه ثابت واقامة الحجة عليهم
بما يصح ان يكون في مقدور البشر وتحديهم بان يأتوا بمثله قاطع وهو
ابلغ في التعجيز واحرى بالتقريع والاحتجاج بمجيء بشر مثلهم بشيء ليس
من قدرة البشر لازم وهو ابهر آية واقمع دلالة وعلى كل حال فما اتوا
في ذلك بمقال بل صبروا على الجلاء والقتل وتجرعوا كاسات الصغار
والذل وكانوا من شموخ الانف واباية الضيم بحيث لا يؤثرون ذلك

اختيارًا ولا يرضونه الا اضطرارًا والا فالمعارضة لو كانت من قدرهم
والشغل بها اهون عليهم واسرع بالنجح وقطع العذر وافحام الخصم لديهم
وهم ممن لهم قدرة على الكلام في المعرفة به لجميع الانام وما منهم الا من جهد
جهده واستنفد ما عنده في اخفاء ظهوره واطفاء نوره فما جلوا في
ذلك خبيئة من نبات شفاههم ولا اتوا بنطفة من معين مياههم مع طول
الامد وكثرة العدد وتظاهر الوالد وما ولد بل ابلسوا فانبسوا ومنعوا
فانقطعوا فهذان نوعان من اعجازه فصل الوجه الثالث من الاعجاز
ما انطوى عليه من الاخبار بالمغيبات وما لم يكن ولم يقع فوجد كما ورد
على الوجه الذي اخبر كقوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله امنين
وقوله تعالى وهم من بعد غلبهم سيغلبون وقوله تعالى ليظهره على الدين
كله ولو كره المشركون وقوله تعالى وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات
ليستخلفنهم الاية وقوله تعالى اذا جاء نصر الله الى اخرها فكان جميع هذا
كما قال فغلبت الروم فارس في بضع سنين ودخل الناس في الاسلام
افواجًا فما مات عليه السلام وفي بلاد العرب كلها موضع لم يدخله الاسلام
واستخلف المؤمنين في الارض ومكن فيها دينهم وملكهم اياها من اقصى
المشارق الى اقصى المغارب كما قال عليه السلام زويت لي الارض فاريت
مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها وقوله تعالى
انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون فكان كذلك لا يكاد يعد من سعى
في تغييره وتبديل محكمه من الملحدة والمعطلة لا سيما القرامطة فاجمعوا
كيدهم وحولهم وقوتهم اليوم نيفًا على خمس مائة عام فما قدروا على اطفاء
شيء من نوره ولا تغيير كلمة من كلامه ولا تشكيك المسلمين في حرف من

حروفه

حروفه والحمد لله ومنه قوله تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم الاية وقوله
تعالى هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق الاية وقوله تعالى لن يضروكم
الا اذى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار الاية فكان كل ذلك وما فيه من
كشف اسرار المنافقين واليهود ومقالهم وكذبهم في حلفهم وتقريعهم بذلك
كقوله تعالى ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول وقوله تعالى
يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك الاية وقوله تعالى من الذين هادوا سماعون
للكذب الاية وقوله تعالى من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه الى
قوله تعالى في الدين وقد قال مبديًا ما قدره الله تعالى واعتقده المؤمنون
يوم بدر وان يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون ان غير
ذات الشوكة تكون لكم ومنه قوله تعالى انا كفيناك المستهزئين ولما نزلت
بشر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اصحابه بذلك بان الله كفاه اياهم وكان
المستهزؤن نفرًا بمكة ينفرون الناس عنه ويؤذونه وقوله تعالى والله
يعصمك من الناس فكان كذلك على كثرة من رام ضره وقصد قتله والاخبار
بذلك معروفة كثيرة صحيحة فصل الوجه الرابع ما انبأ به من اخبار القرون
السالفة والامم البائدة والشرائع الداثرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة
الا الفذ من احبار اهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك فيورده النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم على وجهه ويأتي به على نصه فيعترف العالم بذلك
بصحته وصدقه وان مثله لم ينله بتعليم وقد علموا انه صلى الله تعالى عليه وسلم
امي لا يقرأ ولا يكتب ولا اشتغل بمدارسة ولا مثافنة لم يغب عنهم ولا
جهل حاله احد منهم وقد كان اهل الكتاب كثيرًا ما يسألونه صلى الله تعالى
عليه وسلم عن هذا فينزل عليه من القرآن ما يتلو عليهم منه ذكرا كقصص

سيهزم الجمع ويولون الدبر

الانبياء عليهم السلام واصحاب الكهف وذي القرنين ولقمان وابنه
واشباه ذلك من الانباء وبدء الخلق وما في التورية والانجيل والزبور
وصحف ابرهيم وموسى صلى الله تعالى عليهما وسلم مما صدقه فيه العلماء بها
ولم يقدروا على تكذيب ما ذكر منها بل اذعنوا لذلك فمن موفق امن
بما سبق له من خير ومن شقي معاند حاسد ومع هذا لم يحك عن واحد
من النصارى واليهود على شدة عداوتهم له وحرصهم على تكذيبه عليه السلام
وطول احتجاجه عليه السلام عليهم بما في كتبهم وتقريعهم بما انطوت عليه
مصاحفهم وكثرة سؤالهم له عليه السلام وتعنيتهم اياه عن اخبار انبيائهم
واسرار علومهم ومستودعات سيرهم واعلامه لهم بمكتوم شرايعهم و
مضمنات كتبهم مثل سؤالهم عن الروح وذي القرنين واصحاب الكهف
وعيسى وحكم الرجم وما حرم اسرائيل على نفسه وما حرم عليهم من
الانعام ومن الطيبات كانت احلت لهم فحرمت عليهم ببغيهم وقوله تعالى
ذلك مثلهم في التورية ومثلهم في الانجيل وغير ذلك من امورهم التي
نزل فيها القران فاجابهم وعرفهم بما اوحي اليه من ذلك انه انكر ذلك
او كذبه بل اكثرهم صرح بصحة نبوته وصدق مقالته واعترف بعناده
وحسدهم اياه كاهل نجران وابن صوريا وابني اخطب وغيرهم ومن باهت
في ذلك بعض المباهتة وادعى ان فيما عندهم من ذلك لما حكاه مخالفة
دعي الى اقامة حجته وكشف دعوته فقيل له فأتوا بالتوراة فاتلوها
ان كنتم صادقين الى قوله الظالمون فقرع ووبخ ودعا الى احضار ممكن
غير ممتنع فمن معترف بما جحده ومتواقح يلقي على فضيحته من كتابه يده
ولم يؤثر ان واحدا منهم اظهر خلاف قوله من كتبه ولا ابدى صحيحا ولا

سقيما

سقيما من صحفه قال الله تعالى يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم
كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير الايتين فصل هذه
الوجوه الاربعة من اعجازه بينة لا نزاع فيها ولا مرية ومن الوجوه
البينة في اعجازه من غير هذه الوجوه آي وردت بتعجيز قوم في
قضايا واعلامهم انهم لا يفعلونها فما فعلوا ولا قدروا على ذلك كقوله
تعالى لليهود قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله خالصة الاية
قال ابو اسحاق الزجاج في هذه الاية اعظم حجة واظهر دلالة على
صحة الرسالة لانه قال لهم فتمنوا الموت واعلمهم انهم لن يتمنوه ابدا فلم
يتمنه واحد منهم وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والذي نفسي بيده
لا يقولها رجل منهم الا غص بريقه يعني يموت مكانه فصرفهم الله عن
تمنيه وجزعهم ليظهر صدق رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم
وصحة ما اوحي اليه اذ لم يتمنه احد منهم وكانوا على تكذيبه احرص لو قدروا
ولكن الله يفعل ما يريد فظهرت بذلك معجزته وبانت حجته قال ابو محمد
الاصيلي من العجب امرهم انه لا يوجد منهم جماعة ولا واحد من يوم امر الله
تعالى بذلك نبيه يقدم عليه ولا يجيب اليه وهذا موجود ومشاهد لمن
اراد ان يمتحنه منهم وكذلك اية المباهلة من هذا المعنى حيث وفد عليه
اساقفة نجران وابوا الاسلام فانزل الله تعالى عليه اية المباهلة بقوله
تعالى فمن حاجك فيه الاية فامتنعوا منها ورضوا باداء الجزية وكذلك
ان العاقب عظيمهم قال لهم قد علمتم انه نبي وانه ما لاعن قوما نبي
قط فبقي كبيرهم ولا صغيرهم ومثله قوله تعالى وان كنتم في ريب مما
نزلنا على عبدنا الى قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاخبرهم تعالى

انهم لا يفعلون فكان كما قال وهذه الآية ادخل في باب الاخبار عن
الغيب ولكن فيها نوع من التعجيز ما في التي قبلها فصل ومنها الروعة
تلحق قلوب سامعيه واسماعهم عند سماعه والهيبة التي تعتريهم عند
تلاوته لقوة حاله وانافة خطره وهي على المكذبين به اعظم حتى
كانوا يستثقلون سماعه ويزيدهم نفورا كما قال تعالى ويودون انقطاعه
لكراهتهم له ولهذا قال عليه السلام ان القرآن صعب مستصعب على
من كرهه وهو الحكم واما المؤمن به فلا تزال روعته به وهيبته اياه
مع تلاوته توليه انجذابا وتكسبه هشاشة لميل قلبه اليه وتصديقه به
قال تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم و
قلوبهم الى ذكر الله وقال الله تعالى لو انزلنا هذا القرآن على جبل الآية ويدل
على ان هذا شيء خص به انه يعتري من لا يفهم معانيه ولا يعلم تفاسيره
كما روي عن نصراني انه مر بقارئ فوقف يبكي فقيل له مم بكيت قال
للشجى والنظم وهذه الروعة قد اعترت جماعة قبل الاسلام وبعده
فمنهم من اسلم لها لاول وهلة وامن به ومنهم من كفر فحكي في الصحيح عن
جبير بن مطعم رضي الله تعالى عنه قال سمعت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية ام خلقوا من غير شيء ام هم
الخالقون الى قوله المسيطرون كاد قلبي ان يطير وفي رواية وذلك
اول ما وقر الايمان في قلبي وعن عتبة بن ربيعة انه كلم النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم فيما جاء به من خلاف قومه فتلا عليهم حم فصلت الى قوله
صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة بيده على فم النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم وناشده الرحم ان يكف وفي رواية فجعل النبي

صلى الله تعالى عليه وسلم يقرأ وعتبة مصغ ملق يديه خلف ظهره معتمدا
عليهما حتى انتهى الى السجدة فسجد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقام عتبة
لا يدري بما يراجعه ورجع الى اهله ولم يخرج الى قومه حتى اتوه فاعتذر لهم
وقال والله لقد كلمني بكلام والله ما سمعت اذناي بمثله قط فما دريت
ما اقول له وقد حكي عن غير واحد ممن رام معارضته اعترته روعة و
هيبة كفته عنها عن ذلك فحكي ان ابن المقفع طلب ذلك ورامه وشرع
فيه فمر بصبي يقرأ وقيل يا ارض ابلعي ماءك فرجع ومحا ما عمل وقال اشهد
ان هذا لا يعارض وما هو من كلام البشر وكان من افصح اهل وقته وكان
يحيى بن حكم الغزال بليغ الاندلس في زمنه فحكي انه رام شيئا من هذا
فنظر في سورة الاخلاص ليحذو على مثالها وينسج بزعمه على منوالها
قال فاعترتني خشية ورقة حملتني على التوبة والانابة والاستغفار
فصل ومن وجوه اعجازه المعدودة كونه آية باقية لا تعدم
ما بقيت الدنيا مع تكفل الله تعالى بحفظه فقال تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له
لحافظون وقال تعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم
حميد وسائر معجزات الانبياء عليهم السلام انقضت بانقضاء اوقاتها فلم يبق
الا خبرها والقرآن العزيز الباهرة آياته الظاهرة معجزاته على ما كان عليه اليوم
مدة خمسمائة عام وخمس وثلاثين سنة لاول نزوله الى وقتنا هذا
حجته قاهرة ومعارضته ممتنعة والاعصار كلها طافحة باهل البيان
وحملة علم اللسان وائمة البلاغة وفرسان الكلام وجهابذة البراعة والملحد
فيهم كثير والمعادي للشرع عتيد فما منهم من اتى بشيء يؤثر في معارضته
ولا الف كلمتين في مناقضته ولا قدر فيه على مطعن صحيح ولا قدح المتكلف

من ذهنه في تلك الآية يتيح بل المأثور عن كل رام ذلك القاؤه في
العجز بيديه والنكوص على عقبيه فصل وقد عد جماعة من الائمة و
مقلدي الامة في اعجازه وجوها كثيرة منها ان قارئه لا يمله وسامعه
لا يمجه بل الاكباب على تلاوته يزيده حلاوة وترديده يوجب له محبة لا
يزال غضا طريا وغيره من الكلام ولو بلغ في الحسن والبلاغة مبلغه
يمل مع الترديد ويعادى اذا اعيد وكتابنا يستلذ به في الخلوات و
يؤنس بتلاوته في الازمات وسواه من الكتب لا يوجد فيه ذلك حتى
احدث اصحابها لها لحونا وطرقا يستجلبون بتلك اللحون تنشيطهم على
قراءتها ولهذا وصف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم القرآن بانه
لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عبره ولا تفنى عجائبه هو الفصل
ليس بالهزل لا يشبع منه العلماء ولا تزيغ به الاهواء ولا تلتبس به
الالسنة هو الذي لم تنته الجن حين سمعته ان قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا
يهدي الى الرشد فآمنا به ومنها جمعه لعلوم ومعارف لم تعهد العرب
عامة ولا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم قبل نبوته خاصة بمعرفتها ولا
القيام بها ولا يحيط بها احد من علماء الامم ولا يشتمل عليها كتاب من
كتبهم فجمع فيه من بيان علم الشرائع والتنبيه على طرق الحجج العقليات
والرد على فرق الامم ببراهين قوية وادلة بينة سهلة الالفاظ
موجزة المقاصد رام المتحذلقون بعد ان ينصبوا ادلة مثلها فلم
يقدروا عليها كقوله تعالى اوليس الذي خلق السموات والارض
بقادر على ان يخلق مثلهم وقل يحييها الذي انشأها اول مرة و
لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا الى ما حواه علوم السير وانباء الامم

والمواعظ

والمواعظ والحكم واخبار الدار الآخرة ومحاسن الآداب والشيم تقدم
ذكره قال الله جل اسمه ما فرطنا في الكتاب من شيء ونزلنا عليك الكتاب تبيانا
لكل شيء ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل وقال عليه الصلاة
والسلام ان الله انزل هذا القرآن آمرا وزاجرا وسنة خالية ومثلا
مضروبا فيه نبؤكم وخبر ما كان قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم لا يخلقه طول
الرد ولا تنقضي عجائبه هو الحق ليس بالهزل من قال به صدق ومن
حكم به عدل ومن خاصم به فلج ومن قسم به اقسط ومن عمل به اجر ومن
تمسك به هدي الى صراط مستقيم ومن طلب الهدى من غيره اضله الله تعالى ومن
حكم بغيره قصمه الله تعالى هو الذكر الحكيم والنور المبين والصراط المستقيم
وحبل الله المتين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه
لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعتب ولا تنقضي عجائبه ولا يخلق على
كثرة الرد ونحوه عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه وقال فيه ولا يختلف
ولا يتشان فيه نبأ الاولين والآخرين وفي حديث قال الله تعالى
لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم اني منزل عليك توراة حديثة تفتح بها
اعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا فيها ينابيع العلم وفهم الحكمة وربيع
القلوب وعن كعب عليكم بالقرآن فانه فهم العقول ونور الحكمة وقال الله تعالى
ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون وقال الله
هذا بيان للناس وهدى الآية فجمع فيه مع وجازة الفاظه وجوامع
كلمه اضعاف ما في الكتب قبله التي الفاظها على الضعف منه مرات ومنها جمعه
فيه بين الدليل والمدلول وذلك انه احتج بنظم القرآن وحسن وصفه
وايجازه وبلاغته واثناء هذه البلاغة امره ونهيه ووعده ووعيده

فالمتامل له يفهم موضع الحجة والتكليف معاً من كلام واحد وسورة منفردة
ومنها ان جعله في حيز المنظوم الذي لم يعهد ولم يكن في حيز المنثور
لان المنظوم اسهل على النفوس واوعى للقلوب واسمع في الاذان واحلى
على الافهام فالناس اليه اميل والاهواء اليه اسرع ومنها تيسيره تعالى
حفظه لمتعلميه وتقريبه على متحفظيه قال الله تعالى ولقد يسرنا القرآن
للذكر فهل من مدكر وسائر الامم لا يحفظ كتبها الواحد منهم فكيف الجماء
على مرور السنين عليهم والقرآن ميسر حفظه للغلمان في اقرب مدة
ومنها مشاكلة بعض اجزائه بعضاً وحسن ائتلاف انواعها والتيام
اقسامها وحسن التخلص من قصة الى اخرى والخروج من باب الى غيره
على اختلاف معانيه وانقسام السورة الواحدة على امر ونهي وخبر
واستخبار ووعد ووعيد واثبات نبوة وتوحيد وتقرير وترغيب
وترهيب وتفريد الى غير ذلك من فوائده دون خلل يتخلل فصوله والكلام
الفصيح اذا اعتوره مثل هذا ضعفت قوته ولانت جزالته وقل رونقه
وتقلقلت الفاظه فتامل اول ص وما جمع فيها من اخبار الكفار وشقاقهم
وتقريعهم باهلاك القرون من قبلهم وما ذكر في تكذيبهم لمحمد صلى
الله تعالى عليه وسلم وتعجبهم مما اتى به والخبر عن اجتماع ملائهم على الكفر
وما ظهر من الحسد في كلامهم وتعجيزهم وتوهينهم ووعيدهم بخزي
الدنيا والآخرة وتكذيب الامم قبلهم واهلاك الله تعالى لهم ووعيد هؤلاء
مثل مصابهم وتصبير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على اذاهم وتسليته
بكل ما تقدم ذكره ثم اخذ في ذكر داود عليه السلام وقصص الانبياء عليهم
السلام كل هذا في اوجز كلام واحسن نظام ومنه الجملة الكثيرة

التي

التي انطوت عليها الكلمات القليلة وهذا كله وكثير مما ذكرنا انه ذكر
في اعجاز القرآن الى وجوه كثيرة ذكرها الائمة لم نذكرها اكثرها داخل
في باب بلاغته فلا يجب ان يعد فناً منفرداً في اعجازه الا في باب
تفصيل فنون البلاغة وكذلك كثير مما قدمنا ذكره عنهم يعد في خواصه
وفضائله لا في اعجازه وحقيقة الاعجاز الوجوه الاربعة التي ذكرنا فليعتمد
عليها وما بعدها من خواص القرآن وعجائبه التي لا تنقضي وبالله التوفيق
وهو المستعان فصل في انشقاق القمر وحبس الشمس قال الله تعالى اقتربت
الساعة وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر اخبر تعالى
بوقوع انشقاقه بلفظ الماضي واعراض الكفرة عن آياته واجمع المفسرون
واهل السنة على وقوعه اخبرنا الحسين بن محمد الحافظ من كتابه حدثنا القاضي
سراج بن عبد الله حدثنا الاصيلي حدثنا المروزي حدثنا الفربري حدثنا
البخاري حدثنا يحيى عن شعبة وسفيان عن الاعمش عن ابراهيم عن ابي معمر
عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم اشهدوا وفي رواية مجاهد رضي الله تعالى
عنه ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم وفي بعض طرق الاعمش بمنى
ورواه ايضاً عن ابن مسعود الاسود وقال حتى رايت الجبل بين فرجتي
القمر ورواه عنه مسروق انه كان بمكة وزاد فقال كفار قريش سحركم
ابن ابي كبشة فقال رجل منهم ان محمداً ان كان سحر القمر فلا يبلغ من سحره
ان يسحر الارض كلها فاسألوا من يأتيكم من بلد آخر هل رأوا هذا فأتوا
فسألوهم فأخبروهم انهم رأوه مثل ذلك وحكى السمرقندي عن الضحاك

نحوه وقال فقال ابو جهل هذا سحر فابعثوا الى اهل الافاق حتى تنظروا ارأوا
ذلك ام لا فاخبر اهل الآفاق انهم رأوه منشقا فقالوا يعني الكفار هذا
سحر مستمر ورواه ايضا عن ابن مسعود علقمة رضي الله تعالى عنهما فهؤلاء اربعة
عن عبد الله وقد رواه غير ابن مسعود رضي الله تعالى عنه كما رواه ابن مسعود
رضي الله تعالى عنه ومنهم انس وابن عباس وابن عمر وحذيفة الارحبي
انشق القمر ونحن مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعن انس رضي
الله تعالى عنه سأل اهل مكة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان يريهم آية فاراهم
انشقاق القمر مرتين حتى راوا حراء بينهما رواه عن انس قتادة رضي
الله تعالى عنهما وفي رواية معمر وغيره عن قتادة عنه اراهم القمر مرتين انشقاقه
فنزلت اقتربت الساعة وانشق القمر ورواه عن جبير بن مطعم ابنه
محمد وابن ابنه جبير بن محمد رضي الله تعالى عنهم ورواه عن ابن عمر
مجاهد رضي الله تعالى عنهما ورواه عن حذيفة ابو عبد الرحمن السلمي
ومسلم بن ابي عمران الازدي رضي الله تعالى عنهم واكثر طرق هذه
الاحاديث صحيحة والاية مصرحة ولا يلتفت الى اعتراض مخذول
بانه لو كان هذا لم يخف على اهل الارض اذ هو شيء ظاهر لجميعهم
اذ لم ينقل لنا عن اهل الارض انهم رصدوه تلك الليلة فلم يروه
انشق ولو نقل الينا عمن يجوز تمالؤهم لكثرتهم على الكذب لما كانت
علينا به حجة اذ ليس القمر في حد واحد لجميع اهل الارض فقد يطلع على قوم
قبل ان يطلع على اخرين وقد يكون من قوم بضد ما هو من مقابليهم من
اقطار الارض او يحول بين قوم وبينه سحاب او جبال ولهذا نجد الكسوف
في بعض البلاد دون بعض وفي بعضها جزئية وفي بعضها كلية وفي

ورواه عن ابن عباس عبيد الله بن عتبة رضي الله تعالى عنهم صح

بعضها لا يعرفها الا المدعون لعلمها ذلك تقدير العزيز العليم واية القمر
كانت ليلا والعادة من الناس بالليل الهدو والسكون وايجاف الابواب
وقطع التصرف ولا يكاد يعرف من امور السماء الا من رصد ذلك واهتم
ولذلك ما يكون الكسوف القمري كثيرا في البلاد واكثرهم لا يعلم به حتى
يخبر وكثيرا ما لذلك يحدث الثقات بعجائب يشاهدونها من انوار
ونجوم طوالع عظام تظهر في الاحيان بالليل في السماء ولا علم عند احد
منها وخرج الطحاوي في مشكل الحديث عن اسماء بنت عميس رضي الله تعالى
عنها من طريقين ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان يوحى اليه ورأسه
في حجر علي فلم يصل العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم اصليت يا علي قال لا فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم
انه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس فردها قالت
اسماء رضي الله تعالى عنها فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعد ما غربت ووقفت
على الجبال والارض وذلك بالصهباء في خيبر قال وهذان الحديثان
ثابتان ورواتهما ثقات وحكى الطحاوي ان احمد بن صالح كان يقول
لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث اسماء رضي الله تعالى عنها
لانه من علامات النبوة وروى يونس بن بكير في زيادة المغازي في
روايته عن ابن اسحاق لما اسري برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
واخبر قومه بالرفقة والعلامة التي في العير قالوا متى تجيء قال يوم الاربعاء
فلما كان ذلك اليوم اشرفت قريش ينظرون وقد ولى النهار ولم تجئ
فدعا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فزيد له في النهار ساعة و
حبست عليه الشمس فصل في نبع الماء من بين اصابعه وتكثيره ببركته

صلى الله تعالى عليه وسلم قال المصنف رحمه الله تعالى اما الاحاديث في هذا
فكثيرة جدا روى حديث نبع الماء من بين اصابعه صلى الله تعالى عليه
وسلم جماعة من الصحابة منهم انس وجابر وابن مسعود رضي الله تعالى عنهم حدثنا
ابو اسحاق ابراهيم بن جعفر الفقيه رحمه الله تعالى بقراءتي عليه حدثنا القاضي
عيسى بن سهل حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد حدثنا ابو عيسى حدثنا يحيى
حدثنا مالك عن اسحاق بن عبد الله بن ابي طلحة عن انس بن مالك رضي
الله تعالى عنه رايت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وحانت صلاة العصر
فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فاتي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بوضوء
فوضع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في ذلك الاناء يده وامر الناس
ان يتوضؤا منه قال رايت الماء ينبع من بين اصابعه صلى الله تعالى عليه وسلم
فتوضا الناس حتى توضؤا من عند اخرهم ورواه ايضا عن انس قتادة
رضي الله تعالى عنهما وقال باناء فيه ماء يغمر اصابعه او لا يكاد يغمر قال كم كنتم
قال زهاء ثلثمائة وفي رواية عنه وهم بالزوراء عند السوق ورواه
ايضا حميد وثابت والحسن عن انس رضي الله تعالى عنه وفي رواية
حميد قلت كم كانوا قال ثمانين ونحوه عن ثابت عنه وعنه ايضا وهم نحو
من سبعين رجلا واما ابن مسعود رضي الله تعالى عنه ففي الصحيح عنه من
رواية علقمة بينما نحن مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وليس معنا
ماء فقال لنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اطلبوا من معه فضل ماء
فاتي بماء فصبه في اناء ثم وضع كفه فيه فجعل الماء ينبع من بين اصابع
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفي الصحيح عن سالم بن ابي الجعد عن
جابر رضي الله تعالى عنه عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله صلى الله

تعالى عليه وسلم بين يديه ركوة فتوضا منها واقبل الناس نحوه وقالوا ليس عندنا
ماء الا ما في ركوتك فوضع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يده في الركوة
فجعل الماء يفور من بين اصابعه كامثال العيون وفيه فقلت كم كنتم قال
لو كنا مائة الف لكفانا كنا خمس عشرة مائة وروى مثله عن انس عن
جابر رضي الله تعالى عنهما وفيه انه كان بالحديبية وفي رواية الوليد بن
عبادة بن الصامت عنه في حديث مسلم الطويل في ذكر غزوة بواط قال
قال لي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا جابر ناد الوضوء وذكر الحديث
بطوله وانه لم يجد الا قطرة في عزلاء شجب فاتي به النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم فغمزه وتكلم بشيء لا ادري ما هو وقال ناد بجفنة الركب فاتيت بها
فوضعتها بين يديه وذكر ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بسط يده في
الجفنة وفرق اصابعه وصب جابر عليه وقال بسم الله كما امره قال
فرايت الماء يفور من بين اصابعه ثم فارت الجفنة واستدارت حتى
امتلات وامر الناس بالاستقاء فاستقوا حتى رووا فقلت هل بقي احد له
حاجة فرفع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يده من الجفنة وهي ملأى
وعن الشعبي ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في بعض اسفاره اتي باداوة
ماء وقيل ما معنا يا رسول الله ماء غيرها فسكبها محمد صلى الله تعالى عليه
وسلم في ركوة ووضع اصبعه وسطها وغمسها في الماء وجعل الناس
يجيئون ويتوضؤن ثم يقومون قال الترمذي وفي الباب عن عمران بن
حصين رضي الله تعالى عنه ومثل هذا في هذه المواطن الحفلة والجموع الكثيرة
لا تتطرق التهمة الى المحدث به لانهم كانوا اسرع شيء الى تكذيبه لما جبلت
عليه النفوس من ذلك ولانهم كانوا ممن لا يسكت على باطل فهؤلاء قد

روا هذا واشاعوه ونسبوا حضور الجماء الغفير له ولم ينكر احد
من الناس عليهم ما حدثوا به عنهم انهم فعلوه وشاهدوه فصار كتصديق
جميعهم لهم فصل ومما يشبه هذا من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم
تفجير الماء ببركته وانبعاثه بمسه ودعوته عليه السلام مما روى مالك في
الموطأ عن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه في قصة غزوة تبوك وانهم
وردوا العين وهي تبض بشيء من ماء مثل الشراك فغرفوا من العين بايديهم
حتى اجتمع في شيء ثم غسل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيه وجهه
ويديه واعاده فيها فجرت بماء كثير فاستقى الناس قال في حديث ابن اسحاق
فانخرق من الماء ماله حس كحس الصواعق ثم قال يوشك يا معاذ ان
طالت بك حياة ان ترى ما هاهنا قد ملئ جنانا وفي حديث البراء وسلمة
بن الاكوع وحديثه اتم في قصة الحديبية وهم اربع عشرة مائة وبئرها
لا تروي خمسين شاة فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فقعد رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم على جباها قال البراء واتي بدلو منها فبصق
ودعا وقال سلمة فاما دعا واما بصق فيها فجاشت فارووا انفسهم
وركابهم وفي غير هذه الروايتين في هذه القصة من طريق ابن شهاب
في الحديبية فاخرج سهما من كنانته فوضع في قعر قليب ليس فيه ماء فروى
الناس حتى ضربوا بعطن وعن ابي قتادة رضي الله تعالى عنه وذكر ان
الناس شكوا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم العطش في بعض
اسفاره فدعا بالميضاة فجعلها في ضبنه ثم التقم فمها فالله تعالى
اعلم نفث فيها ام لا فشرب الناس حتى رووا وملأوا كل اناء معهم
فخيل الي انها كما اخذها مني وكانوا اثنين وسبعين رجلا وروى

مثله

مثله عمران بن حصين وذكر الطبري حديث ابي قتادة رضي الله تعالى عنه على
غير ما ذكره اهل الصحيح وان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خرج بهم ممدا لاهل
موتة عندما بلغه قتل الامراء وذكر حديثا طويلا فيه معجزات وآيات للنبي
صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه اعلامهم انهم يفقدون الماء في غد وذكر
حديث الميضاة والقوم زهاء ثلاثمائة وفي كتاب مسلم انه قال لابي قتادة
رضي الله تعالى عنه احفظ على ميضاتك فانه سيكون لها نبأ وذكر نحوه و
روى مثله عمران بن حصين حين اصاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم و
اصحابه عطش في بعض اسفارهم فوجه رجلين من اصحابه واعلمهما انهما يجدان
امرأة بمكان كذا معها بعير عليه مزادتان الحديث فوجداها واتيا بها النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم فجعل في اناء من مزادتيها وقال فيه ما شاء الله ان يقول
ثم اعاد الماء في المزادتين ثم فتحت عزاليهما وامر الناس فملأوا اسقيتهم
حتى لم يدعوا اشياء الا ملأوه قال عمران رضي الله تعالى عنه ويخيل الي انهما
لم تزدادا الا امتلاء ثم امر فجمع للمرأة من الازواد حتى ملأ ثوبها وقال
اذهبي فانا لم نأخذ من مائك شيئا ولكن الله سقانا الحديث بطوله وعن
سلمة بن الاكوع رضي الله تعالى عنه قال نبي الله صلى الله تعالى عليه وسلم هل
من وضوء فجاء رجل باداوة فيها نطفة فافرغها في قدح فتوضأنا كلنا ندغفقه
دغفقة اربع عشرة مائة وفي حديث عمر رضي الله تعالى عنه في جيش العسرة
وذكر ما اصابهم من العطش حتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه
فرغب ابو بكر رضي الله تعالى عنه الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في الدعاء
فرفع يديه فلم يرجعهما حتى قالت السماء فانسكبت فملأوا ما معهم من آنية
ولم تجاوز العسكر وعن عمرو بن شعيب رضي الله تعالى عنه ان ابا طالب

قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو رديفه بذي المجاز عطشت وليس معه
ماء فنزل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وضرب بقدمه الارض فخرج الماء فقال
اشرب والحديث في هذا الباب كثير ومنه الاجابة بدعاء الاستسقاء وما
جانسه فصل ومن معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم تكثير الطعام القليل
ببركته ودعائه حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله تعالى حدثنا
العذري حدثنا الرازي حدثنا الجلودي حدثنا ابن سفيان حدثنا
مسلم بن الحجاج حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا الحسن بن اعين حدثنا
معقل عن ابي الزبير عن جابر رضي الله تعالى عنه ان رجلا اتى النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم يستطعمه فاطعمه شطر وسق شعير فما زال ياكل منه
وامراته وضيفه حتى كاله فاتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبره
فقال له لو لم تكله لاكلتم منه ولقام بكم ومن ذلك حديث ابي طلحة
المشهور واطعامه صلى الله تعالى عليه وسلم ثمانين او سبعين رجلا من
اقراص من شعير جاء بها انس رضي الله تعالى عنه تحت يده اي ابطه فامر بها
ففتت وقال فيها ما شاء الله ان يقول وحديث جابر رضي الله تعالى عنه
في اطعامه صلى الله تعالى عليه وسلم يوم الخندق الف رجل من صاع شعير
وعناق وقال جابر رضي الله تعالى عنه فاقسم بالله لاكلوا حتى تركوه
وانحرفوا وان برمتنا لتغط كما هي وان عجيننا ليخبز وكان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم بصق في العجين والبرمة وبارك رواه عن
جابر سعيد بن ميناء وايمن وعن ثابت رضي الله تعالى عنه مثله عن رجل
من الانصار وامراته ولم يسمهما قال وجيء بمثل الكف فجعل رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم يبسطها في الاناء ويقول ما شاء الله فاكل

من في البيت

من في البيت والحجرة والدار وكان ذلك قد امتلا ممن قدم معه عليه السلم
لذلك وبقي بعدما شبعوا مثل ما كان في الاناء وحديث ابي ايوب رضي الله
تعالى عنه انه صنع لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولابي بكر رضي الله تعالى
عنه من الطعام زهاء ما يكفيهما فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
ادع ثلاثين من اشراف الانصار فدعاهم فاكلوا حتى تركوه ثم قال ادع ستين
فكان مثل ذلك ثم قال ادع سبعين فاكلوا حتى تركوه وما خرج منهم
احد حتى اسلم وبايع قال ابو ايوب رضي الله تعالى عنه فاكل من طعامي مائة
وثمانون رجلا وعن سمرة بن جندب رضي الله تعالى عنه اتي النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم بقصعة فيها لحم فتعاقبوها من غدوة حتى الليل يقوم
قوم ويقعد آخرون ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن ابي بكر رضي الله
تعالى عنهما كنا مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثين ومائة وذكر في
الحديث انه عجن صاع من طعام وصنعت شاة فشوي سواد بطنها قال
وايم الله ما من الثلاثين ومائة الا وقد حز له حزة من سواد بطنها ثم جعل
منها قصعتين فاكلنا اجمعون وفضل في القصعتين فحملته على البعير
ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن ابي عمرة الانصاري رضي الله تعالى
عنه عن ابيه ومثله لسلمة بن الاكوع وابي هريرة وعمر بن الخطاب رضي
الله تعالى عنهم فذكروا مخمصة اصابت الناس مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
في بعض مغازيه فدعا ببقية الازواد فجاء الرجل بالحثية من الطعام
وفوق ذلك واعلاهم الذي اتى بالصاع من التمر فجعله على نطع قال سلمة
فحزرته كربضة العنز ثم دعا الناس باوعيتهم فما بقي في الجيش وعاء
الا ملؤه وبقي منه قدر ما جعل اولا ولو ورده اهل الارض لكفاهم وعن

ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال امرني النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان ادعو له
اهل الصفة فتتبعتهم حتى جمعتهم فوضعت بين ايدينا صحفة فاكلنا ما شئنا
وفرغنا وهي مثلها حين وضعت الا ان فيها اثر الاصابع وعن علي بن ابي
طالب رضي الله تعالى عنه جمع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بني عبد المطلب
وكانوا اربعين منهم قوم ياكلون الجذعة ويشربون الفرق فصنع لهم مدا
من الطعام فاكلوا حتى شبعوا وبقي كما هو ثم دعا بعس فشربوا حتى
رووا وبقي كانه لم يشرب منه وقال انس رضي الله تعالى عنه ان النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم حين ابتنى بزينب امرني ان ادعو له قوما سماهم
وكل من لقيت حتى امتلاء البيت والحجرة وقدم اليهم تورا فيه قدر مد
من تمر جعل حيسا فوضعه قدامه وغمس ثلاث اصابعه وجعل القوم
يتغدون ويخرجون وبقي التور نحوا مما كان وكان القوم احدا واثنين
وسبعين رجلا وفي رواية اخرى في هذه القصة او مثلها ان القوم
كانوا زهاء عن ثلاث مائة وانهم اكلوا حتى شبعوا وقال لي ارفع فما ادري
حين وضعت كانت اكثر ام حين رفعت وفي حديث جعفر بن محمد
عن ابيه عن علي رضي الله تعالى عنه ان فاطمة رضي الله تعالى عنها طبخت قدرا
لغدائهما ووجهت عليا رضي الله تعالى عنه في طلب النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم ليتغدى معهما فامرها فغرفت منها لجميع نسائه صحفة صحفة
ثم له صلى الله تعالى عليه وسلم ولعلي رضي الله تعالى عنه ثم لها ثم رفعت
القدر وانها لتفيض قالت فاكلنا منها ما شاء الله تعالى وامر صلى الله تعالى
عليه وسلم عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ان يزود اربعمائة راكب
من احمس فقال يا رسول الله ما هي الا اصوع قال اذهب فذهب فزودهم

منه وكان قدر الفصيل الرابض من التمر وبقي بحاله من رواية
دكين الاحمسي ومن رواية جرير ومثله من رواية النعمان بن مقرن
الخبر الا انه قال اربعمائة راكب من مزينة ومن ذلك حديث جابر
رضي الله تعالى عنه في دين ابيه بعد موته وقد كان بذل لغرماء ابيه اصل
ماله فلم يقبلوه ولم يكن في غلتها سنين كفاف دينهم فجاء النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم بعد ان امر بجدها وجعلها بيادر في اصولها فمشى فيها
ودعا فاوفى منه جابر رضي الله تعالى عنه غرماء ابيه وفضل منه مثل
ما كانوا يجدون كل سنة وفي رواية مثل ما اعطاهم قال وكان الغرماء
يهود فعجبوا من ذلك وقال ابو هريرة رضي الله تعالى عنه اصاب الناس
مخمصة فقال لي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هل من شيء قلت نعم شيء
من التمر في المزود قال فاتني به فادخل يده صلى الله تعالى عليه وسلم فاخرج
قبضة وبسطها ودعا بالبركة ثم قال ادع عشرة فاكلوا حتى شبعوا
ثم عشرة كذلك حتى اطعم الجيش كلهم وشبعوا قال خذ ما جئت به و
ادخل يدك واقبض منه ولا تكبه فقبضت على اكثر مما جئت به فاكلت
منه واطعمت حياة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وابي بكر وعمر
رضي الله تعالى عنهما الى ان قتل عثمان رضي الله تعالى عنه فانتهب مني فذهب
وفي رواية فقد حملت من ذلك التمر كذا وكذا من وسق في سبيل الله
وذكرت مثل هذه الحكاية في غزوة تبوك وان التمر كان بضع عشرة
تمرة ومنه ايضا حديث ابي هريرة رضي الله تعالى عنه حين اصابه الجوع
فاستتبعه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فوجد لبنا في قدح قد اهدي
اليه وامره ان يدعو اهل الصفة قال فقلت ما هذا اللبن فيهم كنت

احق ان اصيب منه شربة نتقوى بها فدعوتهم وذكر امر النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم ان يسقيهم فجعلت اعطى الرجل فيشرب حتى يروى ثم
ياخذه الآخر حتى روى جميعهم قال فاخذ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
القدح وقال بقيت انا وانت اقعد فاشرب فشربت ثم قال اشرب وما
زال يقولها واشرب حتى قلت لا والذي بعثك بالحق ما اجد له مسلكا
فاخذ القدح فحمد الله وسمى وشرب الفضلة وفي حديث خالد بن عبد
العزى انه اجزر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم شاة وكان عيال خالد
كثيرا يذبح الشاة فلا تبد عياله عظما عظما وان النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم اكل من هذه الشاة وجعل فضلتها في دلو خالد ودعا له
بالبركة فنثر ذلك لعياله فاكلوا وافضلوا ذكر خبره الدولابي و
من حديث الآجري في نكاح النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لعلي فاطمة
رضي الله تعالى عنها ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم امر بلالا بقصعة من
اربعة امداد او خمسة ويذبح جزورا لوليمتها قال فاتيته بذلك
فطعن في راسها ثم ادخل الناس رفقة رفقة ياكلون منها حتى فرغوا
وبقيت منها فضلة فبرك فيها وامر بحملها الى ازواجه وقال كلن واطعمن
من غشيكن وفي حديث انس رضي الله تعالى عنه تزوج رسول الله تعالى عليه
وسلم فصنعت امي ام سليم حيسا فجعلته في تور فذهبت به الى رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ضعه وادع لي فلانا وفلانا ومن
لقيت فدعوتهم ولم ادع احدا لقيته الا دعوته وذكر انهم كانوا زهاء
عن ثلاثمائة حتى ملؤا الصفة والحجرة فقال لهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
تحلقوا عشرة عشرة ووضع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يده على

العزى نسخ

الطعام فدعا فيه وقال ما شاء الله تعالى ان يقول فاكلوا حتى شبعوا كلهم
فقال لي ارفع فما ادري حين وضعت كان اكثر ام حين رفعت واكثر
احاديث هذه الفصول الثلاثة في الصحيح وقد اجتمع حديث هذا على معنى
الفصل بضعة عشر من الصحابة رواه عنهم اضعافهم من التابعين ثم من
لا يعد بعدهم واكثرها في قصص مشهورة ومجامع مشهودة لا يمكن
التحدث عنها الا بالحق ولا يسكت الحاضر لها على ما انكره فصل في كلام
الشجر وشهادتها له بالنبوة واجابتها دعوته حدثنا احمد بن محمد بن
غلبون الشيخ الصالح فيما اجازنيه عن ابي عمر الطلمنكي عن ابي بكر بن
المهندس عن ابي القاسم البغوي حدثنا احمد بن عمران الاخنسي حدثنا
ابو حيان التيمي وكان صدوقا عن مجاهد عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما
قال كنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في سفر فدنا منه اعرابي
فقال يا اعرابي قال الى اهل قال هل لك الى خير قال وما هو قال تشهد
ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله قال من
يشهد لك على ما تقول قال هذه الشجرة وهي بشاطئ الوادي فادعها
فانها تجيبك قال فدعاها فاقبلت تخد الارض حتى قامت بين يديه
فاستشهدها ثلاثا فشهدت انه كما قال ثم رجعت الى مكانها وعن
بريدة رضي الله تعالى عنه سال اعرابي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
آية فقال له قل لتلك الشجرة رسول الله يدعوك قال فمالت الشجرة
عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها فتقطعت عروقها ثم جاءت
تخد الارض تجر عروقها مغبرة حتى وقفت بين يدي رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فقالت السلام عليك يا رسول الله قال

الاعرابي مرها فلترجع الى منبتها فرجعت فدلت عروقها في ذلك الموضع فاستوت
فقال الاعرابي ايذن لي اسجد لك قال لو امرت احدا ان يسجد لاحد لامرت
المراة ان تسجد لزوجها قال فاذن لي ان اقبل يديك و رجليك فاذن له وفي
الصحيح في حديث جابر بن عبد الله الطويل رضي الله تعالى عنه ذهب رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم يقضي حاجته فلم ير شيئا يستتر به فاذا بشجرتين
بشاطئ الوادي فانطلق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى احداهما
فاخذ بغصن من اغصانها فقال انقادي علي باذن الله تعالى فانقادت معه
كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده وذكر انه فعل بالاخرى مثل ذلك
حتى اذا كان بالمنصف بينهما قال التئما علي باذن الله تعالى فالتئمتا وفي رواية
اخرى فقال يا جابر قل لهذه الشجرة يقول لك رسول الله الحقي بصاحبتك
حتى اجلس خلفكما ففعلت فرجعت حتى لحقت بصاحبتها فجلس خلفهما
فخرجت احضر وجلست احدث نفسي فالتفت فاذا رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم مقبل والشجرتان قد افترقتا فقامت كل واحدة منهما
على ساق فوقف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقفة فقال برأسه
هكذا يمينا وشمالا وروى اسامة بن زيد رضي الله تعالى عنه نحوه
قال قال لي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في بعض مغازيه هل تعني
مكانا لحاجة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقلت ان الوادي ما فيه
موضع بالناس فقال هل ترى من نخل او حجارة قلت ارى نخلات متقاربات
قال انطلق وقل لهن ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يامركن ان
تاتين لمخرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقل للحجارة مثل ذلك فقلت
ذلك لهن فوالذي بعثه بالحق لقد رايت النخلات يتقاربن حتى

اجتمعن والحجارة يتعاقدن حتى صرن ركاما خلفهن فلما قضى رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم حاجته قال لي قل لهن يفترقن فوالذي نفسي
بيده لرايتهن والحجارة يفترقن حتى عدن الى مواضعهن وقال يعلى بن
سيابة رضي الله تعالى عنه كنت مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في مسير
وذكر نحوا من هذين الحديثين وذكر فامر وديتين فانضمتا وفي رواية
اشاءتين وعن غيلان بن سلمة الثقفي رضي الله تعالى عنه مثله في شجرتين
وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مثله
في غزاة حنين وعن يعلى بن مرة وهو ابن سيابة ايضا وذكر اشياء رءاها من
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فذكر ان طلحة او سمرة جاءت فاطافت به
ثم رجعت الى منبتها فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انها استاذنت ان
تسلم علي وفي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنهما اذنت النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم بالجن ليلة استمعوا له شجرة وعن مجاهد عن ابن
مسعود رضي الله تعالى عنه في هذا الحديث ان الجن قالوا من يشهد لك
قال هذه الشجرة تعالي يا شجرة فجاءت تجر عروقها لها قعاقع وذكر مثل
الحديث الاول او نحوه قال القاضي ابو الفضل رحمه الله تعالى فهذا ابن عمر
وبريدة وجابر وابن مسعود ويعلى بن مرة واسامة بن زيد وانس
بن مالك وعلي بن ابي طالب وابن عباس وغيرهم رضي الله تعالى عنهم قد
اتفقوا على هذه القصة نفسها او معناها ورواها عنهم من التابعين
اضعافهم فصارت في انتشارها من القوة حيث هي وذكر ابن فورك
انه صلى الله تعالى عليه وسلم سار في غزوة الطائف ليلا وهو وسن
فاعترضته سدرة فانفرجت له نصفين حتى جاز بينهما وبقيت على ساقين

الى وقتنا وهي هناك معروفة معظمة ومن ذلك حديث انس رضي الله
تعالى عنه ان جبريل عليه السلام قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وراه
حزينا اتحب ان اريك اية قال نعم فنظر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
الى شجرة من وراء الوادي فقال ادع تلك الشجرة فجاءت تمشي حتى قامت
بين يديه قال مرها فلترجع فعادت الى مكانها وعن علي بن ابي طالب رضي الله
تعالى عنه نحو هذا ولم يذكر فيها جبريل عليه السلام قال اللهم ارني اية لا ابالي
من كذبني بعدها فدعا شجرة وذكر مثله وحزنه لابن اسحاق ان النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم رءى ركانة مثل هذه الاية في شجرة دعاها فاتت حتى
وقفت بين يديه ثم قال ارجعي فرجعت وعن الحسن انه عليه السلام
شكى الى ربه من قومه وانهم يخوفونه فسأله اية يعلم بها ان لا مخافة
عليه فاوحى الله تعالى ان ائت وادي كذا فيه شجرة فادع غصنا منها يأتك
ففعل فجاء يخط الارض خطا حتى انتصب بين يديه فحبسه ما شاء الله ثم
قال له ارجع كما جئت فرجع فقال يا رب علمت ان لا مخافة علي ونحو منه عن
عمر وقال فيه ارني اية لا ابالي من كذبني بعد هذا وذكر نحوه وعن ابن
عباس رضي الله تعالى عنهما انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لاعرابي ارأيت
ان دعوت هذا العذق من هذه النخلة اتشهد اني رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم قال نعم فدعاه فجعل ينقز حتى اتاه فقال ارجع فعاد الى
مكانه وخرجه الترمذي وقال هذا حديث صحيح فصل في قصة حنين
الجذع ويعضد هذه الاخبار حديث انين الجذع وهو في نفسه مشهور
منتشر والخبر به متواتر خرجه اهل الصحيح ورواه من الصحابة رضي الله
تعالى عنهم بضعة عشر منهم ابي بن كعب وجابر بن عبد الله وانس بن مالك

صلى الله تعالى عليه وسلم لما كذبه قومه
وطلب الاية لا ابالي [illegible] صح

وعبد الله

وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وسهل بن سعد وابو سعيد الخدري
وبريدة وام سلمة والمطلب بن ابي وداعة كلهم يحدث بمعنى هذا الحديث
قال الترمذي وحديث انس حسن صحيح رضي الله تعالى عنه قال جابر بن عبد الله
كان المسجد مسقوفا على جذوع نخل فكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
اذا خطب يقوم الى جذع منها فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتا
كصوت العشار وفي رواية انس رضي الله تعالى عنه حتى ارتج المسجد لخواره
وفي رواية سهل وكثر بكاء الناس لما راوا به وفي رواية المطلب وابي
حتى تصدع وانشق حتى جاء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فوضع يده عليه
فسكت زاد غيره فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان هذا بكى لما
فقد من الذكر وزاد غيره والذي نفسي بيده لو لم التزمه لم يزل هكذا الى
يوم القيمة تحزنا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فدفن تحت المنبر
كذا في حديث المطلب وسهل بن سعد واسحاق عن انس رضي الله تعالى عنه
وفي بعض الروايات عن سهل رضي الله تعالى عنه فدفن تحت منبره
او جعلت في السقف وفي حديث ابي رضي الله تعالى عنه فكان اذا صلى
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم صلى اليه فلما هدم المسجد اخذه ابي عنده
حتى اكلته الارض وعاد رفاتا وذكر الاسفرائني ان النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم دعاه الى نفسه فجاء يخرق الارض فالتزمه ثم امره فعاد
الى مكانه وفي حديث بريدة رضي الله تعالى عنه فقال يعني النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم ان شئت اردك الى الحائط الذي كنت فيه تنبت لك عروقك
ويكمل خلقك ويجدد لك خوص وثمرة وان شئت اغرسك في الجنة
فياكل اولياء الله تعالى من ثمرك ثم اصغى له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

يستمع ما يقول فقال بل تغرسني في الجنة فيأكل مني أولياء الله تعالى وأكون
في مكان لا أبلى فيه فسمعه من يليه فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
قد فعلت ثم قال اختار دار البقاء على دار الفناء فكان الحسن اذا حدث
بهذا بكى وقال يا عباد الله تعالى الخشبة تحن الى رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم شوقاً اليه لمكانه فانتم احق ان تشتاقوا الى لقائه رواه عن جابر
رضي الله تعالى عنه حفص بن عبيد الله ويقال عبيد الله بن حفص وايمن
وابو نضرة وابن المسيب وسعيد بن ابي كرب وكريب وابو صالح ورواه
عن انس بن مالك رضي الله تعالى عنه الحسن وثابت واسحاق بن ابي طلحة ورواه
عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما نافع وابو حية ورواه ابو نضرة وابو الوداك
عن ابي سعيد وعمار بن عمار عن ابن عباس وابو حازم وعباس بن سهل بن
سعد عن سهل بن سعد وكثير بن زيد عن المطلب وعبد الله بن بريدة
عن ابيه والطفيل بن ابي عن ابيه رضي الله تعالى عنهم اجمعين قال القاضي
ابو الفضل رحمه الله تعالى فهذا حديث كما تراه خرجه اهل الصحة ورواه
من الصحابة من ذكرنا وغيرهم من التابعين ضعفهم الى من لم نذكره وبدون
هذا العدد يقع العلم لمن اعتنى بهذا الباب والله تعالى المثبت للصواب فصل
ومثل هذا في سائر الجمادات حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى
التميمي حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن المرابط حدثنا المهلب حدثنا
ابو القاسم حدثنا ابو الحسن القابسي حدثنا المروزي حدثنا الفربري
حدثنا البخاري حدثنا محمد بن المثنى حدثنا ابو احمد الزبيري قال نا
اسرائيل عن منصور عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله رضي الله تعالى عنه
قال لقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل وفي غير هذه الرواية عن ابن

مسعود

مسعود رضي الله تعالى عنه كنا نأكل مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ونحن نسمع تسبيحه وقال انس رضي الله تعالى عنه اخذ النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم كفاً من حصى فسبحن في يد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن في يد ابي بكر فسبحن ثم في ايدينا فما سبحن و
روى مثله ابو ذر رضي الله تعالى عنه وذكر انهن سبحن في كف عمر وعثمان
رضي الله تعالى عنهما وقال علي رضي الله تعالى عنه كنا بمكة مع رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم فخرج الى بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل الا قال
السلام عليك يا رسول الله وعن جابر بن سمرة رضي الله تعالى عنه عنه عليه السلام
اني لاعرف حجراً بمكة كان يسلم علي قيل انه الحجر الاسود وعن عائشة رضي الله
تعالى عنها لما استقبلني جبريل بالرسالة جعلت لا امر بحجر ولا شجر الا قال
السلام عليك يا رسول الله وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه لم يكن
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يمر بحجر ولا شجر الا سجد له وفي حديث
العباس رضي الله تعالى عنه اذ اشتمل عليه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
وعلى بنيه بملاءة ودعا لهم بالستر من النار كستره اياهم بملاءته فأمنت
اسكفة الباب وحوائط البيت آمين آمين وعن جعفر بن محمد عن ابيه
مرض النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاتاه جبريل بطبق فيه رمان وعنب
فاكل منه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فسبح وعن انس رضي الله تعالى
عنه صعد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وابو بكر وعمر وعثمان احداً
فرجف بهم فقال اثبت احد فانما عليك نبي وصديق وشهيدان و
مثله عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه في حراء وزاد معه وعلي وطلحة
والزبير وقال فانما عليك نبي او صديق او شهيد والخبر في حراء ايضاً

عن عثمان قال ومعه عشرة من اصحابه انا فيهم وزاد عبد الرحمن وسعد
قال ونسيت الاثنين وفي حديث سعيد بن زيد ايضا مثله وذكر عشرة
وزاد نفسه وقد روي انه صلى الله تعالى عليه وسلم حين طلبته قريش
قال له ثبير اهبط يا رسول الله فاني اخاف ان يقتلوك على ظهري فيعذبني
الله تعالى فقال له حراء الي يا رسول الله وروى ابن عمر رضي الله تعالى عنهما ان
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قرأ على المنبر وما قدروا الله حق قدره
ثم قال يمجد الجبار نفسه انا الجبار انا الجبار انا الكبير المتعالي فرجف
المنبر حتى قلنا ليخرن عنه وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كان حول البيت
ستون وثلاثمائة صنم مثبتة الارجل بالرصاص في الحجارة فلما دخل رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم المسجد عام الفتح جعل يشير بقضيب في يده
اليها ولا يمسها ويقول جاء الحق وزهق الباطل الاية فما اشار الى وجه
صنم الا وقع لقفاه ولا لقفاه الا وقع لوجهه حتى ما بقي منها صنم ومثله
في حديث ابن مسعود رضي الله تعالى عنه وقال فجعل يطعنها ويقول جاء الحق
وما يبدئ الباطل وما يعيد ومن ذلك حديثه مع الراهب في ابتداء
امره اذ خرج تاجرا مع عمه وكان الراهب لا يخرج الى احد فخرج وجعل
يتخللهم حتى اخذ بيد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال هذا
سيد العالمين يبعثه الله تعالى رحمة للعالمين فقال له اشياخ من
قريش ما علمك قال انه لم يبق شجر ولا حجر الا خر ساجدا له ولا تسجد
الجمادات الا لنبي وذكر القصة ثم قال واقبل صلى الله تعالى عليه وسلم
وعليه غمامة تظله فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه الى فيء الشجر
فلما جلس مال الفيء اليه صلى الله تعالى عليه وسلم فصل في الايات

في ضروب

في ضروب الحيوانات حدثنا سراج بن عبد الملك ابو الحسين الحافظ
حدثنا ابي حدثنا القاضي يونس حدثنا ابو الفضل الصقلي حدثنا
ثابت بن قاسم بن ثابت عن ابيه وجده قالا حدثنا ابو العلاء احمد بن
عمران حدثنا محمد بن فضيل حدثنا يونس بن عمرو عن مجاهد عن عائشة
رضي الله تعالى عنها قالت كان عندنا داجن فاذا كان عندنا رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم قر وثبت مكانه فلم يجئ ولم يذهب واذا خرج
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جاء وذهب وروي عن عمر
رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان في محفل
في اصحابه اذ جاء اعرابي قد صاد ضبا فقال من هذا قالوا نبي الله فقال
واللات والعزى لا امنت بك او يؤمن هذا الضب وطرحه بين يدي
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
يا ضب فاجابه بلسان مبين يسمعه القوم جميعا لبيك وسعديك
يا زين من وافى القيمة قال من تعبد قال الذي في السماء عرشه وفي
الارض سلطانه وفي البحر سبيله وفي الجنة رحمته وفي النار عقابه
قال فمن انا قال رسول رب العالمين وخاتم النبيين وقد افلح من
صدقك وقد خاب من كذبك فاسلم الاعرابي ومن ذلك قصة كلام
الذئب المشهورة عن ابي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه بينا
راع يرعى غنما له عرض الذئب لشاة منها فاخذها الراعي منه فاقعى
الذئب وقال للراعي الا تتقي الله تعالى حلت بيني وبين رزقي قال
الراعي العجب من ذئب يتكلم بكلام الادميين فقال الذئب الا اخبرك
باعجب من ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بين الحرتين يحدث

الناس بانبآء ما قد سبق فاتى الراعى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
فاخبره فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فحدثهم ثم قال صدق
والحديث فيه قصر قصة وفى بعضه طول وروى حديث الذئب
عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه وفى بعض الطريق عن ابى هريرة رضى
الله تعالى عنه فقال الذئب انت اعجب واقفا على غنمك وتركت نبيا لم يبعث
الله تعالى نبيا قط اعظم منه عنده قدرا قد فتحت له ابواب الجنة واشرف
اهلها على اصحابه ينظرون قتالهم وما بينك وبينه الا هذا الشعب فتصير
فى جنود الله قال الراعى من لى بغنمى قال الذئب انا ارعاها حتى ترجع فاسلم
الرجل اليه غنمه ومضى وذكر قصته واسلامه ووجوده النبى صلى
الله تعالى عليه وسلم يقاتل فقال له النبى صلى الله تعالى عد الى غنمك فانك
تجدها بوفرها فوجدها كذلك وذبح للذئب شاة منها وعن اهبان بن
اوس وانه كان صاحب القصة والمحدث بها والمكلم الذئب وعن
سلمة بن عمرو بن الاكوع رضى الله تعالى عنه وانه كان صاحب هذه القصة
ايضا وسبب اسلامه بمثل حديث ابى سعيد وقد روى ابن وهب
مثل هذا انه جرى لابى سفيان بن حرب وصفوان بن امية مع ذئب
وجداه اخذ ظبيا فدخل الظبى الحرم فانصرف الذئب فعجبا من ذلك
فقال الذئب اعجب من ذلك محمد بن عبد الله بالمدينة يدعوكم الى الجنة
وتدعونه الى النار فقال ابو سفيان واللات والعزى لئن ذكرت هذا
بمكة لتتركنها خلوفا وقد روى مثل هذا الخبر وانه جرى لابى جهل و
اصحابه وعن عباس بن مرداس لما تعجب من كلام ضماد صنمه وانشاده
الشعر الذى ذكر فيه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاذا طائر سقط

فقال يا عباس

فقال يا عباس تعجب من كلام ضماد ولا تعجب من نفسك ان رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم يدعوا الى الاسلام وانت جالس فكان
سبب اسلامه وعن جابر بن عبد الله عن رجل رضى الله تعالى عنه اتى النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم وآمن به وهو على بعض حصون خيبر وكان فى غنم يرعاها لهم
فقال يا رسول الله كيف بالغنم فقال احصب وجوهها فان الله تعالى سيؤدى
عنك امانتك وردها الى اهلها ففعل فسارت كل شاة حتى دخلت
الى اهلها وعن انس رضى الله تعالى عنه دخل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
حائط انصارى وابو بكر وعمر ورجل من الانصار وفى الحائط غنم فسجدت
له الغنم فقال ابو بكر نحن احق بالسجود لك منها الحديث وعن ابى هريرة
رضى الله تعالى عنه دخل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حائطا فجاء بعير فسجد له
وذكر مثله ومثله فى الجملة عن ثعلبة بن مالك وجابر بن عبد الله ويعلى
بن مرة وعبد الله بن جعفر رضى الله تعالى عنهم قال وكان لا يدخل احد
الحائط الا شد عليه الجمل فلما دخل عليه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم دعاه
فوضع مشفره فى الارض وبرك بين يديه فخطمه وقال صلى الله تعالى عليه
وسلم ما بين السماء والارض شىء الا يعلم انى رسول الله الا عاصى الجن
والانس ومثله عن عبد الله بن ابى اوفى وفى خبر آخر فى حديث الجمل
ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم سألهم عن شانه فاخبروه انهم ارادوا
ذبحه وفى رواية ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لهم انه شكا كثرة
العمل وقلة العلف وفى رواية انه شكا الى انكم اردتم ذبحه بعد ان
استعملتموه فى شاق العمل من صغره فقالوا نعم وقد روى فى قصة العضباء
وكلامها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وتعريفها له بنفسها ومبادرة

العشب لها في الرعي وتجنب الوحوش عنها وندائهم لها انك لمحمد صلى الله
تعالى عليه وسلم وانها لم تاكل ولم تشرب بعد موته حتى ماتت ذكره الاسفرايني
وروى ابن وهب ان حمامة اظلت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يوم
فتحها فدعا لها بالبركة وروى عن انس وزيد بن ارقم والمغيرة بن
شعبة رضي الله تعالى عنهم ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة الغار
امر الله تعالى شجرة فنبتت تجاه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فسترته وامر
حمامتين فوقفتا بفم الغار وفي حديث اخر وان العنكبوت نسجت
على بابه فلما اتى الطالبون له وراوا ذلك قالوا لو كان فيه احد لم تكن
الحمامتان ببابه والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم يسمع كلامهم فانصرفوا
وعن عبد الله بن قرط رضي الله تعالى عنه قرب الى رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم بدنات خمس او ست او سبع لينحرها يوم عيد فازدلفن
اليه بايتهن يبدا وعن ام سلمة رضي الله تعالى عنها كان النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم في صحراء فنادته ظبية يا رسول الله قال ما حاجتك قالت صادني
هذا الاعرابي ولي خشفان في ذلك الجبل فاطلقني حتى اذهب فارضعهما وارجع
قال او تفعلين قالت نعم فاطلقها فذهبت ورجعت فاوثقها فانتبه
الاعرابي وقال يا رسول الله الك حاجة قال تطلق هذه الظبية فاطلقها
فخرجت تعدو في الصحراء وتقول اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله
ومن هذا الباب ما روي من تسخير الاسد لسفينة مولى رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم اذ وجهه الى معاذ باليمن فلقي الاسد فعرفه انه
مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومعه كتابه فهمهم الاسد وتنحى
عن الطريق وذكر في منصرفه مثل ذلك وفي رواية اخرى عنه ان سفينة

تكسرت

تكسرت به فخرج الى جزيرة فاذا الاسد فقلت انا مولى رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم فجعل يغمزني بمنكبه حتى اقامني على الطريق واخذ
صلى الله تعالى باذن شاة لقوم من بني عبد القيس بين اصبعيه ثم خلاها
فصار لها ميسما وبقي ذلك الاثر فيها وفي نسلها بعد وما روي عن ابراهيم
بن حماد بسنده من كلام الحمار الذي اصابه بخيبر وقال له اسمي يزيد بن شهاب
فسماه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يعفورا وانه كان يوجهه الى دور
اصحابه فيضرب عليهم الباب براسه ويستدعيهم وان النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم لما مات تردى في بئر جزعا وحزنا فمات وحديث الناقة
التي شهدت عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لصاحبها انه ما سرقها وانها
ملكه وفي العنز التي اتت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في عسكره وقد
اصابهم عطش ونزلوا على غير ماء وهم زهاء ثلثمائة فحلبها رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فاروى الجند ثم قال لرافع املكها وما اراك فربطها
فوجدها قد انطلقت رواه ابن قانع وغيره وفيه فقال رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم ان الذي جاء بها هو الذي ذهب بها وقال لفرسه صلى
الله تعالى عليه وسلم وقد قام الى الصلوة في بعض اسفاره لا تبرح بارك الله
فيك حتى نفرغ من صلوتنا وجعله قبلته فما حرك عضوا حتى صلى الله تعالى عليه
وسلم ويلتحق بهذا ما رواه الواقدي ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما
وجه رسله الى الملوك فخرج ستة نفر منهم في يوم واحد فاصبح كل رجل منهم
يتكلم بلسان القوم بعثه اليهم والحديث في هذا الباب كثير وقد جئنا
منه بالمشهور من ذلك وما وقع في كتب الائمة فصل في احياء الموتى وكلامهم
وكلام الصبيان والمراضع وشهادتهم له بالنبوة صلى الله تعالى عليه وسلم حدثنا

ابو الوليد هشام بن احمد الفقيه بقراءتي عليه والقاضي ابو الوليد محمد
بن رشد والقاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي وغير واحد سماعا و
اذنا قالوا حدثنا ابو علي الحافظ قال حدثنا ابو عمر الحافظ حدثنا ابو زيد
عبد الرحمن بن يحيى حدثنا احمد بن سعيد حدثنا ابن الاعرابي حدثنا ابو
داود حدثنا وهب بن بقية عن خالد هو الطحان عن محمد بن عمرو عن ابي سلمة
عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنهم ان يهودية اهدت للنبي صلى الله تعالى
عليه وسلم بخيبر شاة مصلية سمتها فاكل رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم واكل القوم فقال ارفعوا ايديكم فانها اخبرتني انها مسمومة فمات
بشر بن البراء وقال لليهودية ما حملك على ما صنعت قالت ان كنت نبيا لم
يضرك الذي صنعت وان كنت ملكا ارحت الناس منك قال فامر بها فقتلت
وقد روى هذا الحديث انس رضي الله تعالى عنه وفيه قالت اردت قتلك
فقال ما كان الله تعالى ليسلطك على ذلك فقالوا انقتلها قال لا وكذلك
روي عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه من رواية غير وهب قال فما عرض
لها ورواه ايضا جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه وفيه اخبرتني به هذه
الذراع قال ولم يعاقبها وفي رواية ابي سلمة بن عبد الرحمن رضي الله تعالى
فقالت اني مسمومة وفي رواية الحسن ان فخذها تكلمني انها مسمومة و
كذلك ذكر الخبر ابن اسحاق وقال فيه فتجاوز عنها وفي الحديث الآخر عن
انس رضي الله تعالى عنه انه قال فما زلت اعرفها في لهوات رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم وفي حديث ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم قال في وجعه الذي مات منه ما زالت اكلة خيبر
تعادني فالآن اوان قطعت ابهري وحكى ابن اسحاق ان كان المسلمون

ليرون ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مات شهيدا مع ما اكرمه الله
تعالى به من النبوة وقال ابن سحنون اجمع اهل الحديث ان رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم قتل اليهودية التي سمته وقد ذكرنا اختلاف الروايات في
ذلك عن ابي هريرة وانس وجابر رضي الله تعالى عنهم وفي رواية ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما انه دفعها الى اولياء بشر بن البراء فقتلوها وكذلك قد اختلف
في قتله للذي سحره قال الواقدي وعفوه عنه اثبت عندنا وروى الحديث
البزار عن ابي سعيد رضي الله تعالى عنه فذكر مثله الا انه قال في آخره فبسط
يده وقال كلوا بسم الله فاكلنا وذكرنا اسم الله تعالى فلم يضر منا احد قال القاضي
ابو الفضل رحمه الله تعالى وقد خرج حديث الشاة المسمومة اهل الصحيح وخرجه
وهو حديث مشهور واختلف ائمة اهل النظر في هذا الباب فمن قائل يقول هو
كلام يخلقه الله تعالى في الشاة الميتة او الحجر او الشجر وحروف واصوات
يحدثها الله تعالى فيها ويسمعها منها دون تغيير اشكالها ونقلها عن هيئتها
وهو مذهب الشيخ ابي الحسن والقاضي ابي بكر رحمهما الله تعالى وآخرون ذهبوا
الى ايجاد الحياة بها اولا ثم الكلام بعدها وحكي هذا ايضا عن شيخنا ابي
الحسن وكل محتمل والله تعالى اعلم اذ لم نجعل الحياة شرطا لوجود الحروف والاصوات
اذ لا يستحيل وجودها مع عدم الحياة بمجردها واما اذا كانت عبارة عن
الكلام النفسي فلا بد من شرط الحياة لها اذ لا يوجد كلام النفس الا من حي
خلافا للجبائي من بين سائر متكلمي الفرق في احالة وجود الكلام اللفظي والحروف
والاصوات الا من حي مركب على تركيب من يصح منه النطق بالحروف والاصوات
والتزم ذلك في الحصى والجذع والذراع وقال ان الله تعالى خلق فيها حياة
وخرق لها فما ولسانا وآلة امكنها بها من الكلام وهذا لو كان لكان نقله

والتهمم بداكد من التهمم بنقل تسبيحه وحنينه ولم ينقل احد من اهل السير
والرواية شيئا من ذلك فدل على سقوط دعواه مع انه لاضرورة اليه في
النظر والموفق الله تعالى وروى وكيع بدفعه عن فهد بن عطية رضي الله تعالى
عنه ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اتي بصبي قد شب لم يتكلم قط
فقال من انا فقال رسول الله وروى عن معرض بن معيقيب رضي الله تعالى
عنه رايت من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عجبا جيء بصبي يوم ولد
فذكر مثله وهو حديث اليمامة ويعرف بحديث شاصونه اسم راويه وفيه
وقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم صدقت بارك الله فيك ثم ان
الغلام لم يتكلم بعدها حتى شب فكان يسمى مبارك اليمامة وكانت هذه القصة
بمكة في حجة الوداع وعن الحسن ان رجلا اتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
فذكر له انه طرح بنية له في وادي كذا فانطلق معه الى الوادي وناداها
باسمها يا فلانة اجيبني باذن الله تعالى فخرجت وهي تقول لبيك وسعديك
فقال لها ان ابويك قد اسلما فان احببت ان اردك عليهما فقالت لا حاجة لي
فيهما وجدت الله خيرا لي منهما وعن انس رضي الله تعالى عنه ان شابا
من الانصار توفي وله ام عجوز عمياء فسجيناه وعزيناها فقالت مات
ابني قلنا نعم قالت اللهم ان كنت تعلم اني هاجرت اليك والى نبيك صلى
الله تعالى عليه وسلم رجاء ان تعينني على كل شدة فلا تحملن علي هذه المصيبة
فما برحنا ان كشف الثوب عن وجهه فطعم وطعمنا وروى عن عبد الله بن
عبيد الله الانصاري كنت فيمن دفن ثابت بن قيس بن شماس وكان قتل
باليمامة فسمعناه حين ادخلناه القبر يقول محمد رسول الله ابو بكر الصديق
عمر الشهيد وعثمان البر الرحيم فنظرنا فاذا هو ميت وذكر عن النعمان

بن بشير

بن بشير رضي الله تعالى عنه ان زيد بن خارجة خر ميتا في بعض ازقة المدينة
فرفع وسجي اذ سمعوه بين العشائين والنساء يصرخن حوله يقول انصتوا
فحسر عن وجهه فقال محمد رسول الله النبي الامي وخاتم النبيين كان ذلك
في الكتاب الاول ثم قال صدق وذكر ابا بكر وعمر وعثمان ثم قال السلام
عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ثم عاد ميتا كما كان فصل في ابراء
المرضى وذوي العاهات اخبرنا ابو الحسن علي بن مشرف فيما اجازنيه وقراته
على غيره قال حدثنا ابو اسحاق الحبال قال حدثنا ابو محمد النحاس حدثنا ابن
الورد عن البرقي عن ابن هشام عن زياد البكائي عن محمد بن اسحاق حدثنا
ابن هشام وعاصم بن عمر بن قتادة وجماعة ذكرهم بقضية احد بطولها
قال وقالوا قال سعد بن ابي وقاص رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم ليناولني النبل فيقول ارم به وقد رمى رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم يومئذ عن قوسه حتى اندقت واصيبت يومئذ
عين قتادة يعني ابن النعمان حتى وقعت على وجنته فردها رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم فكانت احسن عينيه وروى قصة قتادة عاصم
بن عمر بن قتادة ويزيد بن قتادة رضي الله تعالى عنهم ورواها ابو سعيد
الخدري عن قتادة رضي الله تعالى عنهما وبصق على اثر سهم في وجه ابي
قتادة رضي الله تعالى عنه في يوم ذي قرد قال فما ضرب علي ولا قاح وروى
النسائي عن عثمان بن حنيف رضي الله تعالى عنه ان اعمى قال يا رسول الله ادع
الله ان يكشف لي عن بصري قال فانطلق فتوضا ثم صل ركعتين ثم
قل اللهم اني اسالك واتوجه اليك بنبي محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
نبي الرحمة يا محمد اني اتوجه بك ان يكشف عن بصري اللهم شفعه

فى فرجع وقد كشف الله عن بصره وروى ان ابن ملاعب الاسنة
اصابه استسقاء فبعث الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاخذ بيده حثوة
من الارض فتفل عليها ثم اعطاها رسوله فاخذها متعجبا يرى ان قد
هزئ به فاتاه بها وهو على شفا هلكة فشربها فشفاه الله تعالى وذكر
العقيلى عن حبيب بن فديك ويقال فريك ان اباه ابيضت عيناه فكان
لا يبصر بهما شيئا فنفث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى عينيه
فابصر فرايته يدخل الخيط فى الابرة وهو ابن ثمانين ورمى كلثوم
بن الحصين رضى الله تعالى عنهما يوم احد فى نحره فبصق رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم فيه فبرا وتفل صلى الله تعالى عليه وسلم على شجة
عبد الله بن انيس فلم تمد وتفل صلى الله تعالى عليه وسلم فى عينى
يوم خيبر وكان رمدا فاصبح بارئا ونفث صلى الله تعالى عليه وسلم
على ضربة بساق سلمة بن الاكوع رضى الله تعالى عنه يوم خيبر فبرئت
وفى رجل زيد بن معاذ رضى الله تعالى عنه حين اصابها السيف الى الكعب
حين قتل ابن الاشرف فبرئت وعلى ساق على بن الحكم رضى الله تعالى عنه يوم
الخندق اذ انكسرت فبرئ مكانه وما نزل عن فرسه واشتكى على بن ابى طالب
رضى الله تعالى عنه فجعل يدعو فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم
اشفه او عافه ثم ضربه برجله فما اشتكى ذلك الوجع بعد وقطع ابو جهل يوم
بدر يد معوذ بن عفراء فجاء يحمل يده فبصق عليها رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم والصقها فلصقت رواه ابن وهب ومن روايته ايضا
ان خبيب بن يساف اصيب يوم بدر مع رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم بضربة على عاتقه حتى مال شقه فرده رسول الله صلى الله تعالى

عليه وسلم

عليه وسلم ونفث عليه حتى برئ واتته صلى الله تعالى عليه وسلم امراة
من خثعم معها صبى به بلاء لا يتكلم فاتى بماء فمضمض فاه وغسل يديه ثم
اعطاها اياه وامرها بسقيه ومسه به فبرأ الغلام وعقل عقلا يفضل
عقول الناس وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما جاءت امراة بابن لها
به جنون فمسح صدره فثع ثعة فخرج من جوفه مثل الجرو الاسود فشفى
وانكفأت القدر على ذراع محمد بن حاطب وهو طفل فمسح عليه ودعا له
وتفل فيه فبرئ لحينه وكانت فى كف شرحبيل الجعفى رضى الله تعالى عنه سلعة
تمنعه القبض على السيف وعنان الدابة فشكاها للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم
فما زال صلى الله تعالى عليه وسلم يطحنها بكفه حتى رفعها ولم يبق لها اثر وسألته
صلى الله تعالى عليه وسلم جارية طعاما وهو ياكل فناولها من بين يديه
وكانت قليلة الحياء فقالت انما اريد من الذى فى فيك فناولها ما فى فيه
ولم يكن يسأل شيئا فيمنعه فلما استقر فى جوفها القى عليها من الحياء ما لم تكن
امراة بالمدينة اشد حياء منها فصل فى اجابة دعائه صلى الله تعالى عليه
وسلم وهذا باب واسع جدا واجابة دعوة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
لجماعة بما دعا لهم وعليهم متواتر على الجملة معلوم ضرورة وقد جاء فى
حديث حذيفة رضى الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
اذا دعا لرجل ادركت الدعوة ولده وولد ولده حدثنا ابو محمد العتابى
بقراءتى عليه حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد حدثنا ابو الحسن القابسى حدثنا
ابو زيد المروزى حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا عبد الله
بن ابى الاسود حدثنا حرمى اخبرنا شعبة عن قتادة عن انس رضى الله تعالى
عنه قال قالت امى يا رسول الله خادمك انس ادع الله له قال اللهم

اكثر ماله وولده وبارك له فيما اتيته وفي رواية عكرمة قال انس رضي
الله تعالى عنه فوالله ان مالي لكثير وان ولدي ليتعادون اليوم على نحو المائة
وفي رواية وما اعلم احدا اصاب من رخاء العيش ما اصبت ولقد دفنت
بيدي هاتين مائة من ولدي لا اقول سقطا ولا ولد ولد ومنه دعاؤه
لعبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه بالبركة قال عبد الرحمن رضي
الله تعالى عنه فلو رفعت حجرا لرجوت ان اصيب تحته ذهبا وفتح الله تعالى عليه
ومات فحفر الذهب من تركته بالفؤوس حتى مجلت فيه الايدي واخذت
كل زوجة ثمانين الفا وكن اربعا وقيل مائة الف وقيل بل صولحت احداهن
لانه طلقها في مرض موته على نيف وثمانين الفا واوصى بخمسين الفا بعد
صدقاته الفاشية في حياته وعوارفه العظيمة اعتق يوما ثلاثين عبدا
وتصدق مرة بعير فيها سبعمائة بعير وردت عليه تحمل من كل شيء فتصدق
بها وبما عليها وباقتابها واحلاسها ودعا لمعاوية رضي الله تعالى عنه بالتمكين
في البلاد فنال الخلافة ولسعد بن ابي وقاص رضي الله تعالى عنهما ان يجيب
الله دعوته فما دعا على احد الا استجيب ودعا بعز الاسلام بعمر او بابي
جهل فاستجيب له في عمر قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه ما زلنا اعزة
منذ اسلم عمر رضي الله تعالى عنه واصاب الناس في بعض مغازيه عطش
فسأله عمر رضي الله تعالى عنه الدعاء فدعا فجاءت سحابة فسقتهم حاجتهم
ثم اقلعت ودعا صلى الله تعالى عليه وسلم في الاستسقاء فسقوا ثم شكوا
اليه المطر فدعا فصحوا وقال صلى الله تعالى عليه وسلم للنابغة لا يفضض
الله فاك فما سقطت له سن وفي رواية فكان احسن الناس ثغرا اذا
سقطت له سن نبتت له وعاش عشرين ومائة سنة وقيل اكثر من هذا

وقال

وقال لابي قتادة رضي الله تعالى عنه افلح وجهك اللهم بارك له في شعره
وبشره فمات وهو ابن سبعين سنة وكانه ابن خمس عشرة ودعا صلى
الله تعالى عليه وسلم لابن عباس رضي الله تعالى عنهما اللهم فقهه في الدين
وعلمه التأويل فسمي بعد الحبر وترجمان القرآن ودعا صلى الله تعالى عليه وسلم
لعبد الله بن جعفر رضي الله تعالى عنهما بالبركة في صفقة يمينه فما اشترى
شيئا الا ربح فيه ودعا صلى الله تعالى عليه وسلم للمقداد بالبركة فكان عنده
غرائر من المال ودعا صلى الله تعالى عليه وسلم لعروة بن ابي الجعد رضي الله
تعالى عنه وقال فلقد كنت اقوم بالكناسة فلا ارجع حتى اربح اربعين الفا وقال
البخاري في حديثه فكان لو اشترى التراب ربح فيه وروي مثل هذا لغرقدة
ايضا وندت له ناقة فجاءه بها اعصار ريح حتى ردها عليه فدعا ودعا صلى
الله تعالى عليه وسلم لام ابي هريرة رضي الله تعالى عنهما فاسلمت ودعا صلى الله
تعالى عليه وسلم لعلي رضي الله تعالى عنه ان يكفى الحر والقر فكان يلبس في
الشتاء ثياب الصيف وفي الصيف ثياب الشتاء ولا يصيبه حر ولا برد
ودعا صلى الله تعالى عليه وسلم لفاطمة ابنته رضي الله تعالى عنها ان لا يجيعها
الله تعالى قالت فما جعت بعد وسأله الطفيل بن عمرو آية لقومه فقال
اللهم نور له فسطع له نور بين عينيه فقال يا رب اخاف ان يقولوا مثلة
فتحول الى طرف سوطه فكان يضيء في الليلة المظلمة فسمي ذا النور ودعا
صلى الله تعالى عليه وسلم على مضر فقحطوا حتى استعطفته قريش فدعا لهم
فسقوا ودعا صلى الله تعالى عليه وسلم على كسرى حين مزق كتابه ان يمزق
الله تعالى ملكه فلم تبق لهم باقية ولا بقيت لفارس رياسة في اقطار الدنيا
وقال لرجل ودعا صلى الله تعالى عليه وسلم على صبي قطع عليه الصلاة ان يقطع

الله اثره فاقعد ودعا صلى الله تعالى عليه وسلم لرجل راه ياكل بشماله كل بيمينك
فقال لا استطيع فقال لا استطعت فلم يرفعها الى فيه وقال لامراة اكلك
الاسد فاكلها وقال لعتبة بن ابي لهب اللهم سلط عليه كلبا من كلابك
فاكله الاسد وحديثه صلى الله تعالى عليه وسلم المشهور من رواية عبد الله
بن مسعود رضي الله تعالى عنهما في دعائه على قريش حين وضعوا السلا على
رقبته وهو ساجد مع الفرث والدم وسماهم قال فلقد رايتهم قتلوا
يوم بدر ودعا صلى الله تعالى عليه وسلم على الحكم بن ابي العاص وكان
يختلج بوجهه ويغمز عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اي لا فواه فقال كذلك
كن فلم يزل يختلج الى ان مات ودعا صلى الله تعالى عليه وسلم على محلم بن جثامة
فمات لسبع فلفظته الارض ثم دفن فلفظته مرات فالقوه بين صدين
ورضوا عليه بالحجارة الصد جانب الوادي وجحده رجل بيع فرس
وهي التي شهد فيها خزيمة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فرد الفرس يعني النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم على الرجل وقال اللهم ان كان كاذبا فلا تبارك له
فيها فاصبحت شائلة برجلها اي رافعة وهذا الباب اكثر ان يحاط به فصل
في كراماته وبركاته وانقلاب الاعيان له فيما لمسه او باشره صلى الله تعالى
عليه وسلم اخبرنا احمد بن محمد حدثنا ابو ذر الهروي اجازة حدثنا القاضي
ابو علي سماعا والقاضي ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن وغيرهما قالوا حدثنا
ابو الوليد القاضي حدثنا ابو ذر حدثنا ابو محمد وابو اسحاق وابو الهيثم
قالوا حدثنا الفربري حدثنا البخاري حدثنا يزيد بن زريع حدثنا سعيد
عن قتادة عن انس بن مالك رضي الله تعالى عنه ان اهل المدينة فزعوا مرة
فركب صلى الله تعالى عليه وسلم فرسا لابي طلحة كان يقطف او به قطاف وقال

غيره ببطائه فلما رجع قال وجدنا فرسك بحرا فكان بعد لا يجارى ونخس
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جمل جابر وكان قد اعيى فنشط حتى كان
ما يملك زمامه وصنع صلى الله تعالى عليه وسلم مثل ذلك بعير لجعيل الاشجعي
خفقه بمخفقة معه وبرك عليها فلم يملك رأسها نشاطا وباع من بطنها
باثني عشر اوقية وركب صلى الله تعالى عليه وسلم حمارا قطوفا لسعد بن عبادة
رضي الله تعالى عنه فرده هملاجا لا يساير وكانت شعرات من شعره في قلنسوة
خالد بن الوليد فلم يشهد بها قتالا الا رزق النصر وفي الصحيح عن اسماء بنت ابي بكر
رضي الله تعالى عنهما انها اخرجت جبة رقيعة طيالسية وقالت كان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم يلبسها فنحن نغسلها للمرضى يستشفى بها وحدثنا القاضي
ابو علي عن شيخه ابي القاسم بن المأمون قال كانت عندنا قصعة من قصاع النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم فكنا نجعل فيها الماء للمرضى فيستشفون بها واخذ جهجاه
الغفاري القضيب من يد عثمان رضي الله تعالى عنه ليكسره على ركبته فصاح
الناس فاخذته فيها الاكلة فقطعها ومات قبل الحول وسكب صلى الله تعالى عليه وسلم من
فضل وضوئه في بئر قبا فما نزفت بعد وبصق صلى الله تعالى عليه وسلم في بئر كانت
في دار انس رضي الله تعالى عنه فلم يكن في المدينة اعذب منها ومر صلى الله تعالى عليه
وسلم على ماء فسال عنه فقيل له اسمه بيسان وماؤه ملح فقال بل هو نعمان وماؤه
طيب فطاب واتى صلى الله تعالى عليه وسلم بدلو من ماء زمزم فمج فيه عليه السلم
فصار اطيب من المسك واعطى الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهما لسانه صلى
الله تعالى عنهما لسانه صلى الله تعالى عليه وسلم فمصاه وكانا يبكيان عطشا فسكتا
وكانت لام مالك عكة تهدي فيها للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم سمنا فامرها
صلى الله تعالى عليه وسلم ان لا تعصرها ثم دفعها اليها فاذا هي مملوءة سمنا فياتيها

بنوها يسألونها الادم وليس عندهم شيء فتعمد اليها فتجد فيها سمنا فكانت
تقيم ادمها حتى عصرتها وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يتفل في افواه الصبيان
المراضع فيجزيهم ريقه الى الليل ومن ذلك بركة يده عليه الصلوة والسلام فيما لمسه
وغرسه لسلمان حين كاتبه مواليه على ثلاثمائة ودية يغرسها لهم كلها
تعلق وتطعم وعلى اربعين اوقية من ذهب فقام صلى الله تعالى عليه وسلم
فغرسها له بيده الا واحدة غرسها فاخذت كلها الا تلك الواحدة فقلعها
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وردها فاخذت وفي كتاب البزار
فاطعم النخل من عامه الا الواحدة فقلعها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم و
غرسها فاطعمت من عامها واعطاه مثل بيضة الدجاجة من ذهب بعد ان
ادارها على لسانه فوزن منها لمواليه اربعين اوقية وبقي عنده مثل
ما اعطاهم وفي حديث حنش بن عقيل رضي الله تعالى عنه سقاني رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم شربة من سويق شرب اولها وشربت آخرها
فما برحت اجد شبعها اذا جعت وريها اذا عطشت وبردها اذا اظمئت
واعطى صلى الله تعالى عليه وسلم قتادة بن النعمان رضي الله تعالى عنه وصلى
معه العشاء في ليلة مظلمة مطيرة عرجونا وقال انطلق به فانه سيضيء
لك من بين يديك عشرا ومن خلفك عشرا فاذا دخلت بيتك فسترى
سوادا فاضربه حتى يخرج فانه الشيطان فانطلق فاضاء له العرجون
حتى دخل بيته ووجد السواد فضربه حتى خرج ومنها دفعه صلى الله تعالى
عليه وسلم لعكاشة جذل حطب وقال اضرب به حين انكسر سيفه
يوم بدر فعاد في يده سيفا صارما طويل القامة ابيض شديد المتن
فقاتل به ثم لم يزل عنده يشهد به المواقف الى ان استشهد في قتال

اهل الردة وكان هذا السيف يسمى العون ودفعه لعبد الله بن جحش
يوم احد وقد ذهب سيفه عسيب نخل فرجع في يده سيفا ومنه بركته
صلى الله تعالى عليه وسلم في درور الشاة الحوائل باللبن الكثير كقصة
شاة ام معبد واعنز معاوية بن ثور وشاة انس وغنم حليمة مرضعته
وشارفها وشاة عبد الله بن مسعود وكانت لم ينز عليها فحل وشاة المقداد
رضي الله تعالى عنهم ومن ذلك تزويده صلى الله تعالى عليه وسلم اصحابه رضي
الله تعالى عنهم سقاء ماء بعد ان اوكاه ودعا فيه فلما حضرتهم الصلوة
نزلوا فحلوه فاذا هو لبن حليب طيب وزبدة في فيه من رواية حماد بن
سلمة رحمه الله تعالى ومسح صلى الله تعالى عليه وسلم على رأس عمير بن سعد رضي
الله تعالى عنه وبرك فمات وهو ابن ثمانين فما شاب وروي مثل هذه
القصص عن غير واحد منهم السائب بن يزيد ومدلوك وكان يوجد
لعتبة بن فرقد طيب يغلب طيب نسائه لان رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم مسح بيديه على بطنه وظهره وسلت الدم عن وجه عائذ بن عمرو
رضي الله تعالى عنه وكان جرح يوم حنين ودعا له صلى الله تعالى عليه وسلم
فكانت له غرة كغرة الفرس ومسح صلى الله تعالى عليه وسلم على رأس قيس
بن زيد الجذامي ودعا له فهلك ابن مائة سنة ورأسه ابيض وموضع كف
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وما مرت يده عليه من شعر اسود وكان يدعى
الاغر وروي مثل هذه الحكاية لعمرو بن ثعلبة الجهني ومسح صلى الله تعالى
عليه وسلم وجه آخر فما زال على وجهه نور ومسح صلى الله تعالى عليه وسلم
وجه قتادة بن ملحان رضي الله تعالى عنه فكان لوجهه بريق حتى كان ينظر في
وجهه كما ينظر في المرآة ووضع يده صلى الله تعالى عليه وسلم على رأس حنظلة

بن حذيم رضي الله تعالى عنه وبرك عليه وكان حنظلة يوتى بالرجل قد ورم
وجهه والشاة قد ورم ضرعها فيوضع على موضع كف النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم فيذهب الورم ونضح صلى الله تعالى عليه وسلم في وجه زينب بنت ام سلمة
رضي الله تعالى عنهما نضحة من ماء فما يعرف كان في وجه امراة من الجمال ما بها و
مسح صلى الله تعالى عليه وسلم على راس صبي به عاهة فبرئ واستوى شعره و
روي مثله في صبي المطلب المهلب بن قبالة وعلى غير واحد من الصبيان المرضى
والمجانين فبروا واتاه صلى الله تعالى عليه وسلم رجل به ادرة فامره ان
ينضحها بماء من عين مج فيها فنفعل فبرأ وعن طاوس رحمه الله تعالى قال لم يوت
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم باحد به مس فصك في صدره الا ذهب المس
ومج صلى الله تعالى عليه وسلم في دلو من بئر ثم صب فيها ففاح منها ريح المسك
واخذ صلى الله تعالى عليه وسلم قبضة من تراب يوم حنين ورمى بها في وجوه
الكفار وقال شاهت الوجوه فانصرفوا يمسحون القذا عن اعينهم وشكى اليه
صلى الله تعالى عليه وسلم ابو هريرة رضي الله تعالى عنه النسيان فامره ببسط ثوبه
وغرف بيده فيه ثم امره بضمه ففعل فما نسي شيئا بعد وضرب صلى الله تعالى
عليه وسلم صدر جرير بن عبد الله ودعا له وكان ذكر له انه لا يثبت على الخيل
فصار من افرس العرب واثبتهم ومسح صلى الله تعالى عليه وسلم راس عبد الرحمن
بن زيد الخطاب رضي الله تعالى عنه وهو صغير وكان دميما ودعا له بالبركة
ففرع الرجال طولا وتماما فصل ومن ذلك ما اطلع عليه صلى الله تعالى عليه
وسلم من الغيوب وما يكون والاحاديث في هذا بحر لا يدرك قعره ولا ينزف
غمره وهذه المعجزة من جملة معجزاته المعلومة على القطع الواصل الينا خبرها
على التواتر بكثرة رواتها واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب حدثنا الامام

ودعا له بالثبات صح

ابوبكر

ابو بكر محمد بن الوليد الفهري اجازة وقرأته على غيره قال ابو بكر حدثنا ابو علي
التستري حدثنا ابو عمر الهاشمي حدثنا اللؤلؤي حدثنا ابو داود حدثنا عثمان
بن ابي شيبة حدثنا جرير عن الاعمش عن ابي وائل عن حذيفة رضي الله تعالى
عنه قال قام فينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مقاما فما ترك شيئا
يكون في مقامه ذلك الى قيام الساعة الا حدثه حفظه من حفظه ونسيه
من نسيه قد علمه اصحابي هؤلاء وانه ليكون منه الشيء فاعرفه فاذكره كما يذكر الرجل
وجه الرجل اذا غاب عنه ثم اذا راه عرفه ثم قال حذيفة رضي الله تعالى
عنه ما ادري انسي اصحابي ام تناسوه والله ما ترك رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم من قائد فتنة الى ان تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلاثمائة فصاعدا
الا قد سماه لنا باسمه واسم ابيه وقبيلته وقال ابو ذر رضي الله تعالى عنه
لقد تركنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وما يحرك طائر جناحيه في
السماء الا ذكرنا منه علما وقد خرج اهل الصحيح والائمة ما اعلم به اصحابه
صلى الله تعالى عليه وسلم فيما وعدهم به من الظهور على اعدائه وفتح مكة وبيت
المقدس واليمن والشام والعراق وظهور الامن حتى تظعن المراة من الحيرة
الى مكة لا تخاف الا الله وان المدينة ستغزى وفتح خيبر على يدي علي رضي الله
تعالى عنه في غد يومه وما يفتح الله على امته من الدنيا ويؤتون من زهرتها و
قسمتهم كنوز كسرى وقيصر وما يحدث بينهم من الفتن والاختلاف والاهواء
وسلوك سبيل من قبلهم وافتراقهم على ثلاث وسبعين فرقة الناجية منها
واحدة وانهم سيكون لهم انماط ويغدو احدهم ويروح في حلة ويوضع بين
يديه صحفة وترفع اخرى ويسترون بيوتهم كما تستر الكعبة ثم قال اخر الحديث
وانتم اليوم خير منكم يومئذ وانهم اذا مشوا المطيطاء وخدمتهم بنات فارس

والروم ودكّ الله بأسهم بينهم وسلط شرارهم على خيارهم وقتالهم الترك والخزر والروم وذهاب كسرى وفارس حتى لا كسرى ولا فارس بعده وذهاب قيصر حتى لا قيصر بعده وذكر ان الروم ذات قرون الى آخر الدهر وبذهاب الامثل فالامثل من الناس وتقارب الزمان وقبض العلم وظهور الجهل والفتن والهرج وقال صلى الله تعالى عليه وسلم ويل للعرب من شر قد اقترب وانه زويت له الارض فارى مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي له منها فكذلك كان امتدت في المشارق والمغارب ما بين ارض الهند اقصى المشرق الى بحر طنجة حيث لا عمارة وراءه وذلك ما لم تملكه امة من الامم ولم تمتد في الجنوب ولا في الشمال مثل ذلك وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يزال اهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة ذهب ابن المديني الى انهم العرب لانهم المختصون بالسقي بالغرب وهي الدلو وغيره يذهب الى انهم اهل المغرب وقد ورد المغرب كذا في الحديث بمعناه وفي حديث آخر من رواية ابي امامة رضي الله تعالى عنه لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق قاهرين لعدوهم حتى يأتيهم امر الله وهم كذلك قيل يا رسول الله واين هم قال ببيت المقدس واخبره صلى الله تعالى عليه وسلم بملك بني امية وولاية معاوية ووصاه واتخاذ بني امية مال الله دولا وخروج ولد العباس بالرايات السود وملكهم اضعاف ما ملكوا وخروج المهدي وما ينال اهل بيته وتقتيلهم وتشريدهم وقتل علي رضي الله تعالى عنه وان اشقاها الذي يخضب هذه من هذه اي لحيته من رأسه وانه قسيم النار يدخل اولياؤه الجنة واعداؤه النار فكان فيمن عاداه الخوارج والناصبة وطائفة ممن ينسب اليه من الروافض كفروه وقال صلى الله تعالى عليه وسلم يقتل

عثمان

عثمان رضي الله تعالى عنه وهو يقرأ في المصحف وان الله تعالى عسى ان يلبسه قميصا وانهم يريدون خلعه وانه سيقطر دمه على قوله تعالى فسيكفيكهم الله وان الفتن لا تظهر ما دام عمر حيا وبمحاربة الزبير لعلي رضي الله تعالى عنهما وبنباح كلاب الحوأب على بعض ازواجه وانه يقتل حولها قتلى كثيرة وتنجو بعدما كادت فنبحت على عائشة رضي الله تعالى عنها عند خروجها الى البصرة وان عمارا تقتله الفئة الباغية فقتله اصحاب معاوية وقال صلى الله تعالى عليه وسلم لعبد الله بن الزبير ويل للناس منك وويل لك من الناس وقال صلى الله تعالى عليه وسلم في قزمان وقد ابلى مع المسلمين انه من اهل النار فقتل نفسه قال في جماعة فيهم ابو هريرة وسمرة بن جندب وحذيفة آخركم موتا في النار فكان بعضهم يسأل عن بعض وكان سمرة آخرهم موتا هرم وخرف فاصطلى بالنار فاحترق فيها وقال صلى الله تعالى عليه وسلم في حنظلة الغسيل رضي الله تعالى عنه سلوا زوجته عنه فاني رأيت الملائكة تغسله فقالت انه خرج جنبا واعجله الحال عن الغسل قال ابو سعيد رضي الله تعالى عنه فوجدنا رأسه يقطر ماء وقال صلى الله تعالى عليه وسلم الخلافة في قريش ولن يزال هذا الامر في قريش ما اقاموا الحق وقال صلى الله تعالى عليه وسلم يكون في ثقيف كذاب ومبير فرأوهما الحجاج والمختار وبان مسيلمة يعقره الله تعالى وان فاطمة رضي الله تعالى عنها اول اهله لحوقا به وانذر بالردة وبان الخلافة بعده ثلاثون سنة ثم ملكا فكانت كذلك بمدة الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما وقال صلى الله تعالى عليه وسلم ان هذا الامر بدأ نبوة ورحمة ثم يكون رحمة وخلافة ثم يكون ملكا عضوضا ثم يكون عتوا وجبروتا وفسادا في الامة واخبر صلى الله تعالى عليه وسلم بشأن اويس القرني وبامراء يؤخرون

العداوة عن وقتها وسيكون في امته ثلاثون كذابا فيهم اربع نسوة وفي
حديث اخر ثلاثون دجالا كذابا اخرهم الدجال الكذاب كلهم يكذب على
الله تعالى ورسوله وقال صلى الله تعالى عليه وسلم يوشك ان يكثر فيكم العجم
ويأكلون فيكم ويضربون رقابكم ولا تقوم الساعة حتى يسوق الناس
بعصاه رجل من قحطان وقال عليه الصلوة والسلام خيركم قرني ثم الذين يلونكم
ثم يأتي بعد ذلك قوم يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون
وينذرون ولا يوفون وقال صلى الله تعالى عليه وسلم لا يأتي زمان الا والذي
بعده شر منه وقال صلى الله تعالى عليه وسلم هلاك امتي على يدي اغيلمة
من قريش قال ابو هريرة رضي الله تعالى عنه راويه لو شئت سميتهم لكم
بنو فلان وبنو فلان واخبر صلى الله تعالى عليه وسلم بظهور القدرية
والرافضة وسب اخر هذه الامة اولها وقلة الانصار حتى يكونوا
كالملح في الطعام فلم يزل امرهم يتبدد حتى لم يبق لهم جماعة وانهم سيلقون
بعده اثرة واخبر صلى الله تعالى عليه وسلم بشان الخوارج وصفتهم
والمخدج الذي فيهم وان سيماهم التحليق ويرى رعاة الغنم رؤس الناس
والعراة الحفاة يتبارون في البنيان وان تلد الامة ربتها وان قريشا
والاحزاب لا يغزونه ابدا وانه هو صلى الله تعالى عليه وسلم يغزوهم واخبر
صلى الله تعالى عليه وسلم بالموتان الذي يكون بعد فتح بيت المقدس وما وعد
صلى الله تعالى عليه وسلم من سكنى البصرة وانهم يغزون في البحر كالملوك على
الاسرة وان الدين لو كان منوطا بالثريا لناله رجال من ابناء فارس وهاجت
ريح في غزاته صلى الله تعالى عليه وسلم فقال هاجت لموت منافق فلما رجعوا
الى المدينة وجدوا ذلك وقال صلى الله تعالى عليه وسلم لقوم من جلسائه

ضرس

ضرس احدكم في النار اعظم من احد قال ابو هريرة رضي الله تعالى عنه فذهب
القوم حتى ماتوا وبقيت انا ورجل فقتل مرتدا يوم اليمامة واعلم عليه الصلوة
والسلام بالذي غل خرزا من خرز يهود فوجدت في رحله وبالذي غل الشملة
وحيث هي ناقته عليه السلام حين ضلت وكيف تعلقت بالشجرة بخطامها
وبشان كتاب حاطب الى اهل مكة وبقضية عمير مع صفوان حين ساره
وشارطه على قتل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فلما جاء عمير النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم قاصدا لقتله واطلعه رسول الله تعالى عليه وسلم على الامر
والسر اسلم واخبر صلى الله تعالى عليه وسلم بالمال الذي ترك عمه العباس
عند ام الفضل بعد ان كتمه فقال ما علمه غيري وغيرها فاسلم واعلم صلى الله
تعالى عليه وسلم بانه سيقتل ابي بن خلف وفي عتبة بن ابي لهب انه يأكله
كلب الله وعن مصارع اهل بدر فكان كما قال وقال صلى الله تعالى عليه وسلم
في الحسن رضي الله تعالى عنه ان ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين
ولسعد لعلك ان تخلف حتى ينتفع بك اقوام ويستضر بك اخرون
واخبر عليه الصلوة والسلام بقتل اهل موتة يوم قتلوا وبينهم مسيرة شهر
او ازيد وبموت النجاشي يوم مات وهو بارضه واخبر فيروز اذ ورد عليه
رسولا من كسرى بموت كسرى ذلك اليوم فلما حقق فيروز القصة
اسلم واخبر صلى الله تعالى عليه وسلم ابا ذر بتطريده كما كان ووجده في المسجد
نائما فقال كيف بك اذا اخرجت منه قال اسكن المسجد الحرام قال فاذا اخرجت
منه الحديث وبعيشه وحده وبموته وحده واخبر صلى الله تعالى عليه
وسلم ان اسرع ازواجه لحوقا به اطولهن يدا فكانت زينب لطول يدها في
الصدقة واخبر صلى الله تعالى عليه وسلم بقتل الحسين بالطف واخرج عليه

لسانه وبيده تربته وقال فيها مضجعه وقال في زيد بن صوحان يسبقه عضو
منه الى الجنة فقطعت يده في الجهاد وقال صلى الله تعالى عليه وسلم في الذين
كانوا معه على حراء اثبت حراء فانما عليك نبي وصديق وشهيد فقتل علي
وعمر وعثمان وطلحة والزبير وطعن سعد رضي الله تعالى عنهم وقال صلى
الله تعالى عليه وسلم لسراقة كيف بك اذا لبست سواري كسرى فلما
اتي بهما عمر البسهما اياه وقال الحمد لله الذي سلبهما كسرى والبسهما سراقة
وقال صلى الله تعالى عليه وسلم تبنى مدينة بين دجلة ودجيل وقطربل
والصراة تجبى اليها خزائن الارض يخسف بها يعني بغداد وقال صلى الله تعالى عليه وسلم
سيكون في هذه الامة رجل يقال له الوليد هو شر لهذه الامة من فرعون
لقومه وقال صلى الله تعالى عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان دعواهما
واحدة وقال صلى الله تعالى عليه وسلم لعمر رضي الله تعالى عنه في سهيل بن عمرو
عسى ان يقوم مقاما يسرك يا عمر وكان كذلك قام بمكة مقام ابي بكر رضي
الله تعالى عنه يوم بلغهم موت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وخطب بنحو خطبته
وثبتهم وقوى بصائرهم وقال صلى الله تعالى عليه وسلم لخالد رضي الله تعالى عنه
وجهه لاكيدر انك تجده يصيد البقر فوجدت هذه الامور كلها في حياته
وبعد موته كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم الى ما اخبر به جلساءه من اسرارهم
وبواطنهم واطلع عليه من اسرار المنافقين وكفرهم وقولهم فيه وفي المؤمنين
حتى ان كان بعضهم ليقول لبعض اسكت فوالله لو لم يكن عنده من يخبره
لاخبرته حجارة البطحاء واعلامه صلى الله تعالى عليه وسلم بصفة السحر
الذي كان سحره به لبيد بن الاعصم وكونه في مشط ومشاطة في جف
طلع نخلة ذكر وانه القي في بئر ذروان فكان كما قال عليه السلام ووجد على

الصحيفة

الصفة واعلامه صلى الله تعالى عليه وسلم قريشا باكل الارضة ما في صحيفتهم
التي تظاهروا بها على بني هاشم وقطعوا بها رحمهم وانها ابقت فيها كل اسم الله
فوجدوها كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم ووصفه صلى الله تعالى عليه وسلم
لكفار قريش بيت المقدس حين كذبوه في خبر الاسراء ونعته اياه نعت من عرفه
واعلامهم بعيرهم التي مر عليها في طريقه وانذارهم بوقت وصولها فكان
كله كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم الى ما اخبر به من الحوادث التي يكون ولم
تأت بعد منها ما ظهرت مقدماتها كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم عمران
بيت المقدس خراب يثرب وخراب يثرب خروج الملحمة وخروج الملحمة فتح
قسطنطينية ومن اشراط الساعة وآيات حلولها وذكر النشر والحشر و
اخبار الابرار والفجار والجنة والنار وعرصات القيامة وبحسب هذا الفصل
ان يكون ديوانا مفردا يشتمل على اجزاء وحده وفيما اشرنا اليه من نكت الاحاديث
التي ذكرناها كفاية واكثرها في الصحيح وعند الائمة والله المستعان فصل
في عصمة الله تعالى له من الناس وكفايته عليه السلام من اذاه قال الله تعالى والله
يعصمك من الناس وقال الله تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا وقال تعالى
اليس الله بكاف عبده قيل بكاف محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم اعداءه المشركين
وقيل غير هذا وقال تعالى انا كفيناك المستهزئين وقال تعالى واذ يمكر بك الذين
كفروا الآية اخبرنا القاضي الشهيد ابو علي الصدفي بقراءتي عليه والفقيه
الحافظ ابو بكر محمد بن عبد الله المعافري قالا حدثنا ابو الحسين الصيرفي
قال حدثنا ابو يعلى البغدادي حدثنا ابو علي السنجي حدثنا ابو العباس
المروزي حدثنا ابو عيسى الحافظ حدثنا عبد بن حميد حدثنا مسلم بن
ابراهيم الحارث بن عبيد عن سعيد الجريري عن عبد الله بن شقيق عن عائشة رضي الله

تعالى عنها قالت كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحرس حتى نزلت هذه الآية
والله يعصمك من الناس فاخرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رأسه من
القبة فقال لهم يا ايها الناس انصرفوا فقد عصمني ربي عز وجل وروى ان
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا نزل منزلا اختار له اصحابه رضي الله
تعالى عنهم شجرة يقيل تحتها فاتاه اعرابي فاخترط سيفه ثم قال من يمنعك
مني فقال الله تعالى فارعدت يد الاعرابي وسقط سيفه وضرب برأسه الشجرة
حتى سال دماغه فنزلت الآية وقد رويت هذه القصة في الصحيح وان غورث
بن الحارث صاحب هذه القصة وان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عفا عنه
فرجع الى قومه وقال جئتكم من عند خير الناس وقد حكيت مثل هذه الحكاية انها
جرت له يوم بدر وقد انفرد من اصحابه لقضاء حاجته فتبعه رجل من المنافقين
وذكر مثله وقد روى انه وقع له مثلها في غزوة غطفان بذي امر مع رجل
اسمه دعثور بن الحارث وان الرجل اسلم فلما رجع الى قومه الذين اغروه وكان
سيدهم واشجعهم قالوا له اين ما كنت تقول امكنك فقال اني نظرت الى
رجل ابيض طويل رفع صدري فوقعت لظهري وسقط السيف من يدي
فعرفت انه ملك فاسلمت وقيل فيه نزلت يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله
عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم الآية وفي رواية الخطابي ان غورث
بن الحارث المحاربي اراد ان يفتك بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يشعر به
الا وهو قائم على رأسه منتضيا سيفه فقال اللهم اكفنيه بما شئت فانكب
لوجهه من زلخة زلخها بين كتفيه وندر سيفه من يده الزلخة وجع الظهر
وقيل في قصة غير هذا وذكر ان فيه نزلت يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله
عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم الآية وقيل كان النبي صلى الله تعالى

عليه وسلم يخاف قريشا فلما نزلت هذه الآية استلقى ثم قال من شاء ان
يخذلني فليخذلني وذكر عبد بن حميد قال كانت حمالة الحطب لعنها الله تضع
العضاة وهي جمرة على طريق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فكانما يطاها
كثيبا اهيل وذكر ابن اسحاق عنها انها لما بلغها نزول تبت يدا ابي لهب وذكرها الله
تعالى مع زوجها من الذم اتت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو جالس في المسجد
ومعه ابو بكر رضي الله تعالى عنه وفي يدها فهر من حجارة فلما وقفت عليهما لم تر
الا ابا بكر يا ابن صاحبك فقد بلغني انه يهجوني والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه
وعن الحكم بن ابي العاص تواعدنا على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حتى اذا
رأيناه سمعنا صوتا خلفنا ما ظننا انه بقي بتهامة احد فوقعنا مغشيا علينا
فما افقنا حتى قضى صلوته ورجع الى اهله ثم تواعدناه ليلة اخرى فجئنا
حتى اذا رأيناه جاءت الصفا والمروة فحالت بيننا وبينه وعن عمر
رضي الله تعالى عنه تواعدت وابو جهم بن حذيفة ليلة قتل رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم فجئنا منزله فسمعنا له فافتتح وقرأ الحاقة ما الحاقة
الى فهل ترى لهم من باقية فضرب ابو جهم على عضد عمر وقال انج وفرا هاربين
فكانت من مقدمات اسلام عمر رضي الله تعالى عنه ومنه العبرة المشهورة
والكفاية التامة عندما اخافته قريش واجتمعت على قتله وبيتوه فخرج
عليهم من بيته فقام على رؤسهم وقد ضرب الله على ابصارهم وذر التراب
على رؤسهم وخلص منهم وحمايته عن رؤيتهم في الغار بما هيأ الله تعالى له
من الآيات ومن العنكبوت الذي نسج عليه حتى قال امية بن خلف حين
قالوا ندخل الغار ما اربكم فيه وعليه من نسج العنكبوت ما ارى انه قبل
ان يولد محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ووقفت حمامتان على فم الغار فقالت

قريش لو كان فيه احد لما كانت هناك الحمام قصته صلى الله تعالى عليه وسلم
مع سراقة بن مالك بن جعشم خين الهجرة وقد جعلت قريش فيه وفي ابي
بكر رضي الله تعالى عنه الجعائل فانذر به فركب فرسه واتبعه حتى اذا قرب
منه دعا عليه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فساخت قوائم فرسه فخر عنها
واستقسم بالازلام فخرج له ما يكره ثم ركب ودنا حتى سمع قراءة النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم وهو لا يلتفت وابو بكر رضي الله تعالى عنه يلتفت
وقال للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم اتينا فقال عليه السلم لا تحزن ان الله
معنا فساخت ثانية الى ركبتيها وخر عنها فزجرها فنهضت ولقوائمها
مثل الدخان فناداهم بالامان فكتب له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كتبه ابن
فهيرة وقيل ابو بكر رضي الله تعالى عنه واخبرهم بالاخبار وامره النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم ان لا يترك احدا يلحق بهم فانصرف يقول للناس
كفيتم ما هاهنا وقيل بل قال لهما اراكما دعوتما علي فادعوا لي فنجا ووقع
في نفسه ظهور النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وفي خبر اخر ان راعيا
عرف خبرهما فخرج يشتد يعلم قريشا فلما ورد مكة ضرب على قلبه فما يدري
ما يصنع وانسي ما خرج له رجع الى موضعه وجاء صلى الله تعالى عليه وسلم
فيما ذكر ابن اسحاق وغيره ابو جهل لعنه الله تعالى بصخرة وهو ساجد وقريش
ينظرون ليطرحها عليه فلزقت بيده ويبست يداه الى عنقه واقبل يرجع
القهقرى الى خلفه ثم سأله ان يدعو له ففعل فانطلقت يداه وكان قد
تواعد مع قريش بذلك وحلف لئن راه ليدمغنه فسألوه عن شانه
فذكر انه عرض لي دونه فحل ما رايت مثله فهم بي ان ياكلني فقال
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ذاك جبريل ولو دنا لاخذه وذكر السمرقندي

ان رجلا من بني المغيرة اتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ليقتله فطمس الله
تعالى على بصره فلم ير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وسمع قوله فرجع الى اصحابه ولم
يرهم حتى نادوه وذكر ان في هاتين القصتين نزلت انا جعلنا في اعناقهم اغلالا
الايتين ومن ذلك ما ذكره ابن اسحاق في قصته اذ خرج الى بني قريظة في اصحابه
فجلس الى جدار بعض اطامهم فانبعث عمرو بن جحاش احدهم ليطرح عليه رحى
فقام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فانصرف الى المدينة واعلمهم بقصتهم و
قد قيل ان قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمت الله عليكم اذ هم قوم في هذه
القصة نزلت وحكى السمرقندي وانه خرج الى بني النضير يستعين في عقل
الكلابيين اللذين قتل عمرو بن امية فقال له حيي بن اخطب اجلس يا ابا القاسم
حتى نطعمك ونعطيك ما سالتنا فجلس النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مع
ابي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما وتوامر حيي معهم على قتله فاعلم جبريل النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك فقام كانه يريد حاجته حتى دخل المدينة و
ذكر اهل التفسير ومعنى الحديث عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ان ابا جهل
وعد قريشا لئن راى محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم يصلي ليطان رقبته فلما
صلى الله تعالى عليه وسلم اعلموه فاقبل فلما قرب منه ولى هاربا ناكصا على
عقبيه متقيا بيديه فسئل فقال لما دنوت منه اشرفت على خندق مملوء
نارا كدت اهوي فيه وابصرت هولا عظيما وخفق اجنحة قد ملأت الارض
فقال صلى الله تعالى عليه وسلم تلك الملائكة لو دنا لاختطفته عضوا عضوا
ثم انزل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كلا ان الانسان ليطغى الى اخر
السورة ويروى ان رجلا يعرف بشيبة بن عثمان الحجبي ادركه يوم حنين
وكان حمزة رضي الله تعالى عنه قد قتل اباه وعمه فقال اليوم ادرك ثاري

من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فلما اختلط الناس اتاه من خلفه ورفع سيفه
ليضربه قال فلما دنوت منه ارتفع الي شواظ من نار اسرع من البرق فوليت
هاربا واحس بي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فدعاني فوضع يده على صدري
وهو ابغض الخلق الي فما رفعها الا وهو احب الخلق الي وقال لي ادن
فقاتل فتقدمت امامه اضرب بسيفي واقيه بنفسي ولو لقيت ابي تلك
الساعة لاوقعت به دونه وعن فضالة بن عمير اردت قتل النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم عام الفتح وهو يطوف بالبيت فلما دنوت منه قال افضالة
قلت نعم قال ما كنت تحدث به نفسك قلت لا شيء فضحك واستغفر لي ووضع
يده على صدري فسكن قلبي فوالله ما رفعها حتى ما خلق الله شيئا احب الي
منه ومن مشهور ذلك خبر عامر بن الطفيل واربد بن قيس وفدا على
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وكان عامر قال له انا اشغل عنك وجه محمد
صلى الله تعالى عليه وسلم فاضربه انت فلم يره فعل شيئا من ذلك فلما كلمه في
ذلك قال له والله ما هممت ان اضربه الا وجدتك بيني وبينه افاضربك
ومن عصمته تعالى له ان كثيرا من اليهود والكهنة انذروا به وعينوه
لقريش واخبروهم بسطوته بهم وحضوهم على قتله فعصمه الله تعالى
حتى بلغ فيه امره ومن ذلك نصره بالرعب مسيرة شهر كما قال صلى الله
تعالى عليه وسلم فصل ومن معجزاته الباهرة ما جمعه الله تعالى له من المعارف
والعلوم وخصه به من الاطلاع على جميع مصالح الدنيا والدين ومعرفته
صلى الله تعالى عليه وسلم بامور شرايعه وقوانين دينه وسياسة عباده
ومصالح امته وما كان في الامم قبله وقصص الانبياء والرسل والجبابرة
والقرون الماضية من لدن ادم عليه السلام الى زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم

وحفظ

وحفظ شرائعهم وكتبهم ووعي سيرهم وسرد انبائهم وايام الله تعالى فيهم
وصفات اعيانهم واختلاف ارائهم والمعرفة باعمارهم ومددهم وحكم حكمائهم
ومحاجة كل امة من الكفرة ومعارضة كل فرقة من الكتابيين بما في كتبهم واعلامهم
باسرارها ومخبآت علومها واخبارهم بما كتموه من ذلك وغيروه الى الاحتواء
على لغات العرب وغريب الفاظ فرقها والاحاطة بضروب فصاحتها والحفظ
لايامها وامثالها وحكمها ومعاني اشعارها والتخصيص بجوامع كلمها الى المعرفة
بضرب الامثال الصحيحة والحكم البينة لتقريب التفهيم للغامض والتبيين
للمشكل الى التمهيد قواعد الشرع الذي لا تناقض فيه ولا تخاذل مع اشتمال
شريعته على محاسن الاخلاق ومحامد الاداب وكل شيء مستحسن مفضل لم
ينكر ملحد ذو عقل سليم شيئا الا من جهة الخذلان بل كل جاحد له وكافر
من الجاهلية به اذا سمع ما يدعو اليه صوبه واستحسنه دون طلب اقامة
برهان عليه ثم ما احل لهم من الطيبات وحرم عليهم من الخبائث وصان به
انفسهم واعراضهم واموالهم من المعاقبات والحدود عاجلا والتخويف
بالنار اجلا الى الاحتواء على ضروب العلوم وفنون المعارف كالطب والعبارة
والفرائض والحساب والنسب وغير ذلك من العلم مما اتخذ اهل هذه المعارف
كلامه عليه السلام فيها قدوة واصولا في علمهم كقوله عليه السلام الرؤيا
لاول عابر وهي على رجل طائر وقوله عليه السلام الرؤيا ثلاث رؤيا حق ورؤيا
يحدث بها المرء نفسه ورؤيا تحزين من الشيطان وقوله اذا تقارب الزمان
لم تكد رؤيا المؤمن تكذب وقوله اصل كل داء البردة وما روي عنه
في حديث ابي هريرة رضي الله تعالى عنه من قوله المعدة حوض البدن والعروق
اليها واردة وان كان هذا حديثا لا نصححه لضعفه وكونه موضوعا تكلم عليه

الدارقطني وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم خير ما تداويتم به السعوط
واللدود والحجامة والمشي وخير الحجامة يوم سبع عشرة وتسع عشرة
واحدى وعشرين وفي العود الهندي سبعة اشفية وقوله عليه السلام
ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه الى قوله فان كان لابد فثلث للطعام
وثلث للشراب وثلث للنفس وقوله عليه السلام وقد سئل عن سبإ ارجل
هو ام امرأة او ارض فقال رجل ولد عشرة تيامن منهم ستة وتشاءم
اربعة الحديث بطوله وكذلك جوابه في نسب قضاعة وغير ذلك
مما اضطرت العرب على شغلها بالنسب الى سؤاله عليه السلام عما اختلفوا
فيه من ذلك وقوله عليه السلام حمير رأس العرب ونابها ومذحج هامتها
وغلصمتها والازد كاهلها وجمجمتها وهمدان غاربها وذروتها وقوله عليه السلام
ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وقوله
عليه السلام في الحوض زواياه سواء وقوله عليه السلام في حديث الذكر وان
الحسنة بعشر فتلك مائة وخمسون على اللسان والف وخمسمائة في
الميزان وقوله عليه السلام وهو بموضع نعم موضع الحمام هذا وقوله عليه السلام
ما بين المشرق والمغرب قبلة وقوله عليه السلام لعيينة او الاقرع انا افرس
بالخيل منك وقوله عليه السلام لكاتبه ضع القلم على اذنك فانه اذكر للممل
هذا مع انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان لا يكتب ولكنه عليه السلام اوتي علم
كل شيء حتى قد وردت آثار بمعرفته حروف الخط وحسن تصويرها كقوله
عليه السلام لا تمدوا بسم الله الرحمن الرحيم رواه ابن شعبان من طريق ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما وقوله عليه السلام في الحديث الآخر الذي يروى عن معاوية
رضي الله تعالى عنه انه كان يكتب بين يديه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له
الق

الق الدواة وحرف القلم واقم الباء وفرق السين ولا تعور الميم وحسن
الله ومد الرحمن وجود الرحيم وهذا وان لم تصح الرواية انه عليه السلام
كتب فلا يبعد ان يرزق علم هذا ويمنع الكتابة والقراءة واما علمه عليه
السلام بلغات العرب وحفظ معاني اشعارها فامر مشهور وقد نبهنا على
بعضه اول الكتاب وكذلك حفظ الكثير من لغات الامم كقوله عليه
السلام سنه سنه وهي حسنة بالحبشية وقوله عليه السلام ويكثر الهرج
وهو القتل بها وقوله عليه السلام في حديث ابي هريرة رضي الله تعالى عنه
اشكنب درد اي وجع البطن بالفارسية الى غير ذلك مما لا يعلم بعض
هذا ولا يقوم به ولا ببعضه الا من مارس الدرس والعكوف على الكتب
ومثافنة اهلها عمره وهو رجل كما قال الله تعالى امي لم يكتب ولم يقرأ ولا
عرف بصحبة من هذه صفته ولا نشأ بين قوم لهم علم ولا قراءة لشيء
من هذه الامور ولا عرف هو قبل بشيء منها قال الله تعالى وما كنت تتلو
من قبله ولا تخطه بيمينك الآية انما كانت غاية معارف العرب النسب
واخبار اوائلها والشعر والبيان وانما حصل ذلك لهم بعد التفرغ لعلم
ذلك والاشتغال بطلبه ومباحثة اهله عنه وهذا الفن نقطة
من بحر علمه صلى الله تعالى عليه وسلم ولا سبيل الى جحد الملحد لشيء
مما ذكرناه ولا وجد الكفرة حيلة في دفع ما قصصناه الا قولهم اساطير
الاولين وانما يعلمه بشر فرد الله تعالى قولهم بقوله لسان الذي يلحدون
اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين ثم ما قالوه مكابرة العيان فان
الذي نسبوا تعليمه اليه اما سلمان او العبد الرومي وسلمان انما عرفه
بعد الهجرة ونزول الكثير من القرآن وظهور ما لا ينعد من الآيات

واما الرومى فكان اسلم وكان يقرأ على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم و
اختلف فى اسمه وقيل بل كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يجلس عنده
عند المروة وكلاهما اعجمى اللسان وهم الفصحاء اللد والخطباء اللسن
قد عجزوا عن معارضة ما اتى به والاتيان بمثله بل عن فهم وصفه
وصورة تاليفه ونظمه فكيف باعجمى الكن نعم وقد كان سلمان او بلعام
الرومى او يعيش او جبر او يسار على اختلافهم فى اسمه اظهرهم يكلمونهم
مدى اعمارهم فهل حكى عن واحد منهم شئ من مثل ما كان يجئ به محمد صلى
الله تعالى عليه وسلم وهل عرف واحد منهم بمعرفة شئ من ذلك وما منع
العدو حينئذ على كثرة عدده ودؤوب طلبه وقوة حسده ان يجلس
الى هذا فيأخذ عنه ايضا ما يعارض به ويتعلم منه ما يحتج به على شيعته
كفعل النضر بن الحارث بما كان يمخرق به من اخبار كتبه ولا غاب النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم عن قومه ولا كثرت اختلافاته الى بلاد اهل الكتب
فيقال انه استمد منهم بل لم يزل بين اظهرهم يرعى فى صغره وشبابه بعادة
ابنائهم ثم لم يخرج عن بلادهم الا فى سفرة او سفرتين لم يطل فيهما
مكثه مدة يحتمل فيها تعليم القليل فكيف الكثير بل كان فى سفره فى صحبة
قومه ورفاقة عشيرته لم يغب عنهم ولا خالف حاله مدة مقامه
بمكة من تعليم واختلاف الى حبر او قس او منجم او كاهن لو كان هذا
بعد كله لكان مجئ ما اتى به من معجز القرآن قاطعا لكل عذر ومدحضا
لكل حجة ومجليا لكل امر فصل ومن خصائصه صلى الله تعالى عليه
وسلم وكراماته وباهر آياته انباؤه مع الملائكة والجن وامداد الله
تعالى له بالملائكة وطاعة الجن له ورؤية كثير من اصحابه لهم قال

الله

الله تعالى وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل الاية وقال الله
تعالى اذ يوحى ربك الى الملائكة انى معكم فثبتوا الذين امنوا وقال تعالى
اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم انى ممدكم بالف من الملائكة الايتين
وقال تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن الاية حدثنا
سفيان بن العاص الفقيه بسماعى عليه حدثنا ابو الليث السمرقندى قال
حدثنا عبد الغافر الفارسى حدثنا ابو احمد الجلودى حدثنا ابن سفيان
حدثنا مسلم حدثنا عبيد الله ابن معاذ حدثنا ابى حدثنا شعبة
عن سليمان الشيبانى سمع زر بن حبيش عن عبد الله رضى الله تعالى عنه
قال لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال رأى جبريل فى صورته له
ستمائة جناح والخبر فى محادثته مع جبريل واسرافيل عليهما السلام و
غيرهما من الملائكة وما شاهده من كثرتهم وعظم صور بعضهم ليلة الاسراء
مشهور وقد رآهم بحضرته جماعة من اصحابه فى مواطن مختلفة فرأى
اصحابه رضى الله تعالى عنهم جبريل عليه السلام فى صورة رجل يسأله عن الايمان
والاسلام ورأى ابن عباس واسامة رضى الله تعالى عنهما وغيرهما عنده
جبريل فى صورة دحية ورأى سعد رضى الله تعالى عنه على يمينه و
يساره جبريل وميكائيل عليهما السلام فى صورة رجلين عليهما ثياب بيض
ومثله عن غير واحد وسمع بعضهم زجر الملائكة خيلها يوم بدر وبعضهم
رأى تطاير الرؤس من الكفار ولا يرون الضارب ورأى ابو سفيان
بن الحارث يومئذ رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء والارض ما يقوم لها
شئ وقد كانت الملائكة تصافح عمران بن الحصين ورأى النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم لحمزة رضى الله تعالى عنه جبريل عليه السلام فى الكعبة فخر مغشيا

عليه ورأى عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنهما الجن ليلة الجن وسمع كلامهم وشبههم برجال الزط وذكر ابن سعد رضي الله تعالى عنهما ان مصعب بن عمير لما قتل يوم احد اخذ الراية ملك على صورته فكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول له تقدم يا مصعب فقال له الملك لست بمصعب فعلم انه ملك وقد ذكر غير واحد من المصنفين عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه انه قال بينا نحن جلوس مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذ اقبل شيخ بيده عصا فسلم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فرد عليه وقال نغمة الجن من انت قال انا هامة بن الهيم لاقس بن ابليس فذكر انه لقي نوحا ومن بعده في حديث طويل وان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم علمه سورا من القرآن وذكر الواقدي قتل خالد عند هدمه العزى للسوداء التي خرجت له ناشرة شعرها عريانة فجزلها بسيفه واعلم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له تلك العزى وقال عليه السلام ان شيطانا تفلت على البارحة ليقطع على صلاتي فامكنني الله تعالى منه فاخذته فاردت ان اربطه الى سارية من سواري المسجد حتى تنظروا اليه كلكم فذكرت دعوة اخي سليمان رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي الاية فرده الله تعالى خاسيا وهذا باب واسع صحيح فيما يحدث به

فصل ومن دلائل نبوته وعلامات رسالته صلى الله تعالى عليه وسلم ما ترادفت به الاخبار عن الرهبان والاحبار وعلماء اهل الكتب من صفته وصفة امته واسمه وعلاماته وذكر الخاتم الذي بين كتفيه صلى الله تعالى عليه وسلم وما وجد من ذلك في اشعار الموحدين المتقدمين من شعر تبع والاوس بن حارثة وشبهه وكعب بن لوي وسفيان

بن مجاشع

بن مجاشع وقس بن ساعدة وما ذكر عن سيف بن ذي يزن وغيرهم وما عرف به من امره زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وعثكلان الحميري وعلماء يهود وشامول عالمهم صاحب تبع من صفته وخبره وما الفي من ذلك في التورية والانجيل مما قد جمعه العلماء وبينوه ونقله عنهما ثقات من اسلم منهم مثل ابن سلام وبني سعية وابن يامين ومخيريق وكعب واشباههم ممن اسلم من علماء يهود وبحيرا ونسطور الحبشة وصاحب بصرى وضغاطر واسقف الشام والجارود وسلمان والنجاشي ونصارى الحبشة وراهب بصرى واساقف نجران وغيرهم ممن من علماء النصارى وقد اعترف بذلك هرقل وصاحب رومة عالما النصارى ورؤساهم ومقوقس صاحب مصر والشيخ صاحبه وابن صوريا وابن اخطب واخوه وكعب بن اسد والزبير بن باطيا وغيرهم من علماء اليهود ممن حمله الحسد والنفاسة على البقاء على الشقاء والاخبار في هذا كثيرة لا تنحصر وقد قرع صلى الله تعالى عليه وسلم اسماع يهود والنصارى بما ذكر انه في كتبهم من صفته وصفة اصحابه واحتج عليهم بما انطوت عليه من ذلك صحفهم وذمهم بتحريف ذلك وكتمانه وليهم السنتهم ببيان امره ودعوتهم المباهلة على الكاذب فما منهم الا نفر معارضته وابداء ما الزمهم من كتبهم اظهاره ولو وجدوا خلاف قوله لكان اظهاره اهون عليهم من بذل النفوس والاموال وتخريب الديار ونبذ القتال وقد قال لهم قل فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين الى ما انذر به الكهان مثل شافع بن كليب وشق وسطيح وسواد بن قارب وخنافر وافعى نجران وجذل بن جذل الكندي وابن خلصة الدوسي وسعدى بنت كريز وفاطمة بنت النعمان ومن لا يتعد

كثيرة الى ما ظهر على السنة الاصنام من نبوته وحلول وقت رسالته
صلى الله تعالى عليه وسلم وسمع من هواتف الجان ومن ذبايح النصب واجواف
الصور وما وجد من اسم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والشهادة له بالرسالة
مكتوبا في الحجارة والقبور بالخط القديم وما اكثره مشهور واسلام من اسلم
بسبب ذلك معلوم مذكور فصل ومن ذلك ما ظهر من الايات عند
ولده صلى الله تعالى عليه وسلم وما حكته امه صلى الله تعالى عليه وسلم ومن
حضره من العجايب وكونه رافعا راسه عندما وضعته شاخصا ببصره
الى السماء وما رأته من النور الذي خرج معه عند ولادته وما رأته
اذ ذاك ام عثمان بن ابي العاص من تدلي النجوم وظهور النور عند ولادته
حتى ما تنظر الا النور وقول الشفا ام عبد الرحمن بن عوف لما سقط
عليه السلام على يدي واستهل سمعت قائلا يقول رحمك الله تعالى واضاء لي ما بين
المشرق والمغرب حتى نظرت الى قصور الروم وما تعرفت حليمة وزوجها
ظئراه من بركته ودرور لبنها له ولبن شارفها وخصب غنمها وسرعة شبابه
وحسن نشأته وما جرى من العجايب ليلة مولده من ارتجاج ايوان كسرى وسقوط
شرفاته وغيض بحيرة طبرية وخمود نار فارس وكان لها الف سنة لم تخمد وانه
كان اذا اكل معه عمه ابو طالب واله وهو صغير شبعوا ورووا فاذا غاب
واكلوا في غيبته عليه السلام لم يشبعوا وكان سائر ولد ابي طالب يصبحون شعثا
ويصبح هو صلى الله تعالى عليه وسلم صقيلا دهينا كحيلا وقالت ام ايمن رضي
الله تعالى عنها حاضنته ما رأيته صلى الله تعالى عليه وسلم شكا جوعا ولا عطشا
صغيرا ولا كبيرا ومن ذلك حراسة السماء بالشهب وقطع رصد الشياطين
ومنعهم استراق السمع وما نشأ عليه صلى الله تعالى عليه وسلم من بغض

الاصنام

الاصنام والعفة عن امور الجاهلية وما خصه الله تعالى به من ذلك وحماه
في ستره في الخبر المشهور عند بناء الكعبة اذ اخذ ازاره ليجعله على عاتقه ليحمل
عليه الحجارة وتعرى فسقط الى الارض حتى رد ازاره عليه فقال له عمه
ما بالك قال اني نهيت عن التعري ومن ذلك اظلاله الله تعالى بالغمام في
سفره وفي رواية ان خديجة رضي الله تعالى عنها ونساءها راينه لما قدم
وملكان يظلانه فذكرت ذلك لميسرة فاخبرها انه راى ذلك منذ
خرج معه في سفره وقد روي انه حليمة رضي الله تعالى عنها رأت غمامة
تظله وهو عندنا وروي ذلك عن اخته من الرضاعة ومن ذلك انه صلى الله
تعالى عليه وسلم نزل في بعض اسفاره قبل مبعثه تحت شجرة يابسة فاعشوشب
ما حولها واينعت هي فاشرقت وتدلت عليه اغصانها بمحضر من رآه وميل
في الشجرة اليه في الخبر الاخر حتى اظلته وما ذكر انه كان لا ظل لشخصه صلى
الله تعالى عليه وسلم في شمس ولا قمر لانه كان نورا وان الذباب كان لا يقع
على جسده ولا ثيابه ومن ذلك تحبيب الخلوة اليه صلى الله تعالى عليه وسلم
حتى اوحي اليه صلى الله تعالى عليه وسلم ثم اعلامه بموته ودنو اجله وان
قبره في المدينة وفي بيته وان بين بيته وبين منبره روضة من رياض الجنة
وتخيير الله تعالى له عند موته وما اشتمل عليه حديث الوفاة من كراماته
وتشريفه وصلاة الملائكة على جسده على ما رويناه في بعضها واستيذان
ملك الموت عليه ولم يستأذن على غيره قبله وندائهم الذي سمعوه ان لا تنزعوا
القميص عنه عند غسله وما روي من تعزية الخضر والملائكة اهل بيته
عند موته صلى الله تعالى عليه وسلم الى ما ظهر على اصحابه رضي الله تعالى عنه
بعده صلى الله تعالى عليه وسلم ورضي عنهما وتبرك غير واحد بذريته.

فصل قال القاضي ابو الفضل رحمه الله تعالى قد اتينا في هذا الباب على نكت من معجزاته
صلى الله تعالى عليه وسلم واضحة وجمل من علامات نبوته صلى الله تعالى عليه
وسلم مقنعة في واحد منها الكفاية والغنية وتركنا الكثير سوى ما ذكرنا
واقتصرنا من الاحاديث الطوال على عين الغرض وفص المقصد ومن كثير
الاحاديث وغريبها على ما صح واشتهر الا يسيرا من غريبه مما ذكره مشاهير
الائمة وحذفنا الاسناد في جمهورها طلبا للاختصار وبحسب هذا الباب
لو تقصى ان يكون ديوانا جامعا يشتمل على مجلدات عدة ومعجزات نبينا صلى
الله تعالى عليه وسلم اظهر من معجزات الرسل عليهم السلام بوجهين احدهما
انه لم يؤت نبي معجزة الا وعند نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم مثلها او ما هو
ابلغ منها وقد نبه الناس على ذلك فان اردته فتامل فصول هذا الباب
ومعجزات من تقدم من الانبياء عليهم السلام تقف على ذلك ان شاء الله
تعالى واما كونها كثيرة فهذا القرآن وكله معجز واقل ما يقع الاعجاز فيه
عند بعض ائمة المحققين سورة انا اعطيناك الكوثر او اية في قدرها
وذهب بعضهم الى ان كل اية منه كيف كانت معجزة وزاد اخرون
ان كل جملة منتظمة منه معجزة وان كانت من كلمة او كلمتين والحق ما ذكرنا
اولا لقوله تعالى فاتوا بسورة من مثله فهو اقل ما تحداهم به مع ما ينصر
هذا من نظر وتحقيق يطول بسطه واذا كان هذا ففي القرآن العزيز من
الكلمات نحو من سبعة وسبعين الف كلمة ونيف على عدد بعضهم و
عدد كلمات انا اعطيناك الكوثر عشر كلمات فيتجزأ القرآن على نسبة انا
اعطيناك الكوثر ازيد من سبعة الاف جزء كل واحد منها معجز في نفسه
ثم اعجازه كما تقدم بوجهين طريق بلاغته وطريق نظمه فصار في كل

جزء من هذا العدد معجزتان فتضاعف العدد من هذا الوجه ثم فيه وجوه
اعجاز اخر من الاخبار بعلوم الغيب فقد يكون في السورة الواحدة من هذه
التجزئة الخبر عن اشياء من الغيب كل خبر منها بنفسه معجزة فتضاعف العدد
كرة اخرى ثم وجوه الاعجاز الاخر التي ذكرناها توجب التضعيف هذا في
حق القرآن فلا يكاد يأخذ العد معجزاته ولا يحوي الحصر براهينه ثم الاحاديث
الواردة والاخبار الصادرة عنه عليه السلام في هذه الابواب وعما دل
على امره مما اشرنا الى جمله يبلغ نحوا من هذا الوجه الثاني وضوح معجزاته صلى الله
تعالى عليه وسلم فان معجزات الرسل عليهم كانت بقدر همم اهل زمانهم وبحسب
الفن الذي سما فيه قرنه فلما كان زمن موسى عليه السلام غاية علم اهله السحر
بعث اليهم موسى عليه السلام بمعجزة تشبه ما يدعون قدرتهم عليه فجاءهم
منها ما خرق عادتهم ولم يكن في قدرتهم وابطل سحرهم وكذلك زمن
عيسى عليه السلام اغنى ما كان الطب واوفر ما كان اهله فجاءهم امر لا
يقدرون عليه واتاهم ما لم يحتسبوه من احياء الميت وابراء الاكمه
والابرص دون معالجة ولا طب وهكذا سائر معجزات الانبياء عليهم
السلام ثم ان الله تعالى بعث محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم وجملة معارف العرب
وعلومها اربعة البلاغة والشعر والخبر والكهانة فانزل الله تعالى
عليه القرآن الخارق لهذه الاربعة فصول من الفصاحة والايجاز والبلاغة
الخارجة عن نمط كلامهم ومن النظم الغريب والاسلوب العجيب الذي
لم يهتدوا في المنظوم الى طريقه ولا علموا في اساليب الاوزان منهجه
ومن الاخبار عن الكوائن والحوادث والاسرار والمخبآت والضمائر
فتوجد على ما كانت ويعرف المخبر عنها بصحة ذلك وصدقه وان كان

اصدا العدو فابطل الكهانة التي تصدق مرة وتكذب عشرا ثم اجتثها
من اصلها برجم الشهب ورصد النجوم وجاء من الاخبار عن القرون السالفة
وانباء الانبياء والامم البائدة والحوادث الماضية ما يعجز من تفرغ لهذا العلم
عن بعضه على الوجوه التي بسطناها وبينا المعجز فيها ثم بقيت هذه المعجزة
الجامعة لهذه الوجوه الى الفصول الاخر التي ذكرناها في معجزات القرآن ثابتة
الى يوم القيمة بينة الحجة لكل امة تاتي لا تخفى وجوه ذلك على من نظر فيه
وتامل وجوه اعجازه الى ما اخبر به من الغيوب على هذه السبيل فلا يمر عصر
ولا زمن الا ويظهر فيه صدقه بظهور مخبره على ما اخبر فيتجدد الايمان
ويتظاهر البرهان وليس الخبر كالعيان وللمشاهدة زيادة في اليقين وان
كان كل عندها حقا وسائر معجزات الرسل انقرضت بانقراضهم وعدمت
بعدمهم وانها ومعجزة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم لا تبيد ولا تنقطع و
اياته تتجدد ولا تضمحل ولهذا اشار صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله حدثنا
القاضي الشهيد ابو علي حدثنا ابو الوليد حدثنا ابو ذر حدثنا ابو محمد و
ابو اسحاق وابو الهيثم قالوا حدثنا الفربري حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثنا
الليث عن سعيد عن ابيه عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنهم عن النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم قال ما من الانبياء نبي الا اعطي من الايات ما مثله امن عليه
البشر وانما كان الذي اوتيت وحيا اوحاه الله تعالى الي فارجو اني اكثرهم
تابعا يوم القيمة هذا معنى الحديث عند بعضهم وهو الظاهر والصحيح ان شاء
الله تعالى وذهب غير واحد من العلماء في تاويل هذا الحديث وظهور معجزة
نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم الى معنى اخر من ظهورها بكونها وحيا وكلاما
لا يمكن التخيل فيه ولا التحيل عليه والتشبيه فان غيرها من معجزات الرسل

والفصل ايضا لطائف بينات للمعجز القرآن بين الاعجاز الفن

قد رام

قد رام المعاندون لها باشياء طمعوا في التخيل بها على الضعفاء كالقاء السحرة
حبالهم وعصيهم وشبه هذا مما يخيله الساحر او يتحيل فيه والقرآن كلام ليس
للحيلة ولا للسحر في التخييل فيه عمل فكان من هذا الوجه عندهم اظهر من غيره
من المعجزات كما لا يتم لشاعر ولا خطيب ان يكون شاعرا او خطيبا بضرب من
الحيل والتمويه والتاويل الاول اخلص وارضى وفي هذا التاويل الثاني ما يغمض
عليه ويعفى ووجه ثالث على مذهب من قال بالصرفة وان المعارضة
كانت في مقدور البشر فصرفوا عنها او على احد مذهبي السنة من ان
الاتيان بمثله من جنس مقدورهم ولكن لم يكن ذلك قبل ولا يكون بعد
لان الله تعالى لم يقدرهم ولا يقدرهم وبين المذهبين فرق بين وعليهما
جميعا فترك العرب الاتيان بما في مقدورهم او ما هو من جنس مقدورهم
ورضاهم بالبلاء والجلاء والسباء والاذلال وتغيير الحال وسلب
النفوس والاموال والتقريع والتوبيخ والتعجيز والتهديد والوعيد ابين اية
للعجز عن الاتيان بمثله والنكول عن معارضته وانهم منعوا عن شيء هو من جنس
مقدورهم والى هذا ذهب ابو المعالي الجويني وغيره قال وهذا عندنا ابلغ
في خرق العادة بالافعال البديعة في انفسها كقلب العصا حية ونحوها فانه قد
يسبق الى بال الناظر بدارا من ذلك من اختصاص صاحب ذلك بمزية معرفة
في ذلك الفن وفضل علم الى ان يرد ذلك صحيح النظر واما التحدي للخلائق مئتين
من السنين بكلام من جنس كلامهم ليأتوا بمثله فلم يأتوا فلم يبق بعد توفر
الدواعي على المعارضة ثم عدمها الا منع الله الخلق عنها بمثابة ما لو قال نبي
اية ان يمنع الله تعالى القيام عن الناس مع مقدرتهم عليه وارتفاع الزمانة
عنهم فكان ذلك وعجزهم الله تعالى عن القيام لكان ذلك من ابهر اية واظهر

ودلالة وبالله التوفيق وقد غاب عن بعض العلماء وجه ظهور آيته على
سائر آيات الانبياء عليهم السلام حتى احتاج المعذر عن ذلك بدقة افهام
العرب وذكاء البابها ووفور عقولها فانهم ادركوا المعجزة فيه بفطنتهم
وجاءهم من ذلك بحسب ادراكهم وغيرهم من القبط وبني اسرائيل وغيرهم لم
يكونوا بهذا السبيل بل كانوا من الغباوة وقلة الفطنة بحيث جوز عليهم فرعون
انه ربهم وجوز عليهم السامري ذلك في العجل بعد ايمانهم وعبدوا المسيح بعد
اجماعهم على صلبه وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم فجاءتهم من الآيات
الظاهرة البينة للابصار بقدر غلظ افهامهم مما لا يشكون فيه ومع
هذا فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ولم يصبروا على المن والسلوى
واستبدلوا الذي هو ادنى بالذي هو خير والعرب على جاهليتها اكثرها
تعترف بالصانع وانما كانت تتقرب بالاصنام الى الله زلفى ومنهم من
آمن بالله وحده من قبل الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بدليل عقله
وصفاء لبه ولما جاءهم الرسول بكتاب الله فهموا حكمته وتبينوا بفضل
ادراكهم الاول وهلة معجزته فآمنوا به وازدادوا كل يوم ايمانا ورفضوا
الدنيا كلها في صحبته وهجروا ديارهم واموالهم وقتلوا آباءهم وابناءهم
في نصرته واتى في معنى هذا بما يلوح له رونق ويعجب منه زبرج لو احتيج اليه
وحقق لكنا قدمنا من بيان معجزة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وظهورها
ما يغني عن ركوب بطون هذه المسالك وظهورها وبالله استعين القسم
الثاني فيما يجب على الانام من حقوقه صلى الله تعالى عليه وسلم قال القاضي
ابو الفضل رحمه الله تعالى وهذا قسم لخصنا فيه الكلام في اربعة ابواب
على ما ذكرناه اول الكتاب ومجموعها في وجوب تصديقه واتباعه وطاعته

ومحبته وتوقيره وبره وحكم الصلوة عليه والتسليم وزيارة قبره صلى
الله تعالى عليه وسلم الباب الاول في فرض الايمان به ووجوب طاعته و
اتباع سنته صلى الله تعالى عليه وسلم اذا تقرر بما قدمناه ثبوت نبوته
وصحة رسالته صلى الله تعالى عليه وسلم وجب الايمان به وتصديقه فيما اتى
قال الله تعالى فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي انزلنا وقال الله تعالى انا
ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وقال الله تعالى
فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الآية فالايمان بالنبي محمد صلى الله تعالى
عليه وسلم واجب متعين لا يتم ايمان الا به ولا يصح اسلام الا معه قال
الله تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا حدثنا
ابو محمد الخشني الفقيه بقراءتي عليه حدثنا الامام ابو علي الطبري حدثنا
عبد الغافر الفارسي حدثنا ابن عمرويه حدثنا ابن سفيان حدثنا ابو الحسين
حدثنا امية بن بسطام حدثنا يزيد بن زريع حدثنا روح عن العلاء بن
عبد الرحمن بن يعقوب عن ابيه عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه عن رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله
الا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم واموالهم
الا بحقها وحسابهم على الله تعالى قال القاضي ابو الفضل رحمه الله تعالى والايمان
به صلى الله تعالى عليه وسلم هو تصديق نبوته ورسالة الله تعالى وتصديقه
في جميع ما جاء به وما قاله ومطابقة تصديق القلب بذلك شهادة اللسان
بانه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاذا اجتمع به بالقلب والنطق بالشهادة
بذلك باللسان تم الايمان به والتصديق له كما ورد في هذا الحديث نفسه
من رواية عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا

ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وقد زاده وضوحا في حديث جبريل
عليه السلام اذ قال اخبرني عن الاسلام فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وذكر اركان الاسلام ثم
سأله عن الايمان قال ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله الحديث
وقد قرر ان الايمان به محتاج الى العقد بالجنان والاسلام به مضطر
الى النطق باللسان وهذه الحال المحمودة التامة واما الحال المذمومة
فالشهادة باللسان دون تصديق القلب وهذا هو النفاق قال الله تعالى
اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله
يشهد ان المنافقين لكاذبون اي كاذبون في قولهم ذلك عن اعتقادهم و
تصديقهم وهم لا يعتقدون فلما لم تصدق ذلك ضمائرهم لم ينفعهم ان يقولوا
بالسنتهم ما ليس في قلوبهم فخرجوا عن اسم الايمان ولم يكن لهم في الاخرة حكمه اذ
لم يكن معهم ولحقوا بالكافرين في الدرك الاسفل من النار وبقي عليهم حكم الاسلام
باظهار شهادة اللسان في احكام الدنيا المتعلقة بالائمة وحكام المسلمين
الذين احكامهم على الظواهر بما اظهروه من علامة اذ لم يجعل للبشر سبيل
الى السرائر ولا امروا بالبحث عنها بل نهى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن
التحكم عليها وذم ذلك وقال صلى الله تعالى عليه وسلم هلا شققت عن قلبه
والفرق بين القول والعقد ما جعل في حديث جبريل عليه السلام الشهادة من
الاسلام والتصديق من الايمان وبقيت حالتان اخريان بين هذين احدهما
ان يصدق بقلبه ثم يخترم قبل اتساع وقت الشهادة بلسانه فاختلف فيه فشرط
بعضهم من تمام الايمان القول والشهادة به ورآه بعضهم مؤمنا مستوجبا
للجنة لقوله عليه السلام يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان

فلم يذ

فلم يذكر سوى ما في القلب وهذا مؤمن بقلبه غير عاص ولا مفرط بترك غيره
وهذا هو الصحيح في هذا الوجه الثانية ان يصدق بقلبه ويطول مهله وعلم
ما يلزمه من الشهادة فلم ينطق بها جملة ولا استشهد في عمره ولا مرة فهذا
اختلف فيه ايضا فقيل هو مؤمن لانه مصدق والشهادة من جملة الاعمال
فهو تاركها غير مخلد وقيل ليس بمؤمن حتى يقارن عقده شهادة اذ الشهادة
انشاء عقد والتزام ايمان وهي مرتبطة مع العقد ولا يتم التصديق مع المهلة
الا بها وهذا هو الصحيح وهذا نبذ يقتضي متسع من الكلام في الاسلام والايمان
وابوابهما وفي الزيادة فيهما والنقصان وهل التجزي ممتنع على مجرد التصديق
لا يصح فيه جملة وانما يرجع الى ما زاد عليه من عمل او قد يعرض فيه لاختلاف
وتباين حالاته من قوة يقين وتصميم اعتقاد ووضوح معرفة ودوام حالة وحضور
قلب وفي بسط هذا خروج عن غرض التاليف وفيما ذكرنا غنية فيما قصدناه ان
شاء الله تعالى فصل واما وجوب طاعته صلى الله تعالى عليه وسلم فاذا وجب
الايمان به وتصديقه فيما جاء به وجبت طاعته لان ذلك مما اتى به قال الله تعالى
يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله وقال الله تعالى قل اطيعوا الله والرسول
واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون وقال الله تعالى وان تطيعوه تهتدوا
وقال الله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله وقال الله تعالى وما اتاكم الرسول
فخذوه وما نهيكم عنه فانتهوا وقال الله تعالى ومن يطع الله والرسول فاولئك
الاية وقال الله تعالى وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله فجعل تعالى
طاعة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم طاعته وقرن طاعته بطاعته
ووعد على ذلك بجزيل الثواب واوعد على مخالفته بسوء العقاب واوجب
امتثال امره واجتناب نهيه وقال المفسرون والائمة طاعة الرسول

صلى الله تعالى عليه وسلم في التزام سنته لما جاء به وقالوا وما ارسل الله
من رسول الا فرض طاعته على من ارسله اليه وقالوا من يطع الرسول
في سنته يطع الله تعالى في فرائضه وسئل سهل بن عبد الله عن شرايع الاسلام
فقال وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهيكم عنه فانتهوا وقال السمرقندي
يقال اطيعوا الله تعالى في فرائضه والرسول في سنته وقيل اطيعوا الله فيما
حرم عليكم والرسول فيما ابلغكم ويقال اطيعوا الله بالشهادة له بالربوبية
والنبي بالشهادة له بالنبوة حدثنا ابو محمد بن عتاب بقراءتي عليه حدثنا
حاتم بن محمد حدثنا ابو الحسن علي بن محمد بن خلف حدثنا محمد بن احمد حدثنا
محمد بن يوسف حدثنا البخاري حدثنا عبدان اخبرنا عبد الله اخبرنا
يونس عن الزهري اخبرني ابو سلمة بن عبد الرحمن انه سمع ابا هريرة رضي الله
تعالى عنه يقول ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال من اطاعني فقد
اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن اطاع اميري فقد اطاعني
ومن عصى اميري فقد عصاني فطاعة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم
من طاعة الله تعالى اذ الله تعالى امر بطاعته فطاعته امتثال لما امر الله تعالى به
وطاعة له وقد حكى الله تعالى عن الكفار في دركات جهنم يوم تقلب وجوههم
في النار يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول فتمنوا طاعته حيث
لا ينفعهم التمني وقال صلى الله تعالى عليه وسلم اذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه
واذا امرتكم بشيء فاتوا منه ما استطعتم وفي حديث ابي هريرة رضي
الله تعالى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم كل امتي يدخلون الجنة الا من
ابى قال من اطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد ابى وفي الحديث الاخر
الصحيح عنه عليه السلام مثلي ومثل ما بعثني الله تعالى به كمثل رجل اتى قوما فقال

ياقوم

يا قوم اني رايت الجيش بعيني واني انا النذير العريان فالنجاء فاطاعه طائفة
من قومه فادلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبت طائفة منهم فاصبحوا مكانهم
فصبحهم الجيش فاهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من اطاعني واتبع ما جئت به
ومثل من عصاني وكذب ما جئت به من الحق وفي الحديث الاخر في مثله كمثل
من بنى دارا وجعل فيها مادبة وبعث داعيا فمن اجاب الداعي دخل الدار و
اكل من المادبة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم ياكل من المادبة فالدار
الجنة والداعي محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فمن اطاع محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم
فقد اطاع الله تعالى ومن عصى محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم فقد عصى الله تعالى
ومحمد صلى الله تعالى عليه وسلم فرق بين الناس فصل واما وجوب اتباعه و
امتثال سنته والاقتداء بهديه صلى الله تعالى عليه وسلم فقد قال قل ان كنتم
تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وقال تعالى فامنوا بالله و
رسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون وقال
الله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الى قوله تسليما اي
ينقادون لحكمك يقال سلم واستسلم اذا انقاد وقال تعالى لقد كان لكم في
رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر الاية وقال محمد بن علي الترمذي
الاسوة في الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم الاقتداء به والاتباع لسنته وترك
مخالفته في قول او فعل وقال غير واحد من المفسرين بمعناه وقيل هو عتاب
للمتخلفين عنه وقال سهل في قوله تعالى صراط الذين انعمت عليهم قال بمتابعة السنة
فامرهم تعالى بذلك ووعدهم الاهتداء باتباعه لان الله تعالى ارسله بالهدى و
دين الحق ليزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم ووعدهم
الله تعالى في الاية الاخرى ومغفرته اذا اتبعوه واثروه على اهوائهم وما تجنح اليه

التوسّهم وان صحة ايمانهم بانقيادهم له ورضاهم بحكمه وترك الاعتراض
عليه وروى عن الحسن ان اقواما قالوا يا رسول الله انا نحب الله تعالى
فانزل الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله الاية وروى ان الاية نزلت فى
كعب بن الاشرف وغيره وانهم قالوا نحن ابناء الله واحباؤه ونحن اشد
حبا لله فانزل الله تعالى الاية وقال الزجاج معناه ان كنتم تحبون الله
ان تقصدوا طاعته فافعلوا ما امركم به او محبة العبد لله تعالى والرسول
طاعته لهما ورضاه بما امرا ومحبة الله تعالى لهم عفوه عنهم وانعامه عليهم
برحمته ويقال الحب من الله تعالى عصمة وتوفيق ومن العباد طاعة كما
قال القائل تعصى الاله وانت تظهر حبه هذا لعمرى فى القياس بديع لو
كان حبك صادقا لاطعته ان المحب لمن يحب مطيع ويقال محبة العبد
لله تعالى تعظيمه له وهيبته منه ومحبة الله تعالى رحمته له وارادته الجميل
ويكون بمعنى الرحمة والارادة والمدح كان من صفات الذات وسياتى
بعد فى ذكر محبة العبد غير هذا بحول الله تعالى حدثنا ابو اسحاق ابرهيم بن
جعفر الفقيه قال حدثنا ابو الاصبغ عيسى بن سهل حدثنا ابو الحسن يونس
بن مغيث الفقيه بقراءتى عليه قالا حدثنا حاتم ابن محمد قال حدثنا
ابو حفص الجهنى حدثنا ابو بكر الاجرى حدثنا ابرهيم بن موسى الجوزى
حدثنا داود بن رشيد حدثنا الوليد بن مسلم عن ثور بن يزيد عن
خالد بن معدان عن عبد الرحمن بن عمرو السلمى وحجر الكلاعى عن العرباض
بن سارية فى حديثه فى موعظة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال فعليكم
بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ واياكم
ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة زاد فى حديث

جابر

جابر رضى الله تعالى عنه بمعناه وكل ضلالة فى النار وفى حديث ابى رافع رضى الله
تعالى عنه عنه عليه السلام لا الفين احدكم متكئا على اريكته ياتيه الامر من امرى
مما امرت به او نهيت عنه فيقول لا ادرى ما وجدنا فى كتاب الله تعالى اتبعناه
وفى حديث عائشة رضى الله تعالى عنها صنع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
شيئا وترخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فحمد
الله ثم قال ما بال قوم يتنزهون عن الشىء اصنعه فوالله انى لاعلمهم بالله
واشدهم له خشية وروى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال القرآن
صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم فمن استمسك بحديثى وفهمه و
حفظه جاء مع القرآن ومن تهاون بالقرآن وحديثى خسر الدنيا والاخرة امرت
امتى ان ياخذوا بقولى ويطيعوا امرى ويتبعوا سنتى فمن رضى بقولى
فقد رضى بالقرآن قال الله تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه الاية وقال عليه
الصلوة والسلام من اقتدى بى فهو منى ومن رغب عن سنتى فليس منى وعن
ابى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال ان احسن
الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وشر الامور
محدثاتها وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه قال النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم العلم ثلاثة فما سوى ذلك فهو فضل اية محكمة او سنة قائمة
او فريضة عادلة وعن الحسن بن الحسن رحمهما الله تعالى عليه قال صلى الله تعالى
عليه وسلم ان الله يدخل العبد الجنة بالسنة تمسك بها وعن ابى هريرة
رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال المتمسك بسنتى
عند فساد امتى له اجر مائة شهيد وقال صلى الله تعالى عليه وسلم ان بنى اسرائيل
افترقوا على اثنين وسبعين ملة وان امتى تفترق على ثلاث وسبعين كلها

في النار الا واحدة قالوا ومن هم يا رسول الله قال الذي انا عليه اليوم
واصحابي وعن انس رضي الله تعالى عنه قال عليه السلام من احيا سنتي فقد احياني
ومن احياني كان معي في الجنة وعن عمرو بن عوف المزني رضي الله تعالى عنه ان
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لبلال بن الحارث من احيا سنة من سنتي
قد اميتت بعدي فان له من الاجر مثل من عمل بها من غير ان ينقص من اجورهم
شيئا ومن ابتدع بدعة ضلالة لا ترضي الله ورسوله كان عليه اثام
من عمل بها لا ينقص ذلك من اوزار الناس شيئا فصل واما ورد عن
السلف والائمة من اتباع سنة والاقتداء بهديه وسيرته صلى الله
تعالى عليه وسلم حدثنا الشيخ ابو عمران موسى بن عبد الرحمن بن ابي تليد
الفقيه سماعا عليه قال حدثنا ابو عمر الحافظ حدثنا سعيد بن نصر
حدثنا يحيى بن يحيى حدثنا مالك عن ابن شهاب عن رجل من آل خالد
بن اسيد انه سال عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما فقال يا ابا عبد الرحمن
انا نجد صلاة الخوف وصلاة الحضر في القرآن ولا نجد صلاة السفر فقال
ابن عمر رضي الله تعالى عنه يا ابن اخي ان الله تعالى بعث الينا محمدا صلى الله تعالى
عليه وسلم ولا نعلم شيئا وانما نفعل كما رايناه يفعل وقال عمر بن عبد
العزيز رحمه الله تعالى سن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وولاة
الامر بعده سننا الاخذ بها تصديق لكتاب الله تعالى واستعمال لطاعة
الله تعالى وقوة على دين الله تعالى ليس لاحد تغييرها ولا تبديلها ولا
النظر في رأي من خالفها من اقتدى بها مهتد ومن انتصر بها منصور
ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله تعالى ما تولى واصليه
جهنم وساءت مصيرا وقال الحسن بن ابي الحسن عمل قليل في سنة خير

من عمل كثير في بدعة وقال ابن شهاب بلغنا عن رجال من اهل العلم قالوا
الاعتصام بالسنة نجاة وكتب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه تعلموا السنة
والفرائض واللحن اي اللغة وقال ان ناسا يجادلونكم بشبه القرآن فخذوهم
بالسنن فان اصحاب السنن اعلم بكتاب الله تعالى وفي خبره حين صلى بذي الحليفة
ركعتين فقال اصنع كما رايت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يصنع وعن علي
رضي الله تعالى عنه حين قرن فقال له عثمان ترى اني انهى الناس عنه وتفعله
قال لم اكن ادع سنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لقول احد من الناس
وعنه الا اني لست نبيا ولا يوحى الي ولكني اعمل بكتاب الله وسنة نبيه
صلى الله تعالى عليه وسلم ما استطعت وكان ابن مسعود رضي الله تعالى عنه يقول
القصد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة وقال ابن عمر رضي الله تعالى
عنهما صلاة السفر ركعتان من خالف السنة وقال ابي بن كعب رضي
الله تعالى عنه عليكم بالسبيل والسنة فانه ما على الارض من عبد على السبيل
والسنة ذكر الله في نفسه ففاضت عيناه من خشية ربه فيعذبه الله
تعالى ابدا وما على الارض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله في نفسه
فاقشعر جلده من خشية الله الا كان مثله كمثل شجرة قد يبس ورقها فهي
كذلك اذا اصابتها ريح شديدة فتحاتت عنها ورقها الا حط الله عنه
خطاياه كما تحات عن الشجرة ورقها فان اقتصادا في سبيل وسنة خير من اجتهاد
في خلاف سبيل وسنة وانظروا ان يكون عملكم ان كان اجتهادا او اقتصادا
ان يكون على منهاج الانبياء عليهم السلام وسنتهم وكتب بعض عمال
عمر بن عبد العزيز اليه بحال بلده وكثرة لصوصه هل يأخذهم بالظنة
او يحملهم على البينة وما جرت عليه السنة فكتب اليه عمر خذهم بالبينة

وماجرت عليه السنة فان لم يصلحهم الحق فلا اصلحهم الله تعالى وعن
عطاء في قوله تعالى فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول اى الى
كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال الشافعي رحمه الله
تعالى ليس في سنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا اتباعها وقال عمر
رضي الله تعالى عنه ونظر الى الحجر الاسود والله انك حجر لا تنفع ولا تضر
ولولا اني رايت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقبلك ما قبلتك ثم
قبله وروى عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنه يدبر ناقته في مكان فسئل
فقال لا ادري الا اني رايت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فعله
ففعلته وقال ابو عثمان الحيري من امر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق
بالحكمة ومن امر الهوى على نفسه نطق بالبدعة وقال سهل التستري اصول
مذهبنا ثلاثة الاقتداء بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم في الاخلاق
والافعال والاكل من الحلال واخلاص النية في جميع الاعمال وجاء
في تفسير قوله تعالى والعمل الصالح يرفعه انه الاقتداء برسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم وحكي عن احمد بن حنبل رحمه الله تعالى عنه قال كنت
يوما مع جماعة تجردوا ودخلوا الماء فاستعملت الحديث من كان
يؤمن بالله واليوم الاخر فلا يدخل الحمام الا بميزر ولم اتجرد فرايت
تلك الليلة قائلا لي يقول يا احمد ابشر فان الله تعالى قد غفر لك
باستعمالك السنة وجعلك اماما يقتدى بك قلت من انت
قال جبريل فصل ومخالفة امره وتبديل سنته صلى الله تعالى عليه
وسلم ضلال وبدعة متوعد من الله تعالى عليه بالخذلان والعذاب
قال تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم عذاب اليم وقال

وقال

تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل
المؤمنين الاية حدثنا ابو محمد عبد الله بن ابي جعفر وعبد الرحمن
بن عتاب بقراتي عليهما قالا حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد حدثنا ابو
الحسن القابسي حدثنا ابو الحسن بن مسرور الدباغ حدثنا احمد بن
ابي سليمان حدثنا سحنون بن سعيد ابو القاسم حدثنا مالك عن العلاء
بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم خرج الى المقبرة وذكر الحديث في صفة
امته وفيه فليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال فاناديهم
الا هلم الا هلم الا هلم فيقال انهم قد بدلوا بعدك فاقول فسحقا فسحقا فسحقا
وروى انس رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال
من رغب عن سنتي مني وقال صلى الله تعالى عليه وسلم من ادخل في امرنا
ما ليس منه فهو رد وروى ابن ابي رافع عن ابيه عن النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم قال لا الفين احدكم متكئا على اريكته ياتيه الامر من امري مما امرت به
او نهيت عنه فيقول لا ادري ما وجدنا في كتاب الله تعالى اتبعناه زاد في حديث
المقدام رضي الله تعالى عنه الا وان ما حرم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
مثل ما حرم الله تعالى وقال صلى الله تعالى عليه وسلم وجيء بكتاب في كتف كفى
بقوم حمقا او قال ضلالا ان يرغبوا عما جاء به نبيهم الى غير نبيهم او كتاب غير
كتابهم فنزلت اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب الاية وقال صلى الله تعالى
عليه وسلم هلك المتنطعون وقال ابو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه لست
تاركا شيئا كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يعمل به الا عملت به اني اخشى
ان تركت شيئا من امره ان ازيغ الباب الثاني في لزوم محبته صلى الله تعالى

عليه وسلم قال الله تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم
وعشيرتكم واموال اقترفتموها الاية فكفى بهذا حضا وتنبيها ودلالة وحجة
على الزام محبته صلى الله تعالى عليه وسلم ووجوب فرضها وعظم
خطرها واستحقاقه صلى الله تعالى عليه وسلم لها اذ قرع الله تعالى
من كان ماله واهله وولده احب اليه من الله ورسوله واوعدهم
بقوله فتربصوا حتى ياتى الله بامره ثم فسقهم بتمام الاية واعلمهم
انهم ممن ضل ولم يهده الله حدثنا ابو على الغسانى الحافظ فيما
اجازنيه وهو مما قراته على غير واحد قال حدثنا سراج بن عبد الله
القاضى حدثنا ابو محمد الاصيلى حدثنا المروزى حدثنا ابو عبد الله
محمد بن اسمعيل حدثنا يعقوب بن ابراهيم حدثنا ابن علية عن
عبد العزيز بن صهيب عن انس رضى الله تعالى عنه ان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه
من ولده ووالده والناس اجمعين وعن ابى هريرة رضى الله
تعالى عنه نحوه وعن انس رضى الله تعالى عنه عنه صلى الله تعالى
عليه وسلم ثلث من كن فيه وجد حلاوة الايمان ان يكون
الله ورسوله احب اليه مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه
الا لله وان يكره ان يعود فى الكفر كما يكره ان يقذف فى النار
وعن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه انه قال للنبى صلى الله
تعالى عليه وسلم لانت احب الى من كل شىء الا نفسى التى بين جنبى
فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لن يؤمن احدكم حتى اكون
احب اليه من نفسه فقال عمر رضى الله تعالى عنه والذى

ازل

انزل عليك الكتاب لانت احب الى من نفسى التى بين جنبى
فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الآن يا عمر قال سهل
من لم ير ولاية الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم عليه فى جميع
الاحوال ويرى نفسه فى ملكه عليه السلام لا يذوق حلاوة سنته
لان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا يؤمن احدكم حتى اكون
احب اليه من نفسه الحديث فصل فى ثواب محبته صلى الله تعالى عليه
وسلم حدثنا ابو محمد بن عتاب بقراءتى عليه حدثنا ابو القاسم حاتم
بن محمد حدثنا ابو الحسن على بن خلف حدثنا ابو زيد المروزى حدثنا
محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا عبدان حدثنا ابى حدثنا
شعبة عن عمرو بن مرة عن سالم بن ابى الجعد عن انس بن مالك
رضى الله تعالى عنه ان رجلا اتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
فقال متى الساعة يا رسول الله قال ما اعددت لها قال ما اعددت لها
من كثير صلوة ولا صوم ولا صدقة ولكنى احب الله ورسوله قال
انت مع من احببت وعن صفوان بن قدامة رضى الله تعالى عنه قال
هاجرت الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاتيته فقلت يا رسول الله
ناولنى يدك ابايعك فناولنى يده فقلت يا رسول الله انى احبك
قال المرء مع من احب وروى هذا اللفظ عن النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم عبد الله ابن مسعود وابو موسى وانس رضى الله تعالى عنهم
وعن ابى ذر رضى الله تعالى عنه بمعناه وعن على رضى الله تعالى عنه
ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اخذ بيده الحسن والحسين رضى الله تعالى
عنهما فقال من احبنى واحب هذين واباهما وامهما كان معى درجتى

يوم القيمة وروى ان رجلا اتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
فقال يا رسول الله لانت احب الي من اهلي ومالي واني لاذكرك
فما اصبر حتى اجيء فانظر اليك واني ذكرت موتي وموتك فعرفت
انك اذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين وان دخلتها فلا اراك
فانزل الله تعالى ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم
الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
وحسن اولئك رفيقا فدعا به فقرأها عليه وفي حديث اخر كان
رجل عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ينظر اليه ولا يطرف فقال
ما بالك فقال بابي انت وامي اتمتع من النظر اليك فاذا كان يوم
القيمة رفعك الله بتفضيله فانزل الله تعالى الاية وفي حديث انس
رضي الله تعالى عنه ومن احبني كان معي في الجنة فصل فيما روي
عن السلف والائمة من محبتهم للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وشوقهم له
حدثنا القاضي الشهيد حدثنا العذري حدثنا الرازي
حدثنا الجلودي حدثنا ابن سفيان حدثنا مسلم حدثنا
قتيبة حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن سهيل عن ابيه عن
ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
من اشد امتي لي حبا ناس يكونون بعدي يود احدهم لو راني
باهله وماله ومثله عن ابي ذر رضي الله تعالى عنه وقد
تقدم حديث عمر رضي الله تعالى عنه وقوله للنبي صلى الله تعالى
عليه وسلم لانت احب الي من نفسي وما تقدم عن الصحابة
في مثله وعن عمرو بن العاص ما كان احد احب الي من رسول الله

وعن

وعن عبدة بنت خالد بن معدان رضي الله تعالى عنهما قالت
ما كان خالد يأوي الى فراش الا وهو يذكر من شوقه الى رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم والى اصحابه من المهاجرين والانصار
يسميهم ويقول هم اصلي وفصلي واليهم يحن قلبي طال شوقي اليهم
فعجل ربي قبضي اليك حتى يغلبه النوم وروي عن ابي بكر رضي
الله تعالى عنه انه قال للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم والذي بعثك
بالحق لاسلام ابي طالب كان اقر لعيني من اسلامه يعني اباه
ابا قحافة وذلك ان اسلام ابي طالب كان اقر لعينيك ونحوه
عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه للعباس رضي الله عنه ان
تسلم احب الي من ان يسلم الخطاب لان ذلك احب الى رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم وعن ابن مسعود ان امرأة من الانصار
قتل ابوها واخوها وزوجها يوم احد مع رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم فقالت ما فعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
قالوا خيرا هو بحمد الله كما تحبين قالت ارنيه حتى انظر اليه فلما
رأته قالت كل مصيبة بعدك جلل وسئل علي بن ابي طالب رضي الله
تعالى عنه كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال كان
والله احب الينا من اباءنا وامهاتنا واولادنا واموالنا ومن
الماء البارد على الظمأ وعن زيد بن اسلم رضي الله تعالى عنه
خرج عمر رضي الله تعالى عنه ليلة يحرس فرأى مصباحا في بيت واذا
عجوز تنفش صوفا وتقول على محمد صلاة الابرار صلى عليه الطيبون
الاخيار قد كنت قواما بكاء بالاسحار يا ليت شعري والمنايا

اطوار هل يجمعني وحبيبي الدار تعني النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
فجلس عمر رضي الله تعالى عنه يبكي وفي الحكاية طول وروي ان
عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما خدرت رجله فقيل له اذكر احب
الناس اليك يزول عنك فصاح يا محمداه فانتشرت رجله ولما
احتضر بلال رضي الله تعالى عنه نادت امرأته واحزناه فقال واطرباه
غدا القى الاحبة محمدا وحزبه ويروى ان امرأة قالت لعائشة
رضي الله تعالى عنها اكشفي لي قبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
فكشفته لها فبكت حتى ماتت ولما اخرج اهل مكة زيد بن الدثنة
من الحرم ليقتلوه قال له سفيان بن حرب انشدك الله يا زيد اتحب
ان محمدا الان عندنا مكانك يضرب عنقه وانك في اهلك فقال
زيد والله ما احب ان محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم الان في مكانه الذي
هو فيه تصيبه شوكة واني جالس في اهلي فقال سفيان ما رأيت من الناس
احدا يحب احدا كحب اصحاب محمد محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم وعن
ابن عباس رضي الله تعالى عنه كانت المرأة اذا اتت النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم حلفها بالله ما خرجت الا حبا لله ورسوله ووقف ابن عمر
رضي الله تعالى عنه على ابن الزبير رضي الله تعالى عنهما بعد قتله فاستغفر له
وقال كنت والله ما علمت صواما محبا لله تعالى ورسوله صلى الله تعالى
عليه وسلم

فصل في علامة محبته صلى الله تعالى عليه وسلم

اعلم ان من احب شيئا آثره وآثر موافقته والا لم يكن صادقا في حبه
وكان مدعيا فالصادق في حب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من تظهر
علامات ذلك عليه واولها الاقتداء به صلى الله تعالى عليه وسلم

واستعمال

واستعمال سنته واتباع اقواله وافعاله وامتثال اوامره واجتناب
نواهيه والتأدب بآدابه في عسره ويسره ومنشطه ومكرهه
وشاهد هذا قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وايثار ما شرعه
وحض عليه على هوى نفسه وموافقة شهوته قال الله تعالى والذين تبوءوا
الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم
حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة واسخاط
العباد في رضاء الله تعالى وتقدس حدثنا القاضي ابو علي الحافظ حدثنا
ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل بن خيرون قالا حدثنا ابو يعلى
البغدادي حدثنا ابو علي السنجي حدثنا محمد بن محبوب ابو عيسى
حدثنا مسلم بن حاتم حدثنا محمد بن عبد الله الانصاري عن ابيه
عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب رضي الله تعالى عنهم قال
قال لي انس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال لي رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم يا بني ان قدرت ان تصبح وتمسي ليس في قلبك
غش لاحد فافعل ثم قال لي يا بني وذلك من سنتي ومن احيا
سنتي فقد احبني ومن احبني كان معي في الجنة فمن اتصف
بهذه الصفة فهو كامل المحبة لله ورسوله وعن خالفها في بعض
هذه الامور فهو ناقص المحبة ولا يخرج عن اسمها في دليل قوله صلى
الله تعالى عليه وسلم للذي حده في الخمر فلعنه بعضهم وقال ما اكثر
ما يؤتى به فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لا تلعنه فانه يحب الله و
رسوله ومن علامات النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كثرة ذكره له
فمن احب شيئا اكثر من ذكره ومنها كثرة شوقه الى لقائه فكل حبيب

يحب لقاء حبيبه وفي حديث الاشعريين عند قدومهم المدينة
كانوا انهم يرتجزون غداً نلقى الاحبة محمداً وصحبه وتقدم قول بلال
رضي الله تعالى عنه ومثله قول عمار رضي الله تعالى عنه قبل قتله وماذكرنا
من قصة خالد بن معدان ومن علاماته مع كثرة ذكره تعظيمه له
وتوقيره عند ذكره واظهار الخشوع والانكسار مع سماع اسمه
قال اسحاق التجيبي كان اصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
بعده لا يذكرونه الا خشعوا واقشعرت جلودهم وبكوا وكذلك
كثير من التابعين منهم من يفعل ذلك محبة او شوقاً اليه صلى
الله تعالى عليه وسلم ومنهم من يفعله تهيباً وتوقيراً ومنها محبة
لمن احب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومن هو بسببه من آل
بيته وصحابته من المهاجرين والانصار وعداوة من عاداهم
وبغض من ابغضهم وسبهم من احب شيئاً احب من يحب
وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم في الحسن والحسين رضي
الله تعالى عنهما اللهم اني احبهما فاحبهما وفي رواية في الحسن
فاحب من يحبه وقال صلى الله تعالى عليه وسلم من احبهما فقد
احبني ومن احبني فقد احب الله ومن ابغضهما فقد ابغضني
ومن ابغضني فقد ابغض الله وقال صلى الله تعالى عليه وسلم الله
الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم
ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني ومن اذاني
فقد اذى الله ومن اذى الله يوشك ان يأخذه وقال صلى الله
تعالى عليه وسلم في فاطمة رضي الله تعالى عنها انها بضعة مني يغضبني

ما اغضبها

ما اغضبها وقال صلى الله تعالى عليه وسلم لعائشة في اسامة بن
زيد رضي الله تعالى عنهما احبيه فاني احبه وقال صلى الله تعالى
عليه وسلم اية الايمان حب الانصار واية النفاق بغضهم وفي
حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنه من احب العرب فبحبي احبهم
ومن ابغضهم فبالحقيقة من احب شيئاً احب كل شيء يحبه وقد
قال انس رضي الله تعالى عنه حين رأى النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم يتتبع الدباء من حوالي القصعة فما زلت احب الدباء من
يومئذ وهذا الحسن بن علي وعبد الله بن عباس وابن جعفر رضي الله
تعالى عنهم اتوا سلمى وسألوها ان تصنع لهم طعاماً مما كان يعجب رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان ابن عمر رضي الله تعالى عنهما يلبس
النعال السبتية ويصبغ بالصفرة اذ رأى النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم يفعل نحو ذلك ومنها بغض من ابغض الله ورسوله ومعاداة
من عاداه ومجانبة من خالف سنته وابتدع في دينه واستثقاله
كل امر يخالف شريعته قال الله تعالى لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم
الاخر يوادون من حاد الله ورسوله وهؤلاء اصحابه صلى الله تعالى
عليه وسلم قد قتلوا احباءهم وقاتلوا اباءهم وابناءهم في مرضاته و
قال له عبد الله بن عبد الله بن ابي رضي الله تعالى عليه وسلم لو شئت
لاتيتك برأسه يعني اباه ومنها ان يحب القرآن الذي اتى به
عليه السلام وهدى به واهتدى وتخلق به حتى قالت عائشة رضي
الله تعالى عنها كان خلقه القرآن وحبه للقرآن تلاوته والعمل به و
تفهمه ويحب سنته ويقف عند حدودها قال سهل بن عبد الله

ومنها سيرة السلف رحمهم الله تعالى في المباحات وشهوات النفس

علامة حب الله حب القران وعلامة حب الله وحب القران
حب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعلامة حب النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم حب السنة وعلامة حب السنة حب الاخرة
وعلامة حب الاخرة بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا الا يدخر
منها الا زادا وبلغة الى الاخرة وقال ابن مسعود رضي الله تعالى
عنه لا يسئل احد عن نفسه الا القران فان كان يحب القران
فهو يحب الله ورسوله ومن علامة حبه للنبي صلى الله تعالى
عليه وسلم شفقته على امته ونصحه لهم وسعيه في مصالحهم
ورفع المضار عنهم كما كان صلى الله تعالى عليه وسلم بالمؤمنين
رؤفا رحيما ومن علامة تمام محبته صلى الله تعالى عليه وسلم
زهد مدعيها في الدنيا وايثاره الفقر واتصافه به وقد قال
عليه السلام لابي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه ان الفقر
الى من يحبني منكم اسرع من السيل من اعلى الوادي او الجبل الى
اسفله وفي حديث عبد الله بن مغفل رضي الله تعالى عنه قال
رجل للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم اني احبك فقال له انظر
ما تقول قال والله اني احبك ثلاث مرات قال ان كنت تحبني
فاعد للفقر تجفافا ثم ذكر نحو حديث ابي سعيد رضي الله تعالى
عنه بمعناه فصل في معنى المحبة للنبي صلى الله تعالى عليه
وسلم وحقيقتها اختلف الناس في تفسير محبة الله تعالى
ومحبة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وكثرت عباراتهم في ذلك
وليست ترجع بالحقيقة الى اختلاف مقال ولكنها اختلاف احوال

فقال سفيان رحمه الله تعالى المحبة اتباع الرسول صلى الله تعالى عليه
وسلم كانه التفت الى قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم
الله الاية وقال بعضهم محبة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم اعتقاد
نصرته والذب عن سنته والانقياد لها وهيبة مخالفته وقال بعضهم
المحبة دوام الذكر للمحبوب وقال اخر ايثار المحبوب وقال بعضهم المحبة
الشوق الى المحبوب وقال بعضهم المحبة مواطاة القلب لمراد الرب
يحب ما احب ويكره ما يكره وقال اخر المحبة ميل القلب الى موافق له
واكثر العبارات المتقدمة اشارة الى ثمرات المحبة دون حقيقتها
وحقيقة المحبة الميل الى ما يوافق الانسان وتكون موافقة له
اما لاستلذاذه بادراكه كحب الصور الجميلة والاصوات الحسنة
والاطعمة والاشربة اللذيذة واشباهها مما كل طبع سليم مائل
اليها لموافقتها له او لاستلذاذه بادراكه بحاسة عقله وقلبه
معاني باطنة شريفة كحبة الصالحين والعلماء واهل المعروف والمأثور
عنهم السير الجميلة والافعال الحسنة فان طبع الانسان مائل الى الشغف
بامثال هؤلاء حتى يبلغ التعصب بقوم لقوم والتشيع من امة في
اخرين ما يؤدي الى الجلاء عن الاوطان وهتك الحرم واخترام النفوس
او يكون حبه اياه لموافقته له من جهة احسانه له وانعامه عليه
فقد جبلت النفوس على حب من احسن اليها فاذا تقرر لك هذا نظرت
هذه الاسباب كلها في حقه صلى الله تعالى عليه وسلم فعلمت انه عليه الصلوة
والسلام جامع لهذه المعاني الثلاثة الموجبة للمحبة اما جمال الصورة والظاهر
وكمال الاخلاق والباطن فقد قررنا منها قبل فيما مر من الكتاب ما لا يحتاج

الى زيادة واما احسانه وانعامه على امته فكذلك قد مر منه في اوصاف
الله تعالى له من رافته بهم ورحمته لهم وهدايته اياهم وشفقته عليهم
واستنقاذهم به من النار وانه بالمؤمنين رؤف رحيم ورحمة للعالمين
ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه ويتلو عليهم اياته ويزكيهم
ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم فاى احسان اجل
قدرا واعظم خطرا من احسانه صلى الله تعالى عليه وسلم الى جميع
المؤمنين واى افضال اعم منفعة واكثر فائدة من انعامه على
كافة المسلمين اذ كان ذريعتهم الى الهداية ومنقذهم من العماية
وداعيهم الى الفلاح والكرامة ووسيلتهم الى ربهم وشفيعهم
والمتكلم عنهم والشاهد لهم والموجب لهم البقاء الدائم والنعيم
السرمد فقد استبان لك انه صلى الله تعالى عليه وسلم مستوجب
للمحبة الحقيقية شرعا بما قدمناه من صحيح الاثار وعادة وجبلة
بما ذكرناه انفا لافاضة الاحسان وعمومه الاجمال فاذا كان
الانسان يحب من منحه في دنياه مرة او مرتين معروفا او استنقذه
من هلكة او مضرة مدة التاذي بها قليل منقطع فمن منحه ما لا
يبيد من النعيم ووقاه ما لا يفنى من عذاب الجحيم اولى بالحب
واذا كان يحب بالطبع ملك لحسن سيرته او حاكم لما يؤثر عنه
من قوام طريقته او قاص بعيد الدار لما يشاد من علمه او كرم
شيمته فمن جمع هذه الخصال على غاية مراتب الكمال احق بالحب
واولى بالميل وقد قال على رضى الله تعالى عنه في صفته صلى الله
تعالى عليه وسلم من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة احبه

وذكرنا

وذكرناه عن بعض الصحابة انه كان لا يصرف بصره عنه محبة
فيه صلى الله تعالى عليه وسلم فصل في وجوب مناصحته صلى الله
تعالى عليه وسلم قال الله تعالى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون
حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله
غفور رحيم قال اهل التفسير اذا نصحوا لله ورسوله اذا كانوا
مخلصين مسلمين في السر والعلانية حدثنا الفقيه ابو الوليد
بقراتي عليه حدثنا حسين بن محمد حدثنا يوسف بن عبد الله
حدثنا عبد المؤمن حدثنا ابو بكر التمار حدثنا ابو داود
حدثنا احمد بن يونس حدثنا زهير حدثنا سهيل بن ابى صالح
عن عطاء بن يزيد عن تميم الدارى رضى الله تعالى عنه بالتصغير قال
قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الدين النصيحة ان الدين
النصيحة ان الدين النصيحة قالوا لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه
ولرسوله وائمة المسلمين وعامتهم قال ائمتنا رحمهم الله تعالى
النصيحة لله تعالى ولرسوله وائمة المسلمين واجبة قال الامام
ابو سليمان البستى النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة ارادة الخير
للمنصوح له وليس يمكن ان يعبر عنها بكلمة واحدة تحصرها ومعناها
في اللغة الاخلاص من قولهم نصحت العسل اذا خلصته من شمعه
وقال ابو بكر بن ابى اسحاق الخفاف النصح فعل الشيء الذى به
الصلاح والملائمة ماخوذ من النصاح وهو الخيط الذى يخاط
به الثوب وقال ابو اسحاق الزجاج نحوه فنصيحة الله تعالى صحة الاعتقاد
له بالوحدانية ووصفه بما هو اهله وتنزيهه عما لا يجوز عليه

والرغبة في محابه والبعد عن مساخطه والاخلاص في عبادته والنصيحة لكتابه العزيز الايمان به والعمل بما فيه وتحسين تلاوته والتخشع عنده والتعظيم وتفهمه والتفقه بما فيه والذب عنه من تاويل الغالين وطعن الملحدين والنصيحة لرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم التصديق بنبوته وبذل الطاعة له فيما امر به ونهى عنه قاله ابو سليمان قال ابو بكر ومؤازرته ونصرته وحمايته حيا وميتا واحياء سنته بالطلب والذب عنها ونشرها والتخلق باخلاقه الكريمة وادابه الجميلة صلى الله تعالى عليه وسلم قال ابو ابراهيم اسحاق التجيبي نصيحة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم التصديق بما جاء به والاعتصام بسنته ونشرها والحض عليها والدعوة الى الله والى كتابه والى رسوله واليها والى العمل بها وقال احمد بن محمد من مفروضات القلوب اعتقاد النصيحة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ابو بكر الاجري وغيره النصح له يقتضي نصحين نصحا في حياته ونصحا بعد مماته ففي حياته نصح اصحابه له بالنصر والمحاماة عنه والمعاداة لمن عاداه والسمع والطاعة له وبذل النفوس والاموال دونه كما قال تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الاية وقال تعالى وينصرون الله ورسوله الاية واما نصيحة المسلمين له بعد وفاته فالتزام التوقير والاجلال وشدة المحبة له والمثابرة على تعلم سنته والتفقه في شريعته ومحبة ال بيته واصحابه ومجانبة من رغب عن سنته وانحرف عنها وبغضه والتحذير منه والشفقة

على امته

على امته والبحث عن تعرف اخلاقه وسيره وادابه والصبر على ذلك فعلى ما ذكره تكون النصيحة احدى ثمرات المحبة وعلامة من علاماتها كما قدمناه وحكى الامام ابو القاسم القشيري ان عمرو بن الليث احد ملوك خراسان ومشاهير الثوار المعروف بالصفار رئي في النوم فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي فقيل بماذا قال صعدت ذروة جبل يوما فاشرفت على جنودي واعجبتني كثرتهم فتمنيت اني حضرت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاعنته ونصرته فشكر الله لي ذلك وغفر لي واما النصح لائمة المسلمين فطاعتهم في الحق ومعونتهم فيه وامرهم به وتذكيرهم اياه على احسن وجه وتنبيههم على ما غفلوا عنه وكتم عنهم من امور المسلمين وترك الخروج عليهم وتضريب الناس وافساد قلوبهم عليهم والنصح لعامة المسلمين ارشادهم الى مصالحهم ومعونتهم في دينهم ودنياهم بالقول والفعل وتنبيه غافلهم وتبصير جاهلهم ورفد محتاجهم وستر عوراتهم ودفع المضار عنهم وجلب المنافع اليهم

الباب الثالث في تعظيم امره ووجوب توقيره وبره

قال الله تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة واصيلا وقال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله وقال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الثلاث ايات وقال الله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا فاوجب تعالى تعزيره وتوقيره والزم اكرامه وتعظيمه قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه تعزروه تجلوه وقال

المبرد تعزروه تبالغوا في تعظيمه وقال الاخفش تنصروه وقال
الطبري تعينون وقرئ تعززوه بزائين من العز ونهى عن
التقدم بين يديه بالقول وسوء الادب بسبقه بالكلام على
قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وغيره وهو اختيار ثعلب
وقال سهل بن عبد الله لا تقولوا قبل ان يقول واذا قال
فانصتوا له واستمعوا ونهوا عن التقدم والتعجل بقضاء امر
قبل قضائه فيه وان يفتاتوا بشيء في ذلك من قتال او غيره
من امر دينهم الا بامره ولا يسبقوه به الى هذا يرجع قول
الحسن ومجاهد والضحاك والسدي والثوري ثم وعظهم
وحذرهم مخالفة ذلك فقال واتقوا الله ان الله سميع عليم
قال الماوردي اتقوه يعني في التقدم وقال السلمي اتقوا
الله في اهمال حقه وتضييع حرمته انه سميع لقولكم عليم بفعلكم
ثم نهاهم عن رفع الصوت فوق صوته والجهر له بالقول كما يجهر
بعضهم لبعض ويرفع صوته وقيل كما ينادي بعضهم بعضاً
باسمه قال ابو محمد مكي اي لا تسابقوه بالكلام ولا تغلظوا له
بالخطاب ولا تنادوه باسمه نداء بعضكم لبعض ولكن عظموه
ووقروه ونادوه باشرف ما يحب ان ينادى به يا رسول الله يا
نبي الله وهذا كقوله في الاخرى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء
بعضكم بعضاً على احد التاويلين وقال غيره لا تخاطبوه الا مستفهمين
ثم خوفهم الله تعالى بحبط اعمالهم ان هم فعلوا ذلك وحذرهم منه قيل
نزلت الاية في وفد بني تميم وقيل في غيرهم اتوا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

فنادوه

فنادوه يا محمد يا محمد اخرج الينا فذمهم الله تعالى بالجهل ووصفهم بان
اكثرهم لا يعقلون وقيل نزلت الاية الاولى في محاورة كانت
بين ابي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما بين يدي رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم واختلاف جرى بينهما حتى ارتفعت اصواتهما وقيل نزلت في
ثابت بن قيس بن شماس رضي الله تعالى عنهما خطيب النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم في مفاخرة بني تميم وكان في اذنيه صمم فكان يرفع صوته
فلما نزلت هذه الاية اقام في منزله وخشي ان يكون حبط عمله
ثم اتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا نبي الله لقد خشيت
ان اكون هلكت نهانا الله تعالى ان نجهر بالقول وانا امرؤ جهير
الصوت فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يا ثابت اما ترضى ان
تعيش حميداً وتقتل شهيداً وتدخل الجنة فقتل يوم اليمامة و
روي ان ابا بكر رضي الله تعالى عنه لما نزلت هذه الاية قال والله
يا رسول الله لا اكلمك بعدها الا كاخي السرار وان عمر كان اذا حدثه
حدثه كاخي السرار ما كان يسمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
بعد هذه الاية حتى يستفهمه فانزل الله تعالى فيهم ان الذين يغضون
اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى
لهم مغفرة واجر عظيم وقيل نزلت ان الذين ينادونك من
وراء الحجرات في غير بني تميم نادوه باسمه وروى صفوان
بن عسال رضي الله تعالى عنه بينا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في
سفر اذ ناداه اعرابي بصوت له جهوري ايا محمد ايا محمد فقلنا له
اغضض من صوتك فانك قد نهيت عن رفع الصوت وقال الله تعالى

يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا قال بعض المفسرين هي لغة
كانت في الانصار نهوا عن قولها تعظيما للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم
وتبجيلا له لان معناها ارعنا نرعك فنهوا عن قولها اذ مقتضاها
كانهم لا يرعونه الا برعايته لهم بل حقه ان يرعى على كل حال وقيل
كانت اليهود تعرض بها للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالرعونة
فنهي المسلمين عن قولها قطعا للذريعة ومنعا للتشبه بهم في قولها
لمشاركة اللفظة وقيل غير هذا فصل في عادة الصحابة رضي الله
تعالى عنهم في تعظيمه صلى الله تعالى عليه وسلم وتوقيره واجلاله
حدثنا القاضي ابو علي الصدفي وابو بحر الاسدي سماعي عليهما في
اخرين قالوا حدثنا احمد بن عمر حدثنا احمد بن الحسين حدثنا
محمد بن عيسى حدثنا ابراهيم بن سفيان مسلم حدثنا محمد بن المثنى
وابو معن الرقاشي واسحاق بن منصور قالوا حدثنا الضحاك بن
مخلد حدثنا حيوة بن شريح حدثني يزيد بن ابي حبيب عن ابن
شماسة المهري قال حضرنا عمرو بن العاص فذكر حديثا طويلا
فيه عن عمرو رضي الله تعالى عنه قال ما كان احد احب الي من رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا اجل في عيني منه وما كنت اطيق
ان املأ عيني منه اجلالا له ولو سئلت ان اصفه ما اطقت
لاني لم اكن املأ عيني منه وروى الترمذي عن انس رضي الله
تعالى عنه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يخرج على اصحابه من
المهاجرين والانصار وهم جلوس فيهم ابو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما فلا يرفع
احد منهم اليه بصره الا ابو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما فانهما كانا ينظران

اليه ويتطر اليهما ويتبسمان اليه ويتبسم اليهما وروى اسامة بن
شريك رضي الله تعالى عنه اتيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه
حوله كانما على رؤسهم الطير وفي حديث في صفته اذا تكلم اطرق جلساؤه
كانما على رؤسهم الطير وقال عروة بن مسعود حين وجهته قريش
عام القضية الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وراى من تعظيم
الصحابة له صلى الله تعالى عليه وسلم ما راى وانه لا يتوضأ الا ابتدروا
وضوءه وكادوا يقتتلون عليه ولا يبصق بصاقا ولا يتنخم نخامة
الا تلقوها باكفهم فدلكوا بها وجوههم واجسادهم ولا تسقط
منه شعرة الا ابتدروها واذا امرهم بامر ابتدروا امره واذا تكلم
خفضوا اصواتهم عنده وما يحدون اليه النظر تعظيما له فلما رجع الى
قريش قال يا معشر قريش اني جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه
والنجاشي في ملكه واني والله ما رايت ملكا في قوم قط مثل محمد
واصحابه وفي رواية ان رايت ملكا قط يعظمه اصحابه ما يعظم
محمدا اصحابه وقد رايت قوما لا يسلمونه ابدا وعن انس رضي الله تعالى
عنه لقد رايت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والحلاق يحلق
راسه وقد اطاف به اصحابه فما يريدون ان تقع شعرة الا في كف رجل
ومن هذا لما اذنت قريش لعثمان رضي الله تعالى عنه في الطواف
بالبيت حين وجهه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اليهم في القضية
ابى وقال ما كنت لافعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم قالوا الاعرابي جاهل سله عمن قضى نحبه وكانوا يهابونه
ويوقرونه فسأله فاعرض عنه اذ طلع طلحة رضي الله تعالى عنه

فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هذا ممن قضى نحبه وفي حديث
قيلة رضي الله تعالى عنه فلما رايت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
جالسا القرفصاء ارعدت من الفرق وذلك هيبة له وتعظيما
وفي حديث المغيرة رضي الله تعالى عنه كان اصحاب النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم يقرعون بابه بالاظافير وقال البراء بن عازب رضي
الله تعالى عنه لقد كنت اريد ان اسئل رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم عن الامر فاخره سنين من هيبة صلى الله تعالى عليه وسلم فصل
واعلم ان حرمة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعد موته و
توقيره وتعظيمه لازم كما كان حال حياته وذلك عند ذكره صلى
الله تعالى عليه وسلم وذكر حديثه وسنته وسماع اسمه وسيرته و
معاملة آله وعترته وتعظيم اهل بيته وصحابته قال ابو ابراهيم التجيبي
واجب على كل مؤمن متى ذكره او ذكر عنده ان يخضع ويخشع ويتوقر
ويسكن من حركته ويأخذ في هيبته واجلاله بما كان يأخذ به نفسه
لو كان بين يديه صلى الله تعالى عليه وسلم ويتأدب بما ادبنا الله به
قال القاضي ابو الفضل المصنف رحمه الله تعالى وهذه كانت سيرة
سلفنا الصالح وائمتنا الماضين رضي الله تعالى عنهم حدثنا القاضي
ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الاشعري وابو القاسم احمد بن بقي الحاكم
وغير واحد فيما اجازونيه قالوا حدثنا ابو العباس احمد بن عمر بن دلهاث
قال اخبرنا ابو الحسن علي بن فهر حدثنا ابو بكر محمد بن احمد بن الفرج
حدثنا ابو الحسن عبيد الله بن المنتاب حدثنا يعقوب بن اسحاق
بن ابي اسرائيل حدثنا ابن حميد قال ناظر ابو جعفر امير المؤمنين

مالكا

مالكا في مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له مالك يا امير
المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فان الله تعالى ادب قوما فقال
لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الاية وذم قوما فقال ان الذين ينادونك
من وراء الحجرات الاية ومدح قوما ان الذين يغضون اصواتهم الاية و
ان حرمته صلى الله تعالى عليه وسلم ميتا كحرمته حيا فاستكان لها ابو
جعفر وقال يا ابا عبد الله استقبل القبلة وادعو ام استقبل رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك
ووسيلة ابيك آدم عليه السلام الى الله عز وجل يوم القيمة بل استقبله
واستشفع به فيشفعك الله قال الله تعالى ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك
الاية وقال مالك وقد سئل عن ايوب السختياني ما حدثتكم عن احد
الا وايوب افضل منه قال وحج حجتين فكنت ارمقه ولا اسمع منه
غير انه كان اذا ذكر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بكى حتى ارحمه فلما رايت
واجلاله النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كتبت عنه وقال مصعب بن
عبد الله كان مالك اذا ذكر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يتغير لونه
وينحني حتى يصعب ذلك على جلسائه فقيل له يوما في ذلك فقال لو
رأيتم ما رأيت لما انكرتم علي ما ترون لقد كنت ارى محمد بن المنكدر
وكان سيد القراء لا نكاد نسئله عن حديث ابدا الا يبكي حتى نرحمه ولقد
كنت ارى جعفر بن محمد الصادق وكان كثير الدعابة والتبسم فاذا
ذكر عنده النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اصفر وما رايته يحدث عن
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا على طهارة ولقد اختلفت اليه
زمانا فما كنت اراه الا على ثلث خصال اما مصليا واما صامتا واما

يقراء القران ولا يتكلم فيما لا يعنيه وكان من العلماء والعباد الذين
يخشون الله عز وجل ولقد كان عبد الرحمن بن القاسم يذكر النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم فينظر الى لونه كانه نزف منه الدم وقد جف
لسانه في فمه هيبة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولقد كنت
اتى عامر بن عبد الله بن الزبير فاذا ذكر عنده النبي صلى الله تعالى عليه و
سلم بكى حتى لا يبقى في عينيه دموع ولقد رايت الزهري وكان من
اهنا الناس واقربهم فاذا ذكر عنده النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فكانه
ما عرفك ولا عرفته ولقد كنت اتى صفوان بن سليم وكان من المتعبدين
المجتهدين فاذا ذكر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بكى فلا يزال يبكي
حتى يقوم الناس عنه ويتركوه وروى عن قتادة رضي الله تعالى
عنه انه كان اذا سمع الحديث اخذه العويل والزويل ولما كثر
على مالك الناس قيل له لو جعلت مستملياً يسمعهم فقال قال الله تعالى
يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي وحرمته صلى
الله تعالى عليه وسلم حياً وميتاً سواء وكان عبد الرحمن بن مهدي
اذا قراء حديث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم امرهم بالسكوت وقال
لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ويتاول انه يجب له من الانصات
عند قراءت حديثه ما يجب له عند سماع قوله صلى الله تعالى عليه وسلم

فصل في سيرة السلف في تعظيم رواية حديث رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم وسنته حدثنا الحسين بن محمد الحافظ
حدثنا ابو الفضل بن خيرون حدثنا ابو بكر البرقاني وغيره
ابو الحسن الدارقطني حدثنا علي بن مبشر حدثنا احمد بن سنان القطان

حدثنا

حدثنا يزيد بن هارون حدثنا المسعودي عن مسلم البطين عن
عمرو بن ميمون قال اختلفت الى ابن مسعود رضي الله تعالى عنه سنة
فما سمعته يقول قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا انه حدث
يوماً فجرى على لسانه قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم علاه
كرب حتى رايت العرق يتحدر من جبهته ثم قال هكذا ان شاء الله تعالى
او فوق ذا او ما دون ذا او قريب من ذا وفي رواية فتربد وجهه وفي
رواية وقد تغرغرت عيناه وانتفخت اوداجه وقال ابراهيم بن
عبد الله بن قريم الانصاري قاضي المدينة مر مالك بن انس رحمه الله
تعالى على ابي حازم وهو يحدث فجازه وقال اني لم اجد موضعاً اجلس
فيه فكرهت ان اخذ حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم و
انا قائم وقال مالك جاء رجل الى ابن المسيب فسأله عن حديث وهو
مضطجع فجلس وحدثه فقال له الرجل وددت انك لم تتعن فقال
اني كرهت ان احدثك عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وانا
مضطجع وروى عن محمد بن سيرين انه قد يكون يضحك فاذا ذكر
عنده حديث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خشع وقال ابو مصعب
كان مالك بن انس رحمه الله تعالى لا يحدث بحديث رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم الا وهو على وضوء اجلالاً له وحكى مالك ذلك
عن جعفر بن محمد وقال مصعب بن عبد الله كان مالك بن انس
رحمه الله تعالى اذا حدث عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
توضأ وتهيأ ولبس ثيابه ثم يحدث قال مصعب فسئل عن
ذلك فقال انه حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال

مطرف كان اذا اتى الناس مالكا خرجت اليهم الجارية فتقول لهم
يقول لكم الشيخ تريدون الحديث او المسائل فان قالوا المسائل خرج
اليهم وان قالوا الحديث دخل مغتسله واغتسل وتطيب ولبس ثيابا
جددا ولبس ساجه وتعمم ووضع على راسه رداءه وتلقى له منصة
فيخرج ويجلس عليها وعليه الخشوع ولا يزال يبخر بالعود حتى يفرغ
من حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال غيره ولم يكن
يجلس على تلك المنصة الا اذا حدث عن رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم قال ابن ابي اويس فقيل لمالك رحمه الله تعالى في ذلك فقال احب
ان اعظم حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا احدث به
الا على طهارة متمكنا قال وكان يكره ان يحدث في الطريق او وهو قائم او
مستعجل وقال احب ان افهم حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وقال عبد الله بن المبارك كنت عند مالك وهو يحدثنا فلدغته
عقرب ست عشرة مرة وهو يتغير لونه ويصفر ولا يقطع حديث
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلما فرغ من المجلس وتفرق عنه
الناس قلت له يا ابا عبد الله لقد رايت اليوم منك عجبا قال نعم
انما صبرت اجلالا لحديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال
ابن مهدي مشيت يوما مع مالك الى العقيق فسألته عن حديث
فانتهرني وقال لي كنت في عيني اجل من ان تسال عن حديث رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم ونحن نمشي وساله جرير بن عبد الحميد القاضي
عن حديث وهو قائم فامر بحبسه فقيل له انه قاض قال القاضي احق
من ادب وذكر ان هشام بن الغازي سال مالكا عن حديث وهو واقف

فضربه

فضربه عشرين سوطا ثم اشفق فحدثه عشرين حديثا فقال هشام
وددت لو زادني سياطا ويزيدني حديثا قال عبد الله بن صالح
كان مالك والليث لا يكتبان الحديث الا وهما طاهران وكان قتادة يستحب
ان لا يقرا احاديث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الا على وضوء ولا يحدث
الا على طهارة فصل ومن توقيره صلى الله تعالى عليه وسلم وبره بر آله
وذرياته وامهات المؤمنين ازواجه كما حض صلى الله تعالى عليه و
سلم وسلكه السلف الصالح رضي الله تعالى عنهم قال الله تعالى انما يريد
الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت الاية قال تعالى وازواجه
امهاتهم اخبرنا الشيخ ابو محمد بن احمد العدل من كتابه وكتبت من اصله
حدثنا ابو الحسن المقرئ الفرغاني حدثتني ام القاسم بنت
الشيخ ابي بكر الخفاف حدثني ابي حدثنا حاتم هو ابن عقيل
حدثنا يحيى هو ابن الحماني حدثنا وكيع عن ابيه عن سعيد
بن مسروق عن يزيد بن حيان عن زيد بن ارقم رضي الله تعالى عنهم
قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انشدكم الله في اهل
بيتي ثلاثا قلنا لزيد من اهل بيته قال آل علي وآل جعفر وآل عقيل
وآل عباس وقال صلى الله تعالى عليه وسلم اني تارك فيكم ما ان
اخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي اهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني
فيهما وقال عليه الصلوة والسلام معرفة آل محمد براءة من النار وحب آل
محمد جواز على الصراط والولاية لآل محمد امان من العذاب قال بعض
العلماء معرفتهم هي معرفة مكانهم من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واذا
عرفهم بذلك عرف وجوب حقهم وحرمتهم بسببه وعن عمر

ابن ابي سلمة رضي الله تعالى عنه لما نزلت انما يريد الله ليذهب عنكم
الرجس اهل البيت الاية وذلك في بيت ام سلمة دعا فاطمة وحسنا
وحسينا فجللهم بكساء وعلي خلف ظهره ثم قال اللهم هؤلاء اهل
بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وعن سعيد بن ابي
وقاص رضي الله تعالى عنه لما نزلت اية المباهلة دعا النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم عليا وحسنا وحسينا وفاطمة رضي الله تعالى عنهم
وقال اللهم هؤلاء اهلي وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
في علي رضي الله تعالى عنه من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من
والاه وعاد من عاداه وقال فيه لا يحبك الا مؤمن ولا يبغضك
الا منافق وقال صلى الله تعالى عليه وسلم للعباس رضي الله تعالى عنه
والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبكم الله و
رسوله ومن اذى عمي فقد اذاني وانما عم الرجل صنو ابيه وقال
للعباس رضي الله تعالى عنه اغد علي يا عم مع ولدك فجمعهم وجللهم
بملاءته وهذا عمي وصنو ابي وهؤلاء اهل بيتي فاسترهم من النار
كستري اياهم فامنت اسكفة الباب وحوائط البيت امين امين
وكان ياخذ اسامة بن زيد والحسن رضي الله تعالى عنهما ويقول
اللهم اني احبهما فاحبهما وقال ابو بكر رضي الله تعالى عنه ارقبوا محمدا
صلى الله تعالى عليه وسلم في اهل بيته وقال ايضا والذي نفسي
بيده لقرابة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم احب الي ان اصل
من قرابتي وقال صلى الله تعالى عليه وسلم احب الله من احب حسنا
وحسينا وقال صلى الله تعالى عليه وسلم من احبني واحب هذين

واشار

واشار الى حسن وحسين واباهما وامهما كان معي في درجتي يوم
القيمة وقال صلى الله تعالى عليه وسلم من اهان قريشا اهانه الله تعالى
وقال صلى الله تعالى عليه وسلم قدموا قريشا ولا تقدموها وقال
صلى الله تعالى عليه وسلم لام سلمة رضي الله تعالى عنها لا تؤذيني في عائشة
وعن عقبة بن الحارث رضي الله تعالى عنه رايت ابا بكر رضي الله تعالى
عنه وجعل الحسن رضي الله تعالى عنه على عنقه وهو يقول بابي شبيه
النبي ليس شبيها بعلي وعلي رضي الله تعالى عنه يضحك وروى عن
عبد الله بن حسن بن حسن قال اتيت عمر بن عبد العزيز في حاجة فقال
اذا كانت لك حاجة فارسل الي او اكتب فاني استحيي من الله تعالى
ان يراك على بابي وعن الشعبي قال صلى زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه
على جنازة امه ثم قربت له بغلته ليركبها فجاء ابن عباس رضي الله تعالى
عنه فاخذ بركابه فقال زيد خل عنه يا ابن عم رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم فقال هكذا نفعل بالعلماء فقبل زيد يد ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما وقال هكذا امرنا ان نفعل باهل بيت نبينا صلى الله
تعالى عليه وسلم وروى ابن عمر محمد بن اسامة بن زيد رضي الله تعالى
عنه فقال ليت هذا عندي فقيل له هو محمد بن اسامة رضي الله تعالى
عنه فطاطا ابن عمر رضي الله تعالى عنه راسه فنقر بيده الارض وقال
لو رآه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لاحبه وقال الاوزاعي
دخلت بنت اسامة بن زيد رضي الله تعالى عنها صاحب رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم على عمر بن عبد العزيز ومعها مولى لها يمسك
بيدها فقام لها عمر ومشى اليها حتى جعل يدها بين يديه ويداه في

ثيابه ومشى بها حتى اجلسها على مجالسه وجلس بين يديها وما ترك
لها حاجة الا قضاها ولما فرض عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه
لابنه عبد الله في ثلاثة الآف ولاسامة بن زيد في ثلاثة الاف
وخمس مائة وقال عبد الله لابيه لم فضلته فوالله ما سبقني الى
مشهد فقال له لانه زيدا كان احب الى رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم من ابيك واسامة من احب اليه منك فاثرت حب
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على حبي وبلغ معوية ان كابس
بن ربيعة يشبه برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلما دخل عليه
من باب الدار قام عن سريره وتلقاه وقبل بين عينيه واقطعه
المرغاب لشبهه صورة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وروى
ان مالكا رحمه الله تعالى لما ضربه جعفر بن سليمان ونال منه ما نال
وحمل مغشيا عليه دخل عليه الناس فافاق فقال اشهدكم انى
انى جعلت ضاربي في حل فسئل بعد ذلك فقال خفت ان اموت
فالقى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاستحيي منه ان يدخل بعض آله النار
بسببي وقيل ان المنصور اقاده من جعفر فقال له اعوذ بالله والله
ما ارتفع منها سوط عن جسمي الا وقد جعلته في حل لقرابة من رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ابو بكر بن عياش لو اتاني ابو بكر
وعمر وعلي لبدأت بحاجة علي قبلهما لقرابته من رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم ولان اخر من السماء الى الارض احب الي من ان
اقدمه عليهما وقيل لابن عباس رضي الله تعالى عنهما ماتت فلانة
لبعض ازواج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فسجد فقيل له اتسجد

هذه الساعة

هذه الساعة فقال اليس قد قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
اذا رايتم اية فاسجدوا واي اية اعظم من ذهاب ازواج النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم وكان ابو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما يزوران
ام ايمن مولاة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويقولان كان النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم يزورها ولما دخلت حليمة السعدية على النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم بسط لها رداءه وقضى حاجتها فلما توفي صلى الله تعالى عليه
وسلم وفدت على ابي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما فصنعا بها مثل ذلك

فصل ومن توقيره وبره صلى الله تعالى عليه وسلم توقير اصحابه وبرهم و
معرفة حقهم والاقتداء بهم وحسن الثناء عليهم والاستغفار لهم
عما شجر بينهم ومعاداة من عاداهم والاضراب عن اخبار المورخين
وجهلة الرواة وضلال الشيعة والمبتدعين القادحة في احد منهم
وان يلتمس لهم فيما نقل مثل ذلك فيما كان بينهم من الفتن احسن التاويل
ويخرج لهم اصوب المخارج اذ هم اهل ذلك ولا يذكر احد منهم ولا يغمص
عليه امر بل تذكر حسناتهم وفضائلهم وحميد سيرتهم ويسكت عما
وراء ذلك كما قال عليه الصلوة والسلام اذا ذكر اصحابي فامسكوا وقال
الله تعالى محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم الى
اخر السورة وقال الله تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والا
الاية وقال الله تعالى لقد رضي الله عن المومنين اذ يبايعونك تحت
الشجرة وقال الله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الاية حدثنا
القاضي ابو علي حدثنا ابو الحسين وابو الفضل قالا حدثنا ابو علي
حدثنا ابو علي السنجي حدثنا محمد بن محبوب حدثنا الترمذي

حدثنا الحسن بن الصباح حدثنا سفيان بن عيينة عن زائدة
عن عبد الملك بن عمير عن ربعي بن حراش عن حذيفة رضي الله تعالى
عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اقتدوا باللذين
من بعدي ابي بكر وعمر وقال صلى الله تعالى عليه وسلم اصحابي كالنجوم
بايهم اقتديتم اهتديتم وعن انس رضي الله تعالى عنه قال قال
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مثل اصحابي كمثل الملح في الطعام
لا يصلح الطعام الا به وقال صلى الله تعالى عليه وسلم الله الله في
اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن
ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني ومن اذاني فقد
اذى الله ومن اذى الله يوشك ان يأخذه وقال صلى الله تعالى
عليه وسلم لا تسبوا اصحابي فلو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ
مد احدهم ولا نصيفه وقال صلى الله تعالى عليه وسلم من سب اصحابي
فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه
صرفا ولا عدلا وقال صلى الله تعالى عليه وسلم اذا ذكر اصحابي
فامسكوا وقال صلى الله تعالى عليه وسلم حديث جابر رضي الله تعالى
عنه ان الله اختار اصحابي على جميع العالمين سوى النبيين و
المرسلين واختار لي منهم اربعة ابا بكر وعمر وعثمان وعليا فجعلهم
خير اصحابي وفي اصحابي كلهم خير وقال صلى الله تعالى عليه وسلم
من احب عمر فقد احبني ومن ابغض عمر فقد ابغضني وقال مالك
بن انس وغيره من ابغض الصحابة وسبهم فليس له في فيء المسلمين
حق ونزع باية الحشر والذين جاؤا من بعدهم الاية وقال

من غاظه

من غاظه اصحاب محمد صلى الله تعالى فهو كافر وقال الله تعالى ليغيظ بهم
الكفار وقال عبد الله بن المبارك خصلتان من كانتا فيه نجا الصدق
وحب اصحاب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ايوب السختياني من
احب ابا بكر رضي الله تعالى عنه فقد اقام الدين ومن احب عمر رضي الله
تعالى عنه فقد اوضح السبيل ومن احب عثمان رضي الله تعالى عنه فقد
استضاء بنور الله تعالى ومن احب عليا رضي الله تعالى عنه فقد بالعروة
الوثقى واحسن الثناء على اصحاب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فقد برئ
من النفاق ومن انتقص احدا منهم فهو مبتدع مخالف السنة والسلف
الصالح واخاف ان لا يصعد له عمل الى السماء حتى يحبهم ويكون قلبه
سليما وفي حديث خالد بن سعيد رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم وقال ايها الناس اني راض عن ابي بكر فاعرفوا له
ذلك ايها الناس اني راض عن عمر وعن علي وعن عثمان وعن طلحة
والزبير وعن سعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف فاعرفوا لهم ذلك
ايها الناس ان الله تعالى غفر لاهل بدر والحديبية ايها الناس احفظوني
في اصحابي واصهاري واختاني لا يطالبنكم احد منهم بمظلمة فانها
مظلمة لا توهب في القيامة غدا وقال رجل للمعافى بن عمران اين عمر بن
عبد العزيز من معاوية فغضب وقال لا يقاس باصحاب النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم احد معاوية صاحبه وصهره وكاتبه وامينه
على وحي الله عز وجل واتي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بجنازة
رجل فلم يصل عليه وقال كان يبغض عثمان ابغضه الله وقال
صلى الله تعالى عليه وسلم في الانصار اعفوا عن مسيئهم واقبلوا من

محسنهم وقال صلى الله تعالى عليه وسلم احفظوني في اصحابي
واصهاري فانه من حفظني فيهم حفظه الله في الدنيا والاخرة
ومن لم يحفظني فيهم تخلى الله ومن تخلى منه يوشك ان ياخذه وعنه
صلى الله تعالى عليه وسلم قال من حفظني في اصحابي كنت له حافظا
يوم القيامة وقال صلى الله تعالى عليه وسلم من حفظني في اصحابي
ورد على الحوض ومن لم يحفظني في اصحابي لم يرد على الحوض ولم يرني
الا من بعيد قال مالك رحمه الله تعالى هذا النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم مؤدب الخلق الذي هدينا الله تعالى به وجعله رحمة للعالمين
يخرج في جوف الليل الى البقيع فيدعو لهم فيستغفر لهم كالمودع لهم
وبذلك امره الله تعالى وامر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بحبهم
وموالاتهم ومعادات من عاداهم ويروى عن كعب ليس احد من
اصحاب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الا له شفاعة يوم القيامة وطلب
من المغيرة بن نوفل ان يشفع له يوم القيامة قال سهل بن عبد الله
التستري لم يؤمن بالرسول صلى الله تعالى عليه وسلم من لم يوقر
اصحابه ولم يعز اوامره فصل ومن اعظامه واكباره صلى الله تعالى عليه
وسلم اعظام جميع اسبابه واكرام مشاهده وامكنته من مكة
والمدينة ومعاهده وما لمسه عليه السلام او عرف به وروى عن
صفية بنت نجدة قالت كانت لابي محذورة قصة في مقدم
راسه اذا قعد وارسلها اصابت الارض فقيل له الا تحلقها فقال
لم اكن بالذي احلقها وقد مسها رسول الله صلى الله تعالى عليه و
سلم بيده وكانت في قلنسوة خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه

شعرات

شعرات من شعره صلى الله تعالى عليه وسلم فسقطت قلنسوته في
بعض حروبه فشد عليها شدة انكر عليه اصحاب النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم كثرة من قتل فيها فقال لم افعلها بسبب القلنسوة بل لما
تضمنته من شعره صلى الله تعالى عليه وسلم لئلا اسلب بركتها وتقع
في ايدي المشركين وروي ابن عمر رضي الله تعالى عنهما واضعا يده
على مقعد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من المنبر ثم وضعها على وجهه و
لهذا كان مالك رحمه الله تعالى لا يركب بالمدينة دابة وكان يقول استحي
من الله تعالى ان اطاء تربة فيها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بحافر
دابة وروي انه وهب للشافعي رحمه الله تعالى كراعا كثيرا كان عنده
فقال له الشافعي امسك منها دابة فاجابه بمثل هذا الجواب وقد
حكى ابو عبد الرحمن السلمي عن احمد بن فضلويه الزاهد وكان من
الغزاة الرماة انه قال ما مسست القوس بيده وقد افتى مالك فيمن
قال تربة المدينة ردية يضرب ثلاثين درة وامر بحبسه وكان له قدر
وقال ما احوجه الى ضرب عنقه تربة دفن فيها الرسول صلى الله تعالى عليه
وسلم يزعم انها غير طيبة وفي الصحيح انه قال صلى الله تعالى عليه وسلم
في المدينة من احدث فيها حدثا او اوى محدثا فعليه لعنة الله تعالى والملائكة
والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وحكي ان جهجاه الغفاري
اخذ قضيب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من يد عثمان رضي الله تعالى
عنه وتناوله ليكسره على ركبته فصاح الناس به فاخذته الاكلة في
ركبته فقطعها ومات قبل الحول وقال صلى الله تعالى عليه وسلم من
حلف على منبري كاذبا فليتبوأ مقعده من النار وحديث ان

ابا الفضل الجوهري لما ورد المدينة زائرا وقرب من بيوتها ترجل
ومشى باكيا منشدا ولما رأينا رسم من لم يدع لنا فؤادا لعرفان الرسوم
ولا لبا نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة لمن بان عنه ان نلم به ركبا و
حكي عن بعض المريدين انه لما اشرف على مدينة الرسول انشد متمثلا
رفع الحجاب لنا فلاح لناظر قمر تقطع دونه الاوهام واذا المطي بنا
بلغن محمدا فظهورهن على الرجال حرام قربننا من خير من وطئ الثرى
فلها علينا حرمة وذمام وحكي عن بعض المشايخ انه حج ماشيا
فقيل له في ذلك فقال العبد الآبق يأتي الى باب مولاه راكبا لو قدرت
ان امشي على رأسي ما مشيت على قدمي قال القاضي وجدير لمواطن
عمرت بالوحي والتنزيل وتردد بها جبريل وميكائيل عليهما السلام
وعرجت منها الملائكة والروح وضجت عرصاتها بالتقديس والتسبيح
واشتملت تربتها على جسد سيد البشر وانتشر عنها من دين الله
تعالى وسنة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ما انتشر مدارس آيات
ومساجد وصلوات ومشاهد الفضائل والخيرات ومعاهد
البراهين والمعجزات ومناسك الدين ومشاعر المسلمين ومواقف
سيد المرسلين ومتبوأ خاتم النبيين حيث انفجرت النبوة واين
فاض عبابها ومواطن مهبط الرسالة واول ارض مس جلد المصطفى
صلى الله تعالى عليه وسلم ترابها ان تعظم عرصاتها وتتنسم نفحاتها
وتقبل ربوعها وجدراتها وانشد يا دار المرسلين ومن به هدي
الانام وخص بالآيات عندي لاجلك لوعة وصبابة وتشوق
متوقد الجمرات وعلي عهد ان ملأت محاجري من تلكم الجدرات والعرصات

لاغفرن

لاعفرن مصون شيبي بينها من كثرة التقبيل والرشفات لولا
العوادي والاعادي زرتها ابدا ولو سحبا على الوجنات لكن
ساهدي من حفيل تحيتي لقطين تلك الدار والحجرات ازكى من المسك
المفتق نفحة تغشاه بالاصال والبكرات وتخصه بزواكي الصلوات
ونوامي التسليم والبركات **الباب الرابع في حكم الصلوة عليه والتسليم**
وفرض ذلك وفضيلة قال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون
على النبي الآية قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان الله تبارك
وتعالى وملائكته يباركون على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل
ان الله تعالى يترحم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وملائكته يدعون
قال المبرد واصل الصلوة الترحم فهي من الله تعالى رحمة ومن
الملائكة رقة واستدعاء للرحمة من الله تعالى وقد ورد في الحديث
صفة صلوة الملائكة على من جلس ينتظر الصلوة اللهم اغفر له
اللهم ارحمه فهذا دعاء وقال بكر القشيري الصلوة من الله تعالى لمن دون
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رحمة وللنبي صلى الله تعالى عليه وسلم تشريف
وزيادة تكرمة وقال ابو العالية صلاة الله تعالى ثناؤه عليه عند الملائكة
وصلاة الملائكة الدعاء قال القاضي ابو الفضل رحمه الله تعالى وقد فرق
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في تعليم الصلوة عليه بين لفظ الصلاة
ولفظ البركة فدل انهما بمعنيين واما التسليم الذي امر الله عز وجل
عباده فقال القاضي ابو بكر بن بكير نزلت هذه الآية على النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم فامر الله تعالى اصحابه ان يسلموا عليه وكذلك من بعدهم
امروا ان يسلموا على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عند حضورهم قبره

وعند ذكره وفي معنى السلام عليه ثلاثة وجوه احدها السلامة لك
ومعك وتكون السلامة مصدراً كاللذاذ واللذاذة الثاني اى السلام
على حفظك ورعايتك متولٍ له وكفيل به ويكون هنا السلام اسم الله
تعالى الثالث ان السلام بمعنى المسالمة له والانقياد كما قال الله تعالى
فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم
حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً فصل اعلم ان الصلوة على النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم فرض على الجملة غير محدد بوقت لامر الله تعالى بالصلوة عليه
صلى الله تعالى عليه وسلم وحمل الائمة والعلماء له على الوجوب اجمعوا
عليه وحكى ابو جعفر الطبري انه محمل الاية عنده على الندب
وادعى فيه الاجماع ولعله فيما زاد على مرة والواجب منه الذي
يسقط به الحرج والمأثم ترك الفرض مرة كالشهادة له بالنبوة
وما عدا ذلك فمندوب مرغب فيه من سنن الاسلام وشعار
اهله قال القاضي ابو الحسن بن القصار المشهور عن اصحابنا
ان ذلك واجب في الجملة على الانسان وفرض عليه ان يأتي بها
مرة من دهره مع القدرة على ذلك وقال القاضي ابو بكر بن بكير
افترض الله تعالى على خلقه ان يصلوا على نبيه ويسلموا تسليماً ولم
يجعل ذلك لوقت معلوم فالواجب ان يكثر المرء منها ولا يغفل
عنها قال القاضي ابو محمد بن نصر الصلوة على النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم واجبة في الجملة وقال القاضي ابو عبد الله محمد بن سعيد
ذهب مالك واصحابه وغيرهم من اهل العلم الى ان الصلوة على النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم فرض بالجملة بعقد الايمان لا يتعين في الصلوة

وان

وان من صلى عليه مرة واحدة من عمره سقط الفرض عنه وقال
اصحاب الشافعي الفرض منها الذي امر الله تعالى به ورسوله صلى الله
تعالى عليه وسلم هو في الصلوة وقالوا واما في غيرها فلا خلاف انها
غير واجبة واما في الصلوة فحكى الامامان ابو جعفر الطبري والطحاوي
وغيرهما اجماع جميع المتقدمين والمتأخرين من علماء الائمة على ان
الصلوة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في التشهد غير واجبة وشذ
الشافعي رحمه الله تعالى في ذلك فقال من لم يصل على النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم من بعد التشهد الاخير وقبل السلام فصلوته فاسدة و
ان صلى عليه قبل ذلك لم تجزه ولا سلف له في هذا القول ولا سنة
يتبعها وقد بالغ في انكار هذه المسئلة عليه بمخالفته فيها من تقدمه
جماعة وشنعوا عليه الخلاف فيها منهم الطبري والقشيري وغير
واحد وقال ابو بكر بن المنذر تستحب ان لا يصلي احد صلوة الا
صلى فيها على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فان ترك ذلك
تارك فصلوته مجزية في مذهب مالك رحمه الله تعالى واهل المدينة
وسفيان الثوري واهل الكوفة من اصحاب الرأي وغيرهم وهو قول
جل اهل العلم وحكى عن مالك وسفيان انها في التشهد الاخير
مستحبة وان تاركها في التشهد مسيء وشذ الشافعي فاوجب على
تاركها في الصلوة الاعادة واوجب اسحق الاعادة مع تعمد تركها
دون النسيان وحكى ابو محمد بن ابي زيد عن محمد بن المواز رحمه الله
تعالى ان الصلوة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فريضة قال ابو محمد
رحمه الله يريد ليست من فرائض الصلوة وقاله محمد بن عبد الحكم وغيره

وحكى ابن القصار وعبد الوهاب ان محمد بن المواز يراها فريضة
في الصلوة كقول الشافعي وقد خالف الخطابي من اصحاب الشافعي وغيره
الشافعي في هذه المسئلة قال الخطابي وليست بواجبة في الصلوة
وهو قول جماعة الفقهاء الا الشافعي ولا اعلم له فيها قدوة والدليل
على انها ليست من فروض الصلوة عمل السلف الصالح قبل الشافعي
واجماعهم عليه وقد شنع الناس عليه هذه المسئلة جدا وهذا تشهد
ابن مسعود رضي الله تعالى عنه الذي اختاره الشافعي وهو الذي
علمه له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وكذلك كل من روى التشهد
عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كابي هريرة وابن عباس وجابر وابن
عمر وابي سعيد الخدري وابي موسى الاشعري وعبد الله ابن الزبير
لم يذكروا فيه صلوة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقد قال
ابن عباس وجابر رضي الله تعالى عنهما كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن ونحوه ابي سعيد وقال
ابن عمر كان ابو بكر يعلمنا التشهد على المنبر كما يعلمون الصبيان في الكتاب
وعلمه ايضا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وفي الحديث لا صلوة
لمن لم يصل علي قال ابن القصار معناه كاملة او لمن لم يصل علي
مرة في عمره وضعف اهل الحديث كلهم رواية هذا الحديث وفي
ابي جعفر عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم من صلى صلوة لم يصل فيها علي وعلى اهل بيتي لم تقبل منه
قال الدارقطني الصواب انه قول ابي جعفر محمد بن علي ابن الحسين
لو صليت صلوة لم اصل فيها على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولا على

اهل بيته

اهل بيته لرايته انها لا تتم فصل في المواطن التي يستحب فيها الصلوة والسلام
على رسول الله ويرغب من ذلك في تشهد الصلوة كما قدمناه وذلك
بعد التشهد وقبل الدعاء حدثنا القاضي ابو علي رحمه الله تعالى بقراتي عليه
قال حدثنا الامام ابو القسم البلخي قال حدثنا الفارسي عن ابي القسم
الخزاعي عن الهيثم عن ابي عيسى الحافظ قال حدثنا محمود بن غيلان
حدثنا عبد العزيز بن يزيد المقرئ حدثنا حيوة بن شريح حدثنا
ابو هاني الخولاني ان عمرو بن مالك الجنبي اخبره انه سمع فضالة بن
عبيد يقول سمع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رجلا يدعوا في صلوته
فلم يصل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم عجل هذا ثم دعاه فقال له ولغيره اذا صلى احدكم فليبدا بتحميد الله
تعالى والثناء عليه ثم ليصل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ليدع
بعد بما شاء ويروى من غير هذا السند بتحميد الله تعالى واصح وعن
عمر بن الخطاب قال الدعاء والصلوة معلق بين السماء والارض ولا يصعد
الى الله تعالى منه شيء حتى يصلى على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعن
علي رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بمعناه وقال وعلى
آل محمد وروي ان الدعاء محجوب حتى يصلي الداعي على النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه اذا اراد احدكم ان يسأل
الله شيئا فليبدا بمدحه والثناء عليه بما هو اهله ثم يصلي على النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم ثم يسأل فانه اجدر ان ينجح وعن جابر رضي الله تعالى
عنه قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تجعلوني كقدح الراكب
يملؤه قدحه ثم يضعه ويرفع متاعه فان احتاج الى شراب شربه او الوضوء

توضاء والاهراقه ولكن اجعلونى فى اول الدعاء واوسطه واخره
وقال ابن عطاء للدعاء اركان واجنحة واسباب واوقات فان
وافق اركانه قوى وان وافق اجنحته طار فى السماء وان وافق
مواقيته فاز وان وافق اسبابه انجح فاركانه حضور القلب والرقة
والاستكانه والخشوع وتعلق القلب بالله تعالى وقطعه من الاسباب
واجنحته الصدق ومواقيته الاسحار واسبابه الصلوة على محمد
صلى الله تعالى عليه وسلم وفى الحديث الدعاء بين الصلوتين على
لا يرد وفى حديث اخر كل دعاء محجوب دون السماء فاذا جاءت الصلوة
على صعد الدعاء وفى دعاء ابن عباس رضى الله تعالى عنه الذى رواه
عنه حنش فقال فى اخره واستجب دعائى ثم تبدأ بالصلوة على النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم وان تصلى على محمد عبدك ونبيك ورسولك
افضل ما صليت على احد من خلقك اجمعين امين ومن مواطن الصلوة
عليه عند ذكره وسماع اسمه او كتابه او عند الاذان وقد قال عليه
الصلوة والسلام رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل على وكره ابن
حبيب ذكر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عند الذبح وكره سحنون
الصلوة عليه عند التعجب وقال لا يصلى عليه الا على طريق الاحتساب
وطلب الثواب قال اصبغ عن ابن القسم موطنان لا يذكر فيهما الا الله
الذبيحة والعطاس فلا تقل فيهما بعد ذكر الله محمد رسول الله ولو قال
بعد ذكر الله صلى الله على محمد لم تكن تسمية له مع الله تعالى وقاله اشهب
قال ولا ينبغى ان تجعل الصلوة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيه
استنانا وروى النسائى عن اوس بن اوس عن النبى صلى الله تعالى عليه

وسلم

وسلم الامر بالاكثار من الصلوة عليه يوم الجمعة ومن مواطن الصلوة
والسلام دخول المسجد قال ابو اسحاق بن شعبان وينبغى لمن دخل المسجد
ان يصلى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى اله ويترحم عليه وعلى
اله ويبارك عليه وعلى اله ويسلم تسليما ويقول اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى
ابواب رحمتك واذا خرج فعل مثل ذلك وجعل موضع رحمتك فضلك
وقال عمرو بن دينار فى قوله تعالى فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم
قال ان لم يكن فى البيت احد فقل السلام على النبى ورحمة الله وبركاته
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على اهل البيت ورحمة
الله وبركاته قال ابن عباس رضى الله تعالى عنه المراد بالبيوت هنا المساجد
وقال النخعى اذا لم يكن فى المسجد احد فقل السلام على رسول الله واذا
لم يكن فى البيت احد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وعن
علقمة اذا دخلت المسجد اقول السلام عليك ايها النبى ورحمة الله
وبركاته صلى الله وملائكته على محمد ونحوه عن كعب اذا دخل واذا خرج ولم
يذكر الصلوة واحتج ابن شعبان لما ذكره بحديث فاطمة بنت رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان يفعله اذا
دخل المسجد ومثله عن ابى بكر بن عمرو بن حزم وذكر السلام والرحمة وقد
ذكرنا هذا الحديث اخر القسم والاختلاف فى الفاظه ومن مواطن الصلوة
عليه ايضا الصلوة على الجنائز وذكر عن ابى امامة انها من السنة ومن
مواطن الصلوة التى مضى عليها عمل الامة ولم تنكرها الصلوة على النبى واله
فى الرسائل وما يكتب بعد البسملة ولم يكن هذا فى الصدر الاول واحدث
عند ولاية بنى هاشم فمضى به عمل الناس فى اقطار الارض ومنهم من يختم به

ايضًا الكتبة قال عليه الصلوة والسلام من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة
تستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب ومن مواطن السلام على النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم تشهد الصلوة حدثنا ابو القسم خلف بن ابرهيم
المقرئ الخطيب رحمه الله تعالى وغيره قال حدثتني كريمة بنت احمد قالت
حدثنا ابو الهيثم حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل
حدثنا ابو نعيم حدثنا الاعمش عن شقيق بن سلمة عن عبد الله بن
مسعود عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال اذا صلى احدكم فليقل التحيات
لله والصلوات والطيبات السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليكم واستحب اهل العلم
ان ينوي الانسان حين سلامه كل عبد صالح في السماء والارض من الملائكة
وبني ادم والجن قال مالك في المجموعة واحب للمأموم اذا سلم امامه
ان يقول السلام على النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد
الله الصالحين السلام عليكم فصل في كيفية الصلوة عليه والتسليم
حدثنا ابو اسحاق ابراهيم بن جعفر الفقيه بقراءتي عليه حدثنا القاضي
ابو الاصبغ حدثنا ابو عبد الله بن عتاب حدثنا ابو بكر بن واقد وغيره
حدثنا ابو عيسى حدثنا عبيد الله حدثنا يحيى حدثنا مالك عن عبد الله
ابن ابي بكر بن حزم عن ابيه عن عمرو بن سليم الزرقي انه قال اخبرني
ابو حميد الساعدي انهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك فقال
قولوا اللهم صل على محمد وازواجه وذريته كما صليت على ال ابراهيم
وبارك على محمد وازواجه وذريته كما باركت على ال ابراهيم انك حميد
مجيد وفي رواية مالك عن ابن مسعود الانصاري رضي الله تعالى عنه

فانكم اذا قلتموها اصابت كل عبد صالح
في السماء والارض هذا احد مواطن التسليم
عليه وسنته اول التشهد وقد روي عن مالك
عن ابن عمر انه كان يقول ذلك اذا فرغ من
تشهده واراد ان يسلم واستحب مالك في
المبسوط ان يسلم بمثل ذلك قبل السلام
قال محمد بن مسلمة اراد ما جاء عن عائشة
وابن عمر انهما كانا يقولان عند سلامهما السلام
عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام
علينا وعلى عباد الله الصالحين صح

قال قولوا

قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى اله كما صليت على ال ابراهيم وبارك على
محمد كما باركت على ال ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد والسلام كما قد
علمتم وفي رواية كعب بن عجرة اللهم صل على محمد وال محمد كما صليت
على ابراهيم وبارك على محمد وال محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد
وعن عقبة بن عمرو وفي حديثه اللهم صل على محمد النبي الامي
وعلى ال محمد وفي رواية ابي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه اللهم
صل على محمد عبدك ورسولك وذكر معناه وحدثنا القاضي ابو عبد الله
التميمي سماعا عليه وابو علي الحسن بن طريف النحوي بقراءتي عليه قالا
حدثنا ابو عبد الله بن سعدون الفقيه قال حدثنا ابو بكر المطوعي
قال حدثنا ابو عبد الله الحاكم عن ابي بكر بن ابي دارم الحافظ عن علي
بن احمد العجلي عن حرب بن الحسن عن يحيى بن المساور عن عمرو بن خالد عن
زيد بن علي بن الحسين عن ابيه علي عن ابيه الحسين عن ابيه علي بن ابي طالب
قال عدهن في يدي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال عدهن في يدي
جبريل وقال هكذا نزلت من عند رب العزة اللهم صل على محمد وعلى
ال محمد كما صليت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك
على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد اللهم
وترحم على محمد وعلى ال محمد كما ترحمت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم انك حميد
مجيد اللهم وتحنن على محمد وعلى ال محمد كما تحننت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم
انك حميد مجيد اللهم وسلم على محمد وعلى ال محمد كما سلمت على ابراهيم
وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه عن
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من سره ان يكتال بالمكيال الاوفى اذا صلى

علينا اهل البيت فليقل اللهم صل على محمد النبي وازواجه وامهات
المؤمنين وذريته واهل بيته كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد
وفي رواية زيد بن خارجة الانصاري سألت النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم كيف نصلي عليك فقال صلوا واجتهدوا في الدعاء ثم قولوا اللهم
بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد وعن
سلامة الكندي كان علي رضي الله تعالى عنه يعلمنا الصلوة على النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم اللهم داحي المدحوات وبارئ المسموكات اجعل شرائف
صلواتك ونوامي بركاتك ورأفة تحيتك على محمد عبدك ورسولك
الفاتح لما اغلق والخاتم لما سبق والمعلن الحق بالحق والدامغ لجيشات
الاباطيل كما حمل فاضطلع بامرك بطاعتك مستوفزا في مرضاتك
واعيا لوحيك حافظا لعهدك ماضيا على نفاذ امرك حتى اورى قبسا
لقابس آلاء الله تصل باهله اسبابه به هدية القلوب بعد خوضات
الفتن والاثم موضحات الاعلام ونائرات الاحكام ومنيرات الاسلام
فهو امينك المأمون وخازن علمك المخزون وشهيدك يوم الدين
وبعيثك نعمة ورسولك بالحق رحمة اللهم افسح له في عدنك واجزه
مضاعفات الخير من فضلك مهنآت له غير مكدرات من فوز ثوابك
المحلول وجزيل عطائك المعلول اللهم اعل على بناء الناس بناءه واكرم
مثواه لديك ونزله واتمم له نوره واجزه من ابتعاثك له مقبول
الشهادة ومرضي المقالة ذا منطق عدل وخطة فصل وبرهان عظيم
وعنه ايضا في الصلوة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله وملائكته
يصلون على النبي الاية لبيك اللهم ربي وسعديك صلوات الله

البر

البر الرحيم والملائكة المقربين والنبيين والصديقين والشهداء
والصالحين وما سبح لك من شيء يا رب العالمين على محمد بن عبد الله خاتم
النبيين وسيد المرسلين وامام المتقين ورسول رب العالمين الشاهد
البشير الداعي اليه باذنك السراج المنير وعليه السلام وعن عبد الله
بن مسعود رضي الله تعالى عنه اللهم صلواتك وبركاتك ورحمتك
على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك
امام الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه
الاولون والاخرون اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم
وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت
على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد وكان الحسن البصري يقول
من اراد ان يشرب بالكأس الاوفى من حوض المصطفى فليقل اللهم صل
على محمد وعلى آله واصحابه واولاده وازواجه وذريته واهل بيته
وانصاره واصهاره واشياعه ومحبيه وامته وعلينا معهم اجمعين
يا ارحم الراحمين وعن طاوس عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه انه كان
يقول اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى وارفع درجته العليا واته
سؤله في الاخرة والاولى كما آتيت ابراهيم وموسى وعن وهيب بن الورد
انه كان يقول في دعائه اللهم اعط محمدا افضل ما سألك لنفسه واعط
محمدا افضل ما سألك له احد من خلقك واعط محمدا افضل ما انت مسؤول له
يوم القيمة وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه انه كان يقول اذا صليتم
على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاحسنوا الصلوة عليه فانكم لا تدرون
لعل ذلك يعرض عليه وقولوا اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك

على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك
امام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه
فيه الاولون والاخرون اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابرهيم
انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ابرهيم انك
حميد مجيد وما يؤثر في تطويل الصلوة وتكثير الثناء عن اهل البيت وغيرهم
كثير وقوله عليه الصلوة والسلم كما قد علمتم هو ما علمهم في التشهد من قوله عليه
الصلوة والسلم عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى
عباد الله الصالحين وفي تشهد علي السلام على نبي الله السلام على انبياء الله
ورسوله السلام على رسول الله السلام على محمد بن عبد الله السلام علينا

السلام علينا وعلى المؤمنين والمؤمنات من غاب منهم ومن شهد
اللهم اغفر لمحمد وتقبل شفاعته واغفر لاهل بيته واغفر لي ولوالدي وما ولدا وارحمهما صح

وعلى عباد الله الصالحين السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته
جاء في الحديث عن علي الدعاء للنبي بالغفران فصل في فضيلة الصلوة على النبي
والتسليم عليه والدعاء له حدثنا احمد بن محمد بن الشيخ الصالح من كتابه
حدثنا القاضي يونس بن مغيث حدثنا ابو بكر بن معويه حدثنا النسائي
اخبرنا سويد بن نصر اخبرنا عبد الله عن حيوة بن شريح قال حدثنا
كعب بن علقمة انه سمع عبد الرحمن بن جبير مولى نافع انه سمع عبد الله
بن عمرو يقول سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول اذا سمعتم
المؤذن فقولوا مثل ما يقول وصلوا علي فانه من صلى علي صلى الله عليه
عشرا ثم سلوا لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا ينبغي الا لعبد من
عباد الله وارجو ان اكون انا هو ومن سال لي الوسيلة حلت له عليه
الشفاعة وروى انس بن مالك رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم قال من صلى علي صلوة صلى الله عليه عشر صلوات وحط

عنه عشر

عنه عشر خطيئات ورفع له عشر درجات وفي رواية وكتب عشر
حسنات وعن انس رضي الله تعالى عنه عنه عليه الصلوة والسلم ان جبريل
ناداني فقال من صلى عليك صلوة صلى الله عليه عشرا ورفعه عشر درجات
ومن رواية عبد الرحمن بن عوف عنه عليه الصلوة والسلم لقيت جبريل
فقال اني ابشرك ان الله تعالى يقول من سلم عليك سلمت عليه ومن صلى
عليك صليت عليه ونحوه من رواية ابي هريرة ومالك بن اوس بن
الحدثان وعبيد الله بن طلحة وعن زيد بن الحباب سمعت النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم يقول من قال اللهم صل على محمد وانزله المنزل المقرب
عندك يوم القيمة وجبت له شفاعتي وعن اولى الناس بي يوم القيمة
اكثرهم علي صلوة وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم من صلى علي في كتاب لم تزل الملئكة تستغفر له ما بقي اسمي في ذلك
الكتاب وعن عامر بن ربيعة سمعت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول
من صلى علي صلوة صلت عليه الملئكة ما صلى علي فليقلل من ذلك عبد
او ليكثر وعن ابي بن كعب كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا ذهب
ربع الليل قام فقال يا ايها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها
الرادفة جاءت الموت بما فيه فقال ابي بن كعب يا رسول الله كم اجعل لك من صلوتي
قال ما شئت قال الربع قال ما شئت وان زدت فهو خير قال يا رسول
فاجعل صلواتي كلها لك قال اذا تكفى همك ويغفر ذنبك وعن
ابي طلحة رضي الله تعالى عنه دخلت على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فرايت
من بشره وطلاقته ما لم اره قط فسالته فقال وما يمنعني وقد خرج
جبريل انفا فاتاني ببشارة من ربي ان الله تعالى بعثني اليك ابشرك انه

ليس احد من امتك يصلى عليك الا صلى الله عليه وملائكته بها عشرا
وعن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلوة القائمة
آت محمد الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذى وعدته حلت
الشفاعة يوم القيمة وعن سعد بن ابى وقاص رضى الله تعالى عنه من قال
يسمع المؤذن وانا اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان
محمدا عبده ورسوله رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا وبالاسلام دينا
غفر له وروى ابن وهب رضى الله تعالى عنه ان النبى صلى الله تعالى عليه و
سلم قال من سلم على عشرا فكانما اعتق رقبة وفى بعض الاثار ليردن
على اقوام ما اعرفهم الا بكثرة صلوتهم على وفى اخر ان انجاكم يوم القيمة
من اهوالها ومواطنها اكثركم على صلوة وعن ابى بكر رضى الله تعالى عنه
الصلوة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم امحق للذنوب من الماء البارد
للنار والسلام عليه افضل من عتق الرقاب فصل فى ذم من لم يصل
على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واثمه حدثنا القاضى الشهيد رحمه
الله تعالى حدثنا ابو الفضل بن خيرون وابو الحسين الصيرفى قالا حدثنا
يعلى حدثنا السنجى حدثنا محمد بن محبوب حدثنا ابو عيسى حدثنا احمد بن
ابراهيم الدورقى حدثنا ربعى بن ابراهيم عن عبد الرحمن بن اسحاق عن سعيد
بن ابى سعد عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم رغم انف رجل دخل رمضان ثم انسلخ قبل ان يغفر له ورغم
انف رجل ادرك عنده ابواه الكبر فلم يدخلاه الجنة قال عبد الرحمن
واظنه قال او احدهما وفى حديث اخر ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم

صعود

صعد المنبر فقال آمين ثم صعد فقال آمين ثم صعد فقال آمين
فسأله معاذ عن ذلك فقال ان جبريل عليه السلام اتانى فقال يا محمد
من سميت بين يديك فلم يصل عليك فمات فدخل النار فابعده الله قل آمين
فقلت آمين وقال من ادرك رمضان فلم يقبل منه فمات مثل ذلك و
من ادرك ابويه او احدهما فلم يبرهما فمات مثله وعن على بن ابى طالب
رضى الله تعالى عنه قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم البخيل الذى ذكرت
عنده فلم يصل على وعن جعفر بن محمد عن ابيه قال النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم من ذكرت عنده فلم يصل على اخطئ طريق الجنة وعن
على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ان البخيل كل البخيل من ذكرت عنده فلم يصل على وعن ابى هريرة رضى
الله تعالى عنه قال ابو القاسم صلى الله تعالى عليه وسلم ايما قوم جلسوا
مجلسا ثم تفرقوا قبل ان يذكروا الله ويصلوا على النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم كانت عليهم من الله ترة ان شاء عذبهم وان شاء غفر لهم
وعن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه من نسى الصلوة على نسى طريق
الجنة وعن قتادة رضى الله تعالى عنه قال النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم من الجفاء ان اذكر عند الرجل فلا يصلى على وعن جابر رضى
الله تعالى عنه قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ما جلس قوم مجلسا
ثم تفرقوا على غير الصلوة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الا كان
عليهم حسرة وان دخلوا الجنة لما يرون الثواب وحكى ابو عيسى
الترمذى عن بعض اهل العلم قال اذا صلى الرجل على النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم مرة فى المجلس اجزأ عنه ما كان فى المجلس فصل فى

تخصيصه عليه الصلوة والسلم تبليغ صلوة من صلى عليه او سلم من
الانام حدثنا القاضي ابو عبد الله التميمي حدثنا الحسين بن محمد حدثنا
ابو عمر الحافظ حدثنا ابن عبد المؤمن حدثنا ابن داسة حدثنا
ابو داود حدثنا ابن عوف حدثنا المقرئ حدثنا حيوة عن ابي
صخر حميد بن زياد عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن ابي هريرة ان
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ما من احد يسلم علي الا
رد الله علي روحي حتى ارد عليه السلم وذكر ابو بكر بن ابي
شيبة عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم من صلى علي عند قبري سمعته ومن صلى نائيا بلغته
وعن ابن مسعود ان لله ملائكة سياحين في الارض يبلغوني
عن امتي السلام ونحوه عن ابي هريرة وعن ابن عمر اكثروا من السلام
على نبيكم كل جمعة فانه يؤتى به منكم في كل جمعة وفي رواية فان احدا
لا يصلي علي الا عرضت صلوته علي حين يفرغ منها وعن الحسن عنه
عليه الصلوة والسلم حيث ما كنتم فصلوا علي فان صلوتكم تبلغني
وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه ليس احد من امة محمد يسلم
عليه ويصلي عليه الا بلغه وذكر بعضهم ان العبد اذا صلى على النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم عرض عليه اسمه وعن الحسن بن علي
اذا دخلت المسجد فسلم على النبي فان رسول الله صلى الله تعالى عليه و
سلم قال لا تتخذوا بيتي عيدا ولا تتخذوا بيوتكم قبورا وصلوا علي
حيث كنتم فان صلوتكم تبلغني حيث كنتم وفي حديث اوس اكثروا
علي من الصلوة يوم الجمعة فان صلوتكم معروضة علي وعن

سليمان بن سحيم

سليمان بن سحيم رايت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول
الله هؤلاء الذين يأتونك فيسلمون عليك اتفقه سلامهم قال نعم
وارد عليهم وعن ابن شهاب بلغنا ان رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم قال اكثروا من الصلوة علي في الليلة الزهراء واليوم الازهر
فانهما يوديان عنكم وان الارض لا تاكل اجساد الانبياء وما من مسلم
يصلي علي الا حملها ملك حتى يوديها الي ويسميه حتى انه ليقول ان
فلانا يقول كذا وكذا فصل في الاختلاف في الصلوة على غير النبي
وسائر الانبياء عليهم السلم قال القاضي وفقه الله تعالى عامة اهل العلم
متفقون على جواز الصلوة على غير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم و
روي ابن عباس رضي الله تعالى عنه انه لا يجوز الصلوة على غير النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم وروي عنه لا ينبغي الصلوة على احد الا
النبيين وقال سفيان يكره ان يصلى الا على نبي ووجدت بخط
بعض شيوخي مذهب مالك انه لا يجوز ان يصلى على احد من الانبياء
سوى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا غير معروف من مذهبه
وقد قال مالك في المبسوطة ليحيى بن اسحاق اكره الصلوة على غير
الانبياء وما ينبغي لنا ان نتعدى ما امرنا قال يحيى بن يحيى لست
اخذ بقوله ولا باس بالصلوة على الانبياء كلهم وعلى غيرهم واحتج بحديث
ابن عمر وبما جاء في حديث تعليم النبي الصلوة عليه وفيه وعلى
ازواجه وعلى اله قالوا والاسانيد عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه
لينة والصلوة في لسان العرب بمعنى الترحم والدعاء وذلك
على الاطلاق حتى يمنع منه حديث صحيح او اجماع وقد قال الله تعالى

هو الذى يصلى عليكم وملائكته الاية وقال الله تعالى خذ من اموالهم
صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم وقال الله تعالى اولئك عليهم
صلوات من ربهم ورحمة وقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم
صل على ال ابى اوفى وكان اذا اتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل
على ال فلان وفى حديث الصلوة اللهم صل على محمد وعلى ازواجه
وذريته وفى اخر على ال محمد قيل اتباعه وقيل امته وقيل الاتباع
والرهط والعشيرة وقيل ال الرجل ولده وقيل قومه وقيل اهله
الذين حرمت عليهم الصدقة وفى رواية انس رضى الله تعالى عنه سئل
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من ال محمد قال كل تقى ويجئ على مذهب
الحسن ان المراد بال محمد محمد نفسه لانه كان لا يخل بالفرض ويأتى
بالنفل لان الفرض الذى امر الله به هو الصلوة على محمد نفسه وهذا
مثل قوله عليه الصلوة والسلام لقد اوتى من مزامير ال داود
يريد من مزامير داود وفى حديث ابى حميد الساعدى فى الصلوة اللهم
صل على محمد وازواجه وذريته وفى حديث ابن عمر رضى الله تعالى
عنه انه كان يصلى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى ابى بكر وعمر ذكره
مالك فى الموطا من رواية يحيى الاندلسى وروى ابن وهب عن انس
ابن مالك رضى الله تعالى عنه كنا ندعو لاصحابنا بالغيب فنقول اللهم
اجعل منك على فلان صلوات قوم ابرار الذين يقومون بالليل و
يصومون بالنهار قال القاضى والذى ذهب اليه المحققون واميل اليه
ما قاله مالك وسفيان رحمهما الله تعالى وروى عن ابن عباس
رضى الله تعالى عنهما واختاره غير واحد من الفقهاء والمتكلمين انه لا يصلى

على غير

على غير الانبياء عند ذكرهم بل هو شئ يختص به الانبياء عليهم السلام
توقيرا لهم وتعزيرا كما يخص الله تعالى عند ذكره بالتنزيه والتقديس و
التعظيم ولا يشاركه فيه غيره كذلك يجب تخصيص النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم وسائر الانبياء عليهم السلام بالصلوة والتسليم ولا يشارك
فيه سواهم كما امر الله تعالى به بقوله تعالى صلوا عليه وسلموا تسليما ويذكر
من سواهم من الائمة وغيرهم بالغفران والرضاء كما قال الله تعالى يقولون
ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان وقال عز وجل والذين
اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم وايضا فهو امر لم يكن معروفا فى الصدر
الاول كما قال ابو عمران وانما احدثته الرافضة والمتشيعة فى بعض
الائمة فشاركوهم عند الذكر لهم بالصلوة وساووهم بالنبى صلى الله
تعالى عليه وسلم فى ذلك وايضا فان التشبه باهل البدع منهى عنه فتجب
مخالفتهم فيما التزموه من ذلك وذكر الصلوة على الال والازواج
مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بحكم التبع والاضافة لا على التخصيص قالوا
وصلوة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على من صلى عليه مجراها مجرى الدعاء والمواجهة
ليس فيها معنى التعظيم والتوقير قالوا وقد قال الله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول
بينكم كدعاء بعضكم بعضا فكذلك يجب ان يكون الدعاء له مخالفا لدعاء الناس
بعضهم لبعض وهذا اختيار الامام ابى المظفر الاسفرائنى من شيوخنا فصل
فى حكم زيارة قبره وفضيلة من زاره وسلم عليه وكيف يسلم ويدعوا
وزيارة قبره صلى الله تعالى عليه وسلم سنة من سنن المسلمين مجمع عليها
وفضيلة مرغب فيها وروى عن ابن عمر رضى الله تعالى عنه قال النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم من زار قبرى وجبت له شفاعتى عن انس بن مالك

رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من
زارني في المدينة محتسبا كان في جواري وكنت له شفيعا يوم
القيمة وفي حديث اخر من زارني بعد موتي فكانما زارني في حياتي
وكره مالك رحمه الله تعالى ان يقال زرنا قبر النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم وقد اختلف في معنى ذلك فقيل كراهته الاسم لما ورد
من قوله عليه الصلوة والسلام لعن الله تعالى زوارات القبور وهذا يرده
قوله كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها وقوله صلى الله تعالى
عليه وسلم من زار قبري فقد اطلق اسم الزيارة وقيل لان ذلك
لما قيل ان الزائر افضل من المزور وهذا ايضا ليس بشيء اذ ليس
كل زائر بهذه الصفة وليس عموما وقد ورد في حديث اهل الجنة
زيارتهم لربهم تعالى ولم يمنع هذا اللفظ في حقه تعالى قال ابو عمران
انما كره مالك رحمه الله تعالى ان يقال طواف الزيارة وزرنا قبر النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم لاستعمال الناس ذلك بينهم بعضهم لبعض
وكره تسوية النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مع الناس بهذا اللفظ
وان يخص بان يقال سلمنا على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وايضا
فان الزيارة مباحة بين الناس وواجب شد المطي الى قبره صلى الله
تعالى عليه وسلم يريد بالوجوب هنا وجوب ندب وترغيب وتاكيد
والاولى عندي ان منعه وكراهته مالك له لاضافته الى قبر النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم وانه لو قال زرنا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
لم يكرهه بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم لا تجعل قبري وثنا
يعبد بعدي اشتد غضب الله تعالى على قوم جعلوا قبور انبيائهم مساجد

نحي

نحي اضافة هذا اللفظ الى القبر والتشبه بفعل اولئك قطعا للذريعة
وحسما للباب والله اعلم قال اسحاق بن ابراهيم الفقيه ومما لم يزل
من شان من حج المرور بالمدينة والقصد الى الصلوة في مسجد رسول الله
الله صلى الله تعالى عليه وسلم والتبرك برؤية روضته ومنبره وقبره
ومجلسه وملامس يديه ومواطئ قدميه والعمود الذي يستند اليه
وينزل جبريل عليه السلام بالوحي فيه عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وبمن عمره
وقصده من الصحابة وائمة المسلمين والاعتبار بذلك قال ابن ابي
فديك سمعت بعض من ادركت يقول بلغنا انه من وقف عند قبر
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فتلا هذه الاية ان الله وملائكته يصلون
على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ثم قال قال رسول
الله صلى الله تعالى عليك يا محمد من يقولها سبعين مرة ناداه ملك صلى
الله تعالى عليك يا فلان ولم تسقط له حاجة وعن يزيد بن ابي سعيد
المهري قدمت على عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى فلما ودعته قال لي اليك
حاجة اذا اتيت المدينة سترى قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاقرئه
مني السلام قال غيره وكان يبرد اليه البريد من الشام قال بعضهم رايت
انس بن مالك رضي الله تعالى عنه اتى قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
فوقف فرفع يديه حتى ظننت انه افتتح الصلوة فسلم على النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم ثم انصرف قال مالك رحمه الله تعالى في رواية ابن وهب
اذا سلم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ودعا يقف ووجهه الى القبر
لا الى القبلة ويدنو ويسلم ولا يمس القبر بيده وقال في المبسوط
لا ارى ان يقف عند قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يدعو ولكن

يسلم ويمضي وقال ابن ابي مليكة من احب ان يقوم وجاه النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم فليجعل القنديل الذي في القبلة عند القبر
على رأسه وقال نافع رحمه الله تعالى كان ابن عمر رضي الله تعالى عنهما
يسلم على القبر رأيته مائة مرة واكثر فيقول السلام على النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم السلام على ابي بكر السلام على ابي ثم ينصرف
وفي الموطأ من رواية يحيى بن يحيى الليثي انه كان يقف على قبر النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى ابي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما وعند ابن
مالك رحمه الله تعالى في رواية ابن وهب يقول السلام السلام عليك
ايها النبي ورحمة الله وبركاته قال في المبسوط ويسلم على ابي بكر
وعمر رضي الله تعالى عنهما قال القاضي ابو الوليد الباجي وعندي انه
يدعو للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم بلفظ الصلوة ولابي بكر وعمر رضي
الله تعالى عنهما كما جاء في حديث ابن عمر من الخلوف وقال ابن حبيب
ويقول اذا دخل مسجد الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بسم الله و
سلام على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم السلام علينا من ربنا
وصلى الله وملائكته على محمد اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب
رحمتك وجنتك واحفظني من الشيطان الرجيم ثم اقصد
الى الروضة الشريفة وهي ما بين القبر والمنبر فاركع ركعتين
قبل وقوفك بالقبر تحمد الله فيهما وتسأله تمام ما خرجت اليه والعون
عليه وان كانت ركعتاك في غير الروضة اجزأتك وفي الروضة
من رياض الجنة ثم تقف بالقبر متواضعا متوقرا فتصلي عليه وتثني
بما يحضرك وتسلم على ابي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما وتدعو لهما واكثر

من الصلوة في مسجد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالليل والنهار ولا
تدع ان تأتي مسجد قبا وقبور الشهداء قال مالك رحمه الله تعالى
في كتاب محمد ويسلم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا دخل وخرج
يعني في المدينة وفيما بين ذلك قال محمد واذا خرج جعل آخر
عهده الوقوف بالقبر وكذلك من خرج مسافرا وروى ابن
وهب عن فاطمة رضي الله تعالى عنها بنت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
قال اذا دخلت المسجد فصل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقل اللهم
اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك وفي رواية اخرى فليسلم مكانه
فليصل فيه ويقول اذا خرج اللهم اني اسألك من فضلك وفي اخرى
اللهم احفظني من الشيطان الرجيم وعن محمد بن سيرين كان الناس
يقولون اذا دخلوا المسجد صلى الله تعالى عليه وسلم وملائكته على محمد
السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته باسم الله دخلنا
وباسم الله خرجنا وعلى الله توكلنا وكانوا يقولون اذا خرجوا مثل
ذلك وعن فاطمة رضي الله تعالى عنها ايضا كان النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم اذا دخل المسجد قال صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ذكر مثل حديث
فاطمة رضي الله تعالى عنها قبل هذا وفي رواية حمد الله وسمى وصلى على
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وذكر مثله وفي رواية بسم الله والسلام
على رسول الله وعن غيرها كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا دخل المسجد
قال اللهم افتح لي ابواب رحمتك ويسر لي ابواب رزقك وعن ابي هريرة
رضي الله تعالى عنه اذا دخل احدكم المسجد فليصل على النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم وليقل اللهم افتح لي وقال مالك رحمه الله تعالى في المبسوط ليس يلزم

من دخل المسجد وخرج منه من اهل المدينة الوقوف بالقبر وانما ذلك
للغرباء وقال فيه ايضا لا بأس لمن قدم من سفر او خرج الى سفر ان يقف
على قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيصلي عليه ويدعو له ولابي
بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما فقيل له فان ناسا من اهل المدينة
لا يقدمون من سفر ولا يريدون يفعلون ذلك في اليوم مرة او اكثر
وربما وقفوا في الجمعة او في الايام المرة والمرتين او اكثر عند القبر
فيسلمون ويدعون ساعة فقال لم يبلغني هذا عن احد من اهل الفقه
ببلدنا وتركه واسع ولا يصلح اخر هذه الامة الا ما اصلح اولها ولم
يبلغني عن اول هذه الامة وصدرها انهم كانوا يفعلون ذلك
ويكره الا لمن جاء من سفر او اراده قال ابن القاسم ورايت
اهل المدينة اذا خرجوا منها او دخلوها اتوا القبر فسلموا قال وذلك
رأي قال الباجي ففرق بين اهل المدينة والغرباء لان الغرباء
قصدوا لذلك واهل المدينة مقيمون بها لم يقصدوها من اجل القبر
والتسليم وقال صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم لا تجعل قبري وثنا
يعبد اشتد غضب الله تعالى على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد و
قال عليه الصلوة والسلام لا تجعلوا قبري عيدا ومن كتاب احمد بن
سعيد الهندي فيمن وقف بالقبر لا يلصق به ولا يمسه ولا يقف
عنده طويلا وفي العتبية يبدأ بالركوع قبل السلام في مسجد النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم واحب مواضع التنفل فيه مصلى النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم حيث العمود المخلق واما في الفريضة فالتقدم الى
الصفوف والتنفل في البيوت فصل فيما يلزم من دخل

مسجد

مسجد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من الادب سوى ما قدمناه و
فضله وفضل الصلوة فيه وفي مسجد مكة وذكر قبره ومنبره و
فضل سكنى المدينة ومكة قال الله تعالى لمسجد اسس على التقوى من اول
يوم احق ان تقوم فيه روي ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم سئل
اي مسجد هو قال مسجدي هذا وهو قول ابن المسيب وزيد بن ثابت
وابن عمر ومالك بن انس وغيرهم رضي الله تعالى عنهم وعن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما انه مسجد قبا هشام بن احمد الفقيه بقراءتي عليه قال
حدثنا الحسين بن محمد الحافظ حدثنا ابو عمر النمري حدثنا
ابو محمد بن عبد المؤمن حدثنا ابو بكر بن داسة حدثنا ابو داود
حدثنا مسدد حدثنا سفيان عن الزهري عن سعيد بن المسيب
عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
قال لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا
والمسجد الاقصى وقد تقدمت الاثار في الصلوة والسلام على النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم عند دخول المسجد وعن عبد الله بن عمرو بن العاص
ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا دخل المسجد قال اعوذ بالله
العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم وقال
مالك رحمه الله تعالى سمع عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه صوتا في المسجد
فدعا بصاحبه فقال ممن انت قال رجل من ثقيف قال لو كنت من هاتين
القريتين لادبتك ان مسجدنا لا يرفع فيه الصوت قال محمد بن مسلمة
لا ينبغي لاحد ان يعتمد المسجد برفع الصوت ولا بشيء من الاذى وان
ينزه عما يكره قال القاضي ابو الفضل حكى ذلك كله القاضي اسمعيل في

مبسوطة في باب مسجد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والعلماء كلهم
متفقون ان حكم سائر المساجد هذا الحكم قال القاضي اسمعيل وقال
محمد ابن مسلمة ويكره في مسجد الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم الجهر
على المصلين فيما يخلط عليهم صلوتهم وليس مما تختص به المساجد رفع
الصوت قد ذكر رفع الصوت بالتلبية في مساجد الجماعات الا المسجد
الحرام ومسجد منا وقال ابو هريرة رضي الله تعالى عنه عنه صلى الله تعالى
عليه وسلم صلوة في مسجدي هذا خير من الف صلوة فيما سواه الا المسجد
الحرام قال القاضي ابو الفضل اختلف الناس في معنى هذا الاستثناء على
اختلافهم في المفاضلة بين مكة والمدينة فذهب مالك رحمه الله تعالى
في رواية اشهب عنه وقاله ابن نافع صاحبه وجماعة اصحابه الى
ان معنى الحديث ان الصلوة في مسجد الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم
افضل من الصلوة في سائر المساجد بالف صلوة الا المسجد الحرام فان
الصلوة في مسجد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم افضل من الصلوة فيه
بدون الالف واحتجوا بما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه
صلوة في المسجد الحرام خير من مائة صلوة فيما سواه فتأتي فضيلة مسجد
الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بتسعمائة وعلى غيره بالف وهذا مبني
على تفضيل المدينة على مكة على ما قدمناه وهو قول عمر بن الخطاب رضي
الله تعالى عنه ومالك رحمه الله تعالى واكثر المدنيين وذهب اهل مكة
والكوفة الى تفضيل مكة وهو قول عطا وابن وهب وابن حبيب من اصحاب
مالك رحمه الله تعالى وحكاه الساجي عن الشافعي وحملوا الاستثناء في
الحديث المتقدم على ظاهره وان الصلوة في المسجد الحرام افضل واحتجوا

بحديث

بحديث عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم بمثل حديث ابي هريرة رضي الله تعالى عنه وفيه وصلوة
في المسجد الحرام افضل من الصلوة في مسجدي هذا بمائة صلوة وروى
قتادة رضي الله تعالى عنه مثله فياتي فضل الصلوة في المسجد الحرام على هذا في
سائر المساجد بمائة الف ولا خلاف ان موضع قبره عليه الصلوة والسلام افضل
بقاع الارض قال القاضي ابو الوليد الباجي الذي يقتضيه الحديث مخالفة
حكم مسجد مكة لسائر المساجد ولا يعلم منه حكمها مع المدينة وذهب
الطحاوي الى ان هذا التفضيل انما هو في صلوة الفرض وذهب مطرف
من اصحابنا الى ان ذلك في النافلة ايضا قال وجمعة خير من جمعة ورمضان
خير من رمضان وقد ذكر عبد الرزاق في تفضيل رمضان بالمدينة
وغيرها حديثا نحوه وقال صلى الله تعالى عليه وسلم ما بين بيتي ومنبري
روضة من رياض الجنة ومثله عن ابي هريرة وابي سعيد رضي الله تعالى
عنهما وزاد ومنبري على حوضي وفي حديث اخر ومنبري على ترعة
من ترع الجنة قال الطبري فيه معنيان احدهما ان المراد بالبيت بيت
سكناه على الظاهر مع انه روي ما يبينه بين حجرتي ومنبري والثاني
ان البيت هنا القبر وهو قول زيد بن اسلم في هذا الحديث كما روي
بين قبري ومنبري قال الطبري واذا كان قبره في بيته اتفقت
معاني الروايات ولم يكن بينهما خلاف لان قبره في حجرته وهو بيته
وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم منبري على حوضي قيل يحتمل انه
منبره بعينه الذي كان في الدنيا وهو اظهر والثاني ان يكون له هناك
منبر والثالث ان قصد منبره والحضور عنده لملازمة الاعمال الصالحة

يورد الحوض ويوجب الشرب منه قاله الباجي وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم
روضة من رياض الجنة يحتمل معنيين احدهما انه موجب لذلك وان
الدعاء والصلوة فيه يستحق ذلك من الثواب كما قيل الجنة تحت ظلال السيوف
والثاني ان تلك البقعة قد ينقلها الله تعالى فتكون في الجنة بعينها قاله
الداودي وروى ابن عمر وجماعة من الصحابة رضي الله تعالى عنهم ان
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال في المدينة لا يصبر على لاوائها وشدتها
احد الا كنت له شهيداً وشفيعاً يوم القيمة وقال صلى الله تعالى عليه
وسلم فيمن تحمل عن المدينة والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون وقال
صلى الله تعالى عليه وسلم انما المدينة كالكير تنفي خبثها وينصع طيبها
وقال صلى الله تعالى عليه وسلم لا يخرج احد من المدينة رغبة عنها الا ابدلها
الله تعالى خيراً منه وروي عنه صلى الله تعالى عليه وسلم من مات في احد الحرمين
حاجاً او معتمراً بعثه الله تعالى يوم القيمة لا حساب عليه ولا عذاب ومن
طريق اخر بعث من الامنين يوم القيمة وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنه عنه
عليه الصلوة والسلام من استطاع ان يموت بالمدينة فليمت بها فاني اشفع لمن يموت بها
وقال الله تعالى ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة الى قوله تعالى امنا
قال بعض المفسرين امنا من النار وقيل كان يامن من الطلب من احدث
حدثاً ولجأ اليه في الجاهلية وهذا مثل قوله تعالى واذ جعلنا البيت مثابة
للناس وامناً على قول بعضهم وحكي ان قوماً اتوا سعدون الخولاني بالمنستير
فاعلموه ان كتامة قتلوا رجلا واضرموا عليه النار طول الليل فلم تعمل فيه وبقي
ابيض البدن فقال لعله حج ثلث حجج قالوا نعم قال حدثت ان من حج حجة ادى
فرضه ومن حج ثانية داين ربه ومن حج ثلث حجج حرم الله تعالى شعره وبشره

على النار ولما نظر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى الكعبة قال
مرحباً بك من بيت ما اعظمك واعظم حرمتك وفي الحديث عنه
عليه الصلوة والسلام ما من احد يدعو الله تعالى عند الركن الاسود الا
استجاب الله تعالى له وكذلك عند الميزاب وعنه عليه الصلوة والسلام
من صلى خلف المقام ركعتين غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر و
حشر يوم القيمة من الامنين قال القاضي ابو الفضل رحمه الله تعالى
قرأت على القاضي الحافظ ابي علي رحمه الله تعالى حدثنا ابو العباس العذري
قال ابو اسامة محمد بن احمد بن محمد الهروي والحسن بن رشيق سمعت الحسن
محمد بن الحسن بن راشد سمعت ابا بكر محمد بن ادريس سمعت الحميدي سمعت
سفيان بن عيينة قال سمعت عمرو بن دينار قال سمعت ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما يقول سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول
ما دعا احد بشيء في هذا الملتزم الا استجيب له قال ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما وانا فما دعوت الله تعالى بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا
من ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الا استجيب لي وقال الحميدي وانا فما
دعوت الله تعالى بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من سفيان الا
استجيب لي وقال محمد بن ادريس وانا فما دعوت الله تعالى بشيء في هذا
الملتزم منذ سمعت هذا من الحميدي الا استجيب لي وقال ابو الحسن
محمد بن الحسن وانا فما دعوت الله تعالى بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت
هذا من محمد بن ادريس الا استجيب وقال ابو اسامة وما اذكر الحسن
الحسن بن رشيق قال فيه شيئاً وانا فما دعوت الله تعالى بشيء في هذا
الملتزم منذ سمعت هذا من الحسن بن رشيق الا استجيب لي من امر الدنيا

من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا استجيب لي قال
عمرو بن دينار وانا فما دعوت الله تعالى بشيء في هذا
الملتزم منذ سمعت هذا
صح

وانا ارجو ان يستجاب لي من امر الاخرة وقال العذري وانا فما دعوت
الله تعالى بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابي اسامة الا استجيب لي
قال ابو علي وانا فقد دعوت الله تعالى فيه باشياء كثيرة استجيب لي
بقيتها وارجو من سعة فضله ان يستجيب لي بقيتها قال القاضي ابو الفضل
المصنف رحمه الله تعالى ذكرنا نبذا من هذه نكت في هذا الفصل وان لم
تكن من الباب لتعلقها بالفصل الذي قبله حرصا على تمام الفائدة والله
تعالى الموفق للصواب برحمته القسم الثالث فيما يجب للنبي صلى الله
تعالى عليه وسلم وما يستحيل او يجوز عليه وما يمتنع او يصح
من الاحوال البشرية ان يضاف اليه قال الله تعالى وما محمد الا رسول
قد خلت من قبله الرسل افان مات او قتل الاية وقال الله تعالى ما المسيح ابن
مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا ياكلان
الطعام وقال الله تعالى وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون
الطعام ويمشون في الاسواق وقال الله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى
الي الاية فمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وسائر الانبياء عليهم السلام
من البشر ارسلوا الى البشر ولولا ذلك لما اطاق الناس مقاومتهم والقبول
عنهم ومخاطبتهم قال الله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا اي لما
كان الا في صورة البشر الذي يمكنهم مخالطتهم اذ لا يطيقون مقاومة
الملك ومخاطبته ورؤيته اذا كان على صورته وقال الله تعالى قل لو كان
في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا
رسولا اي لا يمكن في سنة الله تعالى ارسال الملك الا لمن هو من جنسه
او من خصه الله تعالى واصطفاه وقواه على مقاومته كالانبياء والرسل

صلوات

صلوات الله تعالى عليهم فالانبياء والرسل عليهم السلام وسائط بين الله تعالى
وبين خلقه يبلغونهم اوامره ونواهيه ووعده ووعيده ويعرفونهم
ما لم يعلموه من امره وخلقه وجلاله وسلطانه وجبروته وملكوته
فظواهرهم واجسادهم وبنيتهم متصفة باوصاف البشر طارئ عليها
ما يطرأ على البشر من الاعراض والاسقام والموت والفناء ونعوت
الانسانية وارواحهم وبواطنهم متصفة باعلا من صفات البشر
متعلقة بالملإ الاعلى متشبهة بصفات الملائكة سليمة من التغير
والآفات لا يلحقها غالبا عجز البشرية ولا ضعف الانسانية اذ
لو كانت بواطنهم خالصة للبشرية كظواهرهم لما اطاقوا الاخذ
عن الملائكة ورؤيتهم ومخاطبتهم ومخالتهم كما لا يطيقه غيرهم
من البشر ولو كانت اجسامهم وظواهرهم متسمة بنعوت الملائكة
وبخلاف صفات البشر لما اطاق البشر ومن ارسلوا اليه مخالطتهم
كما تقدم من قول الله تعالى فجعلوا من جهة الاجسام والظواهر مع البشر
ومن جهة الارواح والبواطن مع الملائكة كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم
لو كنت متخذا خليلا من امتي لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن اخوة الاسلام
لكن صاحبكم خليل الرحمن وكما قال عليه الصلاة والسلام تنام عيناي
ولا ينام قلبي وقال صلى الله تعالى عليه وسلم اني لست كهيئتكم اني
اظل يطعمني ربي ويسقيني فبواطنهم منزهة عن الآفات مطهرة
من النقايص والاعتلالات وهذه جملة لن يكتفى بمضمونها كل همة
بل الاكثر يحتاج الى بسط وتفصيل على ما ياتي به بعد هذا في البابين
بعون الله تعالى وهو حسبي ونعم الوكيل الباب الاول فيما يختص

بالامور الدينية والكلام في عصمة نبينا وسائر الانبياء صلى الله
تعالى عليه وسلم وعليهم اجمعين قال القاضي ابو الفضل رحمه الله تعالى
اعلم ان الطوارئ من التغييرات والافات على احاد البشر لا يخلو ان
تطرأ على جسمه او على حواسه بغير قصد واختيار كالامراض والاسقام
او تطرأ بقصد واختيار وكله في الحقيقة عمل وفعل ولكن جرى رسم
المشايخ بتفصيله الى ثلاثة انواع عقد بالقلب وقول باللسان
وعمل بالجوارح وجميع البشر تطرأ عليهم الافات والتغييرات بالاختيار
في هذه الوجوه كلها والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وان كان من البشر
على جبلته ما يجوز على جبلة البشر فقد قامت البراهين القاطعة و
تمت كلمة الاجماع على خروجه عنهم وتنزيهه عن كثير من الافات التي
تقع على الاختيار كما سنبينه ان شاء الله تعالى فيما نأتي به من التفاصيل

فصل في حكم عقد قلب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

من وقت نبوته اعلم منحنا الله تعالى واياك توفيقه ان ما تعلق منه
بطريق التوحيد والعلم بالله تعالى وصفاته والايمان به تعالى وبما اوحي
اليه فعلى غاية المعرفة ووضوح العلم واليقين والانتفاء عن الجهل
بشيء من ذلك او الشك او الريب فيه من كل ما يضاد المعرفة بذلك
واليقين هذا ما وقع اجماع المسلمين عليه ولا يصح البراهين الواضحة
ان يكون في عقود الانبياء سواه ولا يعترض على هذا بقول ابراهيم عليه السلام
في اخبار الله تعالى له باحياء الموتى ولكن اراد طمانينة القلب وترك
المنازعة مشاهدة الاحياء فحصل له العلم الاول بوقوعه واراد العلم
الثاني بكيفيته ومشاهدته الوجه الثاني ان ابراهيم عليه السلام انما اراد

اختبار منزلته عند ربه وعلم اجابته دعوته بسؤال ذلك من ربه فيكون
قوله او لم تؤمن اي تصدق بمنزلتك مني وخلتك واصطفائك
الوجه الثالث انه سأل زيادة يقين وقوة طمانينة وان لم يكن
في الاول شك اذ العلوم الضرورية والنظرية قد يتفاضل في
قوتها وطريان الشكوك على الضروريات ممتنع ومجوز في النظريات
فاراد الانتقال من النظر والخبر الى المشاهدة والترقي من علم اليقين
الى عين اليقين فليس الخبر كالمعاينة ولهذا قال سهل بن عبد الله
سال كشف غطاء العيان ليزداد بنور اليقين تمكنا في حاله الوجه
الرابع انه لما احتج على المشركين بان ربه يحيي ويميت طلب ذلك
من ربه ليصح احتجاجه عيانا الوجه الخامس قول بعضهم هو سؤال على
طريق الادب المراد اقدرني على احياء الموتى وقوله ليطمئن قلبي
من هذه الامنية الوجه السادس انه ارى من نفسه الشك وما شك
ليجاوب فيزداد قربة وقول نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم نحن احق
بالشك من ابراهيم نفي لان يكون ابراهيم صلى الله تعالى عليه وسلم شك
وابعاد الخواطر الضعيفة ان تظن هذا بابراهيم عليه السلام اي نحن
موقنون بالبعث واحياء الله تعالى الموتى فلو شك ابراهيم صلى الله تعالى
عليه وسلم لكنا اولى بالشك منه اما على طريق الادب او ان يريد
امته الذين يجوز عليهم الشك او على طريق التواضع والاشفاق ان
حملت قصة ابراهيم عليه السلام على اختبار حاله او زيادة يقينه فان
قلت فما معنى قوله تعالى فان كنت في شك مما انزلنا اليك فسئل الذين
يقرؤن الكتاب من قبلك الايتين فاحذر ثبت الله تعالى قلبك ان

يخطر ببالك ما ذكره فيه بعض المفسرين عن ابن عباس او غيره رضى الله
تعالى عنهما من اثبات شك للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيما اوحى الله تعالى
اليه وانه من البشر فمثل هذا لا يجوز عليه جملة بل قد قال ابن عباس رضى
الله تعالى عنهما لم يشك النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يسئل ونحوه
عن ابن جبير والحسن وحكى قتادة رضى الله تعالى عنه ان النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم قال ما اشك ولا اسأل وعامة المفسرين
على هذا واختلفوا فى معنى الاية فقيل المراد قل يا محمد للشاك ان
كنت فى شك الاية قالوا وفى السورة نفسها ما دل على هذا التأويل
قوله تعالى قل يا ايها الناس ان كنتم فى شك من دينى الاية وقيل
المراد بالخطاب العرب وغير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما قال تعالى
لئن اشركت ليحبطن عملك الاية الخطاب له والمراد غيره ومثله
فلا تك فى مرية مما يعبد هؤلاء ونظيره كثير قال بكر بن العلاء الا
تراه يقول ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله وهو عليه السلام
كان المكذب فيما يدعوا اليه فكيف يكون ممن كذب به فهذا كله يدل
على ان المراد بالخطاب غيره ومثل هذه الاية قوله تعالى الرحمن فسئل به
خبيرا المأمور هنا غير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ليسئل النبى صلى
الله تعالى عليه وسلم والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم هو الخبير المسئول
لا المستخبر السائل وقال ان هذا الشك الذى امر غير النبى صلى
الله تعالى عليه وسلم بسؤال الذين يقرؤن الكتاب انما هو فيما قصه
من اخبار الامم لا فيما دعا اليه من التوحيد والشريعة ومثل هذا
قوله تعالى واسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا الاية المراد به

المشركون

المشركون والخطاب مواجهة صلى الله تعالى عليه وسلم قاله القتبى
وقيل معناه سلنا عمن ارسلنا من قبلك فحذف الخافض وتم
الكلام اجعلنا من دون الرحمن الى اخر الاية على طريق الانكار اى
ما جعلنا حكاه مكى وقيل امر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان
يسئل الانبياء عليهم السلام ليلة الاسراء عن ذلك فكان اشد يقينا
من ان يحتاج الى السؤال فروى انه قال صلى الله تعالى عليه وسلم
لا اسئل قد اكتفيت قاله ابن زيد وقيل سل امم من ارسلنا هل
جاؤهم بغير التوحيد وهو معنى قول مجاهد والسدى والضحاك و
قتادة رحمهم الله تعالى والمراد بهذا والذى قبله اعلامه عليه السلام بما بعث به
الرسل عليهم السلام وانه تعالى لم ياذن فى عبادة غيره لاحد ردا على مشركى
العرب وغيرهم فى قولهم انما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وكذلك
قوله تعالى والذين اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق فلا
تكونن من الممترين اى فى علمهم بانك رسول الله وان لم يقروا بذلك
وليس المراد به شكه فيما ذكر فى اول الاية وقد يكون ايضا على مثل
ما تقدم اى قل لمن امترى يا محمد فى ذلك لا تكونن من الممترين بدليل
قوله تعالى اول الاية افغير الله ابتغى حكما الاية وان النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم يخاطب بذلك غيره وقيل هو تقرير لقوله تعالى ءانت قلت
للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله وقد علم انه لم يقل وقيل
ما كنت فى شك فسل تزدد طمانينة وعلما الى علمك ويقينك وقيل
ان كنت فى شك فيما شرفناك وفضلناك به فسلهم عن صفتك
فى الكتب ونشر فضائلك وحكى عن ابى عبيد ان المراد ان كنت فى شك

من غيرك فيما انزلنا فان قيل فما معنى قوله تعالى حتى اذا استيئس الرسل
وظنوا انهم قد كذبوا على قراءة التخفيف قلنا المعنى فى ذلك ما قالته
عائشه رضى الله تعالى عنها معاذ الله ان نظن ذلك الرسل بربها وانما
معنى ذلك ان الرسل صلوات الله تعالى عليهم لما استيئسوا وظنوا
ان من وعدهم النصر من اتباعهم وعلى هذا اكثر المفسرين وقيل
ان الضمير وظنوا عائد على الاتباع والامم لا على الانبياء والرسل
عليهم السلام وهو قول ابن عباس رضى الله تعالى عنهما والنخعى وابن جبير وجماعة
من العلماء رحمهم الله تعالى وبهذا المعنى قرأ مجاهد كذبوا بالفتح فلا
تشغل بالك من شاذ التفسير بسواه مما لا يليق بمنصب العلماء فكيف
بالانبياء عليهم السلام وكذلك ما ورد فى حديث السيرة ومبتداء الوحى
من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لخديجة رضى الله تعالى عنها لقد خشيت
على نفسى ليس معناه الشك فيما اتاه الله تعالى بعد رؤية الملك ولكن
لعله خشى ان لا يحتمل قوته مقاومة الملك واعباء الوحى فينخلع قلبه
او تزهق نفسه هذا على ما ورد فى الصحيح انه قاله بعد لقائه الملك او
يكون ذلك قبل لقائه الملك واعلام الله تعالى له بالنبوة لاول ما عرضت
عليه من العجائب وسلم عليه الشجر والحجر وبداية المنامات والتباشير
كما روى فى بعض طرق هذا الحديث ان ذلك كان اولا فى المنام ثم ارى
فى اليقظة مثل ذلك تأنيسا له عليه الصلوة والسلام لئلا يفجأه الامر
مشاهدة ومشافهة فلا يحتمله لاول حالة بنية البشرية وفى
الصحيح عن عائشة رضى الله تعالى عنها اول ما بدئ به رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصادقة قالت ثم حبب اليه الخلاء

وقالت

وقالت الى ان جاءه الحق وهو فى غار حراء الحديث وعن ابن عباس رضى
الله تعالى عنهما مكث النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بمكة خمس عشرة سنة
يسمع الصوت ويرى الضوء سبع سنين ولا يرى شيئا وثمان سنين
يوحى اليه وقد روى ابن اسحاق عن بعضهم ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
قال وذكر جواره بغار حراء قال فجاءنى وانا نائم فقال اقرأ فقلت
ما اقرأ وذكر نحو حديث عائشة رضى الله تعالى عنها فى غطه له واقرائه
اقرأ باسم ربك السورة قال فانصرف عنى وهببت من نومى كانما
صورت فى قلبى ولم يكن ابغض الى من شاعر او مجنون ثم قلت لا تحدث
عنى قريش بهذا ابدا لاعمدن الى حالق من الجبل فلاطرحن نفسى منه
فلاقتلنها فبينا انا عامد لذلك اذ سمعت مناديا ينادى من السماء
يا محمد انت رسول الله وانا جبريل فرفعت رأسى فاذا جبريل على صورة
رجل وذكر الحديث فقد بين فى هذا ان قوله لما قال وقصده لما قصد
انما كان قبل لقاء جبريل عليه السلام وقبل اعلام الله تعالى له بالنبوة واظهاره
واصطفائه له بالرسالة ومثله حديث عمرو بن شرحبيل رضى الله تعالى عنه انه
عليه الصلوة والسلام قال لخديجة رضى الله تعالى عنها انى اذا خلوت وحدى
سمعت نداء وقد خشيت والله ان يكون هذا لامر ومن رواية حماد
بن سلمة ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لخديجة رضى الله تعالى عنها انى
لاسمع صوتا وارى ضوءا واخشى ان يكون بى جنون وعلى هذا يتأول
لو صح قوله فى بعض هذه الاحاديث ان الابعد شاعر او مجنون والفاظ
يفهم منها معنى الشك فى تصحيح ما رآه وان كان كله فى ابتداء امره وقبل
لقاء الملك له واعلام الله عز وجل انه رسوله فكيف وبعض هذه الالفاظ

لا تصح طرقها وأما بعد علام الله تعالى له عليه السلم ولقائه الملك فلا يصح فيه ريب ولا يجوز عليه شك فيما ألقي إليه وقد روى ابن إسحاق عن شيوخه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يرقى بمكة من العين قبل أن ينزل عليه فلما نزل عليه القرآن أصابه نحو ما كان يصيبه فقالت له خديجة رضي الله تعالى عنها أوجه إليك من يرقيك قال أما الآن فلا و حديث خديجة رضي الله تعالى عنها واختبارها أمر جبريل بكشف رأسها الحديث إنما ذلك في حق خديجة رضي الله تعالى عنها ليتحقق صحة نبوة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأن الذي يأتيه ملك ويزول الشك عنها لا أنها فعلت ذلك للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وليختبر هو حاله بذلك بل قد ورد في حديث عبد الله بن محمد بن عمرو عن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن ورقة أمر خديجة رضي الله تعالى عنها أن تختبر الأمر بذلك وفي جاء جبريل عليه السلم أخبرها فقالت له اجلس إلى شقي وذكر الحديث إلى آخره وفيه فقالت ما هذا شيطان هذا الملك يا ابن عم فاثبت وابشر وآمنت به فهذا يدلك أنها مستثبتة لما فعلته لنفسها ومستظهرة لإيمانها لا للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم و قول معمر في فترة الوحي فحزن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من شواهق الجبال لا يقدح في هذا الأصل لقول معمر عنه فيما بلغنا ولم يسنده ولا ذكر رواته ولا من حدث به ولا أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قاله ولا يعرف هذا إلا من جهة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مع أنه قد يحمل على أنه كان أول الأمر كما ذكرناه أو أنه فعل ذلك لما أحرجه من تكذيب من بلغه كما قال الله تعالى فلعلك باخع

نفسك

نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا ويصحح معنى هذا التأويل حديث رواه شريك عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه أن المشركين لما اجتمعوا بدار الندوة للتشاور في شأن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واتفق رأيهم على أن يقولوا إنه ساحر اشتد ذلك عليه وتزمل في ثيابه وتدثر فيها فأتاه جبريل عليه السلم فقال يا أيها المدثر أو خاف أن الفترة لأمر أو سبب منه فخشي أن يكون عقوبة من ربه ففعل ذلك بنفسه ولم يرد بعد شرع بالنهي عن ذلك فيعترض به ونحو هذا فرار يونس عليه السلم خشية تكذيب قومه له لما وعدهم به من العذاب وقول الله تعالى في يونس عليه السلم فظن أن لن نقدر عليه معناه أن لن نضيق عليه قال مكي طمع في رحمة الله تعالى وأن لا يضيق عليه مسلكه في خروجه وقيل حسن ظنه بمولاه أنه لا يقضي عليه العقوبة وقيل نقدر عليه ما أصابه وقد قرئ نقدر عليه بالتشديد وقيل نؤاخذه بغضبه وذهابه وقال ابن زيد معناه فظن أن لن نقدر عليه على الاستفهام ولا يليق أن يظن بنبي أن يجهل صفة من صفات ربه وكذلك قوله تعالى إذ ذهب مغاضبا الصحيح مغاضبا لقومه بكفرهم وهو قول ابن عباس والضحاك وغيرهما رضي الله تعالى عنهم لا لربه عز وجل إذ مغاضبة الله معاداة له ومعاداة الله تعالى كفر لا يليق بالمؤمنين فكيف بالأنبياء عليهم السلم وقيل مستحييا من قومه أن يسموه بالكذب أو يقتلوه كما ورد في الخبر وقيل مغاضبا لبعض الملوك فيما أمره به من التوجه إلى أمر أمره الله تعالى به على لسان نبي آخر فقال له يونس غيري أقوى عليه مني فعزم عليه فخرج لذلك مغاضبا

وقد روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان ارسال يونس عليه السلام
ونبوته انما كان بعد ان نبذه الحوت واستدل من الاية بقوله تعالى
فنبذناه بالعراء وهو سقيم وانبتنا عليه شجرة من يقطين وارسلناه الى
مائة الف او يزيدون ويستدل ايضا بقوله تعالى ولا تكن كصاحب الحوت
وذكر القصة ثم قال فاجتباه ربه فجعله من الصالحين فتكون هذه
القصة اذا قبل نبوته فان قيل فما معنى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم
انه ليغان على قلبى فاستغفر الله كل يوم مائة مرة وفى طريق فى اليوم
اكثر من سبعين مرة فاحذر ان يقع ببالك ان يكون هذا الغين وسوسة
او ريبا وقع فى قلبه عليه الصلوة والسلام بل اصل الغين فى هذا ما يتغشى
القلب ويغطيه قاله ابو عبيد واصله من غين السماء وهو اطباق الغيم
عليها وقال غيره والغين شىء يغشى القلب ولا يغطيه كل التغطية
كالغيم الرقيق الذى يعرض فى الهواء فلا يمنع ضوء الشمس وكذلك
لا يفهم من الحديث انه يغان على قلبه مائة مرة او اكثر من سبعين فى اليوم
اذ ليس يقتضيه لفظه الذى ذكرناه وهو اكثر الروايات وانما هذا
عدد للاستغفار لا للغين فيكون المراد بهذا الغين اشارة الى غفلات
قلبه وفترات نفسه وسهوها عن مداومة الذكر ومشاهدة الحق
بما كان صلى الله تعالى عليه وسلم دفع اليه من مقاساة البشر وسياسة الامة
ومعاناة الاهل ومقاومة الولى والعدو ومصلحة النفس وكلفه من اعباء
الرسالة وحمل الامانة وهو فى كل هذا فى طاعة ربه وعبادة خالقه ولكن
لما كان صلى الله تعالى عليه وسلم ارفع الخلق عند الله تعالى مكانة واعلاهم
درجة واتمهم به معرفة وكانت حاله عند خلوص قلبه وخلو همه وتفرده

بربه واقباله بكليته عليه ومقامه هنالك ارفع حاليه رأى عليه الصلوة
والسلام حال فترته عنها وشغله بما سواها غضا من على حاله وخفضا من
رفيع مقامه فاستغفر الله من ذلك هذا اولى وجوه الحديث واشهرها
والى معنى ما اشرنا به مال كثير من الناس وحام حوله فقارب ولم يرد
وقد قربنا غامض معناه وكشفنا للمستفيد محياه وهو مبنى على
جواز الفترات والغفلات والسهو فى غير طريق البلاغ على ما سيأتى
وذهب طائفة من ارباب القلوب ومشيخة المتصوفة ممن قال
بتنزيه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن هذا جملة واجله ان يجوز عليه
فى حال سهو او فترة الى ان معنى الحديث ما يهم خاطره ويغم فكره
من امر امته صلى الله تعالى عليه وسلم لاهتمامه بهم وكثرة شفقته
عليهم فيستغفر لهم قالوا وقد يكون الغين هنا على قلبه السكينة
التى تتغشاه لقوله تعالى فانزل الله سكينته عليه ويكون استغفاره
عليه السلام عندها اظهارا للعبودية والافتقار قال ابن عطاء
استغفاره وفعله عليه الصلوة والسلام هذا تعريف للامة يحملهم على
الاستغفار وقال غيره ويستشعرون الحذر ولا يركنون الى
الامن وقد يحتمل ان تكون هذه الاغانة حالة خشية واعظام تغشى
قلبه فيستغفر حينئذ شكرا لله تعالى وملازمة لعبوديته كما قال
فى ملازمة العبادة افلا اكون عبدا شكورا وعلى هذه الوجوه الاخيرة
يحمل ما روى فى بعض طرق هذا الحديث عنه عليه الصلوة والسلام انه
ليغان على قلبى فى اليوم اكثر من سبعين مرة فاستغفر الله فان قلت
فما معنى قوله تعالى لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم ولو شاء الله لجمعهم على

الهدى فلا تكونن من الجاهلين وقوله تعالى لنوح عليه السلام فلا تسئلن ما
ليس لك به علم انى اعظك ان تكون من الجاهلين فاعلم انه لا يلتفت فى
ذلك الى قول من قال فى اية نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم لا تكونن ممن
تجهل ان الله لو شاء لجمعهم على الهدى وفى اية نوح عليه السلام لا تكونن
ممن تجهل ان وعد الله حق لقوله وان وعدك الحق اذ فيه اثبات الجهل
بصفة من صفات الله تعالى وذلك لا يجوز على الانبياء عليهم السلام والمقصود
واعظهم ان لا يتشبهوا فى امورهم بسمات الجاهلين كما قال انى اعظك
وليس فى اية منها دليل على كونهم على تلك الصفة التى نهاهم عن الكون
عليها فكيف واية نوح قبلها فلا تسئلن ما ليس لك به علم فحمل ما
بعدها على ما قبلها اولى لان مثل هذا قد يحتاج الى اذن وقد يجوز اباحة
السؤال عنه ابتداء فنهاه الله تعالى ان يسئله عما طوى عنه علمه واكنه
من غيبه من السبب الموجب لهلاك ابنه ثم اكمل الله تعالى نعمته عليه
باعلامه ذلك بقوله انه ليس باهلك انه عمل غير صالح حكى معناه
مكى كذلك امر نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فى الاية الاخرى بالتزام
الصبر على اعراض قومه ولا يحرج عند ذلك فيقارب حال الجاهل
بشدة التحسر حكاه ابو بكر بن فورك وقيل معنى الخطاب لامة
محمد صلى الله تعالى عليه وسلم اى فلا تكونوا من الجاهلين حكاه ابو محمد
مكى رحمه الله تعالى وقال مثله فى القران كثير فبهذا الفضل وجب
القول بعصمة الانبياء عليهم السلام منه بعد النبوة قطعا فان قلت
فاذا قررت عصمتهم فى هذا وانه عليهم شىء من ذلك فما معنى
اذا وعد الله تعالى لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم على ذلك ان فعله

وتحذيره

وتحذيره منه كقوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك الاية وقوله تعالى
ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك الاية وقوله تعالى اذا
لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات الاية وقوله تعالى لاخذنا
منه باليمين وقوله تعالى وان تطع اكثر من فى الارض يضلوك عن سبيل
الله وقوله تعالى فان يشأ الله يختم على قلبك وقوله تعالى فان لم تفعل
فما بلغت رسالته وقوله تعالى اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين
فاعلم وفقنا الله تعالى واياك انه عليه السلام لا يصح ولا يجوز عليه ان
لا يبلغ وان يخالف امر ربه ولا ان يشرك ولا ان يتقول على الله تعالى
ما لا يجب او يفترى عليه او يضل او يختم على قلبه او يطيع الكافرين
لكن الله عز وجل يسر امره بالمكاشفة والبيان فى البلاغ للمخالفين
وان ابلاغه ان لم يكن بهذه السبيل فكانه ما بلغ وطيب نفسه و
قوى قلبه بقوله تعالى والله يعصمك من الناس كما قال عز من قائل لموسى
وهارون عليهما السلام لا تخافا اننى معكما لتشتد بصائرهم فى الابلاغ
واظهار دين الله تعالى ويذهب عنهم خوف العدو المضعف للنفس و
اما قوله تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل الاية وقوله عز وجل اذا
لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات فمعناه ان هذا جزاء من فعل
هذا من فعل وجزاؤك لو كنت ممن يفعله وهو صلى الله تعالى عليه وسلم
لا يفعله وكذلك قوله تعالى وان تطع اكثر من فى الارض فالمراد غيره كما قال
الله تعالى ان تطيعوا الذين كفروا الاية وقوله جل جلاله فان شاء الله هكذا
الاية ان يشأ الله يختم على قلبك ولئن اشركت ليحبطن عملك وما اشبهه
فالمراد غيره وان هذه حال من اشرك والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لا يجوز

عليه هذا كما قال عز وجل اتق الله ولا تطع الكافرين فليس فيه انه اطاعهم
والله تعالى ينهاه عما يشاء ويأمره بما يشاء كما قال سبحانه وتعالى ولا تطرد
الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي الاية وما كان طردهم صلى الله تعالى
عليه وسلم ولا كان من الظالمين **فصل واما عصمتهم من هذا الفن
قبل النبوة** فللناس فيه خلاف والصواب انهم معصومون قبل النبوة
من الجهل بالله تعالى وصفاته والتشكك في شيء من ذلك وقد تعاضدت
الاخبار والاثار عن الانبياء عليهم السلام بتنزيههم عن هذه النقيصة
منذ ولدوا ونشأتهم على التوحيد والايمان بل على اشراق انوار
المعارف ونفحات الطاف السعادة كما نبهنا عليه في الباب الثاني
من القسم الاول من كتابنا هذا ولم ينقل احد من اهل الاخبار ان
احد نبي واصطفى ممن عرف بكفر واشراك قبل ذلك ومستند
هذا الباب النقل بعضهم بان القلوب تنفر عمن كانت هذه سبيله
وانا اقول ان قريشا قد رمت نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم بكل ما افترته
وعير كفار الامم انبياءها بكل ما امكنها واختلقته مما نص الله
تعالى عليه او نقلته الينا الرواة ولم نجد في شيء من ذلك تعييرا لواحد
منهم برفضه آلهته وتقريعه بذمه بترك ما كان قد جامعهم عليه
ولو كان هذا لكانوا بذلك مبادرين وبتلونه في معبوده محتجين
ولكان توبيخهم له بنهيهم عما كان يعبد قبل افظع واقطع في الحجة
من توبيخه بنهيهم عن تركهم آلهتهم وما كان يعبد آباؤهم من قبل
ففي اطباقهم على الاعراض عنه دليل على انهم لم يجدوا سبيلا
اليه اذ لو كان لنقل وما سكتوا عنه كما لم يسكتوا عند تحويل القبلة و

قالوا

قالوا ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها كما حكاه الله عز وجل عنهم وقد
استدل القاضي القشيري على تنزيههم عن هذا بقوله تعالى واذ اخذنا
من النبيين ميثاقهم ومنك الاية وبقوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق
النبيين الى قوله عز وجل لتؤمنن به ولتنصرنه قال فطهره الله تعالى
في الميثاق وبعيد ان يأخذ منه الميثاق قبل خلقه ثم يأخذ ميثاق
النبيين بالايمان به ونصره قبل مولده بدهور ويجوز عليه الشرك
او غيره من الذنوب هذا ما لا يجوزه الا ملحد هذا معنى كلامه وكيف
يكون ذلك وقد اتاه جبريل عليه السلام وشق قلبه صغيرا واستخرج منه
علقة سوداء وقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله وملأه حكمة
وايمانا كما تظاهرت به اخبار المبدأ ولا يشتبه عليك بقول ابراهيم
عليه الصلوة والسلام في الكوكب والقمر والشمس هذا ربي فانه قد قيل كان
هذا في سن الطفولية وابتداء النظر والاستدلال وقبل لزوم التكليف
وذهب معظم الحذاق من العلماء والمفسرين الى انه انما قال ذلك
مبكتا لقومه ومستدلا عليهم وقيل معناه الاستفهام الوارد
الانكار والمراد فهذا ربي قال الزجاج وقوله هذا ربي اي على قولكم
كما قال الله تعالى اين شركائي اي عندكم ويدل على انه لم يعبد شيئا
من ذلك ولا اشرك بالله تعالى قط طرفة عين قول الله تعالى عنه اذ قال
لابيه وقومه ما تعبدون ثم قال افرأيتم ما كنتم تعبدون انتم
واباؤكم الاقدمون فانهم عدو لي الا رب العالمين وقال تعالى اذ جاء
ربه بقلب سليم اي من الشرك وقوله تعالى واجنبني وبني ان نعبد الاصنام
فان قلت فما معنى قوله لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين

قيل انه ان لم يؤيدنى بمعونته اكن مثلكم فى ضلالكم وعبادتكم
على معنى الاشفاق والحذر والا فهو عليه السلام معصوم فى الازل فى
الضلال فان قلت فما معنى قوله تعالى وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم
من ارضنا او لتعودن فى ملتنا ثم قال الله تعالى بعد عن الرسل عليهم السلام
قد افترينا على الله كذبا ان عدنا فى ملتكم بعد اذ نجانا الله منها فلا يشكل
عليك لفظة العود وانها تقتضى انهم انما يعودون الى ما كانوا
فيه من ملتهم فقد تأتى هذه اللفظة فى كلام العرب لغير ما ليس له
ابتداء بمعنى الصيرورة كما جاء فى حديث الجهنميين عادوا حمما ولم
يكونوا قبل ذلك ومثله قول الشاعر تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا
بماء فعادا بعد ابوالا وما كانا قبل كذلك فان قلت فما معنى قوله تعالى
ووجدك ضالا فهدى فليس هو من الضلال الذى هو الكفر قيل
ضالا عن النبوة فهداك اليها قاله الطبرى وقيل وجدك بين اهل الضلال
فعصمك من ذلك وهداك للايمان والى ارشادهم ونحوه عن السدى
وغير واحد وقيل ضالا عن شريعتك اى لا تعرفها فهداك اليها و
الضلال هنا التحير ولهذا كان عليه الصلوة والسلام يخلو بغار حراء
فى طلب ما يتوجه به الى ربه عز وجل ويتشرع به حتى هداه الله تعالى
الى الاسلام قال معناه القشيرى وقيل لا تعرف الحق فهداك اليه
وهذا مثل قوله وعلمك ما لم تكن تعلم قاله على بن عيسى قال ابن عباس
رضى الله تعالى عنهما لم تكن له ضلالة معصية وقيل هدى اى بين امرك
بالبراهين وقيل وجدك ضالا بين مكة والمدينة فهداك الى المدينة
وقيل المعنى وجدك فهدى بك ضالا وعن جعفر بن محمد ووجدك

ضالا

ضالا عن محبتى لك فى الازل اى لا تعرفها فمننت عليك بمعرفتى وقال الحسن
بن على ووجدك ضالا فهدى اى اهتدى بك وقال ابن عطاء ووجدك
ضالا اى محبا لمعرفتى والضال المحب كما قال الله تعالى انك لفى ضلالك
القديم ولم يريدوا ها هنا فى الدين اذ لو قالوا ذلك فى نبى الله لكفروا
ومثله عند هذا انا لنراها فى ضلال مبين اى محبة بينة وقال الجنيد
ووجدك متحيرا فى بيان ما انزل اليك فهداك لبيانه لقوله تعالى وانزلنا
اليك الذكر الاية وقيل ووجدك لم يعرفك احد بالنبوة حتى اظهرك
فهدى بك السعداء ولا اعلم احدا قال من المفسرين فيها ضالا عن الايمان
كذلك فى قصة موسى عليه السلام قوله تعالى فعلتها اذا وانا من الضالين
اى من المخطئين الفاعلين شيئا بغير قصد قاله ابن عرفة وقال الازهرى
معناه من الناسين وقد قيل ذلك فى قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى
اى ناسيا كما قال الله تعالى ان تضل احداهما فان قلت فما معنى قوله تعالى
ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان فالجواب ان السمرقندى قال
معناه تدرى قبل الوحى ان تقرا القرآن ولا كيف تدعوا الخلق الى
الايمان وقال بكر القاضى نحوه ولا الايمان الذى هو الفرائض والاحكام
قال فكان قبل مؤمنا بتوحيده ثم نزلت الفرائض التى لم يكن
يدريها قبل فازداد بالتكليف ايمانا وهو احسن وجوهه فان قلت
فما معنى قوله تعالى وان كنت من قبله لمن الغافلين فاعلم انه ليس
بمعنى قوله تعالى والذين هم عن اياتنا غافلون بل حكى ابو عبيد الهروى
ان معناه لمن الغافلين عن قصة يوسف عليه السلام اذ لم تعلمها الا بوحينا
وكذلك الحديث الذى يرويه عثمان بن ابى شيبة بسنده عن جابر

رضى الله تعالى عنه ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قد كان يشهد مع المشركين
مشاهدهم فسمع ملكين خلفه احدهما يقول لصاحبه اذهب حتى تقوم خلفه
فقال الاخر كيف اقوم خلفه وعهده باستلام الاصنام فلم يشهدهم بعد
فهذا حديث انكره احمد بن حنبل جدا وقال هذا موضوع او شبيه بالموضوع
وقال الدارقطنى يقال ان عثمان وهم فى اسناده والحديث بالجملة منكر
غير متفق على اسناده فلا يلتفت اليه والمعروف عن النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم خلافه عند اهل العلم من قوله عليه السلم بغضت الىّ الاصنام
وقوله فى الحديث الاخر الذى روته ام ايمن رضى الله تعالى عنها حين كلمه
عمه واله فى حضور بعض اعيادهم فعزموا عليه فيه بعد كراهته لذلك
فخرج معهم ورجع مرعوبا فقال كلما دنوت منها من صنم تمثل لى شخص
رجل ابيض طويل يصيح بى وراءك لا تمسه فما شهد بعد لهم عيدا
وقوله فى قصة بحيرا حين استحلف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم باللات
والعزى اذ لقيه بالشام فى سفرته مع عمه ابى طالب وهو صبى
ورأى فيه علامات النبوة فاختبره بذلك فقال له النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم لا تسئلنى بهما فوالله ما ابغضت شيئا قط بغضهما فقال له
بحيرا فبالله الا ما اخبرتنى عما اسألك عنه فقال سل عما بدا لك وكذلك
المعروف من سيرته صلى الله تعالى عليه وسلم مخالف المشركين فى قولهم
بمزدلفة فى الحج فكان يقف هو بعرفة لانه كان موقف ابرهيم عليه الصلوة
والسلم فصل قال القاضى ابو الفضل رحمه الله تعالى قد بان بما قدمناه
عقود الانبياء عليهم السلم فى التوحيد والايمان والوحى وعصمتهم
فى ذلك على ما بيناه فاما ما عدا هذا الباب من عقود قلوبهم فجماعها

انها

انها مملوءة علما ويقينا على الجملة وانها قد احتوت من المعرفة والعلم بامور
الدين والدنيا ما لا شئ فوقه ومن طالع الاخبار واعتنى بالحديث وتأمل
ما قلنا وجده وقد قدمنا منه فى حق نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فى
الباب الرابع اول قسم من هذا الكتاب ما ينبهه على ما وراه الا ان احوالهم
فى هذه المعارف تختلف فاما ما تعلق منها بامر الدنيا فلا يشترط
فى حق الانبياء عليهم السلم بعضها او اعتقادها على خلاف ما هى عليه
ولا وصم عليهم فيه اذ همهم متعلقة بالاخرة وانبائها وامر الشريعة
وقوانينها وامور الدنيا تضادها بخلاف غيرهم من اهل الدنيا الذين
يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون كما سنبين
هذا فى الباب الثانى ان شاء الله تعالى ولكنه لا يقال انهم لا يعلمون شيئا
من امر الدنيا فان ذلك يؤدى الى الغفلة والبلة وهم المنزهون
عنه بل ارسلوا الى اهل الدنيا وقلدوا سياستهم وهدايتهم و
النظر فى مصالح دينهم ودنياهم وهذا لا يكون مع عدم العلم بامور
الدنيا بالكلية واحوال الانبياء عليهم السلم وسيرهم فى هذا الباب معلومة
ومعرفتهم بذلك كله مشهورة واما ان كان هذا العقد مما يتعلق بالدين
فلا يصح من النبى عليه الصلوة والسلم الا العلم به ولا يجوز عليه جهله
جملة لانه لا يخلوا ان يكون حصل عنده ذلك عن وحى من الله تعالى
فهو ما لا يصح الشك منه فيه على ما قدمناه فكيف الجهل بل حصل له
العلم اليقين او يكون فعل ذلك باجتهاده فيما لم ينزل عليه فيه شئ
على القول بتجويز وقوع الاجتهاد منه فى ذلك على قول المحققين وعلى
مقتضى حديث ام سلمة رضى الله تعالى عنها انى انما اقضى بينكم برأيى

براى

فيما لم ينزل عليه فيه كتخريجه التفات وفدية اسرى بدر والاذن للمتخلفين على راى بعضهم فلا يكون ايضا ما يعتقده مما يثمره اجتهاده الا حقا وصحيحا هذا هو الحق الذى لا يلتفت الى خلاف من خالف فيه ممن اجاز عليه الخطا فى الاجتهاد لا على القول بتصويب المجتهدين الذى هو الحق والصواب عندنا ولا على القول الاخر بان الحق فى طرف واحد لعصمة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من الخطاء فى الاجتهاد فى الشرعيات ولان القول فى تخطئة المجتهدين انما هو بعد استقرار الشرع ونظر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واجتهاده فيما لم ينزل عليه فيه شيء ولم يشرع له قبل هذا فيما عقد عليه صلى الله تعالى عليه وسلم قلبه مالم يعقد عليه قلبه من امر النوازل الشرعية فقد كان لا يعلم منها اولا الا ما علمه الله تعالى شيئا شيئا حتى استقر علم جملتها عنده اما بوحى من الله تعالى او اذن ان يشرع فى ذلك ويحكم بما اراه الله تعالى وقد كان ينتظر الوحى فى كثير منها ولكنه لم يمت عليه السلام حتى استفرغ جميعها عنده عليه السلام وتقررت معارفها لديه على التحقيق ورفع الشك والريب وارتفاع الجهل وبالجملة فلا يصح منه الجهل بشيء من تفاصيل الشرع الذى امر بالدعوة اليه اذ لا يصح دعوته الى ما لا يعلمه واما ما تعلق بعقده من ملكوت السموات والارض وخلق الله تعالى وتعيين اسمائه الحسنى واياته الكبرى وامور الاخرة واشراط الساعة واحوال السعداء والاشقياء وعلم ما كان وما يكون مما لم يعلمه الا بوحى فعلى ما تقدم انه معصوم فيه لا ياخذه فيما اعلم منه شك ولا ريب بل هو فيه على غاية اليقين لكنه لا يشترط العلم بجميع

تفاصيل

تفاصيل ذلك وان كان عنده من علم ذلك ما ليس عند جميع البشر لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم انى لا اعلم الا ما علمنى ربى ولقوله عليه الصلوة والسلام ولا خطر على قلب بشر ولا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين وقول موسى للخضر عليهما السلام هل اتبعك على ان تعلمنى مما علمت رشدا وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم اسالك باسمائك الحسنى ما علمت منها وما لم اعلم وقوله عليه الصلوة والسلام اسالك بكل اسم هو لك سميت به نفسك او استاثرت به فى علم الغيب عندك وقد قال الله تعالى وفوق كل ذى علم عليم قال زيد بن اسلم وغيره حتى ينتهى العلم الى الله تعالى وهذا ما لا خفاء به اذ معلوماته تعالى لا يحاط بها ولا منتهى لها هذا حكم عقد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى التوحيد والشرع والمعارف والامور الدينية

فصل واعلم ان الامة على عصمة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من الشيطان وكفايته منه لا فى جسمه بانواع الاذى ولا على خاطره بالوساوس وقد اخبرنا القاضى الحافظ ابو على رحمه الله تعالى قال حدثنا ابو الفضل بن خيرون العدل حدثنا ابو بكر البرقانى وغيره حدثنا ابو الحسن الدارقطنى حدثنا اسمعيل الصفار حدثنا عباس الترقفى حدثنا محمد بن يوسف حدثنا سفيان عن منصور عن سالم بن ابى الجعد عن مسروق عن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما منكم من احد الا وقد وكل الله به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة قالوا واياك يا رسول الله قال واياى ولكن الله تعالى اعاننى عليه فاسلم زاد غيره عن منصور فلا يامرنى الا بخير وعن

عائشة رضي الله تعالى عنها بمعناه وروي فاسلم بضم الميم اي فاسلم انا منه
وصحح بعضهم هذه الرواية ورجحها وروي فاسلم يعني القرين انه
انتقل عن حال كفره الى الاسلام فصار لا يأمر الا بخير كالملك وهو ظاهر الحديث
ورواه بعضهم فاستسلم قال القاضي ابو الفضل رحمه الله تعالى فاذا كان
هذا حكم شيطانه وقرينه المسلط على كل احد من بني ادم فكيف بمن بعد
عنه ولم يلزم صحبته ولا اقدر على الدنو منه وقد جاءت الاثار بتصدي
الشياطين له في غير موطن رغبة في اطفاء نوره واماتة نفسه وادخال
شغل عليه اذ يئسوا من اغوائه فانقلبوا خاسرين كتعرضه له في الصلوة
فاخذه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واسره ففي الصحاح قال ابو هريرة
رضي الله تعالى عنه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ان الشيطان عرض لي
قال عبد الرزاق في صورة هر فشد علي يقطع علي الصلوة فامكنني
الله تعالى منه فذعته ولقد هممت ان اوثقه الى سارية حتى تصبحوا تنظرون
اليه فذكرت قول اخي سليمان رب اغفر لي وهب لي ملكا الاية فرده الله
تعالى خاسئا وفي حديث ابي الدرداء رضي الله تعالى عنه عنه عليه الصلوة
والسلام ان عدو الله تعالى ابليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي
والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم في الصلوة وذكر تعوذه بالله تعالى منه
ولعنه له ثم اردت اخذه وذكر نحوه وقال لاصبح موثقا يتلاعب به ولدان
اهل المدينة وكذلك في حديث في الاسراء وطلب عفريت له بشعلة نار
فعلمه جبريل عليه السلام ما يتعوذ به منه ذكره في الموطأ ولما لم يقدر
على اذاه بمباشرته تسبب بالتوسط الى عداه كقضيته مع قريش في
الائتمار بقتل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وتصوره في صورة الشيخ

النجدي

النجدي ومرة اخرى في غزوة يوم بدر في صورة سراقة بن مالك وهو
قوله تعالى واذ زين لهم الشيطان اعمالهم الاية ومرة ينذر بشأنه عند
بيعة العقبة وكل هذا فقد كفاه الله تعالى امره وعصمه ضره وشره و
قد قال عليه الصلوة والسلام ان عيسى عليه السلام كفي من لمسه فجاء ليطعن
بيده في خاصرته حين ولد فطعن في الحجاب وقال صلى الله تعالى عليه وسلم
حين لد في مرضه وقيل له خشينا ان يكون بك ذات الجنب فقال
انها من الشيطان ولم يكن الله تعالى ليسلطها علي فان قيل فما معنى قوله تعالى
فاما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله الاية فقد قال
بعض المفسرين انها راجعة الى قوله واعرض عن الجاهلين ثم قال
واما ينزغنك اي يستخفنك غضب يحملك على ترك الاعراض
عنهم فاستعذ بالله وقيل النزغ هنا الفساد كما قال من بعد ان نزغ
الشيطان بيني وبين اخوتي وقيل ينزغنك يحركنك والنزغ ادنى
الوسوسة فامره الله عز وجل انه متى تحرك عليه غضب على عدوه
او رام الشيطان من اغرائه به وخواطر ادنى وساوسه ما لم يجعل له
سبيل اليه ان يستعيذ منه فيكفى امره ويكون سبب تمام عصمته صلى
الله تعالى عليه وسلم اذ لم يسلط عليه باكثر من التعرض له ولم يجعل له
قدرة عليه وقد قيل في هذه الاية غير هذا وكذلك لا يصح ان يتصور له
الشيطان في صورة الملك ويلبس عليه لا في اول الرسالة ولا بعدها
والاعتماد في ذلك دليل المعجزة بل لا يشك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
في ان ما يأتيه من الله تعالى الملك ورسوله حقيقة اما بعلم ضروري
يخلقه الله تعالى له او ببرهان يظهر لديه لتتم كلمة ربك صدقا وعدلا

لايبدل لكلماته فان قيل فما معنى قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول
ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته الاية فاعلم ان للناس في
هذه الاية اقاويل منها السهل والوعث والسمين والغث واولى ما يقال
فيها ما عليه الجمهور من المفسرين ان التمني ههنا التلاوة والقاء الشيطان
فيها اشغاله بخواطر واذكار من امور الدنيا للتالي حتى يدخل الوهم و
النسيان فيما تلاه او يدخل غير ذلك على افهام السامعين من التحريف
وسوء التاويل ما يزيله الله تعالى وينسخه ويكشف لبسه ويحكم الله تعالى
اياته وسياتي الكلام على هذه الاية بعد بأشبع من هذا ان شاء الله تعالى
وقد حكى السمرقندي انكار قول من قال بتسلط الشيطان على ملك سليمان
عليه السلام وغلبته عليه وان مثل هذا لا يصح وقد ذكرنا قصة سليمان مبينة
بين هذا ومن قال ان الجسد هو الذي ولد له وقال ابو محمد مكي في
قصة ايوب عليه السلام وقوله تعالى اني مسني الشيطان بنصب وعذاب
انه لا يجوز لاحد ان يتاول ان الشيطان هو الذي امرضه والقى الضر
في بدنه ولا يكون ذلك الا بفعل الله تعالى وامره ليبتليهم ويثيبهم قال
مكي وقد قيل ان الذي اصابه الشيطان ما وسوس به الى اهله فان
قيل فما معنى قوله تعالى عن يوشع عليه السلام وما انسانيه الا الشيطان
ان اذكره وقوله تعالى عن يوسف عليه السلام فانساه الشيطان ذكر ربه
وقول نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم حين نام عن الصلاة يوم الوادي
ان هذا واد به شيطان وقول موسى عليه السلام في وكزته هذا من عمل
الشيطان فاعلم ان هذا الكلام قد يرد في جميع هذا على مورد مستمر
كلام العرب في وصفهم كل قبيح من شخص او فعل بالشيطان او فعله كما قال

الله تعالى

الله تعالى كانه رؤوس الشياطين وقال صلى الله تعالى عليه وسلم فليقاتله
فانما هو شيطان وايضا فان قول يوشع لا يلزمنا الجواب عنه اذ لم يثبت في
ذلك الوقت نبوة مع موسى عليهما السلام قال الله تعالى واذ قال موسى لفتاه والمروي
انه انما نبئ بعد موت موسى عليهما السلام وقيل قبيل موته وقول موسى كان
قبل نبوته بدليل القران وقصة يوسف عليه السلام قد ذكر انها كانت كلها
قبل نبوته وقد قال المفسرون في قوله تعالى فانساه الشيطان ذكر ربه
قولين احدهما ان الذي انساه الشيطان ذكر ربه احد صاحبي السجن
وربه الملك اي انساه الشيطان ان يذكر للملك شان يوسف عليه السلام
وايضا فان مثل هذا من فعل الشيطان ليس فيه تسلط على يوسف عليه
السلام ويوشع بوساوس ونزغ وانما هو يشغل خواطرهما بامور
اخر وتذكيرهما من امورهما ما ينسيهما ما نسيا واما قوله صلى الله تعالى
عليه وسلم ان هذا واد به شيطان فليس فيه ذكر تسلطه عليه ولا
وسوسته له بل ان كان بمقتضى ظاهره فقد بين امر ذلك الشيطان
بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الشيطان اتى بلالا فلم يزل يهديه
كما يهدى الصبي حتى نام فاعلم ان تسلط الشيطان في ذلك الوادي انما كان
على بلال رضي الله تعالى عنه الموكل بكلاءة الفجر هذا ان جعلنا قوله صلى الله
تعالى عليه وسلم ان هذا واد به شيطان تنبيها على سبب النوم عن الصلاة
واما ان جعلناه تنبيها على سبب الرحيل من الوادي وعلة لترك
الصلاة فيه وهو دليل مساق حديث زيد بن اسلم رضي الله تعالى عنه فلا
اعتراض به في هذا الباب لبيانه وارتفاع اشكاله فصل واما
اقواله صلى الله تعالى عليه وسلم فقامت الدلائل الواضحة بصحة المعجزة

على صدقه عليه السلم واجتمعت الامة فيما كان طريقه البلاغ انه معصوم
فيه من الاخبار عن شيء منها بخلاف ما هو به لا قصدا وعمدا ولا سهوا وغلطا
اما تعمد الخلف فى ذلك فمنتف بدليل المعجزة القائمة مقام قول الله
تعالى صدق فيما قال اتفاقا وباطباق اهل الملة اجماعا واما وقوعه
على جهة الغلط فى ذلك فبهذه السبيل عند الاستاذ ابى اسحاق الاسفراينى
ومن قال بقوله ومن جهة الاجماع فقط وورود الشرع بانتفاء ذلك
وعصمة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لا من مقتضى المعجزة نفسها عند القاضى
ابى بكر الباقلانى ومن وافقه لاختلاف بينهم فى مقتضى دليل المعجزة لا نطول
بذكره فنخرج عن غرض الكتاب فلنعتمد على ما وقع عليه اجماع المسلمين انه لا يجوز
عليه خلف فى القول فى ابلاغ الشريعة والاعلام بما اخبر به عن ربه وما
اوحاه اليه من وحيه لا على وجه العمد ولا على غير عمد ولا فى حالى الرضى
والسخط والصحة والمرض وفى حديث عبد الله بن عمرو رضى الله تعالى
عنهما قلت يا رسول الله اكتب كل ما اسمع منك قال نعم قلت فى الرضى
والغضب قال نعم فانى لا اقول فى ذلك كله الا حقا ولنزد ما اشرنا اليه
من دليل المعجزة عليه بيانا فنقول اذا قامت المعجزة على صدقه صلى الله
تعالى عليه وسلم وانه لا يقول الا حقا ولا يبلغ عن الله تعالى الا صدقا وان
المعجزة قائمة مقام قول الله تعالى له صدقت فيما تذكره عنى وهو يقول انى
رسول الله اليكم لابلغكم ما ارسلت به اليكم وابين لكم ما نزل عليكم وما ينطق
عن الهوى ان هو الا وحى يوحى وقد جاءكم الرسول بالحق من ربكم وما اتاكم
الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فلا يصح ان يوجد منه فى هذا الباب
خبر بخلاف مخبره على اى وجه كان فلو جوزنا الغلط والسهو لما تميز لنا

من غيره ولا اختلط الحق بالباطل فالمعجزة مشتملة على تصديقه جملة
واحدة من غير خصوص فتنزيه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن
ذلك كله واجب برهانا واجماعا كما قاله ابو اسحاق فصل وقد توجهت
ههنا لبعض الطاعنين سؤالات منها ما روى ان النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم لما قرأ سورة والنجم وقال افرايتم اللات والعزى
ومناة الثالثة الاخرى قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتها
لترتجى ويروى ترتضى وفى رواية ان شفاعتها لترتجى وانها لمع
الغرانيق العلى وفى الاخرى والغرانقة العلى تلك الشفاعة ترتجى
فلما ختم السورة سجد وسجد معه المسلمون والكفار لما سمعوه
اثنى على الهتهم وما وقع فى بعض الروايات ان الشيطان القاها على
لسانه وان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان تمنى ان لو نزل عليه شىء
يقارب بينه وبين قومه وفى رواية اخرى الا ينزل عليه شىء ينفرهم
عنه وذكر هذه القصة وان جبريل عليه السلم جاءه فعرض عليه السورة
فلما بلغ الكلمتين قال له ما جئتك بهاتين فحزن لذلك النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم فانزل الله تعالى تسلية له وما ارسلنا من قبلك من
رسول ولا نبى الاية وقوله تعالى وان كادوا ليفتنونك الاية فاعلم
اكرمك الله تعالى ان لنا فى الكلام على مشكل هذا الحديث ماخذين
احدهما فى توهين اصله والثانى فى تسليمه اما الماخذ الاول
فيكفيك ان هذا الحديث لم يخرجه احد من اهل الصحة ولا رواه
ثقة بسند سليم متصل وانما اولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون
المولعون بكل غريب المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم وصدق

القاضي بكر بن العلا المالكي حيث قال بلي الناس ببعض اهل الاهوا والتفسير وتعلق بذلك الملحدون مع ضعف نقلته واضطراب رواياته وانقطاع اسناده واختلاف كلماته فقائل يقول انه في الصلوة واخر يقول قالها في نادي قومه حين انزلت عليه السوره واخر يقول قالها وقد اصابته سنته واخر يقول بل حدث نفسه فسها واخر يقول ان الشيطان القاها على لسانه وان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما عرضها على جبريل قال ما هكذا اقرأتك واخر يقول بل اعلمهم الشيطان ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قراها فلما بلغ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك قال والله ما هكذا انزلت الى غير ذلك من اختلاف الرواة ومن حكيت هذه الحكاية عنه من المفسرين والتابعين لم يسندها احد منهم ولا رفعها الى صاحب واكثر الطرق عنهم ضعيفة واهية والمرفوع فيه حديث شعبة عن ابي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فيما احسب الشك في الحديث ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان بمكة وذكر القصة قال ابو بكر البزار هذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم باسناد متصل يجوز ذكره الا هذا ولم يسنده عن شعبة الا امية بن خالد وغيره يرسله عن سعيد بن جبير وانما يعرف عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فقد بين لك ابو بكر رحمه الله تعالى انه لا يعرف من طريق يجوز ذكره سوى هذا وفيه من الضعف ما نبه عليه مع وقوع الشك فيه كما ذكرناه الذي لا يوثق به ولا حقيقة معه واما حديث الكلبي فما لا يجوز الرواية عنه ولا ذكره لقوة ضعفه

وكذبه

وكذبه كما اشار اليه البزار رحمه الله تعالى والذي منه في الصحيح ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قرا والنجم وهو بمكة فسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس هذا توهينه من طريق النقل فاما من جهة المعنى فقد قامت الحجة واجمعت الامة على عصمته صلى الله تعالى عليه وسلم ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة اما من تمنيه ان ينزل عليه مثل هذا من مدح الهة غير الله تعالى وهو كفر او ان يتسور عليه الشيطان ويشبه عليه القران حتى يجعل فيه ما ليس منه حتى ينبهه عليه جبريل عليهما السلم وذلك كله ممتنع في حقه صلى الله تعالى عليه وسلم او يقول ذلك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من قبل نفسه عمدا وذلك كفر او سهوا وهو معصوم من هذا كله وقد قررنا ذلك بالبرهان والاجماع عصمته صلى الله تعالى عليه وسلم من جريان الكفر على قلبه او لسانه لا عمدا ولا سهوا او ان يتشبه عليه ما يلقيه الملك مما يلقي الشيطان او يكون للشيطان عليه سبيل وان يتقول على الله تعالى لا عمدا ولا سهوا ما لم ينزل عليه وقد قال الله تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل الاية وقال الله تعالى اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات الاية ووجه ثان وهو استحالة هذه القصة نظرا او عرفا وذلك ان هذا الكلام لو كان كما روي لكان بعيد الالتيام متناقض الاقسام ممتزج المدح بالذم متخاذل التاليف والنظم ولما كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولا من بحضرته من المسلمين وصناديد قريش من المشركين ممن يخفى عليه ذلك وهذا لا يخفى على ادنى متامل فكيف بمن رجح حلمه واتسع من باب البيان ومعرفة فصيح الكلام علمه ووجه ثالث انه قد علم من عادة المنافقين ومعاندي المشركين وضعفة

ويعتقد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه (?) من القران ما ليس منه صح

القلوب والجهلة من المسلمين نفورهم لاول وهلة وتخليط العدو
على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لاقل فتنة وتعييرهم المسلمين والشماتة بهم
الفينة بعد الفينة وارتداد من في قلبه مرض ممن اظهر الاسلام لادنى
شبهة ولم يحك احد في هذه القصة شيئا سوى هذه الرواية
الضعيفة الاصل ولو كان ذلك لوجدت قريش بها على المسلمين الصولة
ولاقامت بها اليهود عليهم الحجة كما فعلوا مكابرة في قصة الاسراء حتى
كانت في ذلك لبعض الضعفاء ردة وكذلك ما روي في قصة القضية
ولا فتنة اعظم من هذه البلية لو وجدت ولا تشغيب للمعادي حينئذ
اشد من هذه الحادثة لو امكنت فما روي عن معاند فيها كلمة ولا عن
مسلم بسببها بنت شفة فدل على بطلها واجتثاث اصلها ولا شك
في ادخال بعض شياطين الانس والجن هذا الحديث على بعض مغفلي
المحدثين ليلبس به على بعض ضعفاء المسلمين ووجه رابع ذكر الرواة
لهذه القضية ان فيها نزلت وان كادوا ليفتنونك الايتين وهاتان
الايتان تردان الخبر الذي رووه لان الله تعالى ذكر انهم كادوا يفتنونه
حتى يفتري وانه تعالى لولا ان ثبته لكاد يركن اليهم فمضمون هذا ومفهومه
ان الله تعالى عصمه من ان يفتري وثبته حتى لم يركن شيئا اليهم قليلا
فكيف كثيرا وهم يروون في اخبارهم الواهية انه زاد على الركون
والافتراء بمدح الهتهم وانه قال صلى الله تعالى عليه وسلم افتريت على
الله تعالى وقلت عليه ما لم يقل وهذا ضد مفهوم الاية وهي تضعف
الحديث لو صح فكيف ولا صحة له وهذا مثل قوله في الاية الاخرى
ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم ان يضلوك

وما يضلون الا انفسهم وما يضرونك من شيء وقد روي عن
ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كل ما في القرآن كاد فهو ما لم يكن قال الله
تعالى يكاد سنا برقه يذهب بالابصار ولم تذهب واكاد اخفيها ولم
يفعل قال القشيري القاضي ولقد طالبته قريش وثقيف اذ مر
بالهتهم ان يقبل بوجهه اليها ووعدوه الايمان به ان فعل وما كان ليفعل
قال ابن الانباري ما قارب الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ولا
ركن وقد ذكرت في معنى الاية تفاسير اخر غير ما ذكرناه من نص الله
عز وجل على عصمة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ترد سخفها فلم يبق
في الاية ان الله تعالى امتن على رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم بعصمته
وتثبيته بما كاده به الكفار وراموا من فتنته ومرادنا من ذلك
كله تنزيهه وعصمته صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مفهوم الاية
واما المأخذ الثاني فهو مبني على تسليم الحديث لو صح وقد اعاذنا الله
تعالى من صحته ولكن على كل حال فقد اجاب على ذلك ائمة المسلمين
باجوبة منها الغث والسمين فمنها ما روى قتادة ومقاتل ان النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم اصابته سنة عند قراءته هذه السورة فجرى
هذا الكلام على لسانه ولا يستولي الشيطان عليه في نوم ولا يقظة
لعصمته في هذا الباب من جميع العمد والسهو وفي قول الكلبي ان النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم حدث نفسه فقال ذلك الشيطان على لسانه
وفي رواية ابن شهاب عن ابي بكر بن عبد الرحمن قال وسها فلما
اخبر بذلك قال انما ذلك من الشيطان وكل هذا لا يصح ان يقوله صلى
الله تعالى عليه وسلم لا سهوا ولا قصدا ولا يتقوله الشيطان على لسانه

بحكم النعم وهذا الاتفق اذ لا يجوز على النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم مثله في حالة من احواله ولا يخلق الله على
لسانه صح

وقيل لعل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قاله اثناء تلاوته على تقدير
التقرير والتوبيخ للكفار كقول ابراهيم عليه السلام هذا ربي على احد التأويلين
وكقوله بل فعله كبيرهم هذا بعد السكت وبيان الفصل بين الكلامين
ثم رجع الى تلاوته وهذا ممكن مع بيان الفصل وقرينة تدل على المراد
وانه ليس من المتلو وهو احد ما ذكره القاضي ابو بكر ولا يعترض
على هذا بما روي انه كان في الصلوة فقد كان الكلام فيها غير ممنوع
والذي يظهر ويترجح في تأويله عنده وعند غيره من المحققين على
تسليمه ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان كما امره ربه تبارك
وتعالى يرتل القران ترتيلا ويفصل الايات تفصيلا في قراءته كما رواه
الثقات عنه عليه الصلوة والسلام فيمكن ترصد الشيطان لتلك
السكتات ودسه فيها ما اختلقه من تلك الكلمات محاكيا نغمة
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بحيث يسمعه من دنا اليه من الكفار
فظنوها من قول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واشاعوها ولم يقدح
ذلك عند المسلمين لحفظ السورة قبل ذلك على ما انزلها الله تعالى و
تحققهم من حال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في ذم الاوثان وعيبها
ما عرف منه وقد حكى موسى بن عقبة في مغازيه نحو ذلك وقال
ان المسلمين لم يسمعوها وانما القى الشيطان ذلك في اسماع المشركين
وقلوبهم ويكون ما روي من حزن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لهذه
الاشاعة والشبهة وسبب هذه الفتنة وقد قال الله تعالى وما ارسلنا
من قبلك من رسول ولا نبي الاية فمعنى تمنى تلا قال الله تعالى لا يعلمون
الكتاب الا اماني تلاوة وقوله تعالى فينسخ الله ما يلقي الشيطان اي

ينهيه

يذهبه ويزيل اللبس به ويحكم اياته وقيل معنى الاية هو ما يقع للنبي
صلى الله تعالى عليه وسلم من السهو اذا قرأ فينتبه لذلك ويرجع عنه
وهذا نحو قول الكلبي في الاية انه حدث نفسه وقال اذا تمنى اي
حدث نفسه وفي رواية ابي بكر بن عبد الرحمن نحوه وهذا السهو
في القراءة انما يصح فيما ليس طريقه تغيير المعاني وتبديل الالفاظ وزيادة
ما ليس من القران بل السهو عن اسقاط اية منه او كلمة ولكنه لا يقر
على هذا السهو بل ينبه عليه ويذكر به للحين على ما سنذكره في حكم ما
يجوز عليه من السهو وما لا يجوز ومما يظهر في تأويله ايضا ان مجاهدا
روى هذه القصة والغرانقة العلا فان سلمنا القصة قلنا لا يبعد
ان هذا كان قرانا والمراد بالغرانقة العلى وان شفاعتهن لترتجى
الملائكة على هذه الرواية وبهذا فسر الكلبي الغرانقة انها الملائكة
وذلك ان الكفار كانوا يعتقدون الاوثان والملائكة بنات الله تعالى
عز وجل عن ذلك وكما حكى الله عز وجل عنهم ورد عليهم في هذه
السورة بقوله الحق الكم الذكر وله الانثى فانكر الله تعالى كل هذا من
قولهم ورجاء الشفاعة من الملائكة صحيح فلما تأوله المشركون على ان
المراد بهذا الذكر الهتهم ولبس عليهم الشيطان ذلك وزينه في
قلوبهم والقاه اليهم نسخ الله تعالى ما القى الشيطان واحكم اياته ورفع
تلاوة تلك اللفظتين اللتين وجد الشيطان بهما سبيلا للتلبيس
كما نسخ كثير من القران ورفعت تلاوته وكان في انزال الله تعالى لذلك
حكمة وفي نسخه حكمة ليضل به من يشاء ويهدي من يشاء وما يضل به
الا الفاسقين وليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض

والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفي شقاق بعيد وليعلم الذين
اوتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم الاية و
قيل ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما قراء هذه السورة وبلغ
ذكر اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى خاف الكفار ان ياتي
بشيء من ذمها فسبقوا الى مدحها بتلك الكلمتين ليخلطوا في تلاوة
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويشنعوا عليه على عادتهم وقولهم لا تسمعوا
لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ونسب هذا الفعل الى الشيطان
لحمله لهم عليه واشاعوا ذلك واذاعوه وان النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم قاله فحزن لذلك من كذبهم وافترائهم عليه فسلاه الله تعالى بقوله
وما ارسلنا من قبلك الاية وبين للناس الحق من ذلك من الباطل
وحفظ القرآن واحكم اياته ودفع ما لبس به العدو كما ضمنه الله تعالى
من قوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ومن ذلك ما روي
في قصة يونس عليه السلام انه وعد قومه بالعذاب عن ربه تعالى فلما تابوا
كشف الله تعالى عنهم العذاب فقال لا ارجع اليهم كذابا ابدا فذهب مغاضبا
فاعلم اكرمك الله تعالى ان ليس في خبر من الاخبار الواردة في هذا
الباب ان يونس عليه السلام قال لهم ان الله تعالى مهلككم وانما فيه انه
دعا عليهم بالهلاك والدعا ليس بخبر يطلب صدقه من كذبه لكنه قال
لهم ان العذاب مصبحكم وقت كذا وكذا فكان ذلك كما قال ثم رفع الله
تعالى عنهم العذاب وتداركهم قال الله تعالى الا قوم يونس لما امنوا
كشفنا عنهم عذاب الخزي الاية وروي في الاخبار انهم رأوا
دلائل العذاب ومخائله قاله ابن مسعود رضي الله تعالى عنه وقال

سعيد بن

سعيد بن جبير رضي الله تعالى عنه غشاهم العذاب كما يغشى الثوب
القبر فان قلت فما معنى ما روي من ان عبد الله بن ابي سرح كان يكتب
لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ارتد مشركا وصار الى قريش
فقال لهم اني كنت اصرف محمدا حيث اريد كان يملي علي عزيز حكيم
فيقول نعم كل صواب وفي حديث اخر فيقول النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم اكتب كذا فيقول اكتب كذا فيقول اكتب كيف شئت و
يقول له اكتب عليما حكيما فيقول اكتب سميعا بصيرا فيقول له كيف
شئت وفي الصحيح عن انس رضي الله تعالى عنه ان نصرانيا كان يكتب
للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعدما اسلم ثم ارتد كافرا ويقول ما يدري
محمد الا ما كتبت له فاعلم ثبتنا الله تعالى واياك على الحق ولا جعل للشيطان
وتلبيسه الحق بالباطل الينا سبيلا ان مثل هذه الحكاية اولا لا توقع
في قلب مؤمن ريبا اذ هي حكاية عمن ارتد وكفر بالله تعالى ونحن لا نقبل
خبر المسلم المتهم فكيف بكافر افترى هو ومثله على الله تعالى ورسله ما هو
اعظم من هذا والعجب لسليم العقل يشغل بمثل هذه الحكاية سره وقد
صدرت من عدو كافر مبغض للدين مفتر على الله عز وجل ورسوله
صلى الله تعالى عليه وسلم ولم ترد عن احد من المسلمين ولا ذكر احد من
الصحابة رضي الله تعالى عنهم انه شاهد ما قاله وافتراه على نبي الله صلى
الله تعالى عليه وسلم وانما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بايات الله
واولئك هم الكاذبون وما وقع من ذكرها في حديث انس رضي الله
تعالى عنه فظاهر حكايته لها فليس فيه ما يدل انه شاهدها ولعله حكى
ما سمع وقد علل البزار رحمه الله ذلك وقال رواه ثابت عنه ولم

يتابع عليه ورواه حميد عن انس رضي الله تعالى عنه قال ولا اظن حميدا
انما سمعه من ثابت قال القاضي ابو الفضل رحمه الله تعالى اعلم لم يخرج
اهل الصحيح حديث ثابت ولا حميد والصحيح حديث عبد العزيز بن رفيع
عن انس رضي الله تعالى عنه الذي خرج اهل الصحة وذكرناه وليس فيه
عن انس رضي الله تعالى عنه قول شيء من ذلك من قبل نفسه الا من حكايته
عن المرتد النصراني ولو كانت صحيحة لما كان فيها قدح ولا توهم للنبي صلى الله
تعالى عليه وسلم فيما اوحي اليه ولا جواز النسيان والغلط عليه والتحريف
فيما بلغه ولا طعن في نظم القرآن وانه من عند الله تعالى اذ ليس فيه لو صح
اكثر من ان الكاتب قال له عليم حكيم او كتبه فقال له النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم كذلك هو فسبقه لسانه او قلمه لكلمة او كلمتين مما نزل على الرسول
صلى الله تعالى عليه وسلم قبل اظهار الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم
لها اذ كان ما تقدم مما املاه الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم يدل عليها
ويقتضي وقوعها بقوة قدرة الكاتب على الكلام ومعرفته به وجودة
حسه وفطنته كما يتفق ذلك للعارف اذا سمع البيت ان يسبق
الى قافيته او مبتدأ الكلام الحسن الى ما يتم به ولا يتفق ذلك
في جملة الكلام كما لا يتفق ذلك في آية ولا سورة وكذلك قوله
عليه الصلوة والسلام ان صح كل صواب فقد يكون هذا فيما كان فيه من
مقاطع الآيات وجهان وقراءتان انزلتا جميعا على النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم فاملى احداهما وتوصل الكاتب بفطنته ومعرفته
بمقتضى الكلام الى الاخرى قبل ذكر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
كما قدمناه فصوبها له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثم احكم الله تعالى

من ذلك ما احكم ونسخ ما نسخ كما قد وجد ذلك في بعض مقاطع الآي
مثل قوله تعالى ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز
الحكيم وهذه قراءة الجمهور وقد قرأ جماعة فانك انت الغفور الرحيم
وليست من المصحف وكذلك كلمات جاءت على وجهين في غير المقاطع
قرأ بهما معا الجمهور وثبتتا في المصحف مثل قوله تعالى وانظر الى العظام كيف
ننشزها وننشرها ويقص الحق ويقض الحق وكل هذا لا يوجب ريبا
ولا يسبب للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم غلطا ولا وهما وقد قيل ان هذا
يحتمل ان يكون فيما يكتبه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الى الناس غير القرآن
فيصف الله تعالى ويسميه في ذلك كيف شاء فصل هذا القول فيما
طريقه البلاغ واما ما ليس سبيله سبيل البلاغ من الاخبار التي
لا مستند لها الى الاحكام ولا اخبار المعاد ولا تضاف الى وحي
بل في امور الدنيا واحوال نفسه فالذي يجب اعتقاد تنزيه النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم عن ان يقع خبره في شيء من ذلك بخلاف مخبره لا عمدا
ولا سهوا ولا غلطا وانه معصوم من ذلك في حال رضاه وفي حال سخطه
وجده ومزحه وصحته ومرضه ودليل ذلك اتفاق السلف واجماعهم
عليه وذلك انا نعلم من دين الصحابة عليهم رضوان الله تعالى وعادتهم
مبادرتهم الى تصديق جميع اقواله والثقة بجميع اخباره في اي باب كانت
وعن اي شيء وقعت وانه لم يكن لهم توقف ولا تردد في شيء منها ولا استثبات
عن حاله عند ذلك هل وقع فيها سهو ام لا ولما احتج ابن ابي الحقيق
اليهودي على عمر رضي الله تعالى عنه حين اجلاهم من خيبر باقرار رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم لهم واحتج عليه عمر رضي الله تعالى عنه بقوله صلى الله

تعالى عليه وسلم كيف بك اذا اخرجت من خيبر فقال اليهودى كانت هذه له
من ابى القاسم فقال عمر رضى الله تعالى عنه كذبت يا عدو الله وايضا فان
اخباره وآثاره وسيره وشمائله معتنى بها مستقصى تفاصيلها ولم يرد
فى شىء منها استداركه عليه الصلوة والسلام لغلط فى قول قاله او اعترافه
بوهم فى شىء اخبر به ولو كان ذلك لنقل كما نقل من قصته عليه السلام
رجوعه عما اشار به على الانصار فى تلقيح النخل وكان ذلك رايا لا خبرا وغير
ذلك من الامور التى ليست من هذا الباب كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم
انى والله لا احلف على يمين فارى غيرها خيرا منها الا فعلت الذى حلفت عليه
وكفرت عن يمينى وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم انكم تختصمون الى الحديث
وقوله عليه السلام اسق يا زبير حتى يبلغ الماء الجدر كما سنبين كل ما فى
هذا من مشكل فى هذا الباب والذى بعده ان شاء الله تعالى مع اشباهها
وايضا فان الكذب متى عرف من احد فى شىء من الاخبار بخلاف ما هو
على اى وجه كان استريب بخبره واتهم فى حديثه ولم يقع قوله فى النفوس
موقعا ولهذا ما ترك المحدثون والعلماء الحديث عمن عرف بالوهم والغفلة
وسوء الحفظ وكثرة الغلط مع ثقته وايضا فان تعمد الكذب فى
امور الدنيا معصية والاكثار منه كبيرة باجماع مسقط للمروة وكل
هذا مما ينزه عنه منصب النبوة والمرة الواحدة منه فيما يستبشع و
يشنع مما يخل بصاحبها ويزرى بقائله لاحقة بذلك واما فيما لا يقع
هذا الموقع فان عددناها من الصغائر فهل تجرى على حكمها فى الخلاف فيها
مختلف فيه والصواب تنزيه النبوة عن قليله وكثيره سهوه وعمده اذ عمدة
النبوة البلاغ والاعلام والتبيين وتصديق ما جاء به النبى صلى الله تعالى

عليه

عليه وسلم وتجويز شىء من هذا قادح فى ذلك ومشكك فيه مناقض
للمعجزة فلنقطع عن يقين بانه لا يجوز على الانبياء عليهم السلام خلف فى القول
فى وجه من الوجوه لا بقصد ولا بغير قصد ولانه سامح مع تسامح فى تجويز
ذلك عليهم حال السهو فيما ليس طريقه البلاغ نعم وبانه لا يجوز عليهم
الكذب قبل النبوة ولا الاتسام به فى امورهم واحوال دنياهم لان ذلك
يزرى ويريب بهم وينفر القلوب عن تصديقهم بعد وانظر احوال
اهل عصر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من قريش وغيرها من الامم و
سؤالهم عن حاله فى صدق لسانه وما عرفوا به من ذلك واعترافهم به مما
عرف واتفق اهل النقل على عصمة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم منه قبل
وبعد وقد ذكرنا من الآثار فيه فى الباب الثانى اول الكتاب ما يبين لك
صحة ما اشرنا اليه فصل فان قلت فما معنى قوله عليه الصلوة والسلام فى حديث
السهو الذى حدثنا به الفقيه ابو اسحاق ابراهيم بن جعفر قال حدثنا
القاضى ابو الاصبغ بن سهل قال حدثنا حاتم بن محمد حدثنا ابو عبد الله بن
الفخار حدثنا ابو عيسى حدثنا عبد الله حدثنا يحيى عن مالك عن داود
بن الحصين عن ابى سفيان مولى بن ابى احمد انه قال سمعت ابا هريرة رضى
الله تعالى عنه يقول صلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كل ذلك لم
يكن وفى الرواية الاخرى ما قصرت الصلوة وما نسيت الحديث
بقصته فاخبر عليه الصلوة والسلام بنفى الحالتين وانهما لم تكونا وقد كان
احد ذلك كما قال له ذو اليدين قد كان بعض ذلك يا رسول الله فاعلم
وفقنا الله تعالى واياك ان للعلماء فى ذلك اجوبة بعضها بصدد الانصاف
ومنها ما هو بنية التعسف والاعتساف وها انا اقول اما على القول

صلوة العصر فسلم فى ركعتين فقام ذو اليدين فقال يا رسول الله اقصرت الصلوة ام نسيت فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صح صح

تجويز الوهم والغلط فيما ليس طريقه من القول البلاغ وهو الذي زيفناه من القولين فلا اعتراض بهذا الحديث وشبهه واما على مذهب من منع السهو والنسيان في افعاله جملة ويرى انه في مثل هذا عامد بصورة النسيان ليسن فهو صادق في خبره لانه لم ينس ولا قصرت ولكنه على هذا القول تعمد هذا الفعل في هذه الصورة ليسنه لمن اعتراه مثله وهو قول مرغوب عنه نذكره في موضعه واما على احالة السهو عليه في الاقوال وتجويز السهو عليه فيما ليس طريقه القول كما سنذكره ففيه اجوبة منها ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اخبر عن اعتقاده وضميره اما انكار القصر فحق وصدق باطنا وظاهرا واما النسيان فاخبر صلى الله تعالى عليه وسلم عن اعتقاده وانه لم ينس في ظنه فكانه قصد الخبر بهذا وان لم ينطق به وهذا صدق ايضا ووجه ثان ان قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لم انس راجع الى السلام اى انى سلمت قصدا وسهوت عن العدد اى لم انس في السلام وهذا محتمل وفيه بعد ووجه ثالث وهو ابعدها ما ذهب اليه بعضهم وان احتمله اللفظ من قوله كل ذلك لم يكن اى لم يجتمع القصر والنسيان بل كان احدهما ومفهوم اللفظ خلافه مع الرواية الاخرى الصحيحة وهو قوله عليه الصلوة والسلام ما قصرت الصلوة وما نسيت هذا ما رايت فيه لائمتنا وكل من هذه الوجوه محتمل اللفظ على بعد بعضها وتعسف الاخر منها قال القاضي ابو الفضل رحمه الله تعالى والذي اقول ويظهر لي انه اقرب من هذه الوجوه كلها ان قوله لم انس انكار للفظ الذي نفاه عن نفسه وانكره على غيره بقوله بئسما لاحدكم ان يقول نسيت آية كذا وكذا ولكنه نسي وبقوله في بعض روايات

الحديث

الحديث الاخرى لست انسى ولكن انسى فلما قال له السائل اقصرت الصلوة ام نسيت انكر قصرها كما كان ونسيانه هو من قبل نفسه وانه ان كان جرى شيء من ذلك فقد نسي حتى سال غيره فتحقق انه نسي واجرى عليه ذلك ليسن فقوله عليه الصلوة والسلام على هذا لم انس ولم تقصر وكل ذلك لم يكن صدق وحق لم تقصر ولم ينس حقيقة ولكنه نسي ووجه اخرى استثرته من كلام بعض المشايخ وذلك انه قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان يسهو ولا ينسى ولذلك نفى عن نفسه النسيان قال لان النسيان غفلة وآفة والسهو انما هو شغل قال فكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يسهو في صلوته ولا يغفل عنها وكان يشغله حركات الصلوة ما في الصلوة شغلا بها لا غفلة عنها فهذا ان تحقق على هذا المعنى لم يكن في قوله ما قصرت ولا نسيت خلف وعندي ان قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ما قصرت ولا نسيت بمعنى الترك الذي هو احد وجهي النسيان اراد والله تعالى اعلم انى لم اسلم من ركعتين تاركا لاكمال الصلوة ولكني نسيت ولم يكن ذلك من تلقاء نفسي والدليل على ذلك قوله في الحديث الصحيح انى لا انسى وانسى لاسن واما قصة كلمات ابرهيم عليه الصلوة والسلام المذكورة في الحديث انها كذبات ثلث المنصوصة في القران منها اثنتان قوله انى سقيم وبل فعله كبيرهم هذا وقوله للملك عن زوجته انها اختي فاعلم اكرمك الله تعالى ان هذه كلها خارجة عن الكذب لا في القصد ولا في غيره وهي داخلة في باب المعاريض التي فيها مندوحة عن الكذب اما قوله انى سقيم فقال الحسن معناه سقيم اى ان كل مخلوق معرض لذلك فاعتذر لقومه للخروج معهم الى عيدهم

بهذا وقيل بل سقيم بما قدر علي من الموت وقيل بل سقيم القلب بما اشاهده
من كفركم وعنادكم وقيل بل كانت الحمى تأخذه عند طلوع نجم معلوم فقال
له اعتذر بعادته وكل هذا ليس فيه كذب بل هو صحيح صدق وقيل
بل عرض بسقم حجته عليهم وضعفت مما اراد بيانه لهم من جهة النجوم التى
كانوا يشتغلون بها وانه اثناء نظره فى ذلك وقيل استقامة حجته
عليهم فى حال سقم ومرض حال مع انه لم يشك هو ولا ضعف ايمانه ولكنه
ضعف فى استدلاله عليهم وسقم نظره كما يقال حجة سقيمة ونظر معلول
حتى الهمه الله تعالى باستدلاله وصحة حجته عليهم بالكواكب والقمر والشمس
ما نصه الله تعالى وقد مننا بيانه واما قوله بل فعله كبيرهم هذا الاية فانه
عليه السلام علق خبره بشرط نطقه كانه قال ان كان ينطق فهو فعله على
طريق التبكيت لقومه وهذا اصدق ايضا ولا خلف فيه واما قوله
اختى بين فى الحديث وقال فانك اختى فى الاسلام وهو صدق والله تعالى
يقول انما المؤمنون اخوة فان قلت فهذا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قد سماها
كذبات وقال لم يكذب ابراهيم عليه السلام الا ثلث كذبات وقال فى حديث
الشفاعة ويذكر كذباته فمعناه انه لم يتكلم بكلام صورته صورة الكذب
وان كان حقا فى الباطن الا هذه الكلمات ولما كان مفهوم ظاهرها خلاف
باطنها اشفق ابراهيم عليه الصلوة والسلام بمؤاخذته بها واما كان النبى صلى
الله تعالى عليه وسلم اذا اراد غزوة ورى بغيرها فليس فيه خلف فى القول
انما هو ستر مقصده لئلا يأخذ عدوه حذره فكتم وجه ذهابه بذكر
السؤال عن موضع اخر والبحث عن اخباره والتعريض بذكره لانه يقول
تجهزوا الى غزوة كذا او وجهتنا الى موضع كذا اخلوف مقصده لهذا

لم يكن

لم يكن والاول ليس فيه خبر يدخله الخلف فان قلت فما معنى قول موسى
صلى الله تعالى عليه وسلم وقد سئل اى الناس اعلم فقال انا اعلم فعتب الله
تعالى عليه ذلك اذ لم يرد العلم اليه الحديث وفيه قال بلى عبد لنا بمجمع البحرين
اعلم منك وهذا خبر قد انبانا الله تعالى انه ليس كذلك فاعلم انه وقع فى
هذا الحديث من بعض طرقه الصحيحة عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال
هل تعلم احدا اعلم منك فاذا كان جوابه على علمه فهو خبر حق وصدق
ولا خلف فيه ولا شبهة وعلى الطريق الاخر فمحمله على ظنه عليه السلام و
معتقده كما لو صرح به لان حاله فى النبوة والاصطفاء تقتضى ذلك فيكون
اخباره بذلك ايضا عن اعتقاده وحسبانه صدقا لا خلف فيه وقد
يريد بقوله انا اعلم بما تقتضيه وظائف النبوة من علوم التوحيد وامور
الشريعة وسياسة الامة ويكون الخضر عليه السلام اعلم منه بامور اخر
مما لا يعلم احد الا باعلام الله تعالى من علوم غيبه كالقصص المذكورة
فى خبرهما فكان موسى عليه السلام اعلم على الجملة بما تقدم وهذا اعلم على
الخصوص بما اعلم ويدل عليه قوله تعالى وعلمناه من لدنا علما وعتب الله
تعالى ذلك عليه فيما قاله العلماء انكار هذا القول عليه لانه لم يرد العلم
اليه كما قالت الملائكة لا علم لنا الا ما علمتنا او لانه لم يرض قوله شرعا
وذلك والله تعالى اعلم لئلا يقتدى به فيه من لم يبلغ كماله فى تزكية
نفسه وعلو درجته من امته فيهلك لما تضمنه من مدح الانسان
نفسه ويورثه ذلك من الكبر والعجب والتعاطى والدعوى وان نزه
عن هذه الرذائل الانبياء عليهم السلام فغيرهم بمدرجة سبيلها ودرك
ليلها الا من عصمه الله تعالى فالتحفظ منها اولى لنفسه وليقتدى به ولهذا

قال عليه السلم تحفظا من مثل هذا مما قد علم به انا سيد ولد ادم ولا فخر
وهذا الحديث احدى حجج القائلين بنبوة الخضر عليه السلم من موسى عليه السلم
ولا يكون الولي اعلم من النبي واما الانبياء عليهم السلم فيتفاضلون
في المعارف وبقوله وما فعلته عن امري فدل انه بوحي ومن قال انه
ليس بنبي قال يحتمل ان يكون فعله بامر نبي اخر وهذا يضعف لانه ما علمنا
كان في زمن موسى عليه السلم نبي غيره الا اخاه هارون وما نقل احد
من اهل الاخبار في ذلك شيء يعول عليه واذا جعلنا اعلم منك ليس
على العموم وانما هو على الخصوص وفي قضايا معينة لم يحتج الى اثبات
نبوة خضر ولهذا قال بعض الشيوخ كان موسى عليه السلم اعلم من الخضر
فيما اخذ عن الله تعالى والخضر اعلم فيما دفع اليه من موسى عليه السلم وقال
اخر انما الجئ موسى الى الخضر عليهما السلام للتاديب لا للتعليم فصل
واما ما يتعلق بالجوارح من الاعمال ولا يخرج من جملتها القول باللسان
فيما عدا الخبر الذي وقع فيه الكلام ولا الاعتقاد بالقلب فيما عدا
التوحيد وما قدمناه من معارفه المختصة به فاجمع المسلمون على عصمة
الانبياء عليهم السلم من الفواحش والكبائر الموبقات ومستند الجمهور
في ذلك الاجماع الذي ذكرناه وهو مذهب القاضي ابي بكر ومنعها
غيره بدليل العقل مع الاجماع وهو قول الكافة واختاره الاستاذ
ابو اسحاق وكذلك لا خلاف انهم معصومون من كتمان الرسالة
والتقصير في التبليغ لان كل ذلك يقتضي العصمة منه المعجزة مع الاجماع
على ذلك من الكافة والجمهور قائل بانهم معصومون من ذلك من قبل الله
تعالى معتصمون باختيارهم وكسبهم الا حسينا النجار فانه قال لا قدرة لهم

على المعاصي

على المعاصي اصلا واما الصغائر فجوزها جماعة من السلف وغيرهم
على الانبياء عليهم السلم وهو مذهب ابي جعفر الطبري وغيره من الفقهاء
والمحدثين والمتكلمين وسنورد بعد هذا ما احتجوا به وذهب طائفة
اخرى الى الوقف قالوا العقل لا يحيل وقوعها منهم ولم يات في الشرع قاطع
باحد الوجهين وذهب طائفة اخرى من المحققين من الفقهاء والمتكلمين
الى عصمتهم من الصغائر كعصمتهم من الكبائر قالوا لاختلاف الناس في
الصغائر وتعيينها من الكبائر واشكال ذلك وقول ابن عباس وغيره رضي
الله تعالى عنهم ان كل ما عصي الله تعالى به الى ما هو اكبر منه ومخالفة الباري
سبحانه في اي امر كان يوجب كونه كبيرة وقال القاضي ابو محمد عبد الوهاب
لا يمكن ان يقال و في معاصي الله تعالى صغيرة الا على معنى انها تغتفر باجتناب
الكبائر ولا يكون لها حكم مع ذلك بخلاف الكبائر اذا لم يتب منها فلا يحبطها
شيء والمشيئة في العفو عنها الى الله تعالى وهو قول القاضي ابي بكر وجماعة
ائمة الاشعرية وكثير من ائمة الفقهاء وقال بعض ائمتنا ولا يجب على
القولين ان يختلف انهم معصومون عن تكرار الصغائر وكثرتها اذ يلحقها
ذلك بالكبائر ولا في صغيرة ادت الى ازالة الحشمة واسقطت المروة
واوجبت الازراء والخساسة فهذا ايضا مما يعصم عنه الانبياء عليهم
السلام اجماعا لان مثل هذا يحط منصب المتسم به ويزري بصاحبه
وينفر القلوب عنه والانبياء عليهم السلم منزهون عن ذلك بل يلحق بهذا
ما كان من قبيل المباح فادى الى مثله لخروجه بما ادى اليه عن اسم
المباح الى الحظر وقد ذهب بعضهم الى عصمتهم من مواقعة المكروه قصدا
وقد استدل بعض الائمة على عصمتهم من الصغائر بالمصير الى امتثال

افعالهم واتباع اثارهم وسيرهم مطلقا وجمهور الفقهاء على ذلك
من اصحاب مالك والشافعي وابي حنيفة رحمهم الله تعالى من غير التزام
قرينة بل مطلقا عند بعضهم وان اختلفوا في حكم ذلك وحكى ابن
خويز منداد وابو الفرج عن مالك رحمهما الله تعالى التزام ذلك وجوبا
وهو قول الابهري وابن القصار واكثر اصحابنا وقول اكثر اهل العراق وابن
سريج والاصطخري وابن خيران من الشافعية واكثر الشافعية على ان
ذلك ندب وذهب طائفة الى الاباحة وقيد بعضهم الاتباع فيما
كان من الامور الدينية وعلم به مقصد القربة ومن قال بالاباحة
في افعاله لم يقيد قال فلو جوزنا عليهم الصغائر لم يكن الاقتداء بهم
في افعالهم اذ ليس كل فعل من افعالهم يتميز مقصده به من القربة او الاباحة
او الحظر والمعصية ولا يصح ان يؤمر المرء بامتثال امر لعله معصية
لا سيما على من يرى تقديم الفعل على القول اذا تعارضا من الاصوليين
ونزيد هذا حجة بان نقول من جوز الصغائر ومن نفاها عن نبينا
صلى الله تعالى عليه وسلم مجمعون على انه لا يقر على منكر من قول او فعل
وانه متى راى شيئا فسكت عنه صلى الله تعالى عليه وسلم دل على
جوازه فكيف يكون هذا حاله في حق غيره ثم يجوز وقوعه منه في
نفسه وعلى هذا المأخذ تجب عصمتهم من مواقعة المكروه كما قيل
اذ الحظر او الندب على الاقتداء بفعله ينافي الزجر والنهي عن فعل
المكروه وايضا فقد علم من دين الصحابة رضي الله تعالى عنهم قطعا
الاقتداء بافعال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كيف توجهت وفي كل
فن كالاقتداء باقواله فقد نبذوا خواتيمهم حين نبذ خاتمه وخلعوا

نعالهم حين

نعالهم حين خلع نعله واحتجاجهم برؤية ابن عمر رضي الله تعالى عنهما
اياه جالسا لقضاء حاجته مستقبلا بيت المقدس واحتج غير واحد منهم
في غير شيء مما بابه العبادة او العادة بقوله رايت رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم يفعله وقال صلى الله تعالى عليه وسلم هلا خبرتيها اني اقبل
وانا صائم وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها محتجة كنت افعله انا ورسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم وغضب عليه السلام على الذي اخبر بمثل عنه
فقال يحل الله تعالى لرسوله ما يشاء وقال اني لاخشاكم لله تعالى
واعلمكم بحدوده والاثار في هذا اعظم من ان نحيط عليها لكنه يعلم
من مجموعها على القطع اتباعهم افعاله واقتداؤهم بها ولو جوزوا
عليه المخالفة في شيء منها لما اتسق هذا ولنقل عنهم وظهر بحثهم عن
ذلك ولما انكر عليه السلام على الاخر قوله واعتذاره بما ذكرناه واما
المباحات فجائز وقوعها منهم اذ ليس فيها قدح بل هي مأذون فيها
وايديهم كايدي غيرهم مسلطة عليها الا انهم بما خصوا به من رفيع المنزلة
وشرحت له صدورهم من انوار المعرفة واصطفوا به من تعلق بالهم
بالله تعالى والدار الاخرة لا يأخذون من المباحات الا الضرورات
مما يتقوون على سلوك طريقهم وصلاح دينهم وضرورة دنياهم وما اخذ
على هذا السبيل التحق طاعة وصار قربة كما بينا منه اول الكتاب طرفا
في خصال نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فبان لك عظيم فضل الله تعالى
وعلى سائر انبيائه عليهم السلام بان جعل افعالهم قربات وطاعات بعيدة
عن وجه المخالفة ورسم المعصية فصل وقد اختلف في عصمتهم
من المعاصي قبل النبوة فمنعها قوم وجوزها اخرون والصحيح ان شاء الله

تعالى تنزيههم من كل عيب ومعصية وعصمتهم من كل ما يوجب الريب
كيف والمسئلة تصورها كالممتنع فان الاقتضا والنواهي انما تكون بعد تقرر
الشرع وقد اختلف الناس في حال نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم قبل
ان يوحى اليه هل كان متبعا لشرع قبله ام لا فقال جماعة لم يكن متبعا
لشيء وهذا قول الجمهور فالمعاصي على هذا القول غير موجودة ولا معتبرة
في حقه حينئذ اذ الاحكام الشرعية انما تتعلق بالاوامر والنواهي
وتقرر الشريعة ثم اختلف حجج القائلين بهذه المقالة عليها فذهب
سيف السنة ومقتدى فرق الامة القاضي ابو بكر الى ان طريق العلم بذلك
النقل وموارد الخبر من طريق السمع وحجته انه لو كان ذلك لنقل ولما
امكن كتمه وستره في العادة اذ كان من مهم امره واولى ما اهتبل به من
سيرته ولفخر به اهل تلك الشريعة ولاحتجوا به عليه ولم يؤثر شيء من
ذلك جملة وذهبت طائفة الى امتناع ذلك عقلا قالوا لانه يبعد
ان يكون متبوعا من عرف تابعا وبنوا هذا على التحسين والتقبيح وهي طريقة غير
سديدة واستناد ذلك الى النقل كما تقدم للقاضي ابي بكر اولى واظهر
وقالت فرقة اخرى بالوقف في امره عليه السلام وترك قطع الحكم عليه بشيء
في ذلك اذ لم يحل الوجهين منهما العقل ولا استبان عندها في احدها
طريق النقل وهو مذهب ابي المعالي وقالت فرقة ثالثة انه كان
عاملا بشرع من قبله ثم اختلفوا هل يتعين ذلك الشرع ام لا فوقف
بعضهم عن تعيينه واحجم وجسر بعضهم على التعيين وصمم ثم اختلفت
هذه المعينة فيمن كان يتبع فقيل نوح عليه السلام وقيل ابراهيم عليه السلام
وقيل موسى عليه السلام وقيل عيسى عليه السلام صلوات الله تعالى على نبينا وعليهم

اجمعين فهذه جملة المذاهب في هذه المسئلة والاظهر فيها ما ذهب اليه
القاضي ابو بكر وابعدها مذاهب المعينين اذ لو كان بشيء من ذلك لنقل كما قدمنا
ولم يخف جملة ولا حجة لهم في ان عيسى عليه السلام اخر الانبياء عليهم السلام فلزمت
شريعته من جاء بعدها اذ لم يثبت عموم دعوة عيسى عليه السلام بل الصحيح انه لم
يكن لنبي دعوة عامة الا لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ولا حجة ايضا
للآخر في قوله تعالى ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وللآخر في قوله تعالى شرع لكم
من الدين ما وصى به نوحا فتحمل هذه الاية على اتباعهم في التوحيد كقوله تعالى
اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقد سمى الله تعالى من لم يبعث
ولم يكن له شريعة تخصه كيوسف بن يعقوب عليهما السلام على قول من
يقول انه ليس برسول وقد سمى الله عز وجل جماعة منهم في هذه الاية
شرائعهم مختلفة لا يمكن الجمع بينها فدل ان المراد ما اجمعوا عليه من التوحيد
وعبادة الله تعالى وبعد هذا فهل يلزم من قال بمنع الاتباع هذا القول في
سائر الانبياء عليهم السلام غير نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم او يخالفون
بينهم اما من منع الاتباع عقلا فيطرد اصله في كل رسول بلا مرية
واما من قال الى النقل فاين ما تصور له وتقرر اتبعه ومن قال بالوقف
فعلى اصله ومن قال بوجوب الاتباع لمن قبله يلتزم بمساق حجته في كل نبي
فصل هذا حكم ما يكون المخالفة فيه من الاعمال عن قصد وهو ما يسمى
معصية ويدخل تحت التكليف واما ما يكون بغير قصد وتعمد كالسهو
والنسيان في الوظائف الشرعية مما تقرر الشرع بعدم تعلق الخطاب به
وترك المؤاخذة عليه فاحوال الانبياء عليهم السلام في ترك المؤاخذة به
وكونه ليس بمعصية لهم مع اممهم سواء ثم ذلك على نوعين ما طريقه البلاغ

وتقرير الشرع وتعلق الاحكام وتعليم الامة بالفعل واخذهم باتباعه
فيه وما هو خارج عن هذا مما يختص بنفسه اما الاول فحكمه عند جماعة
من العلماء حكم السهو في القول في هذا الباب وقد ذكرنا الاتفاق على
امتناع ذلك في حق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعصمته من جوازه
عليه قصدا او سهوا فكذلك قالوا الافعال في هذا الباب لا يجوز طرو المخالفة
فيها لا عمدا ولا سهوا لانها بمعنى القول من جهة التبليغ والاداء وطرو
هذه العوارض عليها يوجب التشكيك وتسبب المطاعن واعتذروا عن
احاديث السهو بتوجيهات نذكرها بعد هذا والى هذا قال ابو اسحاق وذهب
الاكثر من الفقهاء والمتكلمين الى ان المخالفة في الافعال البلاغية والاحكام
الشرعية سهوا وعن غير قصد منه جائز عليه كما تقرر من احاديث السهو
في الصلوة وفرقوا بين ذلك وبين الاقوال البلاغية لقيام المعجزة على الصدق
في القول ومخالفة ذلك تناقضها واما السهو في الافعال فغير مناقض لها
ولا قادح في النبوة بل غلطات الفعل وغفلات القلب من سمات البشر كما قال
عليه الصلوة والسلام انما انا بشر انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني نعم
بل حالة النسيان والسهو هنا في حقه عليه الصلوة والسلام سبب افادة علم و
وتقرير شرع كما قال عليه الصلوة والسلام اني لا انسى او نسى لاسن بل قد روي
لست انسى ولكن انسى لاسن وهذه الحالة زيادة له في التبليغ وتمام
عليه في النعمة بعيدة عن سمات النقص واعراض الطعن فان القائلين
بتجويز ذلك يشترطون ان الرسل عليهم السلام لا تقر على السهو والغلط بل
ينبهون عليه ويعرفون حكمه بالفور على قول بعضهم وهو الصحيح وقيل انقراضهم
على قول الاخرين واما ما ليس طريقه البلاغ ولا بيان الاحكام من افعاله

عليه الصلوة

عليه الصلوة والسلام وما يختص به من امور دينه واذكار قلبه مما لم يفعله
ليتبع فيه فالاكثر من طبقات علماء الامة على جواز السهو والغلط عليه فيها
ولحوق الفترات والغفلات بقلبه وذلك بما كلفه مقاساة الخلق و
سياسات الامة ومعاناة الاهل وملاحظة الاعداء ولكن ليس على
التكرار ولا الاتصال بل على سبيل الندور كما قال عليه الصلوة والسلام انه
ليغان على قلبي فاستغفر الله وليس في هذا شيء يحط من رتبته ويناقض
معجزته وذهب طائفة الى منع السهو والنسيان والغفلات والفترات
في حقه عليه الصلوة والسلام جملة وهو مذهب جماعة المتصوفة واصحاب
علم القلوب والمقامات ولهم في هذه الاحاديث مذاهب نذكرها بعد هذا
ان شاء الله تعالى فصل في الكلام على الاحاديث المذكور فيها السهو
منه عليه الصلوة والسلام قد قدمنا في الفصول قبل هذا ما يجوز عليه السهو
وما يمتنع واحلناه في الاخبار جملة وفي الاقوال الدينية قطعا واجزنا
وقوعه في الافعال الدينية على الوجه الذي رتبناه واشرنا الى ما ورد
في ذلك ونحن نبسط القول فيه الصحيح من الاحاديث الواردة في سهوه
عليه الصلوة والسلام في الصلوة ثلثة احاديث اولها حديث ذي اليدين
في السلام من اثنتين والثاني حديث ابن بحينة في القيام من اثنتين
وهنا حديث ابن مسعود رضي الله تعالى عنهما ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
صلى الظهر خمسا وهذه الاحاديث مبنية على السهو في الفعل الذي قررناه
وحكمة الله تعالى فيه ليستن به اذ البلاغ بالفعل اجلى منه بالقول وارفع
للاحتمال وشرطه انه لا يقر على هذا السهو بل يشعر به ليرتفع الالتباس
وتظهر فائدة الحكمة فيه كما قدمناه وان النسيان والسهو في الفعل

في حقه عليه الصلاة والسلام غير مضاد للمعجزة ولا قادح في التصديق وقد
قال عليه الصلاة والسلام انما انا بشر انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني
وقال عليه الصلاة والسلام رحم الله فلانا لقد اذكرني كذا وكذا اية كنت اسقطتهن
ويروى انسيتهن وقال عليه الصلاة والسلام اني لانسى او انسى لاسن
قيل هذا اللفظ شك من الراوي وقد روي اني لا انسى ولكن
انسى لاسن وذهب ابن نافع وعيسى بن دينار الى انه ليس بشك
وان معناه التقسيم اي انسى انا او ينسيني الله تعالى قال القاضي ابو الوليد
الباجي يحتمل ما قالاه ان يريد اني انسى في اليقظة وانسى في النوم او انسى
على سبيل عادة البشر من الذهول عن الشيء والسهو او انسى مع اقبالي
عليه وتفرغي له فاضاف احد النسيانين الى نفسه اذ كان له بعض
السبب فيه ونفى الاخر عن نفسه اذ هو كالمضطر وذهبت طائفة
من اصحاب المعاني والكلام على الحديث الى ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
كان يسهو في الصلوة ولا ينسى لان النسيان ذهول وغفلة وآفة
قال والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم منزه عنها والسهو شغل فكان
عليه الصلاة والسلام يسهو في صلوته ويشغله عن حركات الصلوة ما في
الصلوة شغلا بها لا غفلة عنها واحتج بقوله في الرواية الاخرى اني
لا انسى وذهبت طائفة الى منع هذا كله عنه عليه الصلاة والسلام وقالوا
ان سهوه عليه السلام كان عمدا وقصدا ليسن وهذا قول مرغوب عنه
متناقض المقاصد لا يحلى منه بطائل لانه كيف يكون متعمدا ساهيا
في حال ولا حجة لهم في قولهم انه امر بتعمد صورة النسيان ليسن لقوله
اني لانسى او انسى فقد اثبت احد الوصفين ونفى مناقضة التعمد

والقصد

والقصد وقال انما انا بشر مثلكم انسى كما تنسون وقد مال الى هذا
عظيم من المحققين من ائمتنا وهو ابو المظفر الاسفرائني ولم يرتضه غيره منهم ولا
ارتضيه ولا حجة لهاتين الطائفتين في قوله عليه الصلاة والسلام اني لا انسى
ولكن انسى اذ ليس فيه نفي حكم النسيان بالجملة وانما فيه نفي وكراهة لقبه
كقوله بئسما لاحدكم ان يقول نسيت اية كذا ولكنه نسي او نفي الغفلة
وقلة الاهتمام بامر الصلوة عن قلبه لكن شغل بها عنها ونسي بعضها
ببعضها كما ترك الصلوة يوم الخندق حتى خرج وقتها وشغل بالتحرز من
العدو عنها فشغل بطاعة عن طاعة وقيل ان الذي ترك يوم الخندق
اربع صلوات الظهر والعصر والمغرب والعشاء وبه احتج من ذهب الى
جواز تاخير الصلوة في الخوف اذا لم يتمكن من ادائها الى وقت الامن وهو
مذهب الشاميين والصحيح ان حكم صلوة الخوف كان بعد هذا فهو ناسخ له
فان قلت فما تقول في نومه عليه الصلاة والسلام عن الصلوة يوم الوادي
وقد قال عليه الصلاة والسلام ان عيني تنامان ولا ينام قلبي فاعلم ان
للعلماء في ذلك اجوبة منها ان المراد بان هذا حكم قلبه عند نومه وعينيه
في غالب الاوقات وقد يندر منه غير ذلك كما يندر من غيره خلاف عادته
ويصحح هذا التاويل قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث نفسه ان الله تعالى
قبض ارواحنا وقول بلال رضي الله تعالى عنه فيه ما القيت علي نومة
مثلها قط ولكن مثل هذا انما يكون منه لامر يريده الله تعالى من اثبات
حكم وتاسيس سنة واظهار شرع كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم في
الحديث الاخر لو شاء الله تعالى لايقظنا ولكن اراد ان يكون لمن بعدكم
الثاني ان قلبه لا يستغرقه النوم حتى يكون منه الحدث فيه لما روي

انه كان محروسا وانه كان ينام حتى ينفخ ويسمع غطيطه ثم يصلي ولا
يتوضأ وحديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما المذكور فيه وضوءه عند
قيامه من النوم فيه نومه مع اهله فلا يمكن الاحتجاج به على وضوئه
بمجرد النوم اذ لعل ذلك لملامسة الاهل ولحدث اخر فكيف وفي اخر
الحديث نفسه ثم نام حتى سمعت غطيطه ثم اقيمت الصلوة فصلى
ولم يتوضأ وقيل لا ينام قلبه من اجل انه يوحى اليه في النوم وليس في
قصة الوادي الا نوم عينيه عن رؤية الشمس وليس هذا من فعل
القلب وقد قال عليه الصلوة والسلام ان الله تعالى قبض ارواحنا ولو شاء
لردها الينا في حين غير هذا فان قيل فلولا عادته عليه الصلوة والسلام
من استغراق النوم لما قال لبلال رضي الله تعالى عنه اكلأ لنا الصبح
وقيل في الجواب انه كان من شانه عليه الصلوة والسلام التغليس بالصبح
ومراعاة اول الفجر لا يصح ممن نامت عيناه اذ هو ظاهر فيدرك بالجوارح
الظاهرة فوكل بلالا بمراعاة اوله ليعلمه بذلك كما لو شغل بشغل غير
النوم عن مراعاته فان قيل فما معنى نهيه عليه السلام عن القول نسيت وقد
قال عليه الصلوة والسلام اني انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني وقال
لقد اذكرني كذا وكذا اية كنت انسيتها فاعلم اكرمك الله تعالى انه لا
تعارض في هذه الالفاظ اما نهيه عليه السلام عن ان يقال نسيت اية كذا
فمحمول على ما نسخ نقله من القران اي ان الغفلة في هذا لم يكن منه لكن الله تعالى
اضطره اليها ليمحو ما يشاء ويثبت وما كان من سهو وغفلة من قبله
تذكرها صلح ان يقال فيه انسى وقد قيل ان هذا منه عليه السلام على طريق
الاستحباب ان يضيف الفعل الى خالقه والاخر على طريق الجواز لاكتساب

ط اذ ينبغي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ما فيه نسيانه صح

العبد فيه واسقاطه عليه الصلوة والسلام لما اسقط من هذه الايات جائز
عليه بعد بلوغ ما امر بابلاغه وتوصيله الى عباده ثم يستذكر من امته
او من قبل نفسه الا ما قضى الله تعالى نسخه ومحوه من القلوب وترك
استذكاره وقد يجوز ان ينسى منه قبل البلاغ ما لا يغير نظما ولا
يخلط حكما مما لا يدخل خللا في الخبر ثم يذكره اياه ويستحيل دوام نسيانه له
لحفظ الله تعالى كتابه وتكليفه بلاغه فصل في الرد على من اجاز عليهم
عليهم السلام الصغائر والكلام على ما احتجوا به في ذلك اعلم ان المجوزين
الصغائر على الانبياء عليهم السلام من الفقهاء والمحدثين ومن شايعهم
على ذلك من المتكلمين احتجوا على ذلك بظواهر كثيرة من القران والحديث
ان التزموا ظواهرها افضت بهم الى تجويز الكبائر وخرق الاجماع وما
لا يقول به مسلم فكيف وكل ما احتجوا به مما اختلف المفسرون في
معناه وتقابلت الاحتمالات في مقتضاه وجاءت اقاويل فيها السلف بخلاف
ما التزموه في ذلك فاذا لم يكن مذهبهم اجماعا وكان الخلاف فيما احتجوا به
قديما وقامت الدلالة على خطأ قولهم وصحة غيره وجب تركه والمصير الى
ما صح وها نحن ناخذ في النظر فيها ان شاء الله تعالى من ذلك قوله تعالى لنبينا
محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما
تاخر وقوله تعالى واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وقوله تعالى
ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك وقوله تعالى عفا الله
عنك لم اذنت لهم وقوله تعالى لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم
عذاب عظيم وقوله تعالى عبس وتولى ان جاءه الاعمى الاية وما قص
من قصص غيره من الانبياء عليهم السلام كقوله تعالى وعصى ادم

ربه فغوى وقوله تعالى فلما اتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما اتاهما
الاية وقوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الاية وقوله تعالى عن يونس عليه السلام
سبحانك اني كنت من الظالمين وما ذكره من قصته وقصة داود
عليهما السلام وقوله تعالى وظن داود انما فتناه الى قوله واناب وقوله
تعالى ولقد همت به وهم بها وما قص من قصته مع اخوته يوسف عليه
السلام ثابت وقوله تعالى عن موسى عليه السلام فوكزه موسى فقضى عليه
قال هذا من عمل الشيطان وقول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في دعائه
اغفر لي ما قدمت وما اخرت واسررت واعلنت ونحوه من ادعيته
صلى الله تعالى عليه وسلم وذكر الانبياء عليهم السلام في الموقف ذنوبهم في
حديث الشفاعة وقوله عليه السلام انه ليغان على قلبي فاستغفر والله
ومن حديث ابي هريرة رضي الله تعالى عنه اني لاستغفر الله واتوب اليه
في اليوم اكثر من سبعين مرة وقوله تعالى عن نوح عليه السلام والا تغفر لي
الاية وقد كان قال الله تعالى ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون و
قال الله تعالى عن ابراهيم عليه السلام والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم
الدين وقوله تعالى عن موسى عليه السلام تبت اليك وقوله تعالى ولقد
فتنا سليمان الى ما اشبه هذه الظواهر فاما احتجاجهم بقوله تعالى
ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر فهذا قد اختلف فيه
المفسرون فقيل المراد ما كان قبل النبوة وبعدها وقيل المراد ما
وقع لك من ذنب وما لم يقع اعلمه انه مغفور له وقيل ما كان قبل
النبوة والمتاخر عصمتك بعدها حكاه احمد بن نصر وقيل المراد بذلك
امته عليه الصلوة والسلام وقيل المراد ما كان عن سهو وغفلة وتاويل

حكاه

حكاه الطبري واختاره القشيري وقيل ما تقدم لابيك آدم
وما تاخر من ذنوب امتك حكاه السمرقندي والسلمي عن ابن عطاء و
بمثله والذي قبله يتاول قوله تعالى واستغفر لذنبك وللمؤمنين
والمؤمنات قال مكي مخاطبة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم هاهنا
هي مخاطبة لامته وقيل ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما امر بقول
وما ادري ما يفعل بي ولا بكم سر بذلك الكفار فانزل الله تعالى
ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر الاية وبمآل المؤمنين في
الاية الاخرى بعدها قاله ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فمقصد الاية
انك مغفور لك غير مؤاخذ بذنب ان لو كان قال بعضهم المغفرة
هاهنا تبرئة من العيوب واما قوله تعالى ووضعنا عنك وزرك
الذي انقض ظهرك فقيل ما سلف من ذنبك قبل النبوة وهو
قول ابن زيد والحسن ومعنى قول قتادة رضي الله تعالى عنهم وقيل
معناه انه حفظ قبل نبوته عليه الصلوة والسلام منها وعصم ولولا
ذلك لاثقلت ظهرك حكى معناه السمرقندي وقيل المراد بذلك
ما اثقل ظهره من اعباء الرسالة حتى بلغها حكاه الماوردي والسلمي
وقيل حططنا عنك ثقل ايام الجاهلية حكاه مكي وقيل ثقل
شغل سرك وحيرتك وطلب شريعتك حتى شرعنا ذلك لك
حكى معناه القشيري وقيل معناه خففنا عليك ما حملت
بحفظنا لما استحفظت وحفظ عليك ومعنى انقض اي كاد
ينقضه فيكون المعنى على من جعل ذلك لما قبل النبوة اهتمامه النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم بامور فعلها قبل النبوة وحرمت عليه بعد النبوة

نعدها او زارا وثقلت عليه واشفق منها او ان يكون الوضع عصمة الله
تعالى له وكفايته من ذنوب لو كانت لانقضت ظهره او يكون من ثقل الرسالة
او ما ثقل عليه وشغل قلبه من امور الجاهلية واعلام الله تعالى له بحفظ
ما استحفظه من وحيه واما قوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم
فامر لم يتقدم للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيه من الله تعالى نهي فيعد
معصية ولا عده الله تعالى عليه معصية لم يعده اهل العلم معاتبة
وغلطوا من ذهب الى ذلك قال نفطويه وقد حاشاه الله تعالى
من ذلك بل كان مخيرا في امرين وقالوا وقد كان له ان يفعل ما شاء
فيما لم ينزل عليه فيه وحي فكيف وقد قال الله تعالى له فاذن لمن شئت
منهم فلما اذن لهم اعلمه الله تعالى بما لم يطلع عليه من سرهم انه لو لم ياذن لهم
لقعدوا وانه لا حرج عليه فيما فعل وليس عفا ها هنا بمعنى غفر بل كما
قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق
ولم تجب عليهم قط اي لم يلزمكم ذلك ونحوه للقشيري وقال وانما يقول
العفو لا يكون الا عن ذنب من لم يعرف كلام العرب قال ومعنى عفا
الله عنك اي لم يلزمك ذنبا قال الداودي روي انها كانت تكرمة له
قال مكي هو استفتاح كلام مثل اصلحك الله تعالى واعزك الله تعالى
وحكى السمرقندي ان معناه عافاك الله تعالى واما قوله في اسارى بدر
ما كان لنبي ان يكون له اسرى الآيتين فليس فيه الزام ذنب للنبي
صلى الله تعالى عليه وسلم بل فيه بيان ما خص به وفضل من بين سائر
الانبياء عليهم السلام فكانه قال ما كان هذا لنبي غيرك كما قال صلى الله عليه وسلم
احلت لي الغنائم ولم تحل لنبي قبلي فان قيل فما معنى قوله تعالى تريدون عرض

الدنيا

الدنيا الآية قيل المعنى بالخطاب لمن اراد ذلك منهم وتجرد غرضه لعرض
الدنيا وحده والاستكثار منها وليس المراد بهذا النبي صلى الله تعالى عليه و
سلم ولا علية اصحابه رضي الله تعالى عنهم بل قد روي عن الضحاك انها نزلت
حين انهزم المشركون يوم بدر واشتغل الناس بالسلب وجمع الغنائم
عن القتال حتى خشي عمر رضي الله تعالى عنه ان يعطف عليهم العدو ثم
قال الله تعالى لولا كتاب من الله سبق فاختلف المفسرون في معنى
هذه الآية فقيل معناها لولا انه سبق مني ان لا اعذب احدا الا
بعد النهي لعذبتكم فهذا ينفي ان يكون امر الاسرى معصية وقيل المعنى
لولا ايمانكم بالقرآن وهو الكتاب السابق فاستوجبتم به الصفح لعوقبتم
على الغنائم ويزداد هذا القول تفسيرا وبيانا بان يقال لولا ما كنتم
مؤمنين بالقرآن وكنتم ممن احلت لهم الغنائم لعوقبتم كما عوقب من
تعدى وقيل لولا انه سبق في اللوح المحفوظ انها حلال لكم لعوقبتم
فهذا كله ينفي الذنب والمعصية لان من فعل ما احل له لم يعص قال الله تعالى
فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا وقيل بل كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
قد خير في ذلك وقد روي عن علي رضي الله تعالى عنه قال جاء جبريل
عليه السلام الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يوم بدر فقال خير اصحابك
في الاسارى ان شاؤا القتل وان شاؤا الفداء على ان يقتل منهم عام
المقبل مثلهم فقالوا الفداء ويقتل منا وهذا دليل على صحة ما قلناه و
انهم لم يفعلوا الا ما اذن لهم فيه لكن بعضهم مال الى اضعف الوجهين
مما كان الاصلح غيره من الاثخان والقتل فعوتبوا على ذلك وبين لهم ضعف
اختيارهم وتصويب اختيار غيرهم وكلهم غير عصاة ولا مذنبين

والى نحو هذا اشار الطبرى وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم فى هذه
القضية لو نزل عذاب من السماء ما نجا منه الا عمر رضى الله تعالى عنه
اشارة الى هذا من تصويب رايه وراى من اخذ بماخذه فى اعزاز الدين
واظهار كلمته وابادة عدوه وان هذه القضية لو استوجبت عذابا
نجا منه عمر ومثله وعين عمر رضى الله تعالى عنه لانه اول من اشار بقتلهم
ولكن الله تعالى لم يقدر عليهم فى ذلك عذابا لحله لهم فيما سبق وقال
الداودى والخبر بهذا لا يثبت ولو ثبت لما جاز ان يظن ان النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم حكم بما لا نص فيه ولا دليل من نص ولا جعل
الامر اليه وقد نزهه الله تعالى عن ذلك وقال القاضى بكر بن العلاء
اخبر الله تعالى نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم فى هذه الاية ان تاويله
وافق ما كتب له من احلال الغنائم والفداء وقد كان قبل هذا فادى
فى سرية عبد الله بن جحش التى قتل فيها ابن الحضرمى بالحكم بن كيسان
وصاحبه فما عتب الله تعالى ذلك عليهم وذلك قبل بدر بازيد من عام
فهذا كله يدل على ان فعل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى شان الاسرى
كان على تاويل وبصيرة وعلى ما تقدم قبل مثله فلم ينكره الله تعالى عليهم
لكن الله تعالى اراد لعظم امر بدر وكثرة اسراها والله تعالى اعلم باظهار
نعمته وتاكيد منته بتعريفهم ما كتبه فى اللوح المحفوظ من حل ذلك
لهم لا على وجه عتاب وانكار وتذنيب هذا معنى كلامه واما قوله
تعالى عبس وتولى الايات فليس فيه اثبات ذنب له عليه الصلاة والسلام
بل اعلام الله تعالى ان ذلك المتصدى له ممن لا يتزكى وان الصواب
والاولى كان لو كشف لك حال الرجلين لاختار الاقبال على الاعمى

وفعل

وفعل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما فعل وتصديه لذلك الكافر
كان طاعة لله تعالى وتبليغا عنه واستيلافا له كما شرعه الله تعالى له لا
معصية ولا مخالفة له عز وجل وما قصه الله تعالى عليه من ذلك اعلام
بحال الرجلين وتوهين امر الكافر عنده والاشارة الى الاعراض عنه بقوله
تعالى وما عليك الا يزكى وقيل المراد بعبس وتولى الكافر الذى كان
مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قاله ابو تمام وما قصه ادم عليه السلام وقوله
تعالى فاكلا منها بعد قوله ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين وقوله تعالى
الم انهكما عن تلكما الشجرة وتصريحه تعالى عليه بالمعصية بقوله تعالى وعصى
ادم ربه فغوى اى جهل وقيل اخطا فان الله تعالى قد اخبر بعذره
بقوله تعالى ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسى ولم نجد له عزما قال
ابن زيد نسى عداوة ابليس له وما عهد الله اليه من ذلك بقوله تعالى
ان هذا عدو لك ولزوجك الاية قيل نسى ذلك بما اظهر لهما
وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انما سمى الانسان انسانا لانه عهد
اليه فنسى وقيل لم يقصد المخالفة استحلالا لها ولكنهما اغترا بحلف
ابليس لهما انى لكما لمن الناصحين وتوهما ان احدا لا يحلف بالله حانثا وقد
روى عذر ادم عليه السلام بمثل هذا فى بعض الاثار وقال ابن جبير
رحمه الله تعالى حلف بالله تعالى لهما حتى غرهما والمؤمن يخدع وقد قيل نسى
ولم ينو المخالفة فلذلك قال ولم نجد له عزما اى قصدا للمخالفة واكثر المفسرين
على ان العزم هنا الصبر والحزم وقيل كان عند اكله سكران وهذا فيه
ضعف لان الله تعالى وصف خمر الجنة انها لا تسكر فاذا كان ناسيا لم يكن
معصية وكذلك ان كان ملبسا عليه غالطا اذ الاتفاق على خروج الناسى

والساهي عن حكم التكليف وقال الشيخ ابو بكر بن فورك وغيره انه
يمكن ان يكون ذلك قبل النبوة ودليل ذلك قوله تعالى وعصى آدم ربه
فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى فذكر ان الاجتباء والهداية
كانا بعد العصيان وقيل بل اكلها متأولا وهو لا يعلم انها الشجرة التي
نهي عنها لانه تأول نهي الله تعالى عن شجرة مخصوصة لا على الجنس ولهذا
قيل انما كانت التوبة من ترك التحفظ لا من المخالفة وقيل تأول ان الله
تعالى لم ينهه عنها نهي تحريم فان قيل فعلى كل حال فقد قال الله تعالى وعصى
ربه وقال الله تعالى فتاب عليه وقوله في حديث الشفاعة ويذكر ذنبه
واني نهيت عن اكل الشجرة فعصيت فسياتي الجواب عنه وعن اشباهه
مجموعا اخر الفصل ان شاء الله تعالى واما قصة يونس عليه السلام فقد مضى
الكلام على بعضها آنفا وليس في قصة يونس عليه السلام نص على ذنب وانما فيه
ابق وذهب مغاضبا وقد تكلمنا عليه وقيل انما نقم الله تعالى عليه خروجه
عن قومه فارا من نزول العذاب وقيل بل لما وعدهم العذاب ثم عفا الله
تعالى عنهم قال والله تعالى لا القاهم بوجه كذاب ابدا وقيل بل كانوا يقتلون
من كذب فخاف ذلك وقيل ضعف عن حمل اعباء الرسالة وقد تقدم
الكلام انه لم يكذبهم وهذا كله ليس فيه نص على معصية الا على قول
مرغوب عنه وقوله تعالى اذ ابق الى الفلك المشحون قال المفسرون تباعد
واما قوله اني كنت من الظالمين فالظلم وضع الشيء في غير موضعه
فهذا اعتراف منه عند بعضهم بذنبه فاما ان يكون لخروجه عن قومه
بغير اذن ربه او لضعفه عما حمله او لدعائه بالعذاب على قومه وقد
دعا نوح عليه السلام بهلاك قومه فلم يؤاخذ وقال الواسطي في معناه نزه

عن الظلم

عن الظلم واضاف الى نفسه اعترافا واستحقاقا ومثل هذا قول آدم
وحوا عليهما السلام ربنا ظلمنا انفسنا اذ كانا السبب في وضعهما غير الموضع
الذي انزلا فيه واخراجهما من الجنة وانزالهما الى الارض واما قصة
داود عليه السلام فلا يجب ان يلتفت الى ما سطره فيها الاخباريون
عن اهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا ونقله بعض المفسرين ولم ينص
الله تعالى على شيء من ذلك ولا ورد في حديث صحيح والذي نص الله تعالى
عليه قوله تعالى فظن داود انما فتناه الى قوله تعالى وحسن مآب وقوله
فيه اواب فمعنى فتناه اختبرناه واواب قال قتادة رضي الله تعالى عنه مطيع و
هذا التفسير اولى قال ابن عباس وابن مسعود رضي الله تعالى عنهم
ما زاد داود على ان قال للرجل انزل لي عن امرأتك واكفلنيها فعاتبه
الله تعالى على ذلك ونبهه عليه وانكر عليه شغله بالدنيا وهذا الذي
ينبغي ان يعول عليه من امره وقد قيل خطبها خطيئته وقيل بل احب
بقلبه ان يستشهد وحكى السمرقندي ان ذنبه الذي استغفر منه قوله
لاحد الخصمين لقد ظلمك بسؤال فظلمه بقول خصمه والى نفي ما اضيف
في الاخبار الى داود عليه السلام من ذلك ذهب احمد بن نصر وابو تمام وغيرهما
من المحققين قال الداودي ليس في قصة داود عليه السلام واوريا
خبر يثبت ولا يظن بنبي محبة قتل مسلم وقيل ان الخصمين الذين
اختصما اليه رجلان في نتاج غنم على ظاهر الاية واما قصة يوسف
عليه السلام واخوته فليس على يوسف عليه السلام منها تعقب واما اخوته
فلم تثبت نبوتهم فيلزم الكلام على افعالهم وذكر الاسباط وعدهم في
القرآن عند ذكر الانبياء عليهم السلام قال المفسرون يريد من نبي من

ابناء الاسباط وقد قيل انهم كانوا حين فعلوا بيوسف ما فعلوا صغار
الاسنان ولهذا لم يميزوا يوسف حين اجتمعوا به ولهذا قالوا ارسله
معنا غدا نرتع ونلعب وان ثبتت لهم نبوة فبعد هذا والله تعالى اعلم
واما قوله تعالى فيه ولقد همت به وهم بها لولا ان راى برهان ربه فعلى
طريق مذهب كثير من الفقهاء والمحدثين ان هم النفس لا يؤاخذ به
وليست لسيئة فلم يعلمها كتبت له حسنة ولا معصية في همه اذا
واما على مذهب المحققين من الفقهاء والمتكلمين فان الهم اذا وطنت
عليه النفس سيئة واما ما لم توطن عليه النفس من همومها وخواطرها
فهو المعفو عنه وهذا هو الحق فيكون ان شاء الله تعالى هم يوسف عليه
السلام من هذا فيكون قوله تعالى وما ابرئ نفسي الاية اي ما ابرئها
من هذا الهم او يكون ذلك منه على طريق التواضع والاعتراف بمخالفة
النفس لما زكى قبل وبرئ فكيف وقد حكى ابو حاتم عن ابي عبيدة
ان يوسف عليه السلام لم يهم وان الكلام فيه تقديم وتاخير اي
ولقد همت به ولولا ان راى برهان ربه لهم بها وقد قال الله تبارك
وتعالى عن المراة ولقد راودته عن نفسه فاستعصم وقال الله تعالى
كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء وقال تعالى وغلقت الابواب و
قالت هيت لك قال معاذ الله انه ربي احسن مثواي الاية قيل
في ربي الله وقيل انه الملك وقيل هم بها اي بزجرها ووعظها
وقيل هم بها اي غمها امتناعه عنها وقيل هم بها نظر اليها وقيل
هم بضربها ودفعها وقيل هذا كله كان قبل نبوته وقد ذكر بعضهم
ما زال النساء يملن الى نفسه يوسف عليه السلام ميل شهوة حتى نباه

الله

الله تعالى فالقى عليه هيبة النبوة فشغلت هيبته كل من راه عن حسنه
واما خبر موسى عليه السلام مع قتيله الذي وكزه فقد نص الله تعالى انه
من عدوه قال كان من القبط الذي على دين فرعون ودليل السورة
في هذا كله انه قبل نبوة موسى عليه السلام وقال قتادة رضي الله تعالى عنه
وكزه بالعصا ولم يتعمد قتله فعلى هذا لا معصية في ذلك وقال هذا
من عمل الشيطان وقوله ظلمت نفسي فاغفر لي قال ابن جريج قال ذلك
من اجل انه لا ينبغي لنبي ان يقتل حتى يؤمر وقال النقاش لم يقتله عن
عمد مريدا للقتل وانما وكزه وكزة يريد بها دفع ظلمه قال وقد قيل
ان هذا كان قبل النبوة وهو مقتضى التلاوة وقوله تعالى في قصته وفتناك
فتونا اي ابتليناك ابتلاء بعد ابتلاء قيل في هذه القصة وما جرى له
مع فرعون وقيل القاؤه في التابوت واليم وغير ذلك وقيل معناه
اخلصناك اخلاصا قاله ابن جبير ومجاهد من قولهم فتنت الفضة
في النار اذا خلصتها واصل الفتنة معنى الاختبار واظهار ما بطن
الا انه استعمل في عرف الشرع في اختبار ادى الى ما يكره وكذلك ما
روي في الخبر الصحيح من ان ملك الموت عليه السلام جاءه فلطم عينه
ففقاها الحديث ليس فيه ما يحكم على موسى عليه السلام بالتعدي و
فعل ما لا يجب له اذ هو ظاهر الامر بين الوجه جائز الفعل لان موسى
عليه السلام دافع عن نفسه من اتاه لاتلافها وقد تصور له في صورة
ادمي ولا يمكن انه علم حينئذ انه ملك الموت فدافعه عن نفسه مدافعة
ادت الى ذهاب عين تلك الصورة التي تصور له فيها الملك امتحانا
من الله تعالى لهما فلما جاءه بعد وعلمه الله تعالى انه رسوله اليه استسلم

وللمتقدمين والمتأخرين على هذا الحديث اجوبة هذا اسدها عندي
وهو تأويل شيخنا الامام ابي عبد الله المازري وقد تأوله قديما ابن عائشة
وغيره على صكه ولطمه بالحجة وفقء عين حجته وهو كلام مستعمل في هذا الباب
في اللغة معروف واما قصة سليمان عليه السلام وما حكى فيها اهل التفسير
من ذنبه وقوله تعالى ولقد فتنا سليمان فمعناه ابتلينا وابتلاؤه ما حكي
عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لاطوفن الليلة على مائة امرأة او
تسع وتسعين كلهن يأتين بفارس يجاهد في سبيل الله تعالى فقال له صاحبه
قل ان شاء الله تعالى فلم يقل فلم تحمل منهن الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل
قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله
تعالى لجاهدوا في سبيل الله تعالى قال اصحاب المعاني والشق هو الجسد الذي
القي على كرسيه حين عرض عليه وهي عقوبته ومحنته وقيل بل مات فالقي
على كرسيه ميتا وقيل ذنبه حرصه على ذلك وتمنيه وقيل لانه لم
يستثن لما استغرقه من الحرص وغلب عليه من التمني وقيل عقوبته ان
سلب ملكه وذنبه ان احب بقلبه ان يكون الحق لاختانه على خصمه و
قيل اوخذ بذنب قارفه بعض نسائه ولا يصح ما نقله الاخباريون من
جزاتهم عما على فعله ومن تشبه الشيطان به وتسلطه على ملكه وتصرفه
في امته بالجور في حكمه لان الشياطين لا يسلطون على مثل هذا وقد
عصم الانبياء عليهم السلام من مثله وان سئل لم لم يقل سليمان في
القصة المذكورة ان شاء الله تعالى فعنه اجوبة احدها ما روي في
الحديث الصحيح انه نسي ان يقولها وذلك لينفذ مراد الله تعالى والثاني
انه لم يسمع صاحبه وشغل عنه وقوله تعالى هب لي ملكا لا ينبغي لاحد

من بعدي

من بعدي لم يفعل هذا سليمان عليه السلام غيرة على الدنيا ولا نفاسة بها
ولكن مقصده في ذلك على ما ذكره المفسرون ان لا يسلط عليه احد
كما سلط عليه الشيطان الذي سلبه اياه مدة امتحانه على قول من قال ذلك
وقيل بل اراد ان يكون له من الله تعالى فضيلة وخاصة يختص بها كاختصاص
غيره من انبياء الله تعالى ورسله بخواص منه وقيل ليكون ذلك دليلا و
حجة على نبوته كالانة الحديد لابيه واحياء الموتى لعيسى عليه السلام واختصاص
محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بالشفاعة ونحو هذا واما قصة نوح عليه
السلام فظاهرة العذر وانه اخذ فيها بالتأويل وظاهر اللفظ لقوله تعالى
واهلك فطلب مقتضى اللفظ واراد علم ما طوي عنه من ذلك لا انه
شك في وعد الله تعالى فبين الله عز وجل له انه ليس من اهله الذي
وعد بنجاتهم لكفره وعمله الذي هو غير صالح وقد اعلمه انه تعالى مغرق
الذين ظلموا ونهاه عن مخاطبته فيهم فاوخذ بهذا التأويل وعتب عليه
واشفق هو من اقدامه على ربه لسؤاله ما لم يؤذن له في السؤال فيه
وكان نوح عليه السلام فيما حكاه النقاش لا يعلم بكفر ابنه وقيل في الآية غير
هذا وكل هذا لا يقضي على نوح عليه السلام بمعصية سوى ما ذكرناه من
تأويله واقدامه بالسؤال فيما لم يؤذن له ولا نهي عنه وما روي في
الصحيح من ان نبيا قرصته نملة فحرق قرية النمل فاوحى الله تعالى اليه ان
قرصتك نملة احرقت امة من الامم تسبح فليس في هذا الحديث ما يقتضي
ان هذا الذي اتى معصية بل فعل ما رآه مصلحة وصوابا بقتل من يؤذي
جنسه ويمنع المنفعة بما اباح الله تعالى الا ترى ان هذا النبي كان نازلا
تحت الشجرة فلما آذته النملة تحول برحله عنها مخافة تكرار الاذى عليه

وليس فيما اوحى الله تعالى اليه ما يوجب عليه معصية بل ندبه الى احتمال
الصبر وترك التشفي كما قال الله تعالى ولئن صبرتم لهو خير للصابرين اذ
ظاهر فعله انما كان لاجل انها آذته هو في خاصته فكان انتقاما لنفسه
وقطع مضرة يتوقعها من بقية النمل هناك ولم يات في كل هذا امرا
نهي عنه فيعصي به ولا نص فيما اوحى الله تعالى اليه بذلك ولا بالتوبة
والاستغفار والله تعالى اعلم فان قيل فما معنى قوله عليه السلام ما من احد
الا الم بذنب او كاد الا يحيى بن زكريا عليهما السلام او كما قال صلى الله تعالى
عليه وسلم فالجواب عنه كما تقدم من ذنوب الانبياء عليهم السلام التي
وقعت عن غير قصد وعن سهو وغفلة فصل فان قلت فاذا نفيت عنهم
صلوات الله تعالى عليهم الذنوب والمعاصي بما ذكرته من اختلاف المفسرين
وتاويل المحققين فما معنى قوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى وما تكرر في
القرآن والحديث الصحيح من اعتراف الانبياء عليهم السلام بذنوبهم وتوبتهم
واستغفارهم وبكائهم على ما سلف منهم واشفاقهم وهل يشفق ويتاب
ويستغفر من لا شيء فاعلم وفقنا الله تعالى واياك ان درجة الانبياء
عليهم السلام في الرفعة والعلو والمعرفة بالله عز وجل وسنته في عباده و
عظم سلطانه وقوة بطشه مما يحملهم على الخوف منه جل جلاله
والاشفاق من المواخذة بما لا يؤاخذ به غيرهم وانهم في تصرفهم
بامور لم ينهوا عنها ولا امروا بها ثم اوخذوا عليها وعوتبوا بسببها او
حذروا من المواخذة بها واتوها على وجه التاويل او السهو او تزيد
من امور الدنيا المباحة خائفون وجلون وهي ذنوب بالاضافة الى
علي منزلتهم ومعاص بالنسبة الى كمال طاعتهم لا انها كذنوب غيرهم

ومعاصيهم فان الذنب ماخوذ من الشيء الدني الرذل ومنه ذنب
كل شيء اي آخره واذناب الناس رذالهم فكان هذه ادنى افعالهم واسوا
ما يجري من احوالهم لتطهيرهم وتنزيههم وعمارة بواطنهم وظواهرهم
بالعمل الصالح والكلم الطيب والذكر الظاهر والخفي والخشية لله تعالى
واعظامه في السر والعلانية وغيرهم يتلوث من الكبائر والقبائح والفواحش
ما تكون بالاضافة اليها هذه الهنات في حقه كالحسنات كما قيل حسنات
الابرار سيئات المقربين اي يرونها بالاضافة الى علي احوالهم كالسيئات
وكذلك العصيان الترك والمخالفة فعلى مقتضى اللفظة كيف ما كانت
من سهو او تاويل فهي مخالفة وترك وقوله غوى اي جهل ان تلك الشجرة
التي نهي عنها والغي الجهل وقيل اخطأ ما طلب من الخلود اذ اكلها وخابت
امنيته يوسف عليه السلام قد وخذ بقوله لاحد صاحبي السجن اذكرني
عند ربك فانساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين قيل
انسي يوسف عليه السلام ذكر الله تعالى قيل انسي صاحبه ان يذكره لسيده
الملك قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لولا كلمة يوسف ما لبث في
السجن ما لبث قال ابن دينار لما قال ذلك يوسف عليه السلام قيل له اتخذت
من دوني وكيلا لاطيلن حبسك فقال يا رب انسى قلبي كثرة البلوى و
قال بعضهم يؤاخذ الانبياء عليهم السلام بمثاقيل الذر لمكانتهم عنده تعالى
ويجاوز عن سائر الخلق لقلة مبالاته بهم في اضعاف ما اتوا به من سوء
الادب وقد قال المحتج للفرقة الاولى على سياق ما قلناه اذا كان الانبياء
عليهم السلام يؤاخذون بهذا مما لا يؤاخذ به غيرهم من السهو والنسيان وما
ذكرته وحالهم ارفع فحالهم اذا في هذا اسوأ حالا من غيرهم فاعلم اكرمك الله

تعالى انا لا نثبت لك المواخذة في هذا على حد مواخذة غيرهم بل نقول
انهم يواخذون بذلك في الدنيا ليكون ذلك زيادة في درجاتهم و
يبتلون بذلك ليكون استشعارهم له لمنماة رتبتهم كما قال الله تعالى
ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى وقال الله تعالى لداود عليه السلام
فغفرنا له ذلك الاية وان له عندنا لزلفى وحسن ماب تبت اليك
اني اصطفيتك على الناس قال الله تعالى بعد ذكر فتنة سليمان عليه السلام
وانابته فسخرنا له الريح الى وحسن ماب قال بعض المتكلمين زلات الانبياء
عليهم السلام في الظاهر زلات وفي الحقيقة كرامات و زلف واشار
الى نحو مما قدمناه وايضا فينبيه غيرهم من البشر منهم او ممن ليس في
درجتهم بمواخذتهم بذلك فيستشعروا الحذر ويعتقدوا المحاسبة
ليلتزموا الشكر على النعم ويعدوا الصبر على المحن بملاحظة ما وقع
باهل هذا النصاب الرفيع المعصوم فكيف بمن سواهم ولهذا قال
صالح المري ذكر داود عليه السلام بسطة للتوابين قال ابن عطاء لم يكن
ما تلا الله تعالى من قصة صاحب الحوت نقصا له ولكن استزادة من
نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وايضا فيقال لهم فانكم ومن وافقكم تقولون
بغفران الصغائر باجتناب الكبائر ولا خلاف في عصمة الانبياء عليهم
السلام من الكبائر فما جوزتم من وقوع الصغائر عليهم هي مغفورة
على هذا فما معنى المواخذة بها اذا عندكم وخوف الانبياء عليهم السلام
وتوبتهم منها وهي مغفورة لو كانت فما اجابوا به فهو جوابنا على المواخذة
بافعال السهو والتاويل وقد قيل ان كثرة استغفار النبي وتوبته و
غيره من الانبياء عليهم السلام على وجه ملازمة الخضوع والعبودية و

الاعتراف بالتقصير شكرا لله تعالى على نعمه كما قال عليه السلام وقد امن
من المواخذة بما تقدم وما تاخر افلا اكون عبدا شكورا وقال عليه السلام
اني اخشاكم لله واعلمكم بما اتقي قال الحارث بن اسد والمحاسبي خوف
الملائكة والانبياء عليهم السلام خوف اعظام وتعبد لله عز وجل
لانهم امنون وقيل فعلوا ذلك ليقتدي بهم ويستن بهم اممهم كما قال
عليه السلام لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم وايضا فان في التوبة
والاستغفار والاوبة معنى اخر لطيفا اشار اليه بعض العلماء وهو
استدعاء محبة الله تعالى قال الله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين
فاحداث الرسل والانبياء صلوات الله تعالى عليهم الاستغفار والتوبة
والانابة والاوبة في كل حين استدعاء لمحبة الله تعالى والاستغفار
فيه معنى التوبة وقد قال الله تعالى لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بعد ان
غفر الله تعالى له ما تقدم وما تاخر من ذنبه لقد تاب الله على النبي والمهاجرين
والانصار وقال الله تعالى فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا فصل
قد استبان لك ايها الناظر بما قررناه ما هو الحق من عصمته صلى الله تعالى
عليه وسلم عن الجهل بالله تعالى وصفاته او كونه على حالة تنافي العلم بشيء
من ذلك كله جملة بعد النبوة عقلا واجماعا وقبلها سمعا ونقلا ولا
بشيء مما قرره من امور الشرع واداه عن ربه من الوحي قطعا عقلا
وشرعا وعصمته عليه السلام عن الكذب وخلف القول منذ نبأه الله
تعالى وارسله قصدا او غير قصد واستحالة ذلك عليه شرعا واجماعا
ونظرا وبرهانا وتنزيهه عنه قبل النبوة قطعا وتنزيهه عن الكبائر
اجماعا وعن الصغائر تحقيقا وعن استدامة السهو والغفلة و

استمرار الغلط والنسيان عليه فيما شرعه للامة وعصمته في كل حالاته من رضا وغضب وجد ومزح فيجب عليك ان تتلقاه باليمين وتشد عليه يد الضنين وتقدر هذه الفصول حق قدرها وتعلم عظيم فائدتها وخطرها فان من يجهل ما يجب للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم او يجوز او يستحيل عليه ولا يعرف صور احكامها لا يؤمن ان يعتقد في بعضها خلاف ما هي عليه ولا ينزهه عما لا يجب ان يضاف اليه فيهلك من حيث لا يدري ويسقط في هوة الدرك الاسفل من النار اذ ظن به واعتقاد ما لا يجوز عليه يحل بصاحبه دار البوار ولهذا ما احتاط عليه السلام على الرجلين اللذين رأياه ليلا وهو معتكف في المسجد مع صفية رضي الله تعالى عنها فقال لهما انها صفية ثم قال لهما ان الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم واني خشيت ان يقذف في قلوبكما شيئا فتهلكا هذه اكرمك الله تعالى احدى فوائد ما تكلمنا عليه في هذه الفصول ولعل جاهلا لا يعلم جهله اذا سمع شيئا منها يرى ان الكلام فيها جملة من فضول العلم وان السكوت اولى وقد استبان لك انه متعين للفائدة التي ذكرناها وفائدة ثانية يضطر اليها في اصول الفقه وتنبني عليها مسائل من الفقه لا تتعدد ويتخلص بها من تشغيب مختلفي الفقهاء في عدة منها وهي الحكم في اقوال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وافعاله وهو باب عظيم واصل كبير من اصول الفقه ولا بد من بنائه على صدق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في اخباره وبلاغه وانه لا يجوز عليه السهو فيه وعصمته من المخالفة في افعاله عمدا وبحسب اختلافهم في وقوع الصغائر وقع خلاف في امتثال الفعل بسط بيانه في كتب ذلك العلم فلا نطول به فائدة ثالثة يحتاج اليها الحكم

والمعنى فيمن اضاف الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم شيئا من هذه الامور ووصفه بها فالذي لا يعرف ما يجوز وما يمتنع عليه وما وقع الاجماع فيه والخلاف كيف يصمم في الفتيا في ذلك ومن اين يدري هل ما قاله فيه نقص او مدح فاما ان يجترئ على سفك دم امرئ مسلم حرام او يسقط حقا ويضيع حرمة للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وبسبيل هذا ما قد اختلف ارباب الفقه في الاصول وائمة العلماء والمحققين في عصمة الملائكة فصل في عصمة الملائكة عليهم السلام اجمع المسلمون على ان الملائكة مؤمنون فضلاء واتفق ائمة المسلمين ان حكم المرسلين منهم حكم النبيين سواء في العصمة مما ذكرنا عصمتهم منه وانهم في حقوق الانبياء عليهم السلام والتبليغ اليهم كالانبياء مع الامم واختلفوا في غير المرسلين منهم فذهبت طائفة الى عصمة جميعهم من المعاصي واحتجوا بقوله تعالى لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وبقوله عز وجل وما منا الا له مقام معلوم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون وبقوله تعالى ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته الاية وبقوله تعالى ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته الاية وقوله تعالى كرام بررة ولا يمسه الا المطهرون ونحوه من السمعيات وذهبت طائفة الى ان هذا خصوص للمرسلين منهم والمقربين واحتجوا باشياء ذكرها اهل الاخبار والتفاسير نحن نذكرها ان شاء الله تعالى بعد ونبين الوجه فيها ان شاء الله تعالى والصواب عصمة جميعهم وتنزيه نصابهم الرفيع عن جميع ما يحط من رتبتهم ومنزلتهم عن جليل مقدارهم ورايت بعض شيوخنا اشار الى ان لا حاجة بالفقيه الى الكلام في عصمتهم وانا اقول ان الكلام في ذلك ما للكلام في عصمة الانبياء

عليهم كثير من الفوائد التي ذكرناها سوى فائدة الكلام في الاقوال والافعال
فهي ساقطة ههنا فمما احتج به من لم يوجب عصمة جميعهم قصة هاروت
وماروت وما ذكر فيهما اهل الاخبار ونقلة المفسرين وما روى
عن علي وابن عباس رضي الله تعالى عنهما في خبرهما وابتلائهما بالسحر فتنة
للناس فاعلم اكرمك الله تعالى ان هذه الاخبار لم يرو منها شيء لا صحيح
ولا سقيم عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وليس هو شيئا يؤخذ بقياس
والذي منه في القرآن اختلف المفسرون في معناه وانكر ما قال بعضهم
فيه كثير من السلف كما سنذكره وهذه الاخبار من كتب اليهود وافترائهم
كما نصه الله تعالى اول الآيات من افترائهم بذلك على سليمان عليه السلام و
تكفيرهم اياه وقد انطوت القصة على شنيع عظيمة وها نحن نخبر في ذلك
ما يكشف غطاء هذه الاشكالات ان شاء الله تعالى فاختلف اولا في
هاروت وماروت هل هما ملكان او انسيان وهل هما المراد بالملكين
ام لا وهل القرآن ملكين او ملكين وهل ما في قوله وما انزل وما يعلمان
من احد نافية او موجبة فاكثر المفسرين ان الله تعالى امتحن الناس
بالملكين لتعليم السحر وتبيينه وان عمله كفر فمن تعلمه كفر ومن تركه
آمن قال الله تعالى انما نحن فتنة فلا تكفر وتعليمهما الناس له تعليم انذار
اي يقولان لمن جاء يطلب تعلمه لا تفعلوا كذا فانه يفرق بين المرء
وزوجه ولا تتحيلوا بكذا فانه سحر فلا تكفروا فعلى هذا فعل الملكين طاعة
وتصرفهما فيما امرا به ليس بمعصية وهي لغيرهما فتنة وروى
ابن وهب عن خالد بن ابي عمران انه ذكر عنده هاروت وماروت
وانهما يعلمان الناس السحر فقال نحن ننزههما عن هذا فقرأ بعضهم

وما انزل

وما انزل على الملكين فقال خالد لم ينزل عليهما فهذا خالد على جلالته و
علمه نزههما عن تعليم السحر الذي قد ذكر غيره انهما مأذون لهما في تعليمه
بشريطة ان يبينا انه كفر وانه امتحان من الله تعالى وابتلاء فكيف لا ننزههما
عن كبائر المعاصي والكفر المذكورة في تلك الاخبار وقول خالد لم ينزل
يريد ان ما نافية وهو قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال مكي وتقدير
الكلام وما كفر سليمان يريد بالسحر الذي افتعلته عليه الشياطين
واتبعتهم في ذلك اليهود وما انزل على الملكين قال مكي قيل هما جبريل
وميكائيل عليهما السلام بل ادعى اليهود عليهما المجيء به كما ادعوا على سليمان عليه
السلام فاكذبهم في ذلك ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل
هاروت وماروت قيل هما رجلان تعلماه قال الحسن هاروت
وماروت علجان من اهل بابل وقرأ وما انزل على الملكين بكسر اللام
وتكون ما ايجابا على هذا وكذلك قراءة عبد الرحمن بن ابزى بكسر اللام
ولكنه قال الملكان هنا داود وسليمان عليهما السلام وتكون ما نفيا
على ما تقدم وقيل كانا ملكين من بني اسرائيل فمسخهما الله تعالى حكاه
السمرقندي والقراءة بكسر اللام شاذة فمحمل الآية على تقدير ابي محمد
مكي حسن ينزه الملائكة ويذهب الرجس عنهم ويطهرهم تطهيرا
وقد وصفهم الله تعالى بانهم مطهرون وكرام بررة ولا يعصون الله
ما امرهم ومما يذكرونه قصة ابليس وانه كان من الملائكة ورئيسا
فيهم ومن خزان الجنة الى آخر ما حكوه وانه تعالى استثناه من الملائكة بقوله
عز وجل فسجدوا الا ابليس وهذا ايضا لم يتفق عليه بل الاكثر ينفون
ذلك وانه ابو الجن كما آدم عليه السلام ابو الانس وهو قول الحسن وقتادة

وابن زيد رحمهم الله تعالى وقال شهر بن حوشب كان من الجن الذين طردهم
الملائكة في الارض حين افسدوا والاستثناء من غير الجنس سائغ في
كلام العرب شائع وقد قال الله تعالى ما لهم به من علم الا اتباع الظن ومما
رووه في الاخبار ان خلقا من الملائكة عصوا الله تعالى فحرقوا وامروا ان يسجدوا
لادم فابوا فحرقوا ثم اخرون كذلك حتى سجد له من ذكره الله تعالى الا ابليس في اخبار
لا اصل لها تردها صحاح الاخبار فلا يشتغل بها والله تعالى اعلم الباب الثاني فيما
يخصهم من الامور الدنيوية ويطرأ عليهم من العوارض البشرية قد قدمنا
انه عليه السلام من البشر وان جسمه وظاهره خالص للبشر يجوز عليه من الافات
والتغيرات والالام والاسقام وتجرع كأس الحمام ما يجوز على البشر
وهذا كله ليس بنقيصة فيه عليه السلام لان الشيء انما يسمى ناقصا بالاضافة
الى ما هو اتم منه واكمل من نوعه وقد كتب الله تعالى على اهل هذه الدار فيها
يحيون وفيها يموتون ومنها يخرجون وخلق جميع البشر بمدرجة الغير
فقد مرض صلى الله تعالى عليه وسلم واشتكى واصابه الحر والقر وادركه
الجوع والعطش ولحقه الغضب والضجر وناله الاعياء والتعب ومسه
الضعف والكبر وسقط فجحش شقه وشجه الكفار وكسروا رباعيته
وسقي السم وسحر وتداوى واحتجم وتنشر وتعوذ ثم قضى نحبه
فتوفي صلى الله تعالى عليه وسلم ولحق بالرفيق الاعلى وتخلص من دار
الامتحان والبلوى وهذه سمات البشر التي لا محيص عنها واصاب غيره
من الانبياء عليهم السلام ما هو اعظم منها فقتلوا قتلا ورموا في النار ونشروا
بالمناشير ومنهم من وقاه الله تعالى ذلك في بعض الاوقات ومنهم من
عصمه كما عصم نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم بعد من الناس فلئن لم يكف

نبينا

نبينا ربه يد ابن قميئة يوم احد ولا حجبه عن عيون عداه عند دعوته اهل
الطائف فلقد اخذ على عيون قريش عند خروجه الى ثور وامسك عنه
سيف غورث وحجر ابي جهل وفرس سراقة ولئن لم يقه من سحر ابن
الاعصم فلقد وقاه ما هو اعظم من سم اليهودية وهكذا سائر انبيائه
مبتلى ومعافى وذلك من تمام حكمته ليظهر شرفهم في هذه المقامات
ويبين امرهم ويتم كلمته فيهم وليحقق بامتحانهم بشريتهم ويرفع الالتباس
عن اهل الضعف فيهم لئلا يضلوا بما ظهر من العجائب على ايديهم ضلال
النصارى بعيسى عليه السلام وليكون في محنتهم تسلية لاممهم ووفور
لاجورهم عند ربهم تماما على الذي احسن اليهم قال بعض المحققين و
هذه الطوارئ والتغييرات المذكورة انما تختص باجسامهم البشرية
المقصود بها مقاومة البشر ومعاناة بني ادم لمشاكلة الجنس واما
بواطنهم فمنزهة غالبا عن ذلك معصومة منه متعلقة بالملأ الاعلى
والملائكة لاخذها عنهم وتلقيها الوحي منهم وقال وقد قال عليه السلام
ان عيني تنامان ولا ينام قلبي وقال عليه السلام اني لست كهيئتكم اني ابيت يطعمني
ربي ويسقيني وقال عليه السلام لست انسى ولكن انسى ليستن بي فاخبر
صلى الله تعالى عليه وسلم ان سره وباطنه وروحه بخلاف جسمه وظاهره
وان الافات التي تحل ظاهره من ضعف وجوع وسهر ونوم لا يحل منها شيء
باطنه بخلاف غيره من البشر في حكم الباطن لان غيره اذا نام استغرق النوم
جسمه وقلبه وعليه السلام في نومه حاضر القلب كما هو في يقظته حتى قد جاء
في بعض الاثار انه كان محروسا من الحدث في نومه لكون قلبه يقظان كما
ذكرناه وكذلك غيره اذا جاع ضعف لذلك جسمه وخارت قوته فبطلت

بالكلية جملته وهو عليه السلام قد اخبر انه لا يعتريه ذلك وانه يختص فيه
لقوله لست كهيئتكم واني ابيت يطعمني ويسقيني وكذلك اقول انه في هذه
الاحوال كلها من وصب ومرض وسحر وغضب لم يجر على باطنه ما يخل به ولا
فاض منه على لسانه وجوارحه ما لا يليق به كما يعتري غيره من البشر مما
نأخذ بعد في بيانه فصل فان قلت فقد جاءت الاخبار الصحيحة انه عليه السلام
سحر كما حدثنا الشيخ ابو محمد العتابي بقراءة عليه قال حدثنا حاتم بن
محمد حدثنا ابو الحسن علي بن خلف حدثنا محمد بن احمد حدثنا محمد بن يوسف
حدثنا البخاري حدثنا عبيد بن اسمعيل قال حدثنا ابو اسامة عن هشام
بن عروة عن ابيه عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت سحر رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم حتى انه ليخيل اليه انه فعل الشيء وما فعله وفي رواية
اخرى حتى انه كان يخيل اليه انه كان يأتي النساء ولا يأتيهن الحديث
واذا كان هذا من التباس الامر على المسحور فكيف حال النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم في ذلك وكيف جاز عليه وهو معصوم فاعلم وفقنا الله تعالى
واياك ان هذا الحديث صحيح متفق عليه وقد طعنت فيه الملحدة وتذرعت به
لسخف عقولها وتلبيسها على امثالها الى التشكيك في الشرع وقد نزه الله
تعالى الشرع والنبي عما يدخل في امره لبسا وانما السحر مرض من الامراض وعارض
من العلل يجوز عليه كانواع الامراض مما لا ينكر ولا يقدح في نبوته عليه السلام
واما ما ورد انه كان يخيل اليه انه فعل الشيء ولا يفعله فليس في هذا
ما يدخل عليه داخلة في شيء من تبليغه وشريعته او يقدح في صدقه
لقيام الدليل والاجماع على عصمته من هذا وانما هذا فيما يجوز طروه
عليه في امر دنياه التي لم يبعث بسببها ولا فضل من اجلها وهو فيها عرضة
صلى الله تعالى عليه وسلم

للوفات

للوفات كسائر البشر فغير بعيد ان يخيل اليه من امورها ما لا حقيقة له
ثم ينجلي عنه كما كان وايضا فقد فسر هذا الفصل الحديث الآخر من قوله
حتى يخيل اليه انه يأتي ولا يأتيهن وقد قال سفيان وهذا اشد ما يكون
من السحر ولم يأت في خبر منها انه نقل عنه في ذلك قول بخلاف ما كان
اخبر انه فعله ولم يفعله وانما كانت خواطر وتخيلات وقد قيل ان
المراد بالحديث انه كان يتخيل الشيء انه فعله وما فعله لكنه تخييل
لا يعتقد صحته فتكون اعتقاداته كلها على السداد واقواله على الصحة
هذا ما وقفت عليه من الاجوبة لائمتنا عن هذا الحديث مع ما اوضحناه
من معنى كلامهم وزدناه بيانا من تلويحاتهم وكل وجه منها مقنع لكنه
قد ظهر لي في الحديث تأويل اجلى وابعد من مطاعن ذوي الاضاليل يستفاد
من نفس الحديث وهو ان عبد الرزاق قد روى هذا الحديث عن ابن
المسيب وعروة بن الزبير وقال فيه عنهما سحر يهود بني زريق رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم فجعلوه في بئر حتى كاد رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم ان ينكر بصره ثم دله الله تعالى على ما صنعوا فاستخرجه من البئر
وروى نحوه عن الواقدي وعن عبد الرحمن بن كعب وعمر بن الحكم
وذكر عن عطاء الخراساني عن يحيى بن يعمر حبس رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم عن عائشة رضي الله تعالى عنها سنة فبينا هو نائم اتاه ملكان
فقعد احدهما عند رأسه والآخر عند رجليه الحديث قال عبد الرزاق
حبس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن عائشة رضي الله تعالى عنها خاصة
سنة حتى انكر بصره وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما مرض رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فحبس عن النساء والطعام والشراب فهبط عليه

ملكان وذكر القصة فقد استبان لك من مضمون هذه الروايات
ان السحر انما تسلط على ظاهره وجوارحه لا على قلبه واعتقاده وعقله
وانه انما اثر في بصره وحبسه عن وطء نسائه وطعامه واضعف
جسمه وامرضه ويكون معنى قوله يخيل اليه انه ياتي اهله ولا ياتيهن
اى يظهر له من نشاطه ومتقدم عادته القدرة على النساء فاذا
ادنى منهن اصابته اخذة السحر فلم يقدر على اتيانهن كما يعترى من
اخذ واعترض ولعل لمثل هذا اشار سفيان بقوله وهذا اشد ما يكون
من السحر ويكون قول عائشة رضى الله عنها في الرواية الاخرى انه ليخيل
اليه انه فعل الشيء وما فعله من باب ما اختل من بصره كما ذكر في الحديث
فيظن انه راى شخصا من بعض ازواجه او شاهد فعلا من غيره ولم يكن
على ما يخيل اليه لما اصابه في بصره وضعف نظره لا لشيء طرا عليه في
ميزه واذا كان هذا لم يكن فيما ذكر من اصابة السحر له وتاثيره فيه ما يدخل
لبسا ولا يجد به الملحد المعترض انسا **فصل هذه حاله في جسمه** صلى الله
تعالى عليه وسلم **فاما** احواله في امور الدنيا فنحن نسبرها على اسلوبها
المتقدم بالعقد والقول والفعل **اما** العقد منها فقد يعتقد
في امور الدنيا الشيء على وجه ويظهر خلافه او يكون منه على شك
او ظن بخلاف امور الشرع كما **حدثنا** ابو بحر سفيان بن العاص وغير واحد
سماعا وقراءة قالوا **حدثنا** ابو العباس احمد بن عمر قال **حدثنا** ابو العباس
الرازى **حدثنا** ابو احمد بن عمرويه **حدثنا** ابن سفيان **حدثنا** مسلم
حدثنا عبد الله بن الرومى وعباس العنبرى واحمد المعقرى قالوا
حدثنا النضر بن محمد قال **حدثني** عكرمة **حدثنا** ابو النجاشي قال **حدثنا**

رافع

رافع بن خديج قال قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة وهم
يابرون النخل فقال صلى الله تعالى عليه وسلم ما تصنعون قالوا كنا نصنعه
قال لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرا فتركوه فنقصت فذكروا ذلك له فقال
انما انا بشر اذا امرتكم بشيء من دينكم فخذوا به واذا امرتكم بشيء من راى
فانما انا بشر **وفي رواية** انس رضى الله تعالى عنه انتم اعلم بامر دنياكم **وفي**
حديث اخر انما ظننت ظنا فلا تؤاخذوني بالظن **وفي** ابن عباس رضى
الله تعالى عنهما في قصة الخرص فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
انما انا بشر مثلكم فما حدثتكم عن الله تعالى فهو حق وما قلت فيه من قبل نفسي
فانما انا بشر اخطئ واصيب وهذا على ما قررناه فيما قاله من قبل نفسه في
امور الدنيا وظنه من احوالها لا ما قاله من قبل نفسه واجتهاده في شرع
شرعه وسنة سنها **وكما حكى** ابن اسحاق انه عليه السلام لما نزل بادنى
مياه بدر قال له الحباب بن المنذر اهذا منزل انزلكه الله تعالى ليس لنا
ان نتقدمه ام هو الراى والحرب والمكيدة قال لا بل هو الراى والحرب والمكيدة
قال فانه ليس بمنزل انهض حتى ناتي ادنى ماء من القوم فننزله ثم نغور
ما وراءه من القلب فنشرب ولا يشربون فقال اشرت بالراى وفعل
ما قاله **وقد قال الله تعالى** وشاورهم في الامر واراد مصالحة بعض عدوه
على ثلث ثمر المدينة فاستشار الانصار فلما اخبروه برايهم رجع عنه فمثل
هذا واشباهه من امور الدنيا التى لا مدخل فيها لعلم ديانة ولا اعتقادها
ولا تعليمها يجوز عليه فيه ما ذكرناه اذ ليس في هذا كله نقيصة ولا محطة وانما
هى امور اعتيادية يعرفها من جربها وجعلها همه وشغل نفسه بها والنبى صلى
الله تعالى عليه وسلم مشحون القلب بمعرفة الربوبية ملآن الجوارح بعلوم

الشريعة مقيد البال بمصالح الامة الدينية والدنيوية ولكن هذا انما يكون
في بعض الامور ويجوز في النادر وفيما سبيله التدقيق في حراسة الدنيا
واستثمارها لا في الكثير المؤذن بالبله والغفلة وقد تواتر بالنقل عنه
عليه السلام من المعرفة بامور الدنيا ودقائق مصالحها وسياسة فرق اهلها ما
هو معجز في البشر مما قد نبهنا عليه في باب معجزاته من هذا الكتاب فصل
واما ما يعتقده عليه الصلوة والسلام في امور احكام البشر الجارية على يديه
عليه السلام وقضاياهم ومعرفة المحق من المبطل وعلم المصلح من المفسد فبهذه
السبيل لقوله عليه السلام انما انا بشر وانكم تختصمون الي فلعل بعضكم ان
يكون الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو مما اسمع منه فمن قضيت له من
حق اخيه بشيء فلا يأخذ منه شيئا فانما اقطع له قطعة من النار حدثنا
الفقيه ابو الوليد رحمه الله تعالى حدثنا الحسين بن محمد الحافظ حدثنا ابو
عمر حدثنا ابو محمد حدثنا ابو بكر حدثنا ابو داود حدثنا محمد بن كثير
حدثنا سفيان عن هشام بن عروة عن ابيه عن زينب ام سلمة عن ام
سلمة رضي الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الحديث
وفي رواية الزهري عن عروة رضي الله تعالى عنه فلعل بعضكم ان يكون
ابلغ من بعض فاحسب انه صادق فاقضي له وتجري احكامه عليه السلام
على الظاهر وموجب غلبات الظن بشهادة الشاهد ويمين الحالف
ومراعاة الاشبه ومعرفة العفاص والوكاء مع مقتضى حكمة الله تعالى
في ذلك فانه تعالى لو شاء لاطلعه على سرائر عباده ومخبآت ضمائر امته
فتولى الحكم بينهم بمجرد يقينه وعلمه دون حاجة الى اعتراف او بينة
او يمين او شبهة ولكن لما امر الله تعالى امته باتباعه والاقتداء به في افعاله

واحواله

واحواله وقضاياه وسيره وكان هذا لو كان مما يختص بعلمه ويؤثره
الله تعالى به لم يكن للامة سبيل الى الاقتداء به في شيء من ذلك ولا قامت
حجة بقضية من قضاياه لاحد في شريعته لانا لا نعلم ما اطلع عليه هو في
تلك القضية لحكمه هو اذا في ذلك بالمكنون من اعلام الله تعالى له بما اطلعه
عليه من سرائرهم وهذا ما لا تعلمه الامة فاجرى الله تعالى احكامه على ظواهرهم
التي يستوي في ذلك هو وغيره من البشر ليتم اقتداء امته به في تعيين قضاياه
وتنزيل احكامه ويأتون ما اتوا به من ذلك على علم ويقين من سنته اذ البيان
بالفعل اوقع منه بالقول وارفع لاحتمال اللفظ وتأويل المتأول وكان
حكمه عليه السلام على الظاهر اجلى في البيان واوضح في وجوب الاحكام واكثر
فائدة لموجبات التشاجر والخصام وليقتدي بذلك كله حكام امته
ويستوثق بما يؤثر عنه وينضبط قانون شريعته وطي ذلك عنه من
علم الغيب الذي استأثر به عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من
ارتضى من رسول فيعلمه منه بما شاء ويستأثر بما شاء به ولا يقدح هذا
في نبوته ولا ينفصم عروة من عصمته فصل واما قوله صلى الله تعالى عليه
وسلم الدنيوية من اخباره عن احواله واحوال غيره وما يفعله او فعله
فقد قدمنا ان الخلف فيها ممتنع عليه في كل حال وعلى اي وجه من عمد
او سهو او صحة او مرض او رضا او غضب فانه صلى الله تعالى عليه وسلم
معصوم منه هذا فيما طريقه الخبر المحض مما يدخله الصدق والكذب فاما
المعاريض الموهم ظاهرها خلاف باطنها فجائز ورودها منه عليه السلام
في الامور الدنيوية لا سيما لقصد المصلحة كتوريته عن وجه مغازيه
لئلا يأخذ العدو حذره وكما روي عن ممازحته عليه الصلوة والسلام

ودعابته لبسط امته وتطييب قلوب المؤمنين من صحابته وتأكيدا
في تحبيبهم ومسرة نفوسهم كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لاحملنك على
ابن الناقة قال عليه الصلوة والسلام للمرأة التي سألت عن زوجها اهو الذي
بعينيه بياض وهذا كله صدق لان كل جمل ابن ناقة وكل انسان بعينيه
بياض وقد قال عليه السلام اني لامزح ولا اقول الا حقا هذا كله فيما بابه
الخبر فاما ما بابه غير الخبر مما صورة الامر والنهي في الامور الدنيوية فلا
يصح منه ايضا ولا يجوز عليه ان يأمر احدا بشيء او ينهى احدا عن شيء وهو
يبطن خلافه وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم ما كان لنبي ان تكون له
خائنة الاعين فكيف ان تكون له خائنة القلب فان قلت فما معنى اذا قوله
تعالى في قصة زيد واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه امسك
عليك زوجك الاية فاعلم اكرمك الله تعالى ولا تسترب في تنزيه النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم عن هذا الظاهر وان يأمر زيدا بامساكها وهو
يحب تطليقه اياها كما ذكر عن جماعة من المفسرين واصح ما في هذا ما حكاه
اهل التفسير عن علي بن حسين رضي الله تعالى عنهما ان الله تعالى كان اعلم
نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم ان زينب ستكون من ازواجه فلما شكاها
اليه زيد قال له امسك عليك زوجك واتق الله واخفى منه في نفسه ما
اعلمه الله تعالى به من انه سيتزوجها مما الله مبديه ومظهره بتمام التزويج
وطلاق زيد لها وروى نحوه عمرو بن فائد عن الزهري قال نزل جبريل
على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يعلمه ان الله تعالى يزوجه زينب بنت
جحش رضي الله تعالى عنها فذلك الذي اخفى في نفسه ويصحح هذا قول
المفسرين في قوله عز وجل بعد هذا وكان امر الله مفعولا اي لا بد لك

ان تتزوجها

ان تتزوجها ويوضح هذا ان الله تعالى لم يبد من امره معها غير زواجه لها
فدل انه الذي اخفاه عليه الصلوة والسلام مما كان اعلمه به تعالى وقوله تعالى
في القصة ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله الاية فدل
انه لم يكن عليه حرج في الامر قال الطبري ما كان الله ليؤثم نبيه فيما احل
فعله لمن قبله من الرسل قال الله تعالى سنة الله في الذين خلوا من قبل اي
من النبيين فيما احل لهم ولو كان على ما روي في حديث قتادة رضي الله
تعالى عنه من وقوعها من قلب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عندما اعجبته
ومحبته طلاق زيد لها لكان فيه اعظم الحرج وما لا يليق به من مد
عينيه لما نهي عنه من زهرة الحيوة الدنيا ولكان هذا نفس الحسد
المذموم الذي لا يرضاه ولا يتسم به الاتقياء فكيف سيد الانبياء
صلى الله تعالى عليه وسلم قال القشيري وهذا اقدام عظيم من قائله وقلة
معرفة بحق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وبفضله وكيف يقال رآها فاعجبته
وهي بنت عمته ولم يزل يراها منذ ولدت ولا كان النساء يحتجبن منه عليه
السلام وهو زوجها لزيد رضي الله تعالى عنه وانما جعل الله تعالى طلاق زيد لها
وتزويج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اياها لازالة حرمة التبني وابطال
سنته كما قال ما كان محمد ابا احد من رجالكم وقال لكيلا يكون على المؤمنين
حرج في ازواج ادعيائهم ونحوه لابن فورك وقال ابو الليث السمرقندي
فان قيل فما الفائدة في امر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لزيد رضي الله تعالى
عنه بامساكها فهو ان الله تعالى اعلم نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم انها زوجته
فنهاه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن طلاقها اذ لم تكن بينهما الفة و
اخفى في نفسه ما اعلمه الله تعالى به فلما رأى زيد رضي الله تعالى عنه خشي قول

الناس يتزوج امرأة ابنه فامره الله تعالى بزواجها ليباح مثل ذلك لامته
كما قال الله تعالى لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم وقد قيل
كان امره لزيد رضي الله تعالى عنه بامساكها قمعا للشهوة وردا للنفس عن هواها
وهذا اذا جوزنا عليه صلوة وسلم انه راها فجأة واستحسنها ومثل هذا
لا نكرة فيه لما طبع عليه ابن ادم من استحسانه للحسن ونظرة الفجاءة
معفو عنها ثم قمع نفسه عنها وامر زيدا بامساكها وانما تنكر تلك الزيادات
التي في القصة والتعويل والاولى ما ذكرناه عن علي بن الحسين وحكاه
السمرقندي وهو قول ابن عطاء وصححه واستحسنه القاضي القشيري و
عليه عول ابو بكر بن فورك وقال انه معنى ذلك عند المحققين من اهل
التفسير قال والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم منزه عن استعمال النفاق
في ذلك واظهار خلاف ما في نفسه وقد نزهه الله تعالى عن ذلك بقوله
تعالى ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له ومن ظن ذلك النبي عليه السلام
فقد اخطأ قال وليس معنى الخشية هنا الخوف وانما معناه الاستحياء
اي يستحي منهم ان يقولوا تزوج زوجة ابنه وان خشيته عليه السلام من الناس
كانت من ارجاف المنافقين واليهود وتشغيبهم على المسلمين بقولهم تزوج
زوجة ابنه بعد نهيه عن نكاح حلائل الابناء كما كان فعتبه الله تعالى على
هذا ونزهه عن الالتفات اليهم فيما احله لهم كما عتبه على مراعات رضا
ازواجه في سورة التحريم بقوله تعالى لم تحرم ما احل الله لك الاية كذلك
قوله له ههنا وتخشى الناس والله احق ان تخشاه وقد روي عن
الحسن وعائشة رضي الله تعالى عنهما لو كتم رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم شيئا من الوحي لكتم هذه الاية لما فيها من عتبه وابداء ما اخفاه

فصل فان قلت

فصل فان قلت قد تقررت عصمته عليه السلام في اقواله في جميع احواله وانه
لا يصح منه فيها خلف ولا اضطراب في عمد ولا سهو ولا صحة ولا مرض ولا
جد ولا مزح ولا رضى ولا غضب ولكن ما معنى الحديث في وصيته عليه
الصلوة والسلام الذي حدثنا به القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله تعالى قال
حدثنا القاضي ابو الوليد قال حدثنا ابو ذر حدثنا ابو محمد وابو الهيثم و
ابو اسحاق قالوا حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا علي
بن عبد الله حدثنا عبد الرزاق عن همام بن معمر عن الزهري عن عبيد
الله بن عبد الله عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال لما احتضر رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم وفي البيت رجال فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
هلموا اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده ابدا فقال بعضهم ان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم قد غلبه الوجع الحديث وفي رواية ايتوني
اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعدي ابدا فتنازعوا فقالوا ما له اهجر استفهموه
فقال دعوني فان الذي انا فيه خير وفي بعض طرقه ان النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم يهجر وفي رواية هجر ويروى اهجر وفيه فقال عمر رضي
الله تعالى عنه ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قد اشتد به الوجع وعندنا
كتاب الله تعالى حسبنا وكثر اللغط فقال قوموا عني وفي رواية واختلف اهل
البيت واختصموا فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم كتابا ومنهم من يقول ما قال عمر رضي الله تعالى عنه قال ائمتنا في هذا الحديث
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم غير معصوم من الامراض وما يكون من عوارضها
من شدة وجع وغشي ونحوه مما يطرأ على جسمه معصوم ان يكون منه القول
اثناء ذلك ما يطعن في معجزته ويؤدي الى فساد في شريعته من هذيان

او اختلاف في كلام وعلى هذا لا يصح ظاهر رواية من روى في الحديث
هجر اذ معناه هذى يقال هجر هجرا اذا هذى واهجر هجرا اذا افحش واهجر
تعدية هجر وانما الاصح والاولى اهجر على طريق الانكار على من قال لا يكتب
وهكذا روايتنا فيه في صحيح البخاري من رواية جميع الرواة في حديث
الزهري المتقدم وفي حديث محمد بن سلام عن ابن عيينة وكذا ضبط
الاصيلي بخطه في كتابه وغيره من هذه الطريق وكذا رويناه عن مسلم في
حديث سفيان وعن غيره وقد تحمل عليه رواية من رواه هجر على حذف
الف الاستفهام والتقدير اهجر او ان يحمل قول القائل هجرا او اهجر دهشة
من قال ذلك وحيرة لعظيم ما شاهد من حال الرسول صلى الله تعالى عليه و
سلم وشدة وجعه وهول المقام الذي اختلف فيه عليه والامر الذي
هم بالكتاب فيه حتى لم يضبط هذا القائل لفظه واجرى الهجر مجرى شدة
الوجع لا انه اعتقد انه يجوز عليه الهجر كما حملهم الاشفاق على حراسته
والله تعالى يقول والله يعصمك من الناس ونحو هذا واما على رواية اهجرا
وهي رواية ابي اسحاق المستملي في الصحيح وحديث ابن جبير عن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما في رواية قتيبة فقد يكون هذا راجعا الى المختلفين
عنده صلى الله تعالى عليه وسلم ومخاطبة لهم من بعضهم اي جئتم باختلافكم
على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وبين يديه هجرا ومنكرا من القول
والهجر بضم الهاء الفحش في المنطق وقد اختلف العلماء في معنى هذا
الحديث وكيف اختلفوا بعد امره لهم عليه السلام ان ياتوه بالكتاب فقال
بعضهم اوامر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يفهم ايجابها من ندبها من
اباحتها بقرائن فلعل قد ظهر من قرائن قوله عليه الصلوة والسلام لبعضهم

فافهموا

ما فهموا انه لم تكن منه عزمة بل امر رده الى اختيارهم وبعضهم لم يفهم
ذلك فقال استفهموه فلما اختلفوا كف عنه اذ لم تكن عزمة ولما رأوه من
صواب رأي عمر رضي الله تعالى عنه ثم هؤلاء قالوا ويكون امتناع عمر رضي
الله تعالى عنه اما اشفاقا على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من تكليفه في
تلك الحال املاء الكتاب وان يدخل عليه مشقة من ذلك كما قال ان النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم قد اشتد به الوجع وقيل خشي عمر رضي الله تعالى
عنه ان يكتب امورا يعجزون عنها فيحصلون في الحرج بالمخالفة ورأى
ان الارفق بالامة في تلك الامور سعة الاجتهاد وحكم النظر وطلب
الصواب فيكون المصيب والمخطي ماجورا وقد علم عمر رضي الله تعالى عنه
تقرر الشرع وتاسيس الملة وان الله تعالى قال اليوم اكملت لكم دينكم و
قوله عليه الصلوة والسلام اوصيكم بكتاب الله تعالى وعترتي وقول عمر رضي الله
تعالى عنه حسبنا كتاب الله تعالى رد على من نازعه لا على امر النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم وقد قيل ان عمر رضي الله تعالى عنه خشي تطرق المنافقين
ومن في قلبه مرض لما كتب في ذلك الكتاب في الخلوة وان يتقولوا في ذلك
الاقاويل كادعاء الرافضة الوصية وغير ذلك وقيل انه كان من النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم على طريق المشورة والاختبار هل يتفقون على
ذلك ام يختلفون فلما اختلفوا تركه وقالت طائفة اخرى ان معنى الحديث
ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان مجيبا في هذا الكتاب لما طلب منه لا انه
ابتداء بالامر به بل اقتضاه منه بعض اصحابه فاجاب رغبتهم وكره ذلك
غيرهم للعلل التي ذكرناها واستدل في مثل هذه القصة بقول العباس
لعلي رضي الله تعالى عنهما انطلق بنا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

فان كان الامر فينا علمناه وكراهة على هذا او قوله والله لا افعل الحديث
واستدل بقوله دعوني فان الذي انا فيه خير من ارسال الامر وتركهم
وكتاب الله تعالى وان تدعوني مما طلبتم لي وذكر ان الذي طلب كتابه امر الخلافة
بعده وتعيين ذلك فصل فان قلت فما وجه حديثه صلى الله تعالى عليه وسلم
ايضا حدثنا الفقيه ابو محمد الخشني بقراءتي عليه حدثنا ابو علي الطبري
حدثنا عبد الغافر الفارسي حدثنا ابو احمد الجلودي قال حدثنا
ابراهيم بن سفيان حدثنا مسلم بن الحجاج حدثنا قتيبة حدثنا ليث
عن سعيد بن ابي سعيد عن سالم مولى النصريين قال سمعت ابا هريرة
رضي الله تعالى عنه يقول سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول
اللهم انما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر وقد اتخذت عندك عهدا لن تخلفنيه
فايما مؤمن اذيته او سببته او جلدته فاجعلها له كفارة وقربة تقربه بها
اليك يوم القيمة وفي رواية فايما احد دعوت عليه دعوة وفي
ليس لها باهل وفي رواية فايما رجل من المسلمين سببته او لعنته
او جلدته فاجعلها له زكاة وصلاة ورحمة وكيف يصح ان
يلعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من لا يستحق اللعن ويسب من لا
يستحق السب ويجلد من لا يستحق الجلد او يفعل مثل ذلك عند
الغضب وهو معصوم من هذا كله فاعلم شرح الله تعالى صدرك
ان قوله اولا ليس لها باهل اي عندك يا رب في باطن امره فان
حكمه عليه الصلوة والسلام على الظاهر كما قال والحكمة التي ذكرناها فحكم
عليه الصلوة والسلام بجلده او ادبه بسبه او لعنه بما اقتضاه عنده
حال ظاهره ثم دعا عليه السلام لشفقته على امته ورافته ورحمته

للمؤمنين التي وصفه الله تعالى بها وحذره ان يتقبل فيما دعا عليه دعوته ان
يجعل دعاءه ولعنه له رحمة فهو معنى قوله ليس لها باهل لا انه عليه السلام
يحمله الغضب ويستفزه الضجر لان يفعل مثل هذا بمن لا يستحقه من
مسلم وهذا معنى صحيح ولا يفهم من قوله اغضب كما يغضب البشر ان الغضب
حمله على معاقبته بلعنه او سبه وانه مما كان يحتمل ويجوز عفوه عنه
او كان مما خير بين المعاقبة فيه والعفو عنه وقد يحتمل انه خرج مخرج الاشفاق
وتعليم امته الخوف والحذر من تعدي حدود الله تعالى وقد يحمل ما ورد
من دعائه هنا او من دعواته على غير واحد في غير موطن على غير العقد و
القصد بما جرت به عادة العرب وليس المراد بها الاجابة كقوله تربت
يمينك لا اشبع الله بطنك وعقرى حلقى وغيرها من دعواته وقد
ورد في صفته صلى الله تعالى عليه وسلم في غير حديث انه صلى الله
تعالى عليه وسلم لم يكن فاحشا متفحشا وقال انس رضي الله تعالى عنه لم يكن
سبابا ولا فاحشا ولا لعانا وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يقول لاحدنا
عند المعتبة ماله ترب جبينه فيكون حمل الحديث على هذا المعنى ثم
اشفق عليه السلام من موافقة امثالها اجابة فعاهد ربه كما قال في الحديث
ان يجعل ذلك للمقول له زكاة ورحمة وقربة وقد يكون ذلك اشفاقا
على المدعو عليه وتأنيسا له لئلا يلحقه من استشعار الخوف والحذر
من لعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وتقبل دعائه ما يحمله على اليأس و
القنوط وقد يكون ذلك سؤالا منه لربه لمن جلده او سبه على حق وبوجه
صحيح ان يجعل ذلك له كفارة لما اصاب وتمحية لما اجترم وان يكون عقوبته له
في الدنيا سبب العفو والغفران كما جاء في الحديث الآخر ومن اصاب من ذلك

٢ ما لا يجب بل يجوز ان يكون المراد بهذا ان الغضب لله تعالى حمله على صح

شيئا فعوقب فحوله كفارة فان قلت فما معنى حديث الزبير رضي الله تعالى
عنه وقول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم له حين تخاصمه مع الانصاري في
شراج الحرة اسق يا زبير حتى يبلغ الكعبين فقال الانصاري ان كان ابن
عمتك يا رسول الله فتلون وجه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم
قال اسق يا زبير ثم احبس الماء يبلغ الجدر الحديث فالجواب ان النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم منزه ان يقع بنفس مسلم منه في هذه القصة
امر يريب ولكنه صلى الله تعالى عليه وسلم ندب الزبير رضي الله تعالى
عنه اولا الى الاقتصار على بعض حقه على طريق التوسط والصلح فلما لم
يرض بذلك الاخر ولج وقال ما لا يجب استوفى النبي صلى الله تعالى عليه و
سلم للزبير رضي الله تعالى عنه حقه ولهذا ترجم البخاري على هذا الحديث
باب اذا اشار الامام بالصلح فابى حكم عليه بالحكم وذكر في اخر الحديث
فاستوعى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حينئذ للزبير رضي الله
تعالى عنه حقه وقد جعل المسلمون هذا الحديث اصلا في قضيته وفيه
الاقتداء به صلى الله تعالى عليه وسلم في كل حال بما فعله في حال غضبه و
رضاه وانه وان نهى ان يقضي القاضي وهو غضبان فانه في حكمه في حال
الغضب والرضاء سواء لكونه فيهما معصوما وغضب النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم في هذا انما كان لله تعالى لا لنفسه عليه السلام كما جاء في الحديث
الصحيح وكذلك الحديث في اقادته عكاشة من نفسه لم يكن لتعمد حمله
الغضب عليه بل وقع في الحديث نفسه ان عكاشة رضي الله تعالى عنه
قال له وضربتني بالقضيب فلا ادري اعمدا ام اردت ضرب الناقة فقال
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اعيذك يا عكاشة ان يتعمدك رسول

الله صلى الله

الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكذلك في حديثه الاخر مع الاعرابي حين
طلب صلى الله تعالى عليه وسلم الاقتصاص منه فقال الاعرابي قد عفوت
عنك وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قد ضربه بالسوط لتعلقه بزمام
ناقته مرة بعد اخرى والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ينهاه ويقول له
تدرك حاجتك وهو يأبى فضربه بعد ثلاث مرات وهذا منه عليه
الصلوة والسلام لمن لم يقف عند نهيه صواب وموضع ادب لكنه عليه السلام
اشفق اذ كان حق نفسه من الامر حتى عفا عنه واما حديث سواد بن
عمرو رضي الله تعالى عنه واتيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وانا متخلق
فقال ورس ورس حط حط وغشيني بقضيب في يده في بطني فاوجعني
قلت القصاص يا رسول الله فكشف لي عن بطنه عليه الصلوة والسلام انما
ضربه صلى الله تعالى عليه وسلم لمنكر رآه به ولعله لم يرد بضربه بالقضيب
الا تنبيهه فلما كان منه ايجاع لم يقصده طلب التحلل منه على ما قدمناه فصل
واما افعاله صلى الله تعالى عليه وسلم الدنيوية فحكمه فيها من توقي المعاصي
والمكروهات ما قدمناه ومن جواز السهو والغلط في بعضها ما ذكرناه
وكل غير قادح في النبوة بل ان هذا فيها على الندور اذ عامة افعاله صلى الله تعالى
عليه وسلم السداد والصواب بل اكثرها وكلها جارية مجرى العبادات
والقرب على ما بيناه اذ كان عليه السلام لا يأخذ منها لنفسه الا ضرورته وما
يقيم رمق جسمه وفيه مصلحة ذاته التي بها يعبد ربه ويقيم شريعته و
يسوس امته وما كان فيما بينه وبين الناس من ذلك فبين معروف يصنعه
او بر يوسعه او كلام حسن يقوله او يسمعه او تألف شارد او قهر
معاند او مداراة حاسد وكل هذا لاحق بصالح اعماله منتظم في زاكي

طائفة عباداته وقد كان يخالف في افعاله الدنيوية بحسب الحوادث والاحوال
ويعد للامور اشباهها فيركب في تصرفه لما قرب الحمار وفي اسفاره الراحلة
ويركب البغلة في معارك الحرب دليلا على الثبات ويركب الخيل ويعدها
ليوم الفزع واجابة الصارخ وكذلك في لباسه وسائر احواله صلى الله تعالى
عليه وسلم بحسب اعتبار مصالحه ومصالح امته وكذلك يفعل الفعل من
امور الدنيا مساعدة لامته وسياسة وكراهية لخلافها وان كان
قد يرى غيره خيرا منه كما يترك الفعل لهذا وقد يرى فعله خيرا منه
وقد يفعل هذا في الامور الدينية مما له الخيرة في احد وجهيه كخروجه
من المدينة لاحد وكان مذهبه التحصن بها وتركه قتل المنافقين
وهو على يقين من امرهم مؤالفة لغيرهم ورعاية للمؤمنين من قرابتهم
وكراهته لان يقول الناس ان محمدا يقتل اصحابه كما جاء في الحديث الصحيح
وتركه بناء الكعبة على قواعد ابراهيم عليه السلم مراعاة لقلوب قريش
وتعظيمهم لتغييرها وحذرا من نفار قلوبهم لذلك وتحريك متقدم
عداوتهم للدين واهله فقال لعائشة رضي الله تعالى عنها في الحديث الصحيح
لولا حدثان قومك بالكفر لاتممت البيت على قواعد ابراهيم عليه السلم ويفعل
الفعل ثم يتركه لكون غيره خيرا منه كانتقاله من ادنى مياه بدر
الى اقربها للعدو من قريش وكقوله لو استقبلت من امري ما استدبرت
ما سقت الهدي ويبسط وجهه للكافر والعدو رجاء استيلافه
ويصبر للجاهل ويقول صلى الله تعالى عليه وسلم ان من شرار الناس من اتقاه
الناس لشره ويبذل له الرغائب ليحبب اليه شريعته ودين ربه و
يتولى في منزله ما يتولى به الخادم من مهنته ويتسمت في ملائه حتى

لايبدو

لا يبدو منه شيء من اطرافه كان على رؤس جلسائه الطير ويتحدث
مع جلسائه بحديث اولهم ويتعجب مما يتعجبون منه ويضحك مما يضحكون
منه قد وسع الناس بشره وعدله لا يستفزه الغضب ولا يقصر عن الحق
ولا يبطن على جلسائه يقول ما كان لنبي ان يكون له خائنة الاعين فان
قلت فما قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لعائشة رضي الله تعالى عنها في الداخل
عليه بئس ابن العشيرة فلما دخل الان القول وضحك معه فلما سألته
عن ذلك قال ان من شر الناس من اتقاه الناس لشره وكيف جاز ان يظهر له
خلاف ما يبطن به ويقول في ظهره ما قال فالجواب ان فعله عليه الصلوة
والسلم كان استيلافا لمثله وتطييبا لنفسه ليتمكن ايمانه ويدخل في الاسلام
بسببه اتباعه ويراه مثله فينجذب بذلك الى الاسلام ومثل هذا على هذا
الوجه قد خرج من حد مداراة الدنيا الى السياسة الدينية وقد كان يستالفهم
باموال الله تعالى العريضة فكيف بالكلمة اللينة قال صفوان رضي الله تعالى عنه
لقد اعطاني رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو ابغض الخلق الي فما زال
يعطيني حتى صار احب الخلق الي وقوله فيه بئس ابن العشيرة هو غير غيبة بل
تعريف ما علمه منه لمن لم يعلم ليحذر حاله ويحترز منه ولا يوثق بجانبه كل
الثقة لا سيما وكان مطاعا متبوعا ومثل هذا اذا كان لضرورة ودفع
مضرة لم يكن بغيبة بل كان جائزا بل واجبا في بعض الاحيان كعادة المحدثين
في تجريح الرواة والمزكين في الشهود فان قيل فما معنى المعضل الوارد
في حديث بريرة رضي الله تعالى عنها من قوله عليه الصلوة والسلم لعائشة رضي
الله تعالى عنها وقد اخبرته ان موالي بريرة ابوا بيعها الا ان يكون لهم الولاء
فقال لها عليه السلم اشتريها واشترطي لهم الولاء صح
ففعلت ثم قام خطيبا فقال ما بال اقوام يشترطون شروطا ليست

في كتاب الله تعالى فهو باطل والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم قد امرها بالشرط لهم
وعليه باعوا ولولاه والله تعالى اعلم لما باعوها من عائشة رضي الله تعالى عنها
كالم يبيعوها قيل حتى شرطوا ذلك عليها ثم ابطله صلى الله تعالى عليه وسلم
وهو قبحه الغش والخديعة فاعلم اكرمك الله تعالى ان النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم منزه عما يقع في بال الجاهل من هنا ولتنزيه النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم عن ذلك ما قد انكر قوم هذه الزيادة قوله اشترطي لهم الولاء
اذ ليست في اكثر طرق الحديث ومع ثباتها فلا اعتراض بها اذ يقع لهم بمعنى عليهم
قال الله تعالى اولئك لهم اللعنة وقال تعالى وان اسأتم فلها فعلى هذا اشترطي
عليهم الولاء لك ويكون قيام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ووعظه لما
سلف لهم من شرط الولاء لانفسهم قبل ذلك ووجه ثان ان قوله عليه
الصلوة والسلام اشترطي لهم الولاء ليس على معنى الامر لكن على معنى التسوية
والاعلام بان شرط لهم لا ينفعهم بعد بيان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
قبل ان الولاء لمن اعتق فكأنه قال صلى الله تعالى عليه وسلم اشترطي فانه
شرط غير نافع والى هذا ذهب الداودي وغيره وتوبيخ النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم لهم وتقريعهم على ذلك يدل على علمهم به قبل هذا الوجه الثالث
ان معنى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم اشترطي لهم الولاء اي اظهري لهم
حكمه وبيني عندهم سنته ان الولاء انما هو لمن اعتق ثم بعد هذا قام
هو صلى الله تعالى عليه وسلم مبينا ذلك وموبخا على مخالفة ما تقدم
منهم فيه فان قيل فما معنى فعل يوسف عليه السلام باخيه اذ جعل السقاية
في رحله واخذه باسم سرقتها وما جرى على اخوته في ذلك وقوله انكم
لسارقون ولم يسرقوا فاعلم اكرمك الله تعالى ان الاية تدل على ان فعل

يوسف عليه السلام كان عن امر الله تعالى لقوله تعالى كذلك كدنا ليوسف ما كان
ليأخذ اخاه في دين الملك الا ان يشاء الله الاية فاذا كان كذلك فلا اعتراض به
كان فيه ما فيه وايضا فان يوسف عليه السلام كان اعلم اخاه باني انا اخوك
فلا تبتئس فكان ما جرى عليه بعد هذا من وفقه ورغبته وعلى يقين
من عقبى الخير له به وازاحة السوء والمضرة عنه بذلك واما قوله
ايتها العير انكم لسارقون فليس من قول يوسف عليه السلام فيلزم عليه
جواب لحل شبهة ولعل قائله ان حسن له التأويل كائنا من كان ظن
على صورة الحال ذلك وقد قيل قال ذلك لفعلهم قبل بيوسف عليه
السلام وبيعهم له وقيل غير هذا ولا يلزم ان يقول الانبياء عليهم السلام
ما لم يأت انهم قالوه حتى يطلب الخلاص منه ولا يلزم الاعتذار عن زلات
غيرهم فصل فان قيل فما معنى الحكمة في اجراء الامراض وشدتها عليه و
على غيره من الانبياء عليهم السلام وما الوجه فيما ابتلاهم الله تعالى به من البلاء
وامتحانهم بما امتحنوا به كايوب ويعقوب ودانيال ويحيى وزكريا وعيسى
وابراهيم ويوسف وغيرهم صلوات الله تعالى عليهم اجمعين وهم خيرته من
خلقه واحباؤه واصفياؤه فاعلم وفقنا الله تعالى واياك ان افعال
الله تعالى كلها عدل وكلماته جميعا صدق لا مبدل لكلماته يبتلي عباده
كما قال الله تعالى لهم لننظر كيف تعملون وليبلوكم ايكم احسن عملا وليعلم
الله الذين امنوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين
ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو اخباركم فامتحانه
اياهم بضروب المحن زيادة في مكانتهم ورفعة في درجاتهم واسباب
لاستخراج حالات الصبر والرضاء والشكر والتسليم والتوكل والتفويض

والدعاء والتضرع منهم وتاكيد لبصائرهم في رحمة الممتحنين والشفقة
على المبتلين وتذكرة لغيرهم وموعظة لسواهم ليتاسوا في البلاء بهم
ويتسلوا في المحن بما جرى عليهم ويقتدوا بهم في الصبر ومحو لهنات
فرطت منهم او غفلات سلفت لهم ليلقوا الله تعالى طيبين مهذبين
وليكون اجرهم اكمل وثوابهم اوفر واجزل حدثنا القاضي ابو علي الحافظ
حدثنا ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل بن خيرون قالا حدثنا
ابو علي البغدادي قال حدثنا ابو علي السنجي حدثنا محمد بن محبوب حدثنا
ابو عيسى الترمذي حدثنا قتيبة حدثنا حماد بن زيد عن عاصم بن
بهدلة عن مصعب بن سعد عن ابيه رضي الله تعالى عنهم قال قلت يا رسول
الله اي الناس اشد بلاء قال الانبياء ثم الامثل فالامثل يبتلى الرجل
حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الارض ما عليه
خطيئة وكما قال الله تعالى وكاين من نبي قاتل معه ربيون كثير الايات
الثلاث وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ما يزال البلاء بالمومن في
نفسه وولده وماله حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة وعن انس
رضي الله تعالى عنه عنه عليه الصلوة والسلام اذا اراد الله تعالى بعبده
الخير عجل له العقوبة في الدنيا واذا اراد الله تعالى بعبده الشر امسك
عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة وفي حديث اخر اذا احب
الله تعالى عبدا ابتلاه ليسمع تضرعه وحكى السمرقندي ان كل من
كان اكرم على الله تعالى كان بلاؤه اشد كي يتبين فضله ويستوجب
الثواب كما روي عن لقمن انه قال يا بني الذهب والفضة يختبران
بالنار والمومن يختبر بالبلاء وقد حكي ان ابتلاء يعقوب عليه السلام

بيوسف عليه السلام كان سببه التفاته في صلوته اليه ويوسف عليه السلام
نائم محبة له وقيل بل اجتمع يوما هو وابنه يوسف عليهما السلام على اكل
حمل مشوي وهما يضحكان وكان لهم جار يتيم فشم ريحه واشتهاه فبكى
وبكت جدة له عجوز لبكائه وبينهما جدار ولا علم عند يعقوب وابنه عليهما
السلام فعوقب يعقوب عليه السلام بالبكاء اسفا على يوسف عليه السلام الى
ان سالت حدقتاه وابيضت عيناه من الحزن فلما علم بذلك كان بقية
حياته يامر مناديا ينادي على سطحه الا من كان مفطرا فليتعش عند آل
يعقوب وعوقب يوسف عليه السلام بالمحنة التي نص الله تعالى عليها وروي
عن الليث ان سبب بلاء ايوب عليه السلام انه دخل مع اهل قريته على
ملكهم فكلموه في ظلمه واغلظوا له الا ايوب عليه السلام فانه رفق به مخافة
على زرعه فعاقبه الله تعالى ببلائه ومحنة سليمان عليه السلام لما ذكرنا من
نيته في كونه الحق في جنبة اصهاره او للعمد بالمعصية في داره ولا علم
عنده وهذه فائدة شدة المرض والوجع بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم
قالت عائشة رضي الله تعالى عنها ما رايت الوجع على احد اشد منه على رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال رايت
في مرضه يوعك وعكا شديدا فقلت انك لتوعك وعكا شديدا قال
اجل اني اوعك كما يوعك رجلان منكم قلت ذلك ان لك الاجر مرتين
قال اجل ذلك كذلك وفي حديث ابي سعيد رضي الله تعالى عنه ان
رجلا وضع يده على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال والله ما اطيق
اضع يدي عليك من شدة حماك فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
انا معشر الانبياء ليضاعف لنا البلاء ان كان النبي ليبتلى بالفقر وان

كانوا ليفرحوا بالبلاء كما يفرحون بالرخاء وعن انس رضي الله تعالى عنه
عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ان اعظم الجزاء مع عظم البلاء وان
الله تعالى اذا احب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضاء ومن سخطه فله
السخط وقد قال المفسرون في قوله تعالى من يعمل سوء يجز به ان المسلم
يجزى مساويه في الدنيا فيكون له كفارة وروى هذا عن عايشة رضي
الله تعالى عنها وابي ومجاهد رضي الله تعالى عنهما وقال ابو هريرة رضي الله
تعالى عنه عنه عليه الصلوة والسلام من يرد الله تعالى به خيرا يصب منه
وقال في رواية عايشة رضي الله تعالى عنها ما من مصيبة تصيب المسلم
الا يكفر الله تعالى بها عنه حتى الشوكة يشاكها وقال صلى الله تعالى عليه
وسلم في رواية ابي سعيد رضي الله تعالى عنه ما يصيب المؤمن من
نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا اذى ولا غم حتى الشوكة
يشاكها الا كفر الله تعالى بها من خطاياه وفي حديث ابن مسعود رضي
الله تعالى عنه ما من مسلم يصيبه اذى الا حات الله تعالى عنه خطاياه
كما يحت ورق الشجر وحكمة اخرى اودعها الله تعالى في الامراض
لاجسامهم وتعاقب الاوجاع عليها وشدتها عند مماتهم لتضعف
قوى نفوسهم فيسهل خروجها عند قبضهم وتخف عليهم مؤنة
النزع وشدة السكرات بتقدم المرض وضعف الجسم والنفس
لذلك خلاف موت الفجات واخذه كما يشاهد من اختلاف احوال
الموتى في الشدة واللين والصعوبة والسهولة وقد قال عليه السلام
مثل المؤمن مثل خامة الزرع تفيئها الريح هكذا وهكذا وفي رواية
ابي هريرة رضي الله تعالى عنه من حيث اتتها الريح تكفأها فاذا سكنت

اعتدلت وكذلك المؤمن يكفأ بالبلاء ومثل الكافر كالارزة صماء
معتدلة حتى يقصمها الله تعالى معناه ان المؤمن مرزأ مصاب بالبلاء
والامراض راض بتصريفه بين اقدار الله تعالى مطاع لذلك لين الجانب
برضاه وقلة سخطه كطاعة خامة الزرع وانقيادها للرياح وتمايلها
لهبوبها وترنحها من حيث ما اتتها فاذا ازاح الله تعالى عن المؤمن رياح
البلايا واعتدل صحيحا كما اعتدلت خامة الزرع عند سكون رياح الجو
رجع الى شكر ربه ومعرفة نعمته عليه برفع بلائه منتظرا رحمته وثوابه
عليه فاذا كان بهذه السبيل لم يصعب عليه مرض الموت ولا نزوله ولا
اشتدت عليه سكراته ونزعه لعادته بما تقدم من الآلام ومعرفة
ماله فيها من الاجر وتوطينه نفسه على المصائب ورقتها وضعفها
بتوالي المرض او شدته والكافر بخلاف هذا معافا في غالب حاله ممتع
بصحة جسمه كالارزة الصماء حتى اذا اراد الله تعالى هلاكه قصمه لحينه
على غرة واخذه بغتة من غير لطف ولا رفق فكان موته اشد عليه
حسرة ومقاساة نزعه مع قوة نفسه وصحة جسمه اشد الما
وعذابا ولعذاب الاخرة اشد كانجعاف الارزة كما قال الله تعالى
فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون وكذلك عادة الله تعالى في اعدائه
كما قال الله تعالى فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا
ومنهم من اخذته الصيحة الاية ففجأ جميعهم بالموت على حال عتو وغفلة
وصبحهم به على غير استعداد بغتة ولهذا ما كره السلف موت الفجات
ومنه في حديث ابراهيم كانوا يكرهون اخذة كاخذة الاسف اي
الغضب يريد موت الفجاءة وحكمة ثالثة ان الامراض نذير الممات

ويقدر شدتها شدة الخوف من نزول الموت فيستعد من اصابه و
علم تقاعدها للقاء ربه ويعرض عن دار الدنيا الكثير الانكاد ويكون
قلبه معلقاً بالمعاد فيتنصل من كل ما يخشى تباعته من قبل الله تعالى
وقبل العباد ويؤدى الحقوق الى اهلها وينظر فيما يحتاج اليه من وصية
فيمن يخلفه او امر يعهده وهذا نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم المغفور له
ما تقدم وما تاخر قد طلب التنصل فى مرضه ممن كان له عليه مال
او حق فى بدن واقاد من نفسه وماله وامكن من القصاص منه على
ما ورد فى حديث الفضل وحديث الوفاة واوصى بالثقلين بعده
كتاب الله تعالى وعترته وبالانصار عيبته ودعا الى كتاب لئلا تضل
امته بعده اما فى النص بالخلافة او الله تعالى اعلم بمراده ثم راى
الامساك عنه افضل وخيرا وهكذا سيرة عباد الله المؤمنين و
اوليائه المتقين وهذا كله يحرمه غالبا الكفار لاملاء الله تعالى لهم
ليزدادوا اثما وليستدرجهم من حيث لا يعلمون قال الله تعالى ما ينظرون
الا صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا
الى اهلهم يرجعون ولذلك قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
فى رجل مات فجاءة سبحان الله كانه على غضب المحروم من حرم وصيته
وقال صلى الله تعالى عليه وسلم موت الفجاءة راحة للمؤمن واخذة
اسف للكافر او الفاجر وذلك لان الموت ياتى المؤمن وهو غالبا
مستعد له منتظر لحلوله فهان امره عليه كيف ما جاء وافضى الى
راحته من نصب الدنيا واذاها كما قال عليه الصلوة والسلام مستريح
ومستراح منه وتاتى الكافر والفاجر منيته على غير استعداد ولا

اهبته

اهبته ولا مقدمات منذرة مزعجة بل تاتيهم بغتة فتبهتهم
فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون فكان الموت اشد شيء
وفراق الدنيا افظع امر صدمه واكره شيء له والى هذا المعنى اشار عليه
الصلوة والسلام بقوله من احب لقاء الله تعالى احب الله تعالى لقاءه

القسم الرابع فى تصريف وجوه الاحكام فيمن سبه او تنقصه
صلى الله تعالى عليه وسلم قال القاضى ابو الفضل رحمه الله تعالى قد تقدم
من الكتاب والسنة واجماع الامة ما يجب من الحقوق للنبى صلى الله
تعالى عليه وسلم وما يتعين له من بر وتوقير وتعظيم واكرام وبحسب هذا
حرم الله تعالى اذاه فى كتابه واجمعت الامة على قتل متنقصه صلى الله
تعالى عليه وسلم من المسلمين وسابه عليه الصلوة والسلام قال الله تعالى ان
الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والاخرة واعد لهم
عذابا مهينا وقال الله تعالى والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم
وقال الله تعالى وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه
من بعده ابدا ان ذلكم كان عند الله عظيما وقال الله تعالى فى تحريم التعريض له
يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا الاية وذلك
ان اليهود كانوا يقولون راعنا يا محمد اى ارعنا سمعك واسمع منا ويعرضون
بالكلمة يريدون الرعونة فنهى الله تعالى المؤمنين عن التشبه بهم وقطع
الذريعة بنهى المؤمنين عنها لئلا يتوصل بها الكافر والمنافق الى سبه
والاستهزاء به صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل بل لما فيها من مشاركة اللفظ
لانها عند اليهود بمعنى اسمع لا سمعت وقيل بل لما فيها من قلة الادب
وعدم توقير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وتعظيمه لانها فى لغة الانصار

بمعنى ارعنا نرعك فنهوا عن ذلك اذ مضمنه انهم لا يرعونه الا برعاية
لهم وهو صلى الله تعالى عليه وسلم واجب الرعاية بكل حال وهذا هو صلى
الله تعالى عليه وسلم قد نهى عن التكني بكنيته فقال عليه الصلوة والسلام
تسموا باسمي ولا تكتنوا بكنيتي صيانة لنفسه الشريفة وحماية عن اذاه
اذ كان صلى الله تعالى عليه وسلم استجاب لرجل نادى يا ابا القاسم فقال
لم اعنك انما دعوت هذا فنهى حينئذ عن التكني بكنيته لئلا يتأذى
باجابته دعوة غيره ممن لم يدعه ويجد بذلك المنافقون والمستهزؤن
ذريعة الى اذاه والازدراء به فينادونه فاذا التفت قالوا انما
اردنا هذا لسواه تعنيتا له واستخفافا بحقه صلى الله تعالى عليه وسلم
على عادة المجان والمستهزئين فحمى صلى الله تعالى عليه وسلم حمى اذاه بكل
وجه فحمل محققوا العلماء نهيه عن هذا على مدة حياته واجازوه بعد
وفاته لارتفاع العلة وللناس في هذا الحديث مذاهب ليس هذا موضعها
وما ذكرناه هو مذهب الجمهور والصواب ان شاء الله تعالى وان
ذلك على طريق تعظيمه وتوقيره صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى سبيل
الندب والاستحباب لا على التحريم ولذلك لم ينه عن اسمه صلى الله
تعالى عليه وسلم لانه قد كان الله تعالى منع من ندائه به بقوله تعالى
لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا وانما كان المسلمون
يدعونه يا رسول الله ويا نبي الله وقد يدعوه بكنيته ابا القاسم بعضهم
في بعض الاحوال وقد روى انس رضي الله تعالى عنه عنه صلى الله تعالى
عليه وسلم ما يدل على كراهة التسمي باسمه وتنزيهه عن ذلك اذا لم يوقر
فقال تسمون اولادكم محمدا ثم تلعنونهم وروى ان عمر رضي الله تعالى

عنه

عنه كتب الى اهل الكوفة لا يسم احد باسم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
حكاه ابو جعفر الطبري وحكى محمد بن سعد انه نظر الى اسمه محمد و
رجل يسبه ويقول له فعل الله تعالى بك يا محمد وصنع فقال عمر رضي الله تعالى
عنه لابن اخيه محمد بن زيد بن الخطاب لا ارى محمدا عليه السلام يسب بك
والله لا تدعى محمدا ما دمت حيا وسماه عبد الرحمن واراد ان يمنع لهذا
ان يسمى احد باسماء الانبياء اكراما لهم بذلك وغير اسماء جماعة تسموا
باسماء الانبياء اكراما لهم وقال لا تسموا باسماء الانبياء ثم امسك و
الصواب جواز هذا كله بعده صلى الله تعالى عليه وسلم بدليل اطباق الصحابة
على ذلك وقد سمى جماعة منهم ابنه محمدا وكناه بابي القاسم وروى
ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذن في ذلك لعلي رضي الله تعالى عنه
وقد اخبر صلى الله تعالى عليه وسلم ان اسم المهدي وكنيته وقد سمى به
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم محمد بن طلحة ومحمد بن عمرو بن حزم ومحمد بن
ثابت بن قيس وغير واحد وقال صلى الله تعالى عليه وسلم ما ضر احدكم
ان يكون في بيته محمد ومحمدان وثلاثة وقد فصلنا الكلام في هذا
القسم على ما بين كما قدمناه الباب الاول في بيان ما هو في حقه صلى
الله تعالى عليه وسلم سب او نقص من تعريض او نص قال القاضي ابو الفضل
رحمه الله تعالى اعلم وفقنا الله تعالى واياك ان جميع من سب النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم او عابه او الحق به ٧ نقصا في نفسه او نسبه او دينه او خصلة من خصاله او عرض به صح او شبهه بشيء على طريق السب له
او الازراء عليه او التصغير لشانه او الغض منه والعيب له فهو ساب له
والحكم فيه حكم الساب يقتل كما نبينه ولا نستثني فصلا من فصول
هذا الباب على هذا المقصد ولا نمتري فيه تصريحا كان او تلويحا وكذلك

من لعنه او دعا عليه او تمنى مضرة له او نسب اليه ما لا يليق بمنصبه
على طريق الذم او عبث في جهته العزيزة بسخف من الكلام وهجر ومنكر من
القول وزور او عيره بشيء مما جرى من البلاء والمحنة عليه او غمصه ببعض
العوارض البشرية الجائزة والمعهودة لديه وهذا كله اجماع من العلماء
وائمة الفتوى من لدن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم الى هلم جرا قال
ابو بكر بن المنذر اجمع عوام اهل العلم على ان من سب النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم يقتل وممن قال ذلك مالك بن انس والليث واحمد واسحاق
وهو مذهب الشافعي قال القاضي ابو الفضل رحمه الله تعالى وهو مقتضى قول
قول ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ولا تقبل توبته عند هؤلاء وبمثله
قال ابو حنيفة رحمه الله تعالى واصحابه والثوري واهل الكوفة والاوزاعي
في المسلم لكنهم قالوا هي ردة وروى مثله الوليد بن مسلم عن مالك رحمهما
الله تعالى وحكى الطبري مثله عن ابي حنيفة واصحابه عليهم رحمة الله تعالى
فيمن تنقصه صلى الله تعالى عليه وسلم او برئ منه او كذبه وقال سحنون
فيمن سبه ذلك ردة كالزندقة وعلى هذا وقع الخلاف في استتابته
وتكفيره وهل قتله حدا او كفر كما سنبينه في الباب الثاني ان شاء الله تعالى
ولا نعلم خلافا في استباحة دمه بين علماء الامصار وسلف الامة وقد
ذكر غير واحد الاجماع على قتله وتكفيره واشار بعض الظاهرية وهو ابو محمد
علي بن احمد الفارسي الى الخلاف في تكفير المستخف به والمعروف ما قدمناه
قال محمد بن سحنون اجمع العلماء ان شاتم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
المتنقص له كافر والوعيد جار عليه بعذاب الله تعالى له وحكمه عند الامة
القتل ومن شك في كفره وعذابه كفر واحتج ابراهيم بن حسين بن خالد

الفقيه في مثل هذا بقتل خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه مالك بن نويرة
لقوله عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم صاحبكم وقال ابو سليمان الخطابي
لا اعلم احدا من المسلمين اختلف في وجوب قتله اذا كان مسلما وقال ابن
القاسم عن مالك في كتاب ابن حبيب من سب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
من المسلمين قتل ولم يستتب قال ابن القاسم في العتبية او شتمه او عابه
او تنقصه فانه يقتل وحكمه عند الامة القتل كالزنديق وقد فرض الله
تعالى توقيره وبره صلى الله تعالى عليه وسلم وفي المبسوط عن عثمان بن
كنانة من شتم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من المسلمين قتل او صلب
حيا ولم يستتب والامام مخير في صلبه حيا او قتله ومن رواية
ابي المصعب وابن ابي اويس سمعنا مالكا رحمه الله تعالى يقول من
سب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم او شتمه او عابه او تنقصه قتل
مسلما كان او كافرا قتل ولم يستتب وقال اصبغ يقتل على كل حال
استر ذلك او ظهره ولا يستتاب لان توبته لا تعرف وقال عبد الله
بن عبد الحكم من سب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من مسلم او كافر
قتل ولم يستتب حكى الطبري مثله عن اشهب عن مالك رحمهم الله
تعالى وروى ابن وهب عن مالك رحمه الله تعالى من قال ان رداء النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم ويروى ان زر النبي عليه الصلاة والسلام وسخ اراد به
عيبه قتل وقال بعض علمائنا اجمع العلماء على ان من دعا على نبي من الانبياء
بالويل او بشيء من المكروه انه يقتل بلا استتابة وافتى ابو الحسن القابسي
فيمن قال في النبي الجمال يتيم ابي طالب بالقتل وافتى ابو محمد بن ابي زيد
بقتل رجل سمع قوما يتذاكرون صفة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذ مر بهم

ولا يستتاب وفي كتاب محمد اخبرنا اصحاب
مالك رحمه الله تعالى انه قال من سب النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم او غيره من النبيين
من مسلم او كافر صح

رجل قبيح الوجه واللحية فقال لهم تريدون تعرفون صفته هي في صفة هذا
المار في خلقه ولحيته قال ولا تقبل توبته وقد كذب لعنه الله تعالى
وليس يخرج من قلب سليم الايمان وقال احمد بن ابي سليمان صاحب سحنون
من قال ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان اسود يقتل وقال في رجل
قيل له لا وحق رسول الله فقال فعل الله برسول الله كذا وكذا وذكر كلاما
قبيحا فقيل له ما تقول يا عدو الله فقال اشد من كلامه الاول ثم قال
انما اردت برسول الله العقرب فقال ابن ابي سليمان للذي ساله اشهد
عليه وانا شريكك في قتله وثواب ذلك قال حبيب بن الربيع لان ادعا
التاويل في لفظ صراح لا يقبل لانه متهاون وهو غير معزر لرسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم ولا موقر له فوجب اباحة دمه وافتى ابو عبد الله بن
عتاب في عشار قال لرجل ادو واشك الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقال
ان سالت او جهلت فقد جهل وسال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
بالقتل وافتى فقهاء الاندلس بقتل ابن حاتم المتفقه الطليطلي و
صلبه بما شهد عليه به من استخفافه بحق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
وتسميته اياه اثناء مناظرته باليتيم وختن حيدرة وزعمه ان زهده
لم يكن قصدا ولو قدر على الطيبات اكلها الى اشباه لهذا وافتى فقهاء القيروان
واصحاب سحنون بقتل ابراهيم الفزاري وكان شاعرا متفننا في كثير من العلوم
وكان ممن يحضر مجلس القاضي ابي العباس بن طالب للمناظرة فرفعت عليه امور
منكرة في هذا الباب في الاستهزاء بالله تعالى وانبيائه ونبينا صلى الله تعالى
على جميعهم فاحضر له القاضي يحيى بن عمر وغيره من الفقهاء وامر بقتله وصلبه
فطعن بالسكين وصلب منكسا ثم انزل واحرق بالنار وحكى بعض

المورخين

المورخين انه لما رفعت خشبته وزالت عنها الايدي استدارت وحولته
القبلة فكان اية للجميع وكبر الناس وجاء كلب فولغ في دمه فقال يحيى بن
عمر صدق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وذكر حديثا عنه عليه الصلوة
والسلام انه قال لا يلغ الكلب في دم مسلم وقال القاضي ابو عبد الله بن المرابط
من قال ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم هزم يستتاب فان تاب والا قتل
لانه تنقص اذ لا يجوز ذلك عليه في خاصته اذ هو على بصيرة من امره و
يقين من عصمته وقال حبيب بن ربيع القروي مذهب مالك واصحابه
ان من قال فيه عليه الصلوة والسلام ما فيه نقص قتل دون استتابة وقال
ابن عتاب الكتاب والسنة موجبان ان من قصد النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم باذى او نقص معرضا او مصرحا وان قل فقتله واجب فهذا
الباب وكله مما عده العلماء سبا وتنقصا يجب قتل قائله لم يختلف في
ذلك متقدمهم ولا متاخرهم وان اختلفوا في حكم قتله على ما اشرنا اليه
ونبينه بعد ان شاء الله تعالى وكذلك اقول حكم من غمصه او عيره برعاية
الغنم او السهو او النسيان او السحر او ما اصابه من جرح او هزيمة لبعض
جيوشه او اذى من عدوه او شدة من زمنه او بالميل الى نسائه فحكم
هذا كله لمن قصد به نقصه القتل وقد مضى من مذاهب العلماء في ذلك
وياتي ما يدل عليه فصل في الحجة في ايجاب قتل من سبه او عابه صلى
الله تعالى عليه وسلم فمن القرآن لعنه تعالى لموذيه في الدنيا والاخرة وقرانه
تعالى اذاه باذاه صلى الله تعالى عليه وسلم ولا خلاف في قتل من سب الله
تعالى وان اللعن انما يستوجبه من كافر وحكم الكافر القتل فقال تعالى ان
الذين يوذون الله ورسوله الاية وقال في قاتل المومن مثل ذلك فمن

لعنته في الدنيا القتل قال الله تعالى ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا
تقتيلا وقال في المحاربين وذكر عقوبتهم ذلك لهم خزي في الدنيا وقد
يقع القتل بمعنى اللعن قال الله تعالى قتل الخراصون وقاتلهم الله اي
لعنهم ولانه فرق بين اذاهما واذى المؤمنين وفي اذى المؤمنين
ما دون القتل من الضرب والنكال فكان حكم موذي الله تعالى ونبيه
صلى الله تعالى عليه وسلم اشد من ذلك وهو القتل وقال الله تعالى فلا و
ربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الاية فسلب اسم الايمان عن من
وجد في صدره حرجا من قضائه ولم يسلم له ومن تنقصه صلى الله تعالى
عليه وسلم ناقض هذا وقال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم
فوق صوت النبي الى قوله ان تحبط اعمالكم ولا يحبط العمل الا الكفر والكافر
يقتل وقال الله تعالى واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله ثم قال تعالى
حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير وقال الله تعالى ومنهم الذين يؤذون
النبي ويقولون هو اذن ثم قال تعالى والذين يؤذون رسول الله لهم
عذاب اليم وقال الله تعالى ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب الى
قوله قد كفرتم بعد ايمانكم قال اهل التفسير كفرتم بقولكم في رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم واما الاجماع فقد ذكرناه واما الاثار فحدثنا
الشيخ ابو عبد الله احمد بن محمد بن غلبون عن الشيخ ابي ذر الهروي اجازة
قال حدثنا ابو الحسن الدارقطني وابو عمر بن حيوية حدثنا محمد بن نوح
حدثنا عبد العزيز بن محمد بن الحسن زبالة حدثنا عبد الله بن موسى
بن جعفر عن علي بن موسى عن ابيه عن جده عن محمد بن علي بن الحسين عن
ابيه عن الحسين بن علي عن ابيه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

قال من

قال من سب نبيا فاقتلوه ومن سب اصحابي فاضربوه وفي الحديث
الصحيح امر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بقتل كعب بن الاشرف وقوله
من لكعب بن الاشرف فانه يؤذي الله ورسوله ووجه اليه من قتله
غيلة دون دعوة بخلاف غيره من المشركين وعلل باذاه له فدل ان قتله
اياه لغير الاشراك بل للاذى وكذلك قتل ابا رافع قال البراء وكان يؤذي
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويعين عليه وكذلك امره يوم الفتح بقتل
ابن خطل وجاريتيه اللتين كانتا تغنيان بسبه عليه السلام وفي حديث اخر
ان رجلا كان يسبه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال من يكفيني عدوي فقال
خالد رضي الله تعالى عنه انا فبعثه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقتله
وكذلك لم يقل امر بقتل جماعة ممن كان يؤذيه من الكفار ويسبه
كالنضر بن الحارث وعقبة بن ابي معيط وعهد بقتل جماعة منهم قبل
الفتح وبعده فقتلوا الا من بادر باسلامه قبل القدرة عليه وقد روى
البزار عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان عقبة بن ابي معيط نادى يا
معشر قريش ما لي اقتل من بينكم صبرا فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
بكفرك وافترائك على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وذكر عبد الرزاق
ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم سبه رجل فقال من يكفيني عدوي فقال
الزبير رضي الله تعالى عنه انا فبارزه فقتله الزبير وروى ايضا ان امرأة
كانت تسبه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال من يكفيني عدوي فخرج اليها
خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه فقتلها وروى ان رجلا كذب على النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم فبعث عليا والزبير رضي الله تعالى عنهما اليه ليقتلاه
وروى ابن قانع ان رجلا جاء الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال

يا رسول الله سمعت ابي يقول فيك قولا قبيحا فقتلته فلم يشق ذلك على النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم وبلغ المهاجر بن ابي امية امير اليمن لابي بكر رضي الله
تعالى عنه ان امرأة هناك في الردة غنت بسب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
فقطع يدها ونزع ثنيتها فبلغ ذلك ابا بكر رضي الله تعالى عنه فقال له
لولا ما فعلت لامرتك بقتلها لان حد الانبياء عليهم السلام ليس يشبه
الحدود وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هجت امرأة من خطمة النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم فقال من لي بها فقال رجل من قومها انا يا رسول الله
فنهض فقتلها فاخبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال لا ينتطح فيها عنزان
وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان اعمى كانت له ام ولد تسب النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم فيزجرها فلا تنزجر فلما كانت ذات ليلة جعلت
تقع في النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وتشتمه فقتلها واعلم النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم بذلك فاهدر دمها وفي حديث ابي برزة الاسلمي كنت
يوما جالسا عند ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه فغضب على رجل
من المسلمين وحكى القاضي اسمعيل وغير واحد من الائمة في هذا الحديث
انه سب ابا بكر رضي الله تعالى عنه ورواه النسائي اتيت ابا بكر رضي الله تعالى
عنه وقد اغلظ لرجل فرد عليه قال فقلت يا خليفة رسول الله دعني
اضرب عنقه فقال اجلس فليس ذلك الا لرسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم قال القاضي ابو محمد بن نصر ولم يخالف عليه احد فاستدل الائمة
رحمهم الله تعالى بهذا الحديث على قتل من اغضب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
بكل ما اغضبه او اذاه او سبه ومن ذلك كتاب عمر بن عبد العزيز رضي
الله تعالى عنه الى عامله بالكوفة وقد استشاره في قتل رجل سب عمر رضي الله تعالى

عنه فكتب عمر اليه انه لا يحل قتل امرئ مسلم بسب احد من الناس الا رجل
سب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فمن سبه فقد حل دمه وسأل
الرشيد مالكا رحمه الله تعالى في رجل شتم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
وذكر له ان فقهاء العراق افتوه بجلده فغضب مالك رحمه الله تعالى وقال
يا امير المؤمنين ما بقاء الامة بعد شتم نبيها من شتم الانبياء عليهم السلام قتل
ومن شتم اصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم جلد قال القاضي ابو الفضل
رحمه الله تعالى كذا وقع في هذه الحكاية رواها غير واحد ممن ذكر مناقب مالك
رحمه الله تعالى ومؤلفي اخباره وغيرهم ولا ادري من هؤلاء الفقهاء بالعراق
الذين افتوا الرشيد بما ذكر وقد ذكرنا مذهب العراقيين بقتله ولعلهم
ممن لم يشهر بعلم او من لا يوثق بقوله او يميل به هواه ويكون ما قاله يحمل على
غير السب فيكون الخلاف هل هو سب او يكون رجع وتاب عن سبه فلم
يقله مالك رحمه الله تعالى على اصله والا فالاجماع على قتل من سبه صلى الله تعالى
عليه وسلم كما قدمناه ويدل على قتله من جهة النظر والاعتبار ان من سبه
او تنقصه عليه الصلوة والسلام فقد ظهرت علامة مرض قلبه وبرهان سوء
طويته وكفره ولهذا ما حكم له كثير من العلماء بالردة وهي رواية الشاميين
عن مالك رحمه الله تعالى والاوزاعي وقول الثوري وابي حنيفة والكوفيين
رحمهم الله تعالى والقول الاخر انه دليل على الكفر فيقتل حدا وان لم يحكم له
بالكفر الا ان يكون متماديا على قوله غير منكر له ولا مقلع عنه فهذا كافر وقوله
اما صريح كفر كالتكذيب ونحوه او من كلمات الاستهزاء والذم فاعترافه بها
وترك توبته عنها دليل استحلاله لذلك وهو كفر ايضا فهذا كافر بلا خلاف
قال الله تعالى في مثله يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا

بعد اسلامهم قال اهل التفسير هي قولهم ان كان ما يقول محمد حقا لنحن شر من
الحمير وقيل بل قول بعضهم ما مثلنا ومثل محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الا
قول القائل سمن كلبك يأكلك ولئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز
منها الاذل وقد قيل ان قائل مثل هذا الكلام مستهزئا به ان حكمه حكم
الزنديق ولانه يقتل ولانه قد غير دينه وقد قال عليه الصلوة والسلام من
غير دينه فاضربوا عنقه لان للحكم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في الحرمة
مزية على امته وساب الحر من امته يحد فكانت العقوبة لمن سبه صلى
الله تعالى عليه وسلم القتل لعظيم قدره وشفوف منزلته على غيره فصل
فان قلت فلم لم يقتل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اليهودي الذي قال له
السام عليكم ولا قتل الاخر الذي قال له ان هذه لقسمة ما اريد بها وجه
الله تعالى وقد تأذى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من ذلك وقال قد اوذي
موسى عليه السلام باكثر من هذا فصبر ولا قتل المنافقين الذين كانوا يؤذونه
في اكثر الاحيان فاعلم وفقنا الله تعالى واياك ان النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم كان اول الاسلام يستألف عليه الناس ويميل قلوبهم اليه
ويحبب اليهم الايمان ويزينه في قلوبهم ويداريهم ويقول لاصحابه
انما بعثتم مبشرين ولم تبعثوا منفرين ويقول يسروا ولا تعسروا
وسكنوا ولا تنفروا ويقول لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه
وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يداري الكفار والمنافقين ويجمل صحبتهم
ويغضي عنهم ويحتمل اذاهم ويصبر على ما لا يجوز لنا اليوم الصبر لهم عليه وكان
يرفقهم بالعطاء والاحسان وبذلك امره الله تعالى فقال الله تعالى ولا تزال
تطلع على خائنة منهم الا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين

وقال الله تعالى ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي
حميم وذلك لحاجة الناس للتألف اول الاسلام وجمع الكلمة عليه فلما
استقر واظهره الله تعالى على الدين كله قتل من قدر عليه واشتهر امره كفعله
بابن خطل ومن عهد بقتله يوم الفتح ومن امكنه قتله غيلة من يهود وغيرهم
او غلبة ممن لم ينظمه قبل سلك صحبته والانخراط جملة مظهري الايمان به
ممن كان يؤذيه كابن الاشرف وابي رافع والنضر وعقبة وكذلك اهدر دم
جماعة سواهم ككعب بن زهير وابن الزبعرى وغيرهما ممن اذاه حتى القوا بايديهم
ولقوه مسلمين وبواطن المنافقين مستترة وحكمه صلى الله تعالى عليه وسلم
على الظاهر واكثر تلك الكلمات انما كان يقولها القائل منهم خفية ومع امثاله
ويحلفون عليها اذا نميت ويحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر
وكان مع هذا عليه السلام يطمع في فيئتهم ورجوعهم الى الاسلام وتوبتهم
فيصبر عليه السلام على هناتهم وجفوتهم كما صبر اولوا العزم من الرسل حتى فاء كثير
منهم باطنا كما فاء ظاهرا واخلص سرا كما اظهر جهرا ونفع الله تعالى بعد بكثير
منهم وقام منهم للدين وزراء واعوان وحماة وانصار كما جاءت به الاخبار
وبهذا اجاب بعض ائمتنا رحمهم الله تعالى عن هذا السؤال وقال لعله لم يثبت
عنده عليه السلام من اقوالهم ما رفع وانما نقله الواحد منهم ومن لم يصل رتبة
الشهادة في هذا الباب من صبي او عبد او امرأة والدماء لا تستباح الا بعدلين
وعلى هذا يحمل امر اليهودي في السلام وانهم لووا به السنتهم ولم يبينوه
الا ترى كيف تنبهت عليه عائشة رضي الله تعالى عنها ولو كان صرح بذلك لم تنفرد
بعلمه ولهذا نبه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اصحابه على فعلهم وقلة صدقهم
في سلامهم وخيانتهم في ذلك ليا بالسنتهم وطعنا في الدين فقال ان اليهود

اذا سلم احدهم فانما يقول السام عليكم فقولوا وعليكم وكذلك قال بعض
اصحابنا البغداديين ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لم يقتل المنافقين
بعلمه فيهم ولم يأت انه قامت بينة على نفاقهم فلهذا تركهم وايضا فان الامر
كان سرا وباطنا وظاهرهم الاسلام والايمان وان كان من اهل الذمة
بالعهد من اهل العهد والذمة والجوار والناس قريب عهدهم بالاسلام
لم يتميز بعد الخبيث من الطيب وقد شاع عن المذكورين في العرب كون
من يتهم بالنفاق من جملة المؤمنين وصحابة سيد المرسلين وانصار الدين
بحكم ظاهرهم فلو قتلهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لنفاقهم وما يبدر
منهم وعلمه بما اسروا في انفسهم لوجد المنفر ما يقول ولارتاب الشار
د وارجف المعاند وارتاع من صحبة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والدخول
في الاسلام غير واحد ولزعم الزاعم وظن العدو الظالم ان القتل انما كان
للعداوة وطلب اخذ الترة وقد رايت معنى ما حررته منسوبا الى مالك بن
انس رحمه الله تعالى ولهذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم لا يتحدث الناس ان محمدا
يقتل اصحابه وقال اولئك الذين نهاني الله تعالى عن قتلهم وهذا بخلاف
اجراء الاحكام الظاهرة عليهم من حدود الزنا والقتل وشبهها لظهورها
واستواء الناس في علمها وقد قال محمد بن المواز لو اظهر المنافقون نفاقهم
لقتلهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقاله القاضي ابو الحسن بن القصار
وقال قتادة رضي الله تعالى عنه في تفسير قوله تعالى لئن لم ينته المنافقون
والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك
فيها الا قليلا ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله
الاية معناه اذا اظهروا النفاق وحكى محمد بن سلمة في المبسوط عن زيد

بن اسلم ان قوله تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين نسخ ما كان
قبلها وقال بعض مشايخنا لعل القائل هذه قسمة ما اريد بها وجه الله
وقوله اعدل لم يفهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم منه الطعن عليه والتهمة له
وانما رآها من وجه الغلط في الرأي وامور الدنيا والاجتهاد في مصالح
اهلها فلم ير ذلك سبا ورأى انه من الاذى الذي له العفو عنه والصبر
عليه فلذلك لم يعاقبه وكذلك يقال في اليهود اذ قالوا السام عليكم
ليس فيه صريح سب ولا دعاء الا بما لا بد منه من الموت الذي لا بد من لحاقه
جميع البشر وقيل بل المراد تسأمون دينكم والسأم والسآمة الملال و
هذا دعاء على سآمة الدين ليس بصريح سب ولهذا ترجم البخاري على هذا
الحديث باب اذا عرض الذمي وغيره بسب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
قال بعض علمائنا وليس هذا بتعريض بالسب وانما هو تعريض بالاذى
قال القاضي ابو الفضل رحمه الله تعالى قد قدمنا ان الاذى والسب في
حقه عليه السلام سواء وقال القاضي ابو محمد بن نصر مجيبا عن هذا الحديث ببعض
ما تقدم ثم قال ولم يذكر في هذا الحديث هل كان هذا اليهودي من اهل العهد
والذمة او الحرب ولا يترك موجب الادلة للامر المحتمل والاولى في ذلك كله
والاظهر من هذه الوجوه مقصد الاستئلاف والمداراة على الدين
لعلهم يؤمنون ولذلك ترجم البخاري على حديث القسمة والخوارج باب
من ترك قتال الخوارج للتألف ولئلا ينفر الناس عنه ولما ذكرنا معناه
عن مالك رحمه الله تعالى وقررناه قبل وقد صبر صلى الله تعالى عليه وسلم لهم
على سحره وسمه وهو اعظم من سبه الى ان نصره الله تعالى عليهم واذن له في
قتل من حينه منهم وانزلهم من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب وكتب

من عينه نسخ وانزلهم نسخ

على من شاء منهم الجلاء واخرجهم من ديارهم وخرب بيوتهم بايديهم وايدي
المؤمنين وكاشفهم بالسب فقال صلى الله تعالى عليه وسلم يا اخوة القردة
والخنازير وحكم فيهم سيوف المسلمين واجلاهم من جوارهم واورثهم ارضهم
وديارهم واموالهم لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى فان
قلت قد جاء الحديث الصحيح عن عائشة رضي الله تعالى عنها انه صلى الله تعالى عليه
وسلم ما انتقم لنفسه في شيء يؤتى اليه قط الا ان تنتهك حرمة الله تعالى
فينتقم الله تعالى فاعلم ان هذا لا يقتضي انه لم ينتقم ممن سبه او اذاه وكذبه
فان هذه من حرمات الله تعالى التي انتقم لها وانما يكون ما لا ينتقم منه
فيما يتعلق بسوء الادب ومعاملة من القول والفعل في النفس والمال مما
لم يقصد فاعله به اذاه لكن مما جبلت عليه الاعراب من الجفاء والجهل
او جبل عليه البشر من الغفلة كجبذ الاعرابي رداءه حتى اثر في عنقه و
كرفع صوت الاخر عنده وكجحد الاعرابي شراءه منه فرسه التي شهد فيها خزيمة
وكما كان من تظاهر زوجيه عليه واشباه هذا مما يحسن الصفح عنه او يكون
هذا مما اذاه به كافر رجا بعد ذلك اسلامه كعفوه عن اليهودي الذي
سحره وعن الاعرابي الذي اراد قتله وعن اليهودية التي سمته وقد قيل
قتلها ومثل هذا مما يبلغه من اذى اهل الكتاب والمنافقين فصفح
عنهم رجاء استيلافهم واستيلاف غيرهم كما قررناه وبالله التوفيق
وقد قال بعض علمائنا ان اذى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حرام
لا يجوز بفعل مباح منه ما لا يجوز للانسان فعله وان تأذى به غيره
واحتج بعموم قوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله وبقوله عليه
السلام في حديث فاطمة رضي الله تعالى عنها انها بضعة مني يؤذيني ما اذاها

الا واني لا احرم ما احل الله تعالى ولكن لا يجتمع ابنة رسول الله وابنة
عدو الله عند رجل ابدا من اصل الشيخ فصل تقدم الكلام في قتل القاصد
لسبه والازراء به وغمصه باي وجه كان من ممكن او محال فهذا وجه
بين لا اشكال فيه الوجه الثاني لاحق به في البيان والجلاء وهو ان يكون
القائل لما قال في جهته صلى الله تعالى عليه وسلم غير قاصد للسب والازراء
ولا معتقد له ولكنه تكلم في جهته عليه السلام بكلمة الكفر من لعنه او سبه
او تكذيبه او اضافة ما لا يجوز عليه او نفي ما يجب له مما هو في حقه عليه السلام
نقيصة مثل ان ينسب اليه اتيان كبيرة او مداهنة في تبليغ الرسالة
او في حكم بين الناس او يغض من مرتبته او شرف نسبه او وفور علمه
او زهده او يكذب بما اشتهر من امور اخبر بها صلى الله تعالى عليه وسلم
وتواتر الخبر بها عنه عن قصد لرد خبره او ياتي بسفه من القول
وقبيح من الكلام ونوع من السب في جهته صلى الله تعالى عليه وسلم وان
ظهر بدليل حاله انه لم يتعمد ذمه ولم يقصد سبه اما لجهالة
حملته على ما قاله او ضجر او سكر اضطره اليه او قلة مراقبة او ضبط
للسانه وعجرفة وتهور في كلامه فحكم هذا الوجه حكم الوجه الاول
في القتل دون تلعثم اذ لا يعذر احد في الكفر بالجهالة ولا بدعوى
زلل اللسان ولا بشيء مما ذكرنا اذا كان عقله في فطرته سليما الا من
اكره وقلبه مطمئن بالايمان وبهذا افتى الاندلسيون على ابن حاتم
في نفيه الزهد عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الذي قدمناه وقال
محمد بن سحنون في الماسور يسب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في ايدي
العدو يقتل الا ان يعلم تنصره او اكراهه وعن محمد بن ابي زيد لا يعذر

يدعوى زلل اللسان في مثل هذا وافتى ابو الحسن القابسي فيمن شتم النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم في سكره يقتل لانه يظن به انه يعتقد هذا
ويفعله في صحوه وايضا فانه حد لا يسقطه السكر كالقذف والقتل
وسائر الحدود لانه ادخله على نفسه لان من شرب الخمر على علم من زوال
عقله بها واتيان ما ينكر منه فهو كالعامد لما يكون بسببه وعلى هذا
الزمناه الطلاق والعتاق والقصاص والحدود ولا يعترض على هذا
بحديث حمزة رضي الله تعالى عنه وقوله للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهل انتم
الا عبيد لابي قال فعرف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه ثمل فانصرف لان
الخمر كانت حينئذ غير محرمة فلم يكن في جناياتها اثم وكان حكم ما يحدث
عنها معفوا عنه كما يحدث من النوم وشرب الدواء المأمون فصل الوجه
الثالث ان يقصد الى تكذيبه فيما قاله او اتى به او ينفي نبوته او رسالته
او وجوده صلى الله تعالى عليه وسلم او يكفر به عليه الصلوة والسلام
انتقل بقوله ذلك الى دين اخر غير ملته ام لا فهذا كافر باجماع يجب قتله
ثم ينظر فان كان مصرحا بذلك كان حكمه اشبه بحكم المرتد وقوي الخلاف
في استتابته وعلى القول الاخر لا تسقط القتل عنه توبته لحق النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم ان كان ذكره بنقيصة فيما قاله من كذب او غيره
وان كان مستسرا بذلك فحكمه حكم الزنديق لا تسقط قتله توبته عندنا
كما سنبينه قال ابو حنيفة واصحابه رحمهم الله تعالى من برئ من محمد صلى
الله تعالى عليه وسلم او كذب به فهو مرتد حلال الدم وقال ابن القاسم في
المسلم اذا قال ان محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم ليس بنبي او لم يرسل او لم
ينزل عليه قرآن وانما هو شيء تقوله يقتل قال ومن كفر برسول الله

صلى الله

صلى الله تعالى عليه وسلم وانكره من المسلمين فهو بمنزلة المرتد وكذلك
من اعلن بتكذيبه انه كالمرتد يستتاب وكذلك قال فيمن تنبأ وزعم انه
انه يوحى اليه وقاله سحنون وقال ابن القاسم دعا الى ذلك سرا او جهرا
قال اصبغ وهو كالمرتد لانه قد كفر بكتاب الله تعالى مع الفرية على الله تعالى
وقال اشهب في يهودي تنبأ او زعم انه ارسل الى الناس او قال بعد
نبيكم نبي انه يستتاب ان كان معلنا بذلك فان تاب والا قتل وذلك
لانه مكذب للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم في قوله لا نبي بعدي مفتر على
الله تعالى في دعواه عليه الرسالة والنبوة وقال محمد بن سحنون من شك
في حرف مما جاء به محمد صلى الله تعالى عليه وسلم عن الله تعالى فهو جاحد كافر
وقال من كذب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان حكمه عند الامة القتل
وقال احمد بن ابي سليمان صاحب سحنون من قال ان النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم اسود قتل لم يكن صلى الله تعالى عليه وسلم باسود ونحوه ابو عثمان الحداد
قال ولو قال انه مات قبل ان يلتحي او انه كان بتاهرت ولم يكن تهاميا
قتل لان هذا نفي وقال حبيب بن ربيع تبديل صفته صلى الله تعالى عليه وسلم
ومواضعه كفر والمظهر له كافر وفيه الاستتابة والمسر له زنديق يقتل
دون استتابة فصل الوجه الرابع ان يأتي من الكلام بمجمل ويلفظ
من القول بمشكل يمكن حمله على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم او غيره او يتردد
في المراد به من سلامته من المكروه او شره فهاهنا متردد النظر و
حيرة العبر ومظنة اختلاف المجتهدين ووقفة استبراء المقلدين
ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة فمنهم من غلب حرمة النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم وحمى حمى عرضه فجسر على القتل ومنهم من عظم حرمة

الذم ودراء الحد بالشبهة لاحتمال القول وقد اختلف ائمتنا في رجل
اغضبه غريمه فقال له صل على النبي محمد فقال له الطالب لا صلى الله تعالى
على من صلى عليه فقيل لسحنون هل هو كمن شتم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
او شتم الملائكة الذين يصلون عليه قال لا اذا كان على ما وصفت من
الغضب لانه لم يكن مضمرا الشتم وقال ابو اسحاق البرقي واصبغ بن
الفرج لا يقتل لانه انما شتم الناس وهذا نحو قول سحنون لانه لم يعذره
بالغضب في شتم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولكنه لما احتمل الكلام عنده
ولم يكن معه قرينة تدل على شتم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم او شتم
الملائكة صلوات الله تعالى عليهم ولا مقدمة يحمل عليها كلامه بل القرينة
تدل على ان مراده الناس غير هؤلاء لاجل قول الاخر له صل على النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم فحمل قوله وسبه لمن يصلي عليه الان لاجل امر
الاخر له بهذا عند غضبه هذا معنى قول سحنون وهو مطابق لعلة صاحبيه
وذهب الحارث بن مسكين القاضي وغيره في مثل هذا الى القتل وتوقف
ابو الحسن القابسي في قتل رجل قال كل صاحب فندق قرنان ولو كان نبيا مرسلا
فامر بشده بالقيود والتضييق عليه حتى تستفهم البينة عن جملة الفاظه
وما يدل على مقصده هل اراد اصحاب الفنادق الان فمعلوم انه ليس فيهم
نبي مرسل فيكون امره اخف قال ولكن ظاهر لفظه العموم لكل صاحب
فندق من المتقدمين والمتاخرين وقد كان فيمن تقدم من الانبياء و
الرسل عليهم السلام من اكتسب المال قال ودم المسلم لا نقدم عليه الا
بامر بين وما ترد اليه التاويلات لا بد من النظر فيه هذا معنى كلامه
وحكي عن ابي محمد بن ابي زيد فيمن لعن الله تعالى العرب ولعن الله تعالى

بني اسرائيل

بني اسرائيل ولعن الله تعالى بني ادم وذكر انه لم يرد الانبياء عليهم السلام وانما
اردت الظالمين منهم ان عليه الادب بقدر اجتهاد السلطان وكذا
افتى فيمن قال لعن الله تعالى من حرم المسكر وقال لم اعلم من حرمه وفيمن
لعن حديث لا يبع حاضر لباد ولعن من جاء به لانه ان كان يعذر بالجهل
وعدم معرفة السنن فعليه الادب الوجيع وذلك ان هذا لم يقصد
بظاهر حاله سب الله تعالى ولا سب رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم
وانما لعن من حرمه من الناس على نحو فتوى سحنون واصحابه في المسئلة
المتقدمة ومثل هذا ما يجري في كلام سفهاء الناس من قول بعضهم
لبعض يا ابن الف خنزير وابن مائة كلب وشبهه من هجر القول ولا
شك انه يدخل في مثل هذا من ابائه واجداده جماعة من الانبياء عليهم
السلام ولعل بعض هذا العدد منقطع الى ادم عليه السلام فينبغي الزجر
عنه وتبيين ما جهل قائله منه وشدة الادب فيه ولو علم انه قصد
سب من في ابائه من الانبياء عليهم السلام على علم لقتل وقد يضيق القول
في نحو هذا لو قال لرجل هاشمي لعن الله تعالى بني هاشم وقال اردت الظالمين
منهم او قال لرجل من ذرية النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قولا قبيحا في
ابائه او من نسله او ولده على علم منه انه من ذرية النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم ولم يكن قرينة في المسئلتين تقتضي تخصيص بعض ابائه و
اخراج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم منهم وقد رايت لابي موسى بن مناس
فيمن قال لرجل لعنك الله تعالى الى ادم انه ان ثبت ذلك عليه قتل قال القاضي
ابو الفضل رحمه الله تعالى وقد كان اختلف شيوخنا رحمهم الله فيمن قال لشاهد
شهد عليه بشيء ثم قال له تتهمني فقال له الانبياء عليهم السلام يتهمون

فكيف انت فكان شيخنا ابو اسحاق بن جعفر يرى قتله لبشاعة ظاهر اللفظ وكان القاضي ابو محمد بن منصور يتوقف عن القتل لاحتمال اللفظ عنده ان يكون خبرا عمن اتهمهم من الكفار وافتى فيها قاضي قرطبة ابو عبد الله بن الحاج بنحو من هذا وشدد القاضي ابو محمد تصفيده واطال سجنه ثم استحلفه بعد على تكذيب ما شهدت به عليه اذ دخل في شهادة بعض من شهد عليه وهن ثم اطلقه وشاهدت شيخنا القاضي ابا عبد الله محمد بن عيسى ايام قضائه اتي برجل هاتر رجلا اسمه محمد ثم قصد الى كلب فضربه برجله وقال له قم يا محمد فانكر الرجل ان يكون قال ذلك وشهد عليه لفيف من الناس فامر به الى السجن وتقصى عن حاله وهل يصحب من يستراب بدينه فلما لم يجد عليه ما يقوي الريبة باعتقاده ضربه بالسوط واطلقه

فصل الوجه الخامس الا يقصد نقصا ولا يذكر عيبا ولا سبا لكنه ينزع بذكر بعض اوصافه او يستشهد ببعض احواله الجائزة عليه في الدنيا على طريق ضرب المثل والحجة لنفسه او لغيره او على التشبه به او عند هضيمة نالته او غضاضة لحقته ليس على طريق التاسي وطريق التحقيق بل على مقصد الترفيع لنفسه او لغيره او على سبيل التمثيل وعدم التوقير لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم او قصد الهزل والتنذير بقوله كقول القائل ان قيل فيّ السوء فقد قيل في النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وان كذبت فقد كذب الانبياء عليهم السلام وانا اذنبت فقد اذنبوا او انا اسلم من السنة الناس ولم يسلم منهم انبياء الله تعالى ورسله او قد صبرت كما صبر اولوا العزم من الرسل او كصبر ايوب عليه السلام او قد صبر نبي الله تعالى من عداه وحلم على اكثر مما صبرت وكقوله المتنبي

انا في امة تداركها الله • غريب كصالح في ثمود • ونحوه من اشعار المتعجرفين في القول المتساهلين في الكلام كقول المعري وكنت موسى وافته بنت شعيب غير ان ليس فيكما من فقير على ان اخر البيت شديد عند تدبره وداخل في باب الازراء والتحقير بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وتفضيل حال غيره عليه وكذلك قوله • لولا انقطاع الوحي بعد محمد قلنا محمد من ابيه بديل • هو مثله في الفضل الا انه لم ياته برسالة جبريل فصدر هذا البيت الثاني من هذا الفصل شديد لتشبيهه غير النبي في فضله بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم والعجز محتمل لوجهين احدهما ان هذه الفضيلة نقصت الممدوح والاخر استغناؤه عنها وهذه اشد ونحو منه قول الاخر واذا ما رفعت راياته صفقت بين جناحي جبرين وقول الاخر من اهل العصر فر من الخلد واستجار بنا فصبر الله قلب رضوان وكقوله حسان المصيصي من شعراء الاندلس في محمد بن عباد المعروف بالمعتمد ووزيره ابي بكر بن زيدون كان ابا بكر ابو بكر الرضي وحسانا حسان وانت محمد الى امثال هذا وانما اكثرنا بشاهدها مع استثقالنا حكايتها لتعريف امثلتها ولتساهل كثير من الناس في ولوج هذا الباب الضنك واستخفافهم فادح هذا العبء وقلة علمهم بعظيم ما فيه من الوزر وكلامهم منه بما ليس لهم به علم ويحسبونه هينا وهو عند الله عظيم لا سيما الشعراء واشدهم فيه تصريحا وللسانه تسريحا ابن هانئ الاندلسي وابن سليمان المعري بل قد خرج كثير من كلامهما عن هذا الحد الاستخفاف والنقص وصريح الكفر وقد اجبنا عنه وغرضنا الان الكلام في هذا الفصل الذي سقناه وامثلته فان هذه كلها وان لم تتضمن سبا ولا اضافت الى الانبياء

والملائكة عليهم السلام نقصاً ولست اعنى عجزى بيتى المعرى ولا قصد
قائلهما ازراء ولا غضاً فما وقر النبوة ولا عظم الرسالة ولا عزر
حرمة الاصطفاء ولا عزز حظوة الكرامة حتى شبه فى كرامة نالها
ومعرة قصد الانتفاء منها او ضرب مثل لتطييب مجلسه او اغلاء فى
وصف لتحسين كلامه بمن عظم الله تعالى خطره وشرف قدره والزم
توقيره وبره ونهى عن جهر القول له ورفع الصوت عنده فحق هذا
ان درئ عنه القتل الادب والسجن وقوة تعزيره بحسب شنعة مقاله
ومقتضى قبح مانطق به ومألوف عادته لمثله او ندوره وقرينة
كلامه او ندمه على ماسبق منه ولم يزل المتقدمون ينكرون مثل هذا
ممن جاء به وقد انكر الرشيد على ابى نواس قوله فان يك باقى سحر فرعون
فيكم فان عصى موسى بكف خصيب وقال له يا ابن اللخناء انت المستهزئ
بعصا موسى عليه السلام وامر باخراجه من عسكره من ليلته وذكر القتيبى
ان مما اخذ عليه ايضا وكفر فيه او قارب قوله فى محمد الامين وتشبيهه
اياه بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم تنازع الاحمدان الشبه فاشتبها
خلقا وخلقا كما قد الشراكان وقد انكروا ايضا عليه قوله فى حمدوحه
كيف لايدنيك من امل من رسول الله من نفره لان حق الرسول صلى الله
تعالى عليه وسلم وموجب تعظيمه وانافة منزلته ان يضاف اليه ولا يضاف
فالحكم فى هذا مابسطناه فى من طريق الفتيا وعلى هذا المنهج جاءت فتيا
امام مذهبنا مالك بن انس رحمه الله تعالى واصحابه ففى النوادر من
رواية ابن ابى مريم عنه فى رجل عير رجلا بالفقر فقال تعيرنى و
قد رعى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى غير موضعه ارى ان يؤدب

قال ولا

[illegible]

قال ولاينبغى لاهل الذنوب اذا عوتبوا ان يقولوا قد اخطأت الانبياء عليهم
السلام قبلنا وقال عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه لرجل انظر لنا كاتبا
يكون ابوه عربيا فقال كاتب له قد كان ابو النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كافرا
فقال جعلت هذا مثلا فعزله وقال لاتكتب لى ابدا وقد كره سحنون ان
يصلى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عند التعجب الا على طريق الثواب والاحتساب
توقيرا له وتعظيما كما امرنا الله تعالى وسئل القابسى عن رجل قال لرجل قبيح
كانه وجه نكير ولرجل عبوس كانه وجه مالك الغضبان فقال اى شئ
اراد بهذا ونكير احد فتانى القبر وهما ملكان فما الذى اراد اروع دخل
عليه حين رآه من وجهه ام عاف النظر اليه لدمامة خلقه فان كان هذا فهو
شديد لانه جرى مجرى التحقير والتهوين فهو اشد عقوبة وليس فيه تصريح
بالسب للملك وانما السب واقع على المخاطب وفى الادب بالسوط والسجن
نكال للسفهاء قال واما ذاكر مالك خازن النار فقد جفا الذى ذكره مالك
من عبوس الاخر الا ان يكون المعبس له يد فيرهب بعبسته فيشبهه القائل
على طريق الذم لهذا فى فعله ولزومه فى ظلمه صفة مالك فيكون اخف
وما كان ينبغى له التعرض لمثل هذا ولو كان اثنى على العبوس بعبسته واحتج
بصفة الملك كان اشد ويعاقب المعاقبة الشديدة وليس فى هذا ذم للملك
ولو قصد ذمه لقتل وقال ابو الحسن ايضا فى شاب معروف بالخير قال
لرجل شيئا فقال له الرجل اسكت فانك امى فقال الشاب اليس كان النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم اميا فشنع عليه مقاله وكفره الناس واشفق الشاب
مما قال واظهر الندم عليه فقال ابو الحسن اما اطلاق الكفر عليه فخطأ
لكنه مخطئ فى استشهاده بصفة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وكون

النبي صلى الله تعالى عليه وسلم امثالا له وكون هذا انما نقيصة فيه وجهالة
ومن جهالته احتجاجه بصفة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لكنه اذا استغفر
وتاب واعترف ولجأ الى الله تعالى فيترك لان قوله لا ينتهي الى حد القتل
وما طريقه الادب فطوع فاعله بالندم عليه يوجب الكف عنه ونزلت
ايضا مسئلة استفتى فيها بعض قضاة الاندلس شيخنا القاضي ابا محمد بن
منصور رحمه الله تعالى في رجل تنقصه آخر بشيء فقال انما تريد نقصي
بقولك وانا بشر وجميع البشر يلحقهم النقص حتى النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم فافتى باطالة سجنه وايجاع ادبه اذ لم يقصد السب وكان بعض
فقهاء الاندلس افتى بقتله فصل الوجه السادس ان يقول القائل ذلك
حاكيا عن غيره وآثرا له عن سواه فهذا ينظر في صورة حكايته وقرينة مقالته
ويختلف الحكم باختلاف ذلك على اربعة وجوه الوجوب والندب والكراهة
والتحريم فان كان اخبر به على وجه الشهادة والتعريف بقائله والانكار والاعلام
بقوله والتنفير منه والتجريح له فهذا مما ينبغي امتثاله ويحمد فاعله وكذلك
ان حكاه في كتاب او مجلس على طريق الرد له والنقض على قائله والفتيا
بما يلزمه وهذا منه ما يجب ومنه ما يستحب بحسب حالات الحاكي لذلك
والمحكي عنه فان كان القائل لذلك تصدى لان يؤخذ عنه العلم او رواية
الحديث او يقطع بحكمه او شهادته او فتياه في الحقوق وجب على سامعه
الاشادة بما سمع والتنفير للناس عنه والشهادة عليه بما قاله ووجب
على من بلغه ذلك من ائمة المسلمين انكاره وبيان كفره وفساد قوله لقطع
ضرره عن المسلمين وقياما بحق سيد المرسلين وكذلك ان كان ممن يعظ
العامة او يؤدب الصبيان فان من هذه سريرته لا يؤمن على القاء ذلك

في قلوبهم

في قلوبهم فيتأكد في هؤلاء الايجاب لحق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولحق شريعته
وان لم يكن القائل بهذه السبيل فالقيام بحق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واجب
حماية عرضه متعين ونصرته عن الاذى حيا وميتا مستحق على كل مؤمن لكنه اذا
قام بهذا من ظهر به الحق وفصلت به القضية وبان به الامر سقط عن الباقي
الفرض وبقي الاستحباب في تكثير الشهادة وعضد التحذير منه وقد اجمع
السلف على بيان حال المتهم في الحديث فكيف بمثل هذا وقد سئل ابو محمد بن
ابي زيد عن شاهد سمع مثل هذا في حق الله تعالى ايسعه ان لا يؤدي شهادته
قال ان رجا نفاذ الحكم بشهادته فليشهد وكذلك ان علم ان الحاكم
لا يرى القتل بما شهد به ويرى الاستتابة والادب فليشهد ويلزمه ذلك
واما الاباحة لحكاية قوله لغير هذين المقصدين فلا ارى لها مدخلا في
الباب فليس التفكه بعرض النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والتمضمض بسوء ذكره
لاحد لا ذاكرا ولا آثرا لغير غرض بمباح واما للاغراض المتقدمة فمتردد
بين الايجاب والاستحباب وقد حكى الله تعالى مقالات المفترين وعلى رسله في
كتابه على وجه الانكار لقولهم والتحذير من كفرهم والوعيد عليه والرد عليهم
بما تلاه الله تعالى علينا في محكم كتابه وكذلك وقع من امثاله في احاديث النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم الصحيحة على الوجوه المتقدمة واجمع السلف والخلف
من ائمة الهدى على حكايات الكفرة والملحدين في كتبهم ومجالسهم ليبينوها للناس
وينقضوا شبهها عليهم وان كان ورد لاحمد بن حنبل انكار لبعض هذا على
الحارث بن اسد فقد صنع احمد مثله في رده على الجهمية والقائلين بالمخلوق
وهذه الوجوه السائغة الحكاية عنها فاما ذكرها على غير هذا من حكاية
سبه والازراء بمنصبه صلى الله تعالى عليه وسلم على وجه الحكايات والاسمار

والظرف واحاديث الناس ومقالاتهم في الغث والسمين ومضحكات المجان ونوادر السخفاء والخوض في قيل وقال وما لا يعني فكل هذا ممنوع وبعضه اشد في المنع والعقوبة من بعض فما كان من قائله الحاكي له على غير قصد ومعرفة بمقدار ما حكاه او لم تكن عادته او لم يكن الكلام من البشاعة حيث هو ولم يظهر على حاكيه استحسانه واستصوابه زجر عن ذلك ونهي عن العودة اليه وان قوم ببعض الادب فهو مستوجب له وان كان لفظه من البشاعة حيث هو كان الادب اشد وحكي ان رجلا سأل مالكا رحمه الله تعالى عمن يقول ان القرآن مخلوق فقال مالك رحمه الله تعالى هو كافر فاقتلوه فقال انما حكيته عن غيري فقال مالك رحمه الله تعالى انما سمعناه منك وهذا من مالك رحمه الله تعالى على طريق الزجر والتغليظ بدليل انه لم ينفذ قتله وان اتهم هذا الحاكي فيما حكاه انه اختلقه ونسبه الى غيره او كانت تلك عادة له او ظهر استحسانه لذلك او كان مولعا بمثله والاستخفاف له او التحفظ لمثله او طلبه او رواية اشعار هجوه وسبه صلى الله تعالى عليه وسلم فحكم هذا حكم الساب نفسه يؤخذ بقوله ولا تنفعه نسبته الى غيره فيبادر بقتله ويعجل الى الهاوية امه وقد قال ابو عبيد القاسم بن سلام فيمن حفظ شطر بيت مما هجي به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فهو كفر وقد ذكر بعض من الف في الاجماع اجماع المسلمين على تحريم رواية ما هجي به صلى الله تعالى عليه وسلم وقراءته وكتابه وتركه متى وجد دون محو ورحم الله تعالى اسلافنا المتقين المتحرزين لدينهم فقد اسقطوا من احاديث المغازي والسير ما كان هذا سبيله وتركوا روايته الا اشياء ذكروها يسيرة وغير مستشنعة

على نحو الوجوه الاول ليروا نقمة الله تعالى من قائلها واخذه المفتري عليه بذنبه وهذا ابو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله تعالى قد تحرى فيما اضطر الى الاستشهاد به من اهاجي اشعار العرب في كتبه فكنى عن اسم المهجو بوزن اسمه استبراء لدينه وتحفظا من المشاركة في ذم احد بروايته ونشره فكيف بما يتطرق الى عرض سيد البشر صلى الله تعالى عليه وسلم

فصل السابع ان يذكر ما يجوز على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم او يختلف في جوازه عليه وما يطرأ من الامور البشرية به ويمكن اضافتها اليه او يذكر ما امتحن به او صبر في ذات الله تعالى على شدته من مقاساة اعدائه واذاهم له ومعرفة ابتداء حاله وسيرته وما لقيه من بؤس زمنه ومر عليه من معاناة عيشته كل ذلك على طريق الرواية ومذاكرة العلم ومعرفة ما صحت منه العصمة للانبياء عليهم السلام وما يجوز عليهم فهذا فن خارج عن هذه الفنون الستة اذ ليس فيه غمص ولا نقص ولا ازراء ولا استخفاف لا في ظاهر اللفظ ولا في مقصد اللافظ لكن يجب ان يكون الكلام فيه مع اهل العلم وفهماء طلبة الدين ممن يفهم مقاصده ويحققون فوائده ويجتنب ذلك من عساه لا يفقه او يخشى به فتنة فقد كره بعض السلف تعليم النساء سورة يوسف لما انطوت عليه من تلك القصص لضعف معرفتهن ونقص عقولهن وادراكهن فقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم مخبرا عن نفسه باستئجاره لرعاية الغنم في ابتداء حاله وقال ما من نبي الا وقد رعى الغنم فاخبرنا الله تعالى بذلك عن موسى عليه السلام وهذا لا غضاضة فيه جملة واحدة لمن ذكره على وجهه بخلاف من قصد به الغضاضة والتحقير بل كانت عادة جميع العرب

نعم في ذلك للانبياء عليهم السلام حكمة بالغة وتدريج الله تعالى لهم الى كرامته
وتدريب برعايتها لسياسة اممهم من خليقته بما سبق لهم من الكرامة
في الازل ومتقدم العلم وكذلك قد ذكر الله تعالى يتمه وعيلته على طريق
المنة عليه والتعريف بكرامته له صلى الله تعالى عليه وسلم فذكر الذاكر لها
على وجه تعريف حاله والخبر عن مبتدئه والتعجب من منح الله تعالى قبله
وعظيم منته تعالى عنده ليس فيه غضاضة بل فيه دلالة على نبوته صلى
الله تعالى عليه وسلم وصحة دعوته اذ اظهره الله تعالى بعد هذا على صناديد
العرب ومن ناواه اشرافهم شيئا فشيئا ونمى امره حتى قهرهم وتمكن
من ملك مقاليدهم واستباحة ممالك كثير من الامم غيرهم باظهار الله
تعالى له وتاييده بنصره وبالمؤمنين والف بين قلوبهم وامداده
بالملائكة المسومين ولو كان ابن ملك او ذا اشياع متقدمين لحسب
كثير من الجهال ان ذلك موجب ظهوره ومقتضى علوه ولهذا قال
هرقل حين سئل ابا سفيان عنه هل في ابائه من ملك قال لا ثم قال
ولو كان في ابائه ملك قلنا رجل يطلب ملك ابيه وان اليتم من صفته
واحدى علاماته في الكتب المتقدمة واخبار الامم السالفة وكذا
وقع ذكره في كتاب ارمياء وبهذا وصفه ابن ذي يزن لعبد المطلب
وبحيرا لابي طالب وكذلك اذا وصف صلى الله تعالى عليه وسلم بانه
امي كما وصفه الله تعالى به فهي مدحة له وفضيلة ثابتة فيه وقاعدة
معجزته اذ معجزته العظمى من القران العظيم انما هي متعلقة بطريق
المعارف والعلوم مع ما منح صلى الله تعالى عليه وسلم وفضل به من
ذلك كما قدمناه في القسم الاول ووجود مثل ذلك من رجل لم يقرا

ولم يكتب ولم يدارس ولا لقن مقتضى العجب ومنتهى العبر ومعجزة البشر
وليس في ذلك نقيصة اذ المطلوب من الكتابة والقراءة المعرفة وانما
هي الة لها وواسطة موصلة اليها غير مرادة في نفسها فاذا حصلت الثمرة
والمطلوب استغني عن الواسطة والسبب والامية في غيره نقيصة
لانها سبب الجهالة وعنوان الغباوة فسبحان من باين امره من امر غيره و
جعل شرفه فيما فيه محطة سواه وحياته فيما فيه هلاك من عداه هذا
شق قلبه واخراج حشوته كان تمام حيوته وغاية قوة نفسه وثبات
روعه وهو فيمن سواه منتهى هلاكه وحتم موته وفنائه وهلم جرا الى
سائر ما روي من اخباره وسيره وتقلله من الدنيا ومن الملبس والمطعم
والمركب وتواضعه ومهنته نفسه في اموره وخدمة بيته زهدا
ورغبة عن الدنيا وتسويته بين خطيرها وحقيرها بسرعة فناء
امورها وتقلب احوالها كل هذا من فضائله ومآثره وشرفه صلى الله
تعالى عليه وسلم كما ذكرناه فمن اورد شيئا منها مورده وقصد بها
مقصده كان حسنا ومن اورد ذلك على غير وجهه وعلم منه بذلك
سوء قصد لحق بالفصول التي قدمناها وكذلك ما ورد من اخبار
واخبار سائر الانبياء صلى الله تعالى على جميعهم في الاحاديث مما في
ظاهره اشكال تقتضي امورا لا تليق بهم بحال وتحتاج الى تاويل وتردد
احتمال فلا يجب ان يحدث منها الا بالصحيح ولا يروى منها الا المعلوم
الثابت ورحم الله تعالى مالكا فلقد كره التحدث بمثل ذلك من الاحاديث
الموهمة للتشبيه والمشكلة المعنى وقال ما يدعو الناس الى التحدث
بمثل هذا فقيل له ان ابن عجلان يحدث بها فقال لم يكن من الفقهاء

ولبّت الناس واقفوه رحمه الله تعالى على ترك الحديث بها وساعدوه على
طيّها فاكثرها ليس تحته عمل وقد حكي عن جماعة من السلف بل عنهم
على الجملة انهم كانوا يكرهون الكلام فيما ليس تحته عمل والنبي صلى الله
تعالى عليه وسلم اوردها على قوم عرب يفهمون كلام العرب على وجهه و
تصرفاتهم في حقيقته ومجازه واستعارته وبليغه وايجازه فلم تكن
في حقهم مشكلة ثم جاء من غلبت عليه العجمة وداخلته الامية فلا
يكاد يفهم من مقاصد العرب الا نصها وصريحها ولا يتحقق اشاراتها
الى غرض الايجاز ووحيها وتبليغها وتلويحها فتفرقوا في تاويلها شذر
مذر فمنهم من امن به ومنهم من كفر فاما ما لا يصح من هذه الاحاديث
فواجب ان لا يذكر منها شيء في حق الله تعالى ولا في حق انبيائه عليهم السلام
ولا يتحدث بها ولا يتكلف الكلام على معانيها والصواب طرحها
وترك الشغل بها الا ان تذكر على وجه التعريف بانها ضعيفة المعاد
واهية الاسناد وقد انكر الاشياخ على ابي بكر بن فورك تكلفه في
مشكله الكلام على احاديث ضعيفة موضوعة لا اصل لها او منقولة
عن اهل الكتاب الذين يلبسون الحق بالباطل كان يكفيه طرحها ويغنيه
عن الكلام عليها التنبيه على ضعفها اذ المقصود بالكلام على مشكل
ما فيها ازالة اللبس بها واجتثاثها من اصلها وطرحها اكشف للبس
واشفى للنفس فصل ومما يجب على المتكلم فيما يجوز على النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم وما لا يجوز والذاكر من حالاته ما قدمناه في الفصل
قبل هذا على طريق المذاكرة والتعليم ان يلتزم في كلامه عند ذكره
عليه السلام وذكر تلك الاحوال الواجبة من توقيره وتعظيمه ويراقب

حال لسانه ولا يهمله وتظهر عليه علامات الادب عند ذكره فاذا
ذكر ما قاساه من الشدائد ظهر عليه الاشفاق والارتماض على عدوه ومودة
الفداء للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم لو قدر عليه والنصرة له لو امكنته واذا
اخذ في ابواب العصمة وتكلم على مجاري اعماله واقواله واحواله صلى الله تعالى
تحرى احسن اللفظ وادب العبارة ما امكنه واجتنب بشيع ذلك وهجر
من العبارة ما يقبح كلفظة الجهل والكذب والمعصية فاذا تكلم في الاقوال
قال هل يجوز عليه الخلف في القول والاخبار بخلاف ما وقع سهوا او غلطا
ونحوه من العبارة ويتجنب لفظة الكذب جملة واحدة واذا تكلم على
العلم قال هل يجوز ان لا يعلم الا ما علم وهل يمكن ان لا يكون عنده علم من بعض
الاشياء حتى يوحى اليه ولا يقول يجهل لقبح اللفظ وبشاعته واذا تكلم
في الافعال قال هل يجوز منه المخالفة في بعض الاوامر والنواهي ومواقعة
الصغائر فهو اولى وادب من قوله هل يجوز ان يعصي او يذنب او يفعل
كذا وكذا من انواع المعاصي فهذا من حق توقيره صلى الله تعالى عليه وسلم
وما يجب له من تعزير واعظام وقد رايت بعض العلماء لم يتحفظ من هذا
فقبح منه ولم استصوب عبارته فيه ووجدت بعض الجائرين
قوله لاجل ترك تحفظه في العبارة ما لم يقله وشنع عليه بما يأباه و
يكفر قائله واذا كان مثل هذا بين الناس مستعملا في ادابهم وحسن
معاشرتهم وخطابهم فاستعماله في حقه عليه السلام اوجب والتزامه
اكد فجودة العبارة تقبح الشيء او تحسنه وتحريرها وتهذيبها يعظم
الامر او يهونه ولهذا قال عليه السلام ان من البيان لسحرا فاما ما اورده
على جهة النفي عنه والتنزيه له عليه السلام فلا حرج في تسريح العبارة

وتصريحها فيه كقوله لا يجوز عليه الكذب جملة ولا اتيان الكبائر
بوجه ولا الجور في الحكم على حال ولكن مع هذا يجب ظهور توقيره وتعظيمه
وتعزيره عند ذكره مجردا فكيف عند ذكر مثل هذا وقد كان السلف
تظهر عليهم حالات شديدة عند مجرد ذكره كما قدمناه في القسم الثاني و
كان بعضهم يلتزم مثل ذلك عند تلاوة آي من القرآن حكى الله تعالى فيها
مقال عداه ومن كفر باياته وافترى عليه الكذب فكان يخفض بها صوته
اعظاما لربه واجلالا له واشفاقا من التشبه بمن كفر به فصل في حكم
سابه وشانئه ومتنقصه ومؤذيه وعقوبته وذكر استتابته ووراثته
قال القاضي ابو الفضل رحمه الله تعالى قد قدمنا ما هو سب واذى في حقه
عليه السلام وذكرنا اجماع العلماء على قتل فاعل ذلك وقائله وتخيير الامام
في قتله او صلبه على ما ذكرناه وقررنا الحجج عليه وبعد فاعلم ان مشهور
مذهب مالك واصحابه رحمهم الله تعالى وقول السلف وجمهور العلماء قتله
حدا لا كفرا ان اظهر التوبة منه ولهذا لا تقبل عندهم توبته ولا تنفعه
استقالته ولا فيئته كما قدمناه قبل وحكمه حكم الزنديق ومسر الكفر في هذا
القول وسواء كانت توبته على هذا بعد القدرة عليه والشهادة على قوله
او جاء تائبا من قبل نفسه لانه حد وجب لا تسقطه التوبة قال الشيخ
ابو الحسن القابسي رحمه الله تعالى اذا اقر بالسب وتاب منه واظهر التوبة
قتل بالسب لانه هو حده وقال ابو محمد بن ابي زيد مثله واما ما بينه و
بين الله تعالى فتوبته تنفعه وقال ابن سحنون من شتم النبي صلى الله
تعالى من الموحدين ثم تاب عن ذلك لم تزل توبته عنه القتل وكذلك قد
اختلف في الزنديق اذا جاء تائبا فحكى القاضي ابو الحسن ابن القصار في

ذلك قولين قال من شيوخنا من قال اقتله باقراره لانه كان يقدر على
ستر نفسه فلما اعترف خفنا انه خشي الظهور عليه فبادر لذلك ومنهم
من قال اقبل توبته لاني استدل على صحتها بمجيئه فكاننا وقفنا على باطنه
بخلاف من اسرته البينة قال القاضي ابو الفضل رحمه الله تعالى وهذا قول
اصبغ ومسئلة ساب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اقوى لا يتصور فيها
الخلاف على الاصل المتقدم لانه حق متعلق بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم
ولامته بسببه لا تسقطه التوبة كسائر حقوق الادميين والزنديق
اذا تاب بعد القدرة عليه فعند مالك والليث واسحق واحمد رحمهم
الله تعالى لا تقبل توبته وعند الشافعي رحمه الله تعالى تقبل واختلف
فيه عن ابي حنيفة وابي يوسف رحمهما الله تعالى وحكى ابن المنذر
عن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه يستتاب قال محمد بن سحنون
ولم يزل القتل عن المسلم بالتوبة من سبه عليه السلام لانه لم ينتقل
من دين الى غيره وانما فعل شيئا حده عندنا القتل لا عفو فيه لاحد
كالزنديق لانه لم ينتقل من ظاهر الى ظاهر وقال القاضي ابو محمد بن نصر
محتجا لسقوط اعتبار توبته والفرق بينه وبين من سب الله تعالى
على مشهور القول باستتابته ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
بشر والبشر جنس تلحقهم المعرة الا من اكرمه الله تعالى بنبوته والباري
تعالى منزه عن جميع المعايب قطعا وليس من جنس تلحق المعرة بجنسه و
ليس سبه صلى الله تعالى عليه وسلم كالارتداد المقبول فيه التوبة
لان الارتداد معنى ينفرد به المرتد لا حق فيه لغيره من الادميين فقبلت
توبته ومن سب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم تعلق فيه حق لادمي

فكان كالمرتد يقتل حين ارتداده او يقذف فان توبته لا تسقط عنه
حد القتل والقذف وايضا فان توبة المرتد اذا قبلت لا تسقط ذنوبه
من زنا وسرقة وغيرها ولم يقتل ساب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لكفره
لكن لمعنى يرجع الى تعظيم حرمته وزوال المعرة به وذلك لا تسقطه
التوبة قال القاضي ابو الفضل يريد والله تعالى اعلم لان سبه لم يكن بكلمة
تقتضي الكفر ولكن بمعنى الازراء والاستخفاف او لان بتوبته واظهار
انابته ارتفع عنه اسم الكفر ظاهرا والله تعالى اعلم بسريرته وبقي حكم السب
عليه وقال ابو عمران القابسي من سب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
ثم ارتد عن الاسلام قتل ولم يستتب لان السب من حقوق الادميين
التي لا تسقط عن المرتد وكلام شيوخنا هؤلاء مبني على القول بقتله
حدا لا كفرا وهو يحتاج الى تفصيل واما على رواية الوليد بن مسلم عن
مالك ومن وافقه رحمهم الله تعالى على ذلك ممن ذكرناه وقال به من
اهل العلم جماعة فقد صرحوا انه ردة قالوا ويستتاب منها فان تاب
نكل وان ابى قتل فحكم له بحكم المرتد مطلقا في هذا الوجه والوجه الاول
اشهر واظهر لما قدمناه ونحن نبسط الكلام فيه فنقول من لم يره ردة
فهو يوجب القتل فيه حدا وانما نقول ذلك مع فصلين اما مع انكاره ما شهد
عليه به او اظهاره الاقلاع والتوبة عنه فنقتله حدا لثبات كلمة الكفر
عليه في حق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وتحقيره ما عظم الله تعالى من
حقه واجرينا حكمه في ميراثه حكم الزنديق اذا ظهر عليه وانكر او تاب فان
قلت فكيف تثبتون عليه الكفر ويشهد عليه بكلمة الكفر ولا تحكمون
عليه بحكمه من الاستتابة وتوابعها قلنا نحن وان اثبتنا له حكم الكافر

في القتل

في القتل فلا نقطع عليه بذلك لاقراره بالتوحيد والنبوة وانكاره ما شهد
عليه به او زعمه ان ذلك كان منه وهلا ومعصية وانه مقلع عن ذلك
ونادم عليه ولا يمتنع اثبات بعض احكام الكفر على بعض الاشخاص وان لم
تثبت له خصائصه كقتل تارك الصلوة واما من علم انه سبه عليه
السلام معتقدا لاستحلاله كتكذيبه او تكفيره ونحوه فهذا ما لا اشكال
فيه ويقتل وان تاب منه لانا لا نقبل توبته ونقتل بعد التوبة حدا
لقوله ومتقدم كفره وامره بعد الى الله تعالى المطلع على صحة اقلاعه العالم
بسره وكذلك من لم يظهر التوبة واعترف بما شهد به عليه وصمم عليه فهذا
كافر بقوله وباستحلاله هتك حرمة الله تعالى وحرمة نبيه صلى الله تعالى عليه
وسلم يقتل كافرا بلا خلاف فعلى هذه التفصيلات خذ كلام العلماء ونزل
مختلف عباراتهم في الاحتجاج عليها واجر اختلافهم في الموارثة وغيرها
على ترتيبها تتضح لك مقاصدهم ان شاء الله تعالى فصل اذا قلنا بالاستتابة
حيث تصح فالاختلاف فيها على الاختلاف في توبة المرتد اذ لا فرق وقد اختلف
السلف في وجوبها وصورتها ومدتها فذهب جمهور اهل العلم الى ان المرتد
يستتاب وحكى ابن القصار انه اجماع من الصحابة عليهم رضوان الله تعالى
على تصويب قول عمر رضي الله تعالى عنه في الاستتابة ولم ينكره واحد منهم
وهو قول عثمان وعلي وابن مسعود رضي الله تعالى عنهم وبه قال عطاء بن
ابي رباح والنخعي والثوري ومالك واصحابه والاوزاعي والشافعي
واحمد بن حنبل واسحاق واصحاب الراي عليهم رحمة الله تعالى وذهب طاوس
وعبيد بن عمير والحسن في احدى الروايتين عنه انه لا يستتاب وقال
عبد العزيز بن ابي سلمة وذكره عن معاذ رضي الله تعالى عنه وانكره سحنون

عن معاذ رضي الله تعالى عنه وحكاه الطحاوي عن ابي يوسف فهو قول اهل
الظاهر قالوا وتنفعه توبته عند الله تعالى ولكن لا تدرأ القتل عنه لقوله
صلى الله تعالى عليه وسلم فاقتلوه وحكى ايضا عن عطاء ان كان ممن ولد
في الاسلام لم يستتب ولا يستتاب الاسلامي وجمهور العلماء على ان المرتد
والمرتدة في ذلك سواء وروي عن علي رضي الله تعالى عنه لا تقتل المرتدة
وتسترق وقاله عطاء وقتادة رحمهما الله تعالى وروي عن ابن عباس
لا تقتل النساء في الردة وبه قال ابو حنيفة رحمه الله تعالى قال مالك رحمه الله
تعالى والحر والعبد والذكر والانثى في ذلك سواء واما مدتها فمذهب الجمهور
وروي عن عمر رضي الله تعالى عنه انه يستتاب ثلاثة ايام يحبس فيها
وقد اختلف عن عمر رضي الله تعالى عنه وهو احد قولي الشافعي وقول احمد
واسحاق رحمهم الله تعالى واستحسنه مالك رحمه الله تعالى وقال لا ياتي الاستظهار
الا بخير وليس عليه جماعة الناس وقال مالك رحمه الله تعالى ايضا الذي
آخذ به في المرتد قول عمر رضي الله تعالى عنه يحبس ثلاثة ايام ويعرض عليه
كل يوم فان تاب والا قتل وقال ابو الحسن بن القصار في تاخيره ثلاثا
روايتان عن مالك رحمه الله تعالى هل ذلك واجب او مستحب واستحسن
الاستتابة والاستيناء ثلاثا اصحاب الراي وروي عن ابي بكر الصديق
رضي الله تعالى عنه انه استتاب امراة فلم تتب فقتلها وقال الشافعي رحمه الله
تعالى مرة فقال ان لم يتب قتل مكانه واستحسنه المزني وقال الزهري
يدعى الى الاسلام ثلاث مرات فان ابى قتل وروي عن علي رضي الله تعالى
عنه يستتاب شهرين وقال النخعي يستتاب ابدا وبه اخذ الثوري
ما رجيت توبته وحكى ابن القصار عن ابي حنيفة رحمه الله تعالى انه يستتاب

ثلاث

ثلاث مرات في ثلاثة ايام او ثلاث جمع في كل يوم او جمعة مرة وفي كتاب
محمد عن ابن القاسم يدعى المرتد الى الاسلام ثلاث مرات فان ابى ضربت
عنقه واختلف على هذا هل يهدد عليه ايام الاستتابة ليتوب ام لا
فقال مالك رحمه الله تعالى ما علمت في الاستتابة تجويعا ولا تعطيشا ويؤتى
من الطعام بما لا يضره وقال اصبغ يخوف ايام الاستتابة بالقتل ويعرض
عليه الاسلام وفي كتاب ابي الحسن الطابثي يوعظ في تلك الايام ويذكر بالجنة
ويخوف بالنار قال اصبغ واي المواضع حبس فيها من السجون مع الناس
او وحده اذا استوثق منه سواء ويوقف ماله اذا خيف ان يتلفه
على المسلمين ويطعم منه ويسقى وكذلك يستتاب ابدا كلما رجع وارتد وقد
استتاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم نبهان الذي ارتد اربع
مرات او خمسا قال ابن وهب عن مالك رحمهما الله تعالى يستتاب
ابدا كلما رجع وهو قول الشافعي واحمد وقاله ابن القاسم رحمهم الله تعالى
وقال اسحاق يقتل في الرابعة قيل دون استتابة وان تاب ضرب
ضربا وجيعا ولم يخرج من السجن حتى يظهر عليه خشوع التوبة قال ابن
المنذر ولا نعلم احدا اوجب على المرتد في المرة الاولى ادبا اذا رجع وهو
على مذهب مالك والشافعي والكوفي رحمهم الله تعالى فصل قال القاضي
ابو الفضل هذا حكم من ثبت عليه ذلك بما يجب ثبوته من اقرار
او عدول لم يدفع فيهم فاما من لم تتم الشهادة عليه بما شهد عليه الواحد
او اللفيف من الناس او ثبت قوله لكن احتمل ولم يكن صريحا وكذلك
ان تاب على القول بقبول توبته فهذا يدرأ عنه القتل ويتسلط عليه
اجتهاد الامام بقدر شهرة حاله وقوة الشهادة عليه وضعفها وكثرة

السماع عنه وصورته حاله من التهمة في الدين والنبز بالسفه والمجون
فمن قوي امره اذاقه من شديد النكال من التضييق في السجن والشد
في القيود الى الغاية التي هي منتهى طاقته مما لا يمنعه عن القيام لضرورته
ولا يقعده عن صلاته وهو حكم كل من وجب عليه القتل لكن وقف عن
قتله لمعنى اوجبه وتربص به لاشكال وعائق اقتضاه امره وحالات
الشدة عليه في نكاله تختلف بحسب اختلاف حاله وقد روى الوليد
عن مالك والاوزاعي رحمهما الله تعالى انها ردة فاذا تاب نكل ولمالك
في العتبية وكتاب محمد من رواية اشهب اذا تاب المرتد فلا عقوبة
عليه وقاله سحنون وافتى ابو عبد الله ابن عتاب فيمن سب النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم فشهد عليه شاهدان عدل احدهما بالادب
الموجع والتنكيل والسجن الطويل حتى تظهر توبته وقال القابسي
في مثل هذا ومن كان اقصى امره القتل فعاق عائق اشكل في القتل لم ينبغ
ان يطلق من السجن ويستطال سجنه ولو كان فيه من المدة ما عسى
ان يقيم ويحمل عليه من القيد ما يطيق وقال في مثله ممن اشكل امره
تشد في القيود شدا ويضيق عليه في السجن حتى ينظر فيما يجب عليه
وقال في مسئلة اخرى مثلها ولا تهراق الدماء الا بالامر الواضح و
في الادب بالسوط والسجن نكال للسفهاء ويعاقب عقوبة شديدة
فاما ان لم تشهد عليه سوى شاهدين فاثبت من عداوتهما او جرحتهما
ما اسقطهما عنه ولم يسمع ذلك من غيرهما فامره اخف لسقوط
الحكم عنه وكانه لم يشهد عليه الا ان يكون ممن يليق به ذلك
ويكون الشاهدان من اهل التبريز فاسقطهما بعداوة فهو وان

لم ينفذ الحكم عليه لشهادتهما فلا يدفع الظن صدقهما وللحاكم هنا
في تنكيله موضع اجتهاد والله تعالى ولي الارشاد فصل هذا حكم
المسلم فاما الذمي اذا صرح بسبه او عرض او استخف بقدره صلى الله
تعالى عليه وسلم او وصفه بغير الوجه الذي كفر به فلا خلاف عندنا في قتله
ان لم يسلم لانا لم نعطه الذمة والعهد على هذا وهو قول عامة العلماء الا
ابا حنيفة والثوري واتباعهما رحمهما الله تعالى من اهل الكوفة فانهم قالوا
لا يقتل ما هو عليه من الشرك اعظم ولكن يؤدب ويعزر واستدل بعض
شيوخنا بقوله تعالى وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا
ائمة الكفر ويستدل عليه ايضا بقتل النبي عليه الصلوة والسلام لابن الاشرف
واشباهه ولانا لم نعاهدهم ولم نعطهم الذمة على هذا ولا يجوز لنا ان نفعل
ذلك معهم فاذا اتوا ما لم يعطوا عليه العهد ولا الذمة فقد نقضوا
ذمتهم وصاروا كفارا اهل حرب يقتلون لكفرهم وايضا فان ذمتهم لا
تسقط الاسلام عنهم من القطع في سرقة اموالهم والقتل لمن قتلوه منهم
وان كان ذلك حلالا عندهم فكذلك سبهم للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم
يقتلون به ووردت لاصحابنا ظواهر تقتضي الخلاف اذا ذكره الذمي
بالوجه الذي كفر به ستقف عليها من كلام ابن القاسم وابن سحنون بعد
وحكى ابو المصعب الخلاف فيها عن اصحابه المدنيين واختلفوا اذا سبه
ثم اسلم فقيل يسقط اسلامه قتله لان الاسلام يجب ما قبله بخلاف
المسلم اذا سبه ثم تاب لانا نعلم باطنه الكافر في بغضه له وتنقصه
تنقصه بقلبه لكنا منعناه من اظهاره فلم يزدنا ما اظهره الا مخالفة
للامر ونقضا للعهد فاذا رجع عن دينه الاول الى الاسلام سقط ما قبله

قال الله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف والمسلم بخلافه
اذ كان ظننا بباطنه حكم ظاهره وخلاف ما بدا منه الآن فلم يقبل بعد رجوعه
ولا استأمنا الى باطنه اذ قد بدت سرائره وما ثبت عليه من الاحكام باقية
عليه لم يسقطها شيء وقيل لا يسقط اسلام الذمي الساب قتله لانه
حق للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وجب عليه لانتهاكه حرمته وقصده الحاق
النقيصة والمعرة به فلم يكن رجوعه الى الاسلام بالذي يسقطه عنه
كما وجب عليه من حقوق المسلمين من قبل اسلامه من قتل وقذف واذا
كنا لا نقبل توبة المسلم فان لا نقبل توبة الكافر اولى قال مالك في كتاب
ابن حبيب والمبسوط وابن القاسم وابن الماجشون وابن عبد الحكم واصبغ
فيمن شتم نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم من اهل الذمة او احدا من الانبياء
عليهم قتل الا ان يسلم وقاله ابن القاسم في العتبية وعند محمد وابن
سحنون وقال واصبغ لا يقال له اسلم ولا تسلم ولكن ان اسلم فذلك له
توبة وفي كتاب محمد اخبرنا اصحاب مالك انه قال من سب رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم او غيره من النبيين من مسلم او كافر قتل ولم يستتب
وروى لنا عن مالك رحمه الله تعالى الا ان يسلم الكافر وقد روى ابن
وهب عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما ان راهبا تناول النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم فقال ابن عمر رضي الله تعالى عنه فهلا قتلتموه وروى عيسى عن ابن
القاسم في ذمي قال ان محمدا لم يرسل الينا انما ارسل اليكم وانما نبينا موسى
او عيسى عليهما السلام ونحو هذا لا شيء عليهم لان الله اقرهم على مثله
واما ان سبه فقال ليس بنبي او لم يرسل ولم ينزل قرآن وانما هو شيء
تقوله او نحو هذا فيقتل قال ابن القاسم واذا قال النصراني ديننا

خير من دينكم

خير من دينكم انما دينكم دين الحمير ونحو هذا او سمع المؤذن يقول اشهد
ان محمدا رسول الله فقال كذلك يعطيكم الله تعالى ففي هذا الادب الموجع و
السجن الطويل قال واما ان شتم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم شتما
يعرف فانه يقتل الا ان يسلم قاله مالك رحمه الله تعالى غير مرة ولم يقل
يستتاب قال ابن القاسم ومحمل قوله عندي ان اسلم طائعا وقال
ابن سحنون في سؤالات سليمان بن سالم في اليهودي يقول للمؤذن
اذا تشهد كذبت يعاقب العقوبة الموجعة مع السجن الطويل وفي
النوادر من رواية سحنون عنه من شتم الانبياء عليهم السلام من اليهود
والنصارى بغير الوجه الذي به كفروا ضربت عنقه الا ان يسلم و
قال محمد بن سحنون فان قيل لم قتلته في سب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
ومن دينه سبه وتكذيبه قيل لانا لم نعطهم العهد على ذلك ولا على قتلنا
واخذ اموالنا فاذا قتل واحدا منا قتلناه وان كان من دينه استحلاله
فكذلك اظهاره لسب نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم لم يجز لنا ذلك
في قول قائل كذلك ينتقض عهد من سب منهم ويحل لنا دمه وكما لم
يحصن الاسلام من سبه من القتل كذلك لا تحصنه الذمة قال
القاضي ابو الفضل رحمه الله تعالى ما ذكره ابن سحنون عن نفسه وعن
ابيه مخالف لقول ابن القاسم فيما خفف عقوبتهم فيه مما به كفروا
فتأمله ويدل على انه خلاف ما روي عن المدنيين في ذلك ما حكى
ابو المصعب الزهري قال اتيت بنصراني قال والذي اصطفى عيسى
على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فاختلف علي فيه فضربته حتى قتلته
او عاش يوما وليلة وامرت من جر برجله وطرح على مزبلة فاكلته

الكلاب وسئل ابو المصعب عن نصراني قال عيسى خلق محمدا صلى الله
تعالى عليه وسلم فقال يقتل وقال ابن القاسم سألنا مالكا رحمه الله عن
نصراني بمصر شهد عليه انه قال مسكين محمد صلى الله تعالى عليه وسلم يخبركم
انه في الجنة فهو الآن في الجنة ماله لم ينفع نفسه اذ كانت الكلاب تاكل
ساقيه لو قتلوه استراح منه الناس قال مالك رحمه الله تعالى ارى ان
تضرب عنقه قال ولقد كدت ان لا اتكلم فيها بشيء ثم رايت انه لا يسعني
الصمت قال ابن كنانة في المبسوط من شتم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من
اليهود والنصارى فارى للامام ان يحرقه بالنار وان شاء قتله ثم
حرق جثته وان شاء احرقه بالنار حيا اذا تهافتوا في سبه عليه السلم
ولقد كتب الى مالك رحمه الله تعالى من مصر وذكر مسئلة ابن القاسم المتقدمة
قال فامرني مالك فكتبت اليه بان يقتل وان تضرب عنقه فكتبت ثم قلت
يا ابا عبد الله واكتب ثم يحرق بالنار فقال انه لحقيق بذلك وما اولاه به
فكتبته بيدي بين يديه فما انكره ولا عابه ونفذت الصحيفة بذلك فقتل
وحرق وافتى عبيد الله بن يحيى وابن لبابة في جماعة سلف اصحابنا الاندلسيين
بقتل نصرانية استهلت بنفي الربوبية ونبوة عيسى عليه السلم وتكذيب
محمد صلى الله تعالى عليه وسلم في النبوة وبقبول اسلامها ودرء القتل
عنها به قال غير واحد من المتأخرين منهم القابسي وابن الكاتب وقال
ابو القاسم ابن الجلاب في كتابه من سب الله تعالى ورسوله عليه السلم من مسلم
او كافر قتل ولا يستتاب وحكى القاضي ابو محمد في الذمي يسب روايتين
في درء القتل عنه باسلامه قال ابن سحنون وحد القذف وشبهه
من حقوق العباد لا يسقطه عن الذمي اسلامه وانما يسقط عنه باسلامه

حدود

حدود الله تعالى فاما حد القذف فحق للعباد كان ذلك من نبي او غيره فاوجب
على الذمي اذا قذف رسول الله تعالى عليه وسلم حد القذف ولكن انظر
ماذا يجب عليه هل حد القذف في حق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو
القتل لزيادة حرمة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على غيره ام هل يسقط
القتل باسلامه ويحد ثمانين فتامله فصل في ميراث من قتل بسب
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وغسله والصلوة عليه فذهب سحنون
الى انه لجماعة المسلمين من قبل ان شتم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كفر
يشبه كفر الزندقة وقال اصبغ ميراثه لورثته من المسلمين ان كان
مستترا بذلك وان كان مظهرا له مستهلا به فميراثه للمسلمين ويقتل
على كل حال ولا يستتاب قال ابو الحسن القابسي ان قتل وهو منكر للشهادة
عليه فالحكم في ميراثه على ما اظهر من اقراره يعني لورثته والقتل حد ثبت
عليه ليس من الميراث في شيء وكذلك لو اقر بالسب وتمادى عليه وابى التوبة
منه فقتل على ذلك كان كافرا وميراثه للمسلمين ولا يغسل ولا يصلى عليه
ولا يكفن وتستر عورته ويوارى كما يفعل بالكفار وقول الشيخ ابي الحسن
في المجاهر المتمادي بين لا يمكن الخلاف فيه لانه كافر مرتد غير تائب ولا
مقلع وهو مثل قول اصبغ وكذلك في كتاب ابن سحنون في الزنديق يتمادى
على قوله ومثله لابن القاسم في العتبية ولجماعة من اصحاب مالك رحمه الله تعالى
في كتاب ابن حبيب فيمن اعلن كفره مثله قال ابن القاسم وحكمه حكم المرتد لا يرثه
ورثته من المسلمين ولا من اهل الدين ارتد اليه ولا تجوز وصاياه ولا عتقه
وقال اصبغ قتل على ذلك او مات عليه وقال ابو محمد بن ابي زيد وانما يختلف
في ميراث الزنديق الذي يستهل بالتوبة فلا تقبل منه فاما المتمادي فلا

صدوف انه لا يورث وقال ابو محمد فيمن سب الله تعالى ثم مات ولم تعدل
عليه بينة او لم تقبل انه يصلى عليه وروى اصبغ عن ابن القاسم في كتاب
ابن حبيب فيمن كذب برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم او اعلن دينا مما يفارق
الاسلام ان ميراثه للمسلمين وقال يقول مالك رحمه الله تعالى ان ميراث المرتد
للمسلمين ولا ترثه ورثته ربيعة والشافعي وابو ثور وابن ليلى واختلف
فيه عن احمد وقال علي ابن ابي طالب وابن مسعود رضي الله تعالى عنهما وابن
المسيب والحسن والشعبي وعمر بن عبد العزيز والحكم والاوزاعي و
الليث واسحاق وابو حنيفه رحمهم الله تعالى يرثه ورثته من المسلمين وقيل
ذلك فيما كسبه قبل ارتداده وما كسبه في الارتداد فللمسلمين قال القاضي
ابو الفضل رحمه الله تعالى وتفصيل ابي الحسن في باقي جوابه حسن بين
وهو على رأي اصبغ وخلاف قول سحنون واختلافهما على قولي مالك رحمه
الله تعالى في ميراث الزنديق فمرة ورثه ورثته من المسلمين قامت عليه
بذلك بينة فانكرها واعترف بذلك واظهر التوبة وقاله اصبغ ومحمد
بن مسلمة وغير واحد من اصحابه لانه مظهر للاسلام بانكاره او توبته
وحكمه حكم المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم وروى ابن نافع عنه في العتبية وكتاب محمد ان ميراثه لجماعة المسلمين
لان ماله تبع لدمه وقاله ايضا جماعة من اصحابه وقاله اشهب والمغيرة
وعبد الملك ومحمد وسحنون وذهب ابن القاسم في العتبية الى انه
ان اعترف بما شهد عليه به وتاب وقتل فلا يورث وان لم يقر حتى قتل
او مات ورث قال وكذلك كل من اسر كفرا فانهم يتوارثون بوراثة
الاسلام وسئل ابو القاسم بن الكاتب عن النصراني يسب النبي صلى الله

تعالى عليه وسلم فيقتل هل يرثه اهل دينه ام المسلمون فاجاب انه للمسلمين
ليس على جهة الميراث لانه لا توارث بين ملتين ولكن لانه من فيئهم لنقضه
العهد هذا معنى قوله واختصاره والله تعالى الموفق للصواب الباب الثالث
في حكم من سب الله تعالى وملائكته وانبياءه وكتبه وآل النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم وازواجه وصحبه رضي الله تعالى عنهم اجمعين قال القاضي
ابو الفضل رحمه الله تعالى لا خلاف ان ساب الله تعالى من المسلمين كافر حلال
الدم واختلف في استتابته فقال ابن القاسم في المبسوط وفي كتاب
ابن سحنون ومحمد ورواه ابن القاسم عن مالك في كتاب اسحاق بن يحيى رحمهم
الله تعالى من سب الله تعالى من المسلمين قتل ولم يستتب الا ان يكون افتراء على
الله عز وجل بارتداده الى دين دان به واظهره فيستتاب وان لم يظهره
لم يستتب وقال في المبسوط مطرف وعبد الملك مثله وقال المخزومي
ومحمد بن مسلمة وابن ابي حازم لا يقتل المسلم بالسب حتى يستتاب وكذلك
اليهودي والنصراني فان تابوا قبل منهم وان لم يتوبوا قتلوا ولا بد من
الاستتابة وذلك كله كالردة والذي حكاه القاضي ابن نصر عن المذهب
وافتى ابو محمد بن ابي زيد فيما حكي عنه في رجل لعن رجلا ولعن الله تعالى
فقال انما اردت ان العن الشيطان فزل لساني فقال يقتل بظاهر كفره
ولا يقبل عذره واما فيما بينه وبين الله تعالى فمعذور واختلف فقهاء
قرطبة في مسألة هارون بن حبيب اخي عبد الملك الفقيه وكان ضيق
الصدر كثير التبرم وكان قد شهد عليه بشهادات منها انه قال عند
استقلاله من مرض لقيت في مرضي هذا ما لو قتلت ابا بكر وعمر رضي الله تعالى
عنهما لم استوجب هذا كله فافتى ابراهيم بن حسين بن خالد بقتله وان

مقتضى قوله تجويزاً لله تعالى وتظلّم منه والتعريض فيه كالتصريح وافتى
اخوه عبد الملك بن حبيب وابراهيم بن حسن بن عاصم وسعيد بن سليمان
القاضي بطرح القتل عنه الا ان القاضي رای عليه التثقيل في الحبس
والشدة في الادب لاحتمال كلامه وطرفه الى التشكي فوجه من قال
في ساب الله تعالى بالاستتابة انه كفر وردة محضة لم يتعلق بها حق
لغير الله تعالى فاشبه قصد الكفر بغير سب الله تعالى واظهاره لانتقال
الى دين آخر من الاديان المخالفة للاسلام ووجه ترك استتابته
انه لما ظهر منه ذلك بعد اظهار الاسلام قبل اتهمناه وظننا ان
لسانه لم ينطق به الا وهو معتقد له اذ لا يتساهل في هذا احد فحكم له
بحكم الزنديق ولم يقبل توبته واذا انتقل من دين الى آخر واظهر السب
بمعنى الارتداد فهذا قد اعلم انه خلع ربقة الاسلام من عنقه بخلاف
الاول المتمسك به وحكم هذا حكم المرتد يستتاب على مشهور مذاهب
اكثر العلماء وهو مذهب مالك واصحابه رحمهم الله تعالى على ما بيناه
قبل وذكرنا الخلاف في فصوله فصل واما من اضاف الى الله تعالى
ما لا يليق به ليس على طريق السب ولا الردة وقصد الكفر ولكن على طريق
التأويل والاجتهاد والخطاء المفضي الى الهوى والبدعة من تشبيه
او نعت بجارحة او نفي صفة كمال فهذا مما اختلف السلف والخلف
في تكفير قائله ومعتقده واختلف قول مالك واصحابه رحمهم الله تعالى
في ذلك ولم يختلفوا في قتالهم اذا تحيزوا فئة وانهم يستتابون فان تابوا
والا قتلوا وانما اختلفوا في المنفرد منهم فاكثر قول مالك واصحابه
رحمهم الله تعالى ترك القول بتكفيرهم وترك قتلهم والمبالغة في عقوبتهم

واطالة

واطالة سجنهم حتى يظهر اقلاعهم وتستبين توبتهم كما فعل عمر رضي الله
تعالى عنه بصبيغ وهذا قول محمد بن المواز في الخوارج وعبد الملك بن الماجشون
وقول سحنون في جميع اهل الاهواء وبه فسر قول مالك رحمه الله تعالى
في الموطأ وما رواه عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى وجده وعمه من قولهم
في القدرية يستتابون فان تابوا والا قتلوا وقال عيسى عن ابن القاسم
في اهل الاهواء من الاباضية والقدرية وشبههم ممن خالف الجماعة من اهل
البدع والتحريف لتأويل كتاب الله تعالى يستتابون اظهروا ذلك او اسروه
فان تابوا والا قتلوا وميراثهم لورثتهم وقال مثله ايضاً ابن القاسم في كتاب
محمد في اهل القدر وغيرهم قال واستتابتهم ان يقال لهم اتركوا ما انتم عليه
ومثله له في المبسوط في الاباضية والقدرية وسائر اهل البدع قال وهم
مسلمون وانما قتلوا لرأيهم السوء وقال بهذا عمل عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى
عنه قال ابن القاسم من قال ان الله تعالى لم يكلم موسى تكليما استتيب فان تاب
والا قتل وابن حبيب وغيره من اصحابنا يرى تكفيرهم وتكفير امثالهم من
الخوارج والمرجئة والقدرية وقد روى ايضاً عن سحنون مثله فيمن
قال ليس لله تعالى كلام انه كافر واختلفت الروايات عن مالك رحمه الله
تعالى واطلق في رواية الشاميين ابي مسهر ومروان بن محمد الطاطري الكفر
عليهم وقد شوور في تزويج القدري فقال لا تزوجوه قال الله تعالى ولعبد
مؤمن خير من مشرك وروى عنه ايضاً اهل الاهواء كلهم كفار وقال ومن
وصف شيئاً من ذات الله تعالى واشار الى شيء من جسده يداً او سمعاً او بصراً
قطع ذلك منه لانه شبه الله تعالى بنفسه وقال فيمن قال القرآن مخلوق
كافر فاقتلوه وقال ايضاً في رواية ابن نافع يجلد ويوجع ضرباً ويحبس

شنى يتوب وفي رواية بشر بن بكر التنيسي عنه يقتل ولا تقبل توبته قال
القاضيا ابو عبد الله البرنكاني والقاضي ابو عبد الله التستري من ائمة العراقيين
جوابه مختلف يقتل المستبصر الداعية وعلى هذا الخلاف اختلف قوله في
اعادة الصلوة خلفهم وحكى ابن المنذر الشافعي رحمه الله لا يستتاب
القدري واكثر اقوال السلف تكفيرهم وممن قال به الليث وابن عيينه
وابن لهيعة روى ابن المبارك والأودي والوكيع وحفص بن غياث
وابو اسحاق الفزاري وهشيم وعلي بن عاصم في اخرين وهو من قول اكثر
المحدثين والفقهاء والمتكلمين فيهم وفي الخوارج والقدرية واهل
الاهواء المضلة واصحاب البدع المتاولين وهو قول احمد بن حنبل وكذلك
قالوا في الواقفة والشاكة في هذه الاصول وممن روى عنه معنى القول
الاخر بترك تكفيرهم علي بن ابي طالب وابن عمر والحسن البصري رضي الله
تعالى عنهم وهو رأي جماعة من الفقهاء النظار والمتكلمين واحتجوا بتوريث
الصحابة والتابعين ورثة اهل حروراء ومن عرف بالقدر ممن مات
منهم ودفنهم في مقابر المسلمين وجري احكام الاسلام عليهم قال اسمعيل
القاضي وانما قال مالك رحمه الله تعالى في القدرية وسائر اهل البدع يستتابون
فان تابوا والا قتلوا لانه من الفساد في الارض كما قال في المحارب ان رأى
الامام قتله وان لم يقتل وفساد المحارب انما هو في الاموال ومصالح
الدنيا وان كان قد يدخل ايضا في امر الدين من سبيل الحج والجهاد وفساد
اهل البدع معظمه على الدين وقد يدخل في امر الدنيا بما يلقون بين المسلمين
في العداوة فصل في تحقيق القول في اكفار المتاولين قد ذكرنا مذاهب
السلف رحمهم الله تعالى في اكفار اصحاب البدع والاهواء المتاولين ممن قال

قولا

قولا يؤديه مساقه الى كفر هو اذا وقف عليه لا يقول بما يؤديه قوله اليه
وعلى اختلافهم اختلف الفقهاء والمتكلمون في ذلك فمنهم من صوب التكفير
الذي قال به الجمهور من السلف ومنهم من اباه ولم ير اخراجهم من سواد
المؤمنين وهو قول اكثر الفقهاء والمتكلمين وقالوا هم فساق عصاة ضلال
ونورثهم من المسلمين ونحكم لهم باحكامهم ولهذا قال سحنون لا اعادة
على من صلى خلفهم وقال وهو قول جميع اصحاب مالك رحمه الله تعالى المغيرة
وابن كنانة واشهب قال لانه مسلم وذنبه لم يخرجه من الاسلام واضطرب
واخرون في ذلك ووقفوا عن القول بالتكفير او ضده واختلاف
قولي مالك رحمه الله تعالى في ذلك وتوقفه عن اعادة الصلوة خلفهم
منه والى نحو من هذا ذهب القاضي ابو بكر امام اهل التحقيق والحق وقال
انها من المعوصات اذ القوم لم يصرحوا باسم الكفر وانما قالوا قولا يؤدي
اليه واضطرب قوله في المسئلة على نحو اضطراب قول امامه مالك بن انس
رحمه الله تعالى حتى قال في بعض كلامه انهم على رأي من كفرهم بالتاويل لا تحل
مناكحتهم ولا اكل ذبائحهم ولا الصلوة على ميتهم ويختلف في موارثتهم على
الاختلاف في ميراث المرتد وقال ايضا نورث ميتهم ورثتهم من المسلمين
واكثر ميله الى ترك التكفير وان الكفر خصلة واحدة وهو الجهل بوجود
الباري عز وجل وقال مرة من اعتقد ان الله تعالى جسم او المسيح او
بعض من يلقاه في الطرق فليس بعارف به ولمثل هذا ذهب ابو المعالي
رحمه الله تعالى في اجوبته لابي محمد عبد الحق وكان سأله عن المسئلة فاعتذر له
بان الغلط فيها يصعب لان ادخال كافر في الملة او اخراج مسلم عنها
عظيم في الدين وقال غيرهما من المحققين الذي يجب الاحتراز من التكفير

في اهل التاويل فان استباحة دماء المصلين الموحدين خطر والخطا في
ترك الف كافر اهون من الخطا في سفك محجمة من دم مسلم واحد وقد
قال صلى الله تعالى عليه وسلم فاذا قالوها يعني الشهادة فقد عصموا مني
دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله تعالى فالعصمة مقطوع بها
مع الشهادة ولا ترتفع ويستباح خلافها الا بقاطع ولا قاطع من شرع
ولا قياس عليه والفاظ الاحاديث الواردة في الباب معرضة للتاويل
فما جاء منها في التصريح بكفر القدرية وقوله لا سهم لهم في الاسلام و
تسميته الرافضة بالشرك واطلاق اللعنة عليهم وكذلك في الخوارج
وغيرهم من اهل الاهواء فقد يحتج بها من يقول بالتكفير وقد يجيب الاخر
عنها بانه قد ورد مثل هذه الالفاظ في الحديث في غير الكفرة على طريق
التغليظ وكفر دون كفر واشراك دون اشراك وقد ورد مثله في الريا
وعقوق الوالدين والزوج وغير معصية واذا كان محتملا للامرين
فلا يقطع على احدهما الا بدليل قاطع وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم
في الخوارج هم من شر البرية وهذه صفة الكفار وقال صلى الله تعالى
عليه وسلم هم شر قتيل تحت اديم السماء طوبى لمن قتلهم او قتلوه وقال
فاذا وجدتموهم فاقتلوهم قتل عاد وظاهر هذا الكفر لا سيما مع تشبيههم
بعاد فيحتج به من يرى تكفيرهم فيقول له الاخر انما ذلك من قتلهم لخروجهم
على المسلمين وبغيهم عليهم بدليله من الحديث نفسه يقتلون اهل الاسلام
فقتلهم ههنا حد لا كفر وذكر عاد تشبيه للقتل وحله للمقتول وليس
كل من حكم بقتله يحكم بكفره ويعارضه بقول خالد رضي الله تعالى عنه في الحديث
دعني اضرب عنقه يا رسول الله فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لعله يصلي

فان احتجوا بقوله عليه الصلوة والسلم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم فاخبر
ان الايمان لم يدخل في قلوبهم وكذلك قوله يمرقون من الدين مروق السهم من
الرمية ثم لا يعودون اليه حتى يعود السهم على فوقه وبقوله صلى الله تعالى
عليه وسلم سبق الفرث والدم يدل على انه لم يتعلق من الاسلام بشيء اجابه
الآخرون ان معنى لا يجاوز حناجرهم لا يفهمون معانيه بقلوبهم ولا تنشرح له
صدورهم ولا تعمل به جوارحهم وعارضوهم بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم
ويتمارون في الفوق وهذا يقتضي التشكك في حاله وان احتجوا بقوله ابي
سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه في هذا الحديث سمعت رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم يقول يخرج في هذه الامة ولم يقل من هذه الامة وتحرير ابي
سعيد رضي الله تعالى عنه الرواية واتقانه اللفظ اجابهم الاخرون بان
العبارة بفي لا تقتضي تصريحا بكونهم من غير الامة بخلاف لفظة من التي
هي للتبعيض وكونهم من الامة مع انه قد روي عن ابي ذر وعلي وابي
امامة رضي الله تعالى عنهم وغيرهم في هذا الحديث يخرج من امتي وسيكون
من امتي وحروف المعاني مشتركة فلا تعويل على اخراجهم من الامة بفي
ولا على ادخالهم فيها بمن لكن ابا سعيد رضي الله تعالى عنه اجاد ما شاء في التنبيه
الذي نبه عليه وهذا مما يدل على سعة فقه الصحابة رضي الله تعالى عنهم و
تحقيقهم للمعاني واستنباطها من الالفاظ وتحريرهم لها وتوقيهم في
الرواية هذه المذاهب المعروفة لاهل السنة ولغيرهم من الفرق فيها
مقالات كثيرة مضطربة سخيفة اقربها قول جهم ومحمد بن شبيب ان
الكفر بالله تعالى الجهل به لا يكفر احد بغير ذلك وقال ابو الهذيل ان كل
متاول كان تاويله تشبيها لله تعالى بخلقه وتجويرا له في فعله وتكذيبا لخبره

فهو كافر وكل من اثبت شيئاً قديماً لايقال له اله فهو كافر وقال بعض المتكلمين
ان كان ممن عرف الاصل وبنى عليه وكان فيما هو من اوصاف الله تعالى فهو كافر
وان لم يكن من هذا الباب ففاسق الا ان يكون ممن لم يعرف الاصل فهو مخطئ
غير كافر وذهب عبيد الله بن الحسن العنبري الى تصويب اقوال المجتهدين
في اصول الدين فيما كان عرضة للتاويل وفارق في ذلك فرق الامة اذ اجمعوا
سواه على ان الحق في اصول الدين في واحد والمخطئ فيه آثم عاص فاسق
وانما الخلاف في تكفيره وقد حكى القاضي ابو بكر الباقلاني مثل قول
عبيد الله عن داود الاصبهاني قال وحكى قوم عنهما انهما قالا ذلك في
كل من علم الله تعالى من حاله استفراغ الوسع في طلب الحق من اهل ملتنا او من
غيرهم وقال نحو هذا القول الجاحظ وثمامة في ان كثيراً من العامة و
النساء والبله ومقلدة النصارى واليهود وغيرهم لا حجة لله تعالى
عليهم اذ لم يكن لهم طباع يمكن معها الاستدلال وقد نحا الغزالي قريباً
من هذا المنحى في كتاب التفرقة وقائل هذا كله كافر بالاجماع على كفر من لم
يكفر احداً من النصارى واليهود وكل من فارق دين الاسلام او وقف
في تكفيرهم او شك قال القاضي ابو بكر لان التوقيف والاجماع على كفرهم
فمن وقف في ذلك فقد كذب النص والتوقيف او شك فيه والتكذيب
والشك فيه لا يقع الا من كافر فصل في بيان ما هو من المقالات كفر وما
يتوقف او يختلف فيه وما ليس بكفر اعلم ان تحقيق هذا الفصل وكشف
اللبس فيه مورده الشرع ولا مجال للعقل فيه والفصل البين في هذا
ان كل مقالة صرحت بنفي الربوبية او الوحدانية او عبادة احد غير الله
تعالى او مع الله تعالى فهي كفر كمقالة الدهرية وسائر فرق اصحاب الاثنين

من الديصانية والمانوية واشباههم من الصابئين والنصارى والمجوس
والذين اشركوا بعبادة الاوثان او الملائكة او الشياطين او الشمس
او النجوم او النار او احد غير الله تعالى من مشركي العرب واهل الهند والصين
والسودان وغيرهم ممن لا يرجع الى كتاب وكذلك القرامطة واصحاب
الحلول والتناسخ من الباطنية والطيارة من الروافض وكذلك
من اعترف بالاهية الله تعالى ووحدانيته ولكنه اعتقد انه غير حي
او غير قديم او محدث او مصور او ادعى له ولداً او صاحبة او والداً
او انه متولد من شيء او كائن عنه او ان معه في الازل شيئاً قديماً
غيره او ان ثم صانعاً للعالم سواه او مدبراً غيره فذلك كله كفر باجماع
المسلمين كقول الالاهيين من الفلاسفة والمنجمين والطبايعيين و
كذلك من ادعى مجالسة الله تعالى والعروج اليه ومكالمته او حلوله في
احد الاشخاص كقول بعض المتصوفة والباطنية والنصارى والقرامطة
وكذلك نقطع على كفر من قال بقدم العالم او بقائه او شك في ذلك
على مذهب بعض الفلاسفة والدهرية او قال بتناسخ الارواح
وانتقالها ابد الاباد في الاشخاص وتعذيبها او تنعيمها فيها بحسب زكائها
وخبثها وكذلك من اعترف بالالاهية والوحدانية ولكنه جحد
النبوة من اصلها عموماً او نبوة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم خصوصاً او
احد من الانبياء عليهم السلام الذين نص الله تعالى عليهم بعد علمه بذلك
فهو كافر بلا ريب كالبراهمة ومعظم اليهود والاروسية من النصارى
والغرابية من الروافض الزاعمين ان علياً رضي الله تعالى عنه كان مبعوثاً
اليه جبريل عليه السلام وكالمعطلة والقرامطة والاسماعيلية والعنبرية

من الرافضة وان كان بعض هؤلاء قد اشتركوا في كفر آخر مع من قبلهم
وكذلك من دان بالوحدانية وصحة النبوة ونبوة نبينا محمد صلى الله
تعالى عليه وسلم ولكن جوز على الانبياء الكذب فيما اتوا به ادعى في
ذلك المصلحة بزعمه او لم يدعها فهو كافر باجماع كالمتفلسفين وبعض
الباطنية والروافض وغلاة المتصوفة واصحاب الاباحة فان هؤلاء
زعموا ان ظواهر الشرع واكثر ما جاءت به الرسل من الاخبار عما كان
ويكون من الامور الاخرة والحشر والقيامة والجنة والنار ليس منها شيء
على مقتضى لفظها ومفهوم خطابها وانما خاطبوا بها الخلق على جهة المصلحة
اذ لم يمكنهم التصريح لقصور افهامهم فمضمن مقالاتهم ابطال الشريعة
وتعطيل الاوامر والنواهي وتكذيب الرسل والارتياب فيما اتوا به
وكذلك من اضاف الى نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم تعمد الكذب فيما بلغه
واخبر به او شك في صدقه او سبه او قال انه لم يبلغ او استخف به او
باحد من الانبياء صلى الله تعالى على جميعهم وسلم او ازرى عليهم او آذاهم
او قتل نبيا او حاربه فهو كافر باجماع وكذلك يكفر من ذهب مذهب
بعض القدماء في ان لكل جنس من الحيوان نذيرا ونبيا من القردة والخنازير
والدواب والدود ويحتج بقوله تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير اذ
ذلك يؤدي الى ان توصف انبياء هذه الاجناس بصفاتهم المذمومة وفيه
من الازراء على هذا المنصب المنيف ما فيه مع اجماع المسلمين على خلافه وتكذيب
قائله وكذلك يكفر من اعترف من الاصول الصحيحة بما تقدم ونبوة
نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ولكن قال كان اسود او مات ان يلتحي وليس
الذي كان بمكة والحجاز او ليس بقرشي لان وصفه بغير صفاته

المعلومة

المعلومة نفي له وتكذيب به وكذلك من ادعى نبوة احد مع نبينا صلى الله
تعالى عليه وسلم او بعده كالعيسوية من اليهود القائلين بتخصيص رسالته
صلى الله تعالى عليه وسلم الى العرب وكالخرمية القائلين بتواتر الرسل
وكاكثر الرافضة القائلين بمشاركة علي رضي الله تعالى عنه في الرسالة
للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وبعده وكذلك كل امام عند هؤلاء
يقوم مقامه في النبوة والحجة وكالبزيغية والبيانية منهم القائلين
بنبوة بزيغ وبيان واشباه هؤلاء او من ادعى النبوة لنفسه او جوز
اكتسابها والبلوغ بصفاء القلب الى مرتبتها كالفلاسفة وغلاة
المتصوفة وكذلك من ادعى منهم انه يوحى اليه وان لم يدع النبوة
او انه يصعد الى السماء ويدخل الجنة وياكل من ثمارها ويعانق
الحور العين فهؤلاء كلهم كفار مكذبون للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم
لانه اخبر عليه السلام انه خاتم النبيين وانه ارسل كافة للناس واجمعت
الامة على حمل هذا الكلام على ظاهره وان مفهومه المراد به دون تاويل
ولا تخصيص فلا شك في كفر هؤلاء الطوائف كلها قطعا اجماعا
وسماعا وكذلك وقع الاجماع على تكفير كل من دافع نص الكتاب او خص
حديثا مجمعا على نقله مقطوعا به مجمعا على حمله على ظاهره كتكفير الخوارج
بابطال الرجم ولهذا نكفر من دان بغير ملة الاسلام من الملل
او وقف فيهم او شك او صحح مذهبهم وان اظهر مع ذلك الاسلام واعتقده
واعتقد ابطال كل مذهب سواه فهو كافر باظهاره ما اظهر من خلاف
ذلك وكذلك نقطع بتكفير كل قائل قال قولا يتوصل به الى تضليل الامة
وتكفير جميع الصحابة عليهم رضوان الله تعالى كقول الكميلية من الرافضة

بتكفير جميع الامة بعد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذ لم تقدم عليا رضي الله
تعالى عنه اذ لم يتقدم ويطلب حقه في التقديم فهؤلاء قد كفروا من وجوه
لانهم ابطلوا الشريعة باسرها اذ قد انقطع نقلها ونقل القرآن اذ ناقلوه
كفرة على زعمهم والى هذا والله تعالى اعلم اشار مالك رحمه الله تعالى في احد
قوليه بقتل من كفر الصحابة عليهم رضوان الله تعالى ثم كفروا من وجه آخر
بسبهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على مقتضى قولهم وزعمهم انه عهد
الى علي رضي الله تعالى عنه وهو يعلم انه يكفر بعده على قولهم لعنة الله تعالى عليهم
اجمعين وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وكذلك نكفر
بكل فعل اجمع المسلمون على انه لا يصدر الا من كافر وان كان صاحبه مصرحا
بالاسلام مع فعله ذلك الفعل كالسجود للصنم او للشمس والقمر و
الصليب والنار والسعي الى الكنائس والبيع مع اهلها بزيهم من شد
الزنانير وفحص الرؤوس فقد اجمع المسلمون ان هذا لا يوجد الا من كافر
وان هذه الافعال علامة على الكفر وان صرح فاعلها بالاسلام وكذلك
اجمع المسلمون على تكفير كل من استحل القتل او شرب الخمر او الزنا مما حرم الله
تعالى بعد علمه بتحريمه كاصحاب الاباحة من القرامطة وبعض غلاة المتصوفة
وكذلك نقطع بتكفير كل من كذب وانكر قاعدة من قواعد الشرع وما
عرف يقينا بالنقل المتواتر من فعل الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ووقع
الاجماع المتصل عليه كمن انكر وجوب الخمس الصلوات او عدد ركعاتها
وسجداتها ويقول انما اوجب الله تعالى علينا في كتابه الصلوة على الجملة
وكونها خمسا وعلى هذه الصفات والشروط لا اعلمه اذ لم يرد فيه في
القرآن نص جلي والخبر به عن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم خبر واحد

وكذلك

وكذلك اجمع المسلمون على تكفير من قال من الخوارج ان الصلوة طرفي النهار
وعلى تكفير الباطنية في قولهم ان الفرائض اسماء رجال امروا بولايتهم والخبائث
والمحارم اسماء رجال امروا بالبراءة منهم وقول بعض المتصوفة ان العبادة
وطول المجاهدة اذا صفت نفوسهم افضت بهم الى اسقاطها واباحة كل
شيء لهم ورفع عهد الشرائع عنهم وكذلك ان انكر منكر مكة او البيت
او المسجد الحرام او صفة الحج وقال الحج واجب في القرآن واستقبال
القبلة كذلك ولكن كونه على هذه الهيئة المتعارفة وان تلك البقعة
هي مكة والبيت والمسجد الحرام لا ادري هل هي تلك او غيرها ولعل
الناقلين ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فسرها بهذه التفاسير غلطوا
او وهموا فهذا ومثله لا مرية في تكفيرهم ان كان ممن يظن به علم ذلك
وممن خالط المسلمين وامتدت صحبته لهم الا ان يكون حديث عهد بالاسلام
فيقال له سبيلك ان تسأل على هذا الذي لم تعلم بعد كافة المسلمين فلا تجد
بينهم خلافا كافة عن كافة الى معاصر الرسول عليه السلام ان هذه الامور
كما قيل لك وان تلك البقعة هي مكة والبيت الذي هو فيها هي الكعبة و
القبلة التي صلى اليها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمسلمون وحجوا اليها
وطافوا بها وان تلك الافعال هي صفات عبادة الحج والمراد به فهي التي فعلها
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والمسلمون وان صفات الصلوات التي هي فعل
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وشرح مراد الله تعالى بذلك وابان حدودها
فيقع لك العلم كما وقع لهم ولا ترتاب بذلك بعد والمرتاب في ذلك او المنكر
بعد البحث وصحبة المسلمين كافر باتفاق ولا يعذر بقوله لا ادري ولا
يصدق فيه بل ظاهره التستر عن التكذيب اذ لا يمكن انه لا يدري وايضا

فانه اذا جوز على جميع الامة الوهم والغلط فيما نقلوه من ذلك وجعل
انه قول الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وفعله وتفسير مراد الله تعالى به ادخل
الاسترابة في جميع الشريعة اذهم الناقلون لها وللقرآن وانحلت عرى الدين
كرة ومن قال هذا كافر وكذلك من انكر القرآن او حرفا منه او غير شيئا منه
او زاد فيه كفعل الباطنية والاسماعيلية او زعم انه ليس بحجة للنبي صلى الله
تعالى عليه وسلم او ليس فيه حجة ولا معجزة كقول هشام الفوطي ومعمر الضيمري
انه لا يدل على الله تعالى ولا حجة فيه لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا يدل
على ثواب ولا عقاب ولا حكم ولا مخالفة كفرهما بذلك القول وكذلك تكفيرهما
بانكارهما ان يكون في سائر معجزات الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم حجة له
او في خلق السموات والارض دليل على الله تعالى لمخالفتهم الاجماع والنقل
المتواتر عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم باحتجاجه بهذا كله وتصريح
القرآن به وكذلك من انكر شيئا مما نص فيه القرآن بعد علمه انه من
القرآن الذي في ايدي الناس ومصاحف المسلمين ولم يكن جاهلا به ولا
قريب عهد بالاسلام واحتج لانكاره اما بانه لم يصح النقل عنده ولا بلغه
العلم به او لتجويز الوهم على ناقليه فنكفره بالطريقين المتقدمين لانه
مكذب للقرآن مكذب للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم لكنه تستر بدعواه
وكذلك من انكر الجنة والنار او البعث والحساب والقيامة فهو كافر
باجماع النص عليه واجماع الامة على صحة نقله متواترا وكذلك
من اعترف بذلك ولكنه قال ان المراد بالجنة والنار والحشر والنشر
والثواب والعقاب معنى غير ظاهره وانها لذات روحانية ومعان
باطنة كقول النصارى والفلاسفة والباطنية وبعض المتصوفة

وزعم ان معنى القيامة الموت او فناء محض وانتقاض هيئة الافلاك
وتحليل العالم كقول بعض الفلاسفة وكذلك نقطع بتكفير غلاة
الرافضة في قولهم ان الائمة افضل من الانبياء عليهم السلام فاما من انكر
ما عرف بالتواتر من الاخبار والسير والبلاد التي لا ترجع الى ابطال شريعة
ولا تفضي الى انكار قاعدة من الدين كانكار غزوة تبوك او مؤتة او وجود
ابي بكر وعمر او قتل عثمان رضي الله تعالى عنهم وخلافة علي رضي الله تعالى عنه
مما علم بالنقل ضرورة وليس في انكاره جحد شريعة فلا سبيل الى تكفيره
بجحد ذلك وانكار وقوع العلم له اذ ليس في ذلك اكثر من المباهتة كانكار
هشام وعباد وقعة الجمل ومحاربة علي رضي الله تعالى عنه من خالفه فاما
ان ضعف ذلك من اجل تهمة الناقلين ووهم المسلمين اجمع فنكفره بذلك
لسريانه الى ابطال الشريعة فاما من انكر الاجماع المجرد الذي ليس طريقه
النقل المتواتر عن الشارع فاكثر المتكلمين من الفقهاء والنظار في هذا الباب
قالوا بتكفير كل من خالف الاجماع الصحيح الجامع لشروط الاجماع المتفق عليه
عموما وحجتهم قوله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى الاية
وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم من خالف الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة
الاسلام من عنقه وحكوا الاجماع على تكفير من خالف الاجماع وذهب الاخرون
الى الوقوف عن القطع بتكفير من خالف الاجماع الذي يختص بنقله العلماء
وذهب اخرون الى التوقف في تكفير من خالف الاجماع لانه بقوله هذا
مخالف اجماع السلف على احتجاجهم به خارق للاجماع قال القاضي ابو بكر
القول عندنا ان الكفر بالله تعالى هو الجهل بوجوده والايمان هو العلم بوجوده
تعالى وانه لا يكفر احد بقول ولا رأي الا ان يكون هو الجهل بالله تعالى فان عصى

وزعم

بقول او فعل نص الله تعالى ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم او اجمع المسلمون انه
لا يوجد الا من كافر او يقوم دليل على ذلك فقد كفر ليس لاجل قوله لكن لا يقارن
من الكفر فالكفر بالله تعالى لا يكون الا باحد ثلاثة امور احدها الجهل بالله تعالى
والثاني ان ياتي فعلا او يقول قولا يخبر الله تعالى ورسوله صلى الله تعالى عليه
وسلم او يجمع المسلمون ان ذلك لا يكون الا من كافر كالسجود للصنم والمشي
الى الكنايس بالتزام الزنار مع اصحابها في اعيادهم او يكون ذلك القول
او الفعل لا يمكن معه العلم بالله تعالى قال فهذان الضربان وان لم يكونا جهلا
بالله تعالى فهما علم ان فاعلهما كافر منسلخ من الايمان فاما من نفى صفة من
صفات الله تعالى الذاتية او جحدها مستبصرا في ذلك كقوله ليس بعالم ولا قادر
ولا مريد ولا متكلم وشبه ذلك من صفات الكمال الواجبة له تعالى فقد
نص ائمتنا على الاجماع على من نفى عنه الوصف بها واعراه عنها وعلى هذا حمل
قول سحنون من قال ليس لله تعالى كلام فهو كافر وهو لا يكفر المتاولين كما
قدمناه فاما من جهل صفة من هذه الصفات فاختلف العلماء هاهنا
فكفره بعضهم وحكى ذلك عن ابي جعفر الطبري وغيره وقال به ابو الحسن
الاشعري مرة وذهبت طائفة الى ان هذا لا يخرجه عن اسم الايمان
واليه رجع الاشعري قال لانه لم يعتقد ذلك اعتقادا يقطع
بصوابه ويراه دينا وشرعا وانما يكفر من اعتقد ان مقاله حق
واحتج هؤلاء بحديث السوداء رضي الله تعالى عنه وان النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم انما طلب منها التوحيد لا غير وبحديث القائل لئن قدر
الله علي وفي رواية فيه لعلي رضي الله تعالى عنه اضل الله تعالى ثم قال
يغفر الله تعالى له قالوا ولو بوحث اكثر الناس عن الصفات وكوشفوا عنها

لما وجد

لما وجد من يعلمها الا الاقل وقد اجاب الاخر عن هذا الحديث بوجوه منها
ان قدر ولا يكون شكه في القدرة على احيائه بل في نفس البعث الذي
لا يعلم الا بشرع ولعله لم يكن ورد عندهم به شرع يقطع عليه فيكون
الشك فيه حينئذ كفرا فاما ما لم يرد به شرع فهو من مجوزات العقول
او يكون قدر بمعنى ضيق ويكون ما فعله بنفسه ازراء عليها وغضبا
لعصيانها وقيل قال ما قاله وهو غير عاقل لكلامه ولا ضابط للفظه مما
استولى عليه من الجزع والخشية التي اذهلت لبه فلم يؤاخذ به وقيل
كان هذا في زمن الفترة وحيث ينفع مجرد التوحيد وقيل بل هذا من مجاز
كلام العرب الذي صورته الشك ومعناه التحقيق وهو يسمى تجاهل
العارف وله امثلة في كلامهم كقوله تعالى لعله يتذكر او يخشى وقوله
تعالى وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين فاما من اثبت الوصف
ونفى الصفة فقال اقول عالم ولكن لا علم له ومتكلم لا كلام له وهكذا
في سائر الصفات على مذهب المعتزلة فمن قال بالمآل لما يؤديه اليه قوله
ويسوقه اليه مذهبه كفره لانه اذا نفي العلم انتفى وصف عالم اذ لا يوصف
بعالم الا من له علم وكانهم صرحوا عنده بما ادى اليه قولهم وهكذا اعتقد
هذا سائر فرق اهل التاويل من المشبهة والقدرية وغيرهم ومن لم ير اخذهم
بمآل قولهم ولا الزمهم موجب مذهبهم لم ير اكفارهم قال لانهم اذا وقفوا
على هذا قالوا لا نقول ليس بعالم ونحن ننتفي من القول بالمآل الذي الزمتموناه
ونعتقد نحن وانتم انه كفر بل نقول ان قولنا لا يؤول اليه على ما اصلناه فعلى
هذين الماخذين اختلف الناس في اكفار اهل التاويل واذا فهمته اتضح لك
الموجب لاختلاف الناس في ذلك والصواب ترك اكفارهم والاعراض عن الحتم

عليهم بالخسران واجراء حكم الاسلام عليهم في قصاصهم ووراثاتهم
ومناكحاتهم ودياتهم والصلوة عليهم ودفنهم في مقابر المسلمين
وسائر معاملاتهم لكنهم يغلظ عليهم بوجيع الادب وشديد الزجر
والهجر حتى يرجعوا عن بدعتهم وهذه كانت سيرة الصدر الاول
فيهم فقد كان نشأ على زمن الصحابة رضي الله تعالى عنهم وبعدهم في التابعين
من قال بهذه الاقوال من القدر ورأي الخوارج والاعتزال فما ازاحوا لاحد
منهم ولا قطعوا لاحد منهم ميراثا لكنهم هجروهم وادبوهم بالضرب والنفي
والقتل على قدر احوالهم لانهم فساق عصاة اصحاب كبائر عند المحققين
واهل السنة ممن لم يقل بكفرهم منهم خلافا لمن رأى غير ذلك والله
تعالى الموفق للصواب قال القاضي ابو بكر واما مسائل الوعد والوعيد
والرؤية والمخلوق وخلق الافعال وبقاء الاعراض والتولد وشبهها
من الدقائق فالمنع من اكفار المتأولين فيها اوضح اذ ليس في الجهل بشيء
منها جهل بالله تعالى ولا اجمع المسلمون على اكفار من جهل شيئا منها وقد
قدمنا في الفصل قبله من الكلام وصورة الخلاف في هذا ما اغنى
عن اعادته بحول الله تعالى فصل هذا حكم المسلم الساب لله تعالى
واما الذمي فروي عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما في ذمي تناول
من حرمة الله تعالى غير ما هو عليه من دينه وحاج فيه فخرج ابن عمر رضي
الله تعالى عنهما عليه بالسيف فطلبه فهرب وقال مالك رحمه الله تعالى
في كتاب ابن حبيب والمبسوط وابن القاسم في المبسوط وكتاب محمد وابن
سحنون من شتم الله تعالى من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي به كفروا
قتل ولم يستتب قال ابن القاسم الا ان يسلم قال في المبسوطة طوعا قال

اصبغ لان الوجه الذي به كفروا هو دينهم وعليه عوهدوا من دعوى
الصاحبة والشريك والولد واما غير هذا من الفرية والشتم فلم يعاهدوا
عليه فهو نقض للعهد قال ابن القاسم في كتاب محمد ومن شتم من غير اهل
الاديان الله تعالى بغير الوجه الذي ذكر في كتابه قتل الا ان يسلم قال المخزومي
في المبسوطة ومحمد بن مسلمة وابن ابي حازم لا يقتل حتى يستتاب مسلما
كان او كافرا فان تاب والا قتل وقال مطرف وعبد الملك مثل قول
مالك رحمه الله تعالى وقال ابو محمد بن ابي زيد من سب الله تعالى بغير الوجه
الذي به كفر قتل الا ان يسلم وقد ذكرنا قول ابن الجلاب قبل وذكرنا قول
عبيد الله وابن ابي لبابة وشيوخ الاندلسيين في النصرانية وفتياهم
بقتلها لسبها بالوجه الذي كفرت به لله تعالى والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم
واجماعهم على ذلك وهو نحو القول الاخر فيمن سب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
منهم بالوجه الذي كفر به ولا فرق في ذلك بين سب الله تعالى به وسب نبيه
صلى الله تعالى عليه وسلم لانا عاهدناهم على ان لا يظهروا لنا شيئا من كفرهم ولا
يسمعونا شيئا من ذلك فمتى فعلوا شيئا منه فهو نقض لعهدهم واختلف
العلماء في الذمي اذا تزندق فقال مالك ومطرف وابن عبد الحكم واصبغ
رحمهم الله تعالى لا يقتل لانه خرج من كفر الى كفر وقال عبد الملك بن الماجشون
يقتل لانه دين لا يقر عليه احد ولا يؤخذ عليه جزية قال ابن حبيب وما
علمت من قال غيره فصل هذا حكم من صرح بسبه تعالى واضافة ما لا يليق
بجلاله والالهيته فاما مفتري الكذب عليه تبارك وتعالى بادعاء الالهية
او الرسالة او النافي ان يكون الله تعالى خالقه او ربه او قال ليس لي رب
او المتكلم بما لا يعقل من ذلك في سكره او غمرة جنونه فلا اختلاف في كفر قائل

ذلك ومتعنيه مع سلامة عقله كما قدمناه لكنه تقبل توبته على المشهور
وتنفعه انابته وتنجيه من القتل فيئته لكنه لا يسلم من عظيم النكال ولا
يرفه عن شديد العقاب ليكون ذلك زجرا لمثله عن قوله وله عن العودة
لكفره او جهله الا من تكرر ذلك منه وعرف استهانته بما اتى به فهو دليل
على سوء طويته وكذب توبته وصار كالزنديق الذي لا نأمن باطنه ولا
نقبل رجوعه وحكم السكران في ذلك حكم الصاحي واما المجنون والمعتوه
فما علم انه قاله من ذلك في حال غمرته وذهاب ميزه بالكلية فلا نظر فيه
وما فعله من ذلك في حال ميزه وان لم يكن معه عقله وسقط تكليفه
ادب على ذلك لينزجر عنه كما يؤدب على قبائح الافعال ويوالي ادبه
على ذلك حتى ينكف عنه كما تؤدب البهيمة على سوء الخلق وقد حرق علي بن
ابي طالب رضي الله تعالى عنه من ادعى له الالهية وقد قتل عبد الملك
بن مروان الحارث المتنبي وصلبه وفعل ذلك غير واحد من الخلفاء
والملوك باشباههم واجمع علماء وقتهم على صواب فعلهم والمخالف
في ذلك من كفرهم كافر واجمع فقهاء بغداد ايام المقتدر من
المالكية وقاضي قضاتها ابو عمر المالكي على قتل الحلاج وصلبه
لدعواه الالهية والقول بالحلول وقوله انا الحق مع تمسكه
في الظاهر بالشريعة ولم يقبلوا توبته وكذلك حكموا في ابن ابي العزاقر
وكان على نحو مذهب الحلاج بعد هذا ايام الراضي وقاضي قضاة
بغداد يومئذ ابو الحسين بن ابي عمر المالكي وقال ابن عبد الحكم
في المبسوط من تنبأ قتل وقال ابو حنيفة واصحابه رحمهم الله
تعالى من جحد ان الله تعالى خالقه او ربه او قال ليس لي رب فهو مرتد

وقال ابن القاسم في كتاب ابن حبيب ومحمد في العتبية فيمن تنبأ يستتاب
اسر ذلك او اعلنه وهو كالمرتد وقاله سحنون وغيره وقاله اشهب
في يهودي تنبأ وادعى انه رسول الينا ان كان معلنا بذلك استتيب فان
تاب والا قتل وقال ابو محمد بن ابي زيد فيمن لعن بارئه وادعى ان لسانه زل
وانما اراد لعن الشيطان يقتل بكفره ولا يقبل عذره وهذا على القول الاخر
من لا تقبل توبته وقال ابو الحسن القابسي في سكران قال انا الله انا الله ان
تاب ادب فان عاد الى مثل قوله طولب مطالبة الزنديق لان كفر المتلاعبين
فصل فاما من تكلم من سقط القول وسخف اللفظ ممن لم يضبط كلامه
واهمل لسانه بما يقتضي الاستخفاف بعظمة ربه وجلالة مولاه او تمثل
في بعض الاشياء ببعض ما عظم الله تعالى من ملكوته او نزع من الكلام
لمخلوق بما لا يليق الا في حق خالقه غير قاصد للكفر والاستخفاف ولا عامد
للالحاد فان تكرر هذا منه وعرف به دل على تلاعبه بدينه واستخفافه
بحرمة ربه وجهله بعظيم عزته وكبريائه وهذا كفر لا مرية فيه وكذلك
ان كان ما اورده يوجب الاستخفاف والتنقص لربه تعالى وقد افتى ابن
حبيب واصبغ بن خليل من فقهاء قرطبة بقتل المعروف بابن اخي عجب
وكان خرج يوما فاخذه المطر فقال بدأ الخراز يرش جلوده وكان بعض
الفقهاء بها ابو زيد صاحب الثمانية وعبد الاعلى بن وهب وابان بن
عيسى قد توقفوا عن سفك دمه واشاروا الى انه عبث من القول يكفي
فيه الادب وافتى بمثله القاضي حينئذ موسى بن زياد فقال ابن حبيب
دمه في عنقي ايشتم رب عبدناه ثم لا ننتصر له انا اذا لعبيد سوء
وما نحن له بعابدين وبكى ورفع المجلس الى الامير بها عبد الرحمن بن الحكم

الاموى وكانت عجب عمة هذا المطلوب من خطاياه واعلم باختلاف
الفقهاء فخرج الاذن من عنده بالاخذ بقول ابن حبيب وصاحبه فامر
بقتله فقتل وصلب بحضرة الفقيهين وعزل القاضي لتهمته بالمداهنة
في هذه القصة ووبخ بقية الفقهاء وسبهم واما من صدرت عنه
من ذلك الهنة الواحدة والفلتة الشاردة ما لم يكن تنقصا وازراء
فيعاقب عليها ويؤدب بقدر مقتضاها وشنعة معناها وصورة
حال قائلها وشرح سببها ومقارنها وقد سئل ابن القاسم رحمه الله تعالى
عن رجل نادى رجلا باسمه فاجابه فقال لبيك اللهم لبيك قال ان
كان جاهلا او قاله على وجه سفه فلا شيء عليه قال القاضي ابو الفضل
رحمه الله تعالى وشرح قوله انه لا قتل عليه والجاهل يزجر ويعلم والسفيه
يؤدب ولو قالها على اعتقاد انزاله منزلة ربه لكفر هذا مقتضى قوله
وقد اسرف كثير من سخفاء الشعراء ومتهميهم في هذا الباب واستخفوا
عظيم هذه الحرمة فاتوا من ذلك بما ننزه كتابنا واقلامنا عن
ذكره ولولا انا قصدنا نص مسائل حكيناها لما ذكرنا شيئا مما يثقل ذكره
علينا مما حكيناه في هذه الفصول واما ما ورد في هذا من اهل الجهالة
واغاليط اللسان كقول بعض الاعراب رب العباد ما لنا ولكا قد كنت
تسقينا فما بدا لكا انزل علينا الغيث لا ابا لكا في اشباه لهذا من كلام
الجهال ومن لم يقومه ثقاف تاديب الشريعة والعلم في هذا الباب
فقل ما يصدر الا من جاهل يجب تعليمه وزجره والاغلاظ له عن
العودة الى مثله قال ابو سليمان الخطابي وهذا تهور من القول والله
تعالى منزه عن هذه الامور وقد روينا عن عون بن عبد الله انه قال

ليعظم

ليعظم احدكم ربه ان يذكر اسمه في كل شيء حتى يقول اخزى الله تعالى الكلب
وفعل به كذا وكذا وكان بعض من ادركنا من مشايخنا قل ما يذكر اسم الله
تعالى الا فيما يتصل بطاعته وكان يقول للانسان جزيت خيرا وقل ما يقول
جزاك الله تعالى خيرا اعظاما لاسمه تعالى ان يمتهن في غير قربة وحدثنا
الثقة ان الامام ابا بكر الشاشي كان يعيب على اهل الكلام كثرة خوضهم
فيه تعالى وفي ذكر صفاته اجلالا لاسمه تعالى ويقول هؤلاء يتمندلون
بالله تعالى وينزل الكلام في هذا الباب تنزيله في باب ساب النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم على الوجوه التي فصلناها والموفق الله تعالى فصل وحكم
من سب سائر انبياء الله تعالى وملائكته واستخف بهم او كذبهم فيما
اتوا به او انكرهم وجحدهم حكم نبينا عليه الصلاة والسلام على مساق ما قدمناه
قال الله تعالى ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين
الله ورسله الاية وقال الله تعالى قولوا امنا بالله وما انزل الينا
وما انزل الى ابراهيم الاية الى قوله لا نفرق احد منهم وقال الله تعالى
كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله
وقال مالك رحمه الله تعالى في كتاب ابن حبيب ومحمد وقاله ابن القاسم و
ابن الماجشون وابن الحكم واصبغ وسحنون فيمن شتم الانبياء عليهم السلام
او احدا منهم او تنقصه قتل ولم يستتب ومن سبهم من اهل الذمة قتل الا
ان يسلم وروى سحنون عن ابن القاسم رحمه الله تعالى من سب الانبياء
عليهم السلام من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي به كفروا ضربت عنقه الا
ان يسلم وقد تقدم الخلاف في هذا الاصل وقال القاضي بقرطبة سعيد
بن سليمان في بعض اجوبته من سب الله تعالى وملائكته قتل وقال سحنون

من شتم ملكا من الملائكة فعليه القتل وفي النوادر عن مالك رحمه الله تعالى
فيمن قال ان جبريل عليه السلام اخطأ بالوحي وانما كان النبي علي بن ابي طالب
رضي الله تعالى عنه استتيب فان تاب والا قتل ونحوه عن سحنون وهذا
قول الغرابية من الروافض سموا بذلك لقولهم وكان النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم اشبه بعلي من الغراب بالغراب وقال ابو حنيفة و
اصحابه رحمهم الله تعالى على اصلهم من كذب باحد من الانبياء عليهم
السلام او تنقص احدا منهم او برئ منه فهو مرتد وقال ابو الحسن
القابسي في الذي قال لآخر كأنه وجه مالك الغضبان لو عرف انه
قصد ذم الملك قتل قال القاضي ابو الفضل المصنف رحمه الله
تعالى وهذا كله فيمن تكلم فيهم بما قلناه على جملة الملائكة والنبيين او على
معين ممن حققنا عليه بالخبر المتواتر والمشتهر المتفق عليه بالاجماع
القاطع كجبريل وميكائيل ومالك وخزنة الجنة وجهنم والزبانية
وحملة العرش المذكورين في القران من الملائكة عليهم السلام ومن سمي فيه
من الانبياء عليهم السلام وكعزرائيل واسرافيل ورضوان والحفظة ومنكر
ونكير من الملائكة المتفق على قبول الخبر بهما فاما من لم تثبت الاخبار
بتعيينه ولا وقع الاجماع على كونه من الملائكة او الانبياء كهاروت و
ماروت في الملائكة والخضر ولقمان وذي القرنين ومريم وآسية
وخالد بن سنان المذكور انه نبي اهل الرس وزرادشت الذي تدعي
المجوس والمؤرخون نبوته فليس الحكم في سابهم والكافر بهم كالحكم
فيمن قدمنا اذ لم تثبت لهم تلك الحرمة ولكن يزجر من تنقصهم وآذاهم
ويؤدب بقدر حال المقول فيهم منهم لا سيما من عرفت صديقيته

وفضله

وفضل بعضهم وان لم تثبت نبوته واما انكار نبوتهم او كون الآخر من الملائكة
فان كان المتكلم في ذلك من اهل العلم فلا حرج لاختلاف العلماء في ذلك وان كان
من عوام الناس زجر عن الخوض في مثل هذا فان عاد ادب اذ ليس لهم الكلام
في مثل هذا وقد كره السلف الكلام في مثل هذا مما ليس تحته عمل لاهل العلم فكيف
للعامة فصل واعلم ان من استخف بالقران او المصحف او بشيء منه او سبهما
او جحده او حرفا منه او آية او كذب به او بشيء منه او كذب بشيء مما صرح
فيه من حكم او خبر او اثبت ما نفاه او نفى ما اثبته على علم منه بذلك
او شك في شيء من ذلك فهو كافر عند اهل العلم باجماع قال الله تعالى وانه لكتاب
عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد حدثنا الفقيه
ابو الوليد هشام بن احمد رحمه الله تعالى حدثنا ابو علي حدثنا عبد البر قال
حدثنا ابن عبد المؤمن قال حدثنا ابن داسة قال حدثنا ابو داود
قال حدثنا احمد بن حنبل حدثنا يزيد بن هارون حدثنا محمد بن عمرو
وعن ابي سلمة عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
قال المراء في القران كفر تؤول بمعنى الشك وبمعنى الجدال وعن ابن
عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من جحد آية من
كتاب الله تعالى من المسلمين فقد حل ضرب عنقه وكذلك ان جحد التورات
والانجيل وكتب الله تعالى المنزلة او كفر بها او لعنها او سبها او استخف بها
فهو كافر وقد اجمع المسلمون ان القران المتلو في جميع اقطار الارض المكتوب
في المصحف بايدي المسلمين مما جمعه الدفتان من اول الحمد لله رب العالمين
الى آخر قل اعوذ برب الناس انه كلام الله تعالى ووحيه المنزل على نبيه
محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وان جميع ما فيه حق وان من نقص منه حرفا واحدا

ناصا لذلك او بدله بحرف آخر مكانه او زاد فيه حرفا مما لم يشتمل عليه
المصحف الذي وقع الاجماع عليه واجمع على انه ليس من القرآن عامدا لكل هذا
انه كافر ولهذا رأى مالك رحمه الله تعالى قتل من سب عائشة رضي الله تعالى
عنها بالفرية لانه خالف القرآن ومن خالف القرآن قتل اى لانه كذب بما فيه
وقال ابن القاسم من قال ان الله تعالى لم يكلم موسى تكليما يقتل وقال عبد الرحمن
بن مهدي وقال محمد بن سحنون فيمن قال المعوذتان ليستا من كتاب الله تعالى
تضرب عنقه الا ان يتوب وكذلك كل من كذب بحرف منه وقال وكذلك
ان شهد شاهد على من قال ان الله تعالى لم يكلم موسى تكليما وشهد آخر
عليه انه قال ان الله تعالى ما اتخذ ابراهيم خليلا لانهما اجتمعا على انه
كذب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ابو عثمان الحداد جميع من ينتحل
التوحيد متفقون ان الجحد بحرف من التنزيل كفر وكان ابو العالية
اذا قرأ عنده رجل لم يقل له ليس كما قرأت ويقول اما انا فاقرأ كذا فبلغ
ذلك ابراهيم فقال اراه سمع انه من كفر بحرف واحد منه فقد كفر به كله
وقال عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنهما من كفر بآية من القرآن فقد
كفر به كله ومن كفر به قتل وقال اصبغ بن الفرج من كذب ببعض القرآن
فقد كذب به كله ومن كذب به كله فقد كفر ومن كفر به فقد كفر بالله
تعالى وقد سئل القابسي عمن خاصم يهوديا فحلف له بالتوراة فقال الآخر
الآخر لعن التوراة فشهد عليه بذلك شاهد ثم شهد آخر انه سأله
عن القضية فقال انما لعنت توراة اليهود فقال ابو الحسن الشاهد الواحد
لا يوجب القتل والثاني علق الامر بصيغة تحتمل التأويل اذ لعله لا يرى اليهود
متمسكين بشيء من عند الله تعالى لتبديلهم وتحريفهم ولو اتفق الشاهدان على لعن

التوراة بجردا لضاق التأويل وقد اتفق فقهاء بغداد على استتابة
ابن شنبوذ المقرئ احد ائمة المقرئين المتصدرين بها مع ابن مجاهد
لقراءته وقراءة بشواذ من الحروف مما ليس في المصحف وعقدوا عليه
بالرجوع عنه والتوبة منه سجلا اشهد فيه بذلك على نفسه في
مجلس الوزير ابي علي بن مقلة سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة
وكان فيمن افتى عليه بذلك ابو بكر الابهري وغيره وافتى ابو محمد بن
ابي زيد بالادب فيمن قال لصبي لعن الله تعالى معلمك وما علمك وقال
اردت سوء الادب ولم ارد القرآن قال ابو محمد واما من لعن المصحف
فانه يقتل فصل وسب آل بيت النبي وازواجه واصحابه صلى
الله تعالى عليه وسلم وتنقصهم حرام ملعون فاعله حدثنا القاضي
الشهيد ابو علي رحمه الله تعالى حدثنا ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل
العدل قالا حدثنا ابو يعلى حدثنا ابو علي السنجي حدثنا ابن محبوب حدثنا
الترمذي حدثنا محمد بن يحيى حدثنا يعقوب بن ابراهيم حدثنا عبيدة
بن ابي رابطة عن عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله بن مغفل رضي الله
تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الله الله في اصحابي
الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم
فببغضي ابغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله تعالى
ومن آذى الله تعالى يوشك ان يأخذه وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم لا تسبوا اصحابي فمن سبهم فعليه لعنة الله تعالى والملائكة والناس
اجمعين لا يقبل الله تعالى منه صرفا ولا عدلا وقال صلى الله تعالى عليه وسلم
لا تسبوا اصحابي فانه يجيء قوم في آخر الزمان يسبون اصحابي فلا تصلوا

عليهم ولا تصلوا معهم ولا تناكحوهم ولا تجالسوهم وان مرضوا فلا تعودوهم
وعنه صلى الله تعالى عليه وسلم من سب اصحابي فاضربوه وقد اعلم
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان سبهم واذاهم يؤذيه واذى النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم حرام فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لا تؤذوني
في اصحابي ومن اذاهم فقد اذاني وقال صلى الله تعالى عليه وسلم لا تؤذوني
في عائشة رضي الله تعالى عنها وقال صلى الله تعالى عليه وسلم في فاطمة
رضي الله تعالى عنها انها بضعة مني يؤذيني ما اذاها وقد اختلف العلماء
رحمهم الله تعالى في هذا فمشهور مذهب مالك رحمه الله تعالى في ذلك
الاجتهاد والادب الوجيع قال مالك رحمه الله تعالى من شتم النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم قتل ومن شتم اصحابه ادب وقال ايضا
من شتم احدا من اصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ابا بكر او عمر
او عثمان او عليا او معاوية او عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهم فان
قال كانوا على ضلال وكفر قتل وان شتمهم بغير هذا من مشاتمة الناس
نكل نكالا شديدا وقال ابن حبيب من غلا من الشيعة الى بغض
عثمان والبراءة منه رضي الله تعالى عنه ادب ادبا شديدا ومن
زاد الى بغض ابي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما فالعقوبة عليه اشد
ويكرر ضربه ويطال سجنه حتى يموت ولا يبلغ به القتل الا في سب
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقال سحنون من كفر احدا من اصحاب
النبي عليه الصلوة والسلام عليا او عثمان رضي الله تعالى عنهما او غيرهما
يوجع ضربا وحكى ابو محمد ابن ابي زيد عن سحنون من قال في ابي بكر وعمر
وعثمان وعلي رضي الله تعالى عنهم انهم كانوا على ضلالة وكفر قتل

ومن

ومن شتم غيرهم من الصحابة رضي الله تعالى عنهم بمثل هذا نكل النكال
الشديد وروي عن مالك رحمه الله تعالى من سب ابا بكر رضي الله تعالى
عنها قتل قيل له لم قال من رماها فقد خالف القرآن وقال ابن شعبان
عنه لان الله تعالى يقول يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مؤمنين
فمن عاد لمثله فقد كفر وحكى ابو الحسن الصقلي ان القاضي ابا بكر بن
الطيب قال ان الله تعالى اذا ذكر في القرآن ما نسبه اليه المشركون سبح
نفسه لنفسه كقوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه في اي
كثيرة وذكر تعالى ما نسبه المنافقون الى عائشة رضي الله تعالى عنها فقال الله
تعالى ولولا ان سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك سبح نفسه
في تبرئتها من السوء كما سبح نفسه تعالى في تنزيهه من السوء وهذا يشهد
لقول مالك رحمه الله تعالى في قتل من سب عائشة رضي الله تعالى عنها ومعنى
هذا والله تعالى اعلم ان الله تعالى لما عظم سبها كما عظم سبه وكان سبها
رضي الله تعالى عنها سبا لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم وقرن سب
نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بسبه واذاه باذاه تعالى وكان
حكم مؤذيه تعالى القتل كان مؤذي نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم
كذلك كما قدمناه وشتم رجل عائشة رضي الله تعالى عنها بالكوفة فقدم
الى موسى بن عيسى العباسي فقال من حضر هذا فقال ابن ابي ليلى انا فجلده
ثمانين وحلق رأسه واسلمه في الحجامين وروي عن عمر بن الخطاب
رضي الله تعالى عنه انه نذر قطع لسان عبيد الله بن عمر اذ شتم المقداد
بن الاسود رضي الله تعالى عنه فكلم في ذلك فقال دعوني اقطع لسانه
حتى لا يشتم احد بعض اصحاب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وروي

ابو ذر الهروي ان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه اتى باعرابي
يهجو الانصار فقال لولا ان له صحبة لكفيتكموه قال مالك رحمه الله
تعالى من ينتقص احدا من اصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فليس له
وهذا الفيء حق قسم الله تعالى الفيء في ثلثة اصناف فقال تعالى للفقراء
المهاجرين الاية ثم قال الله تعالى والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم
الاية ثم قال الله تعالى والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا
ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان الاية فمن ينتقصهم فلا حق له في المسلمين
وفي كتاب ابن شعبان من قال في واحد منهم انه ابن زانية وامه
مسلمة حد عند بعض اصحابنا حدين حدا له وحدا لامه ولا اجعله
كقاذف الجماعة في كلمة لفضل هذا على غيره ولقوله عليه الصلوة والسلم
من سب اصحابي فاجلدوه قال ومن قذف ام احدهم وهي كافرة
حد حد الفرية لانه سب له فان كان احد من ولد هذا الصحابي حيا
قام بما يجب له والا فمن قام به من المسلمين كان على الامام قبول قيامه
قال وليس هذا كحقوق غير الصحابة رضي الله تعالى عنهم لحرمة هؤلاء
بنبيهم صلى الله تعالى عليه وسلم ولو سمعه الامام واشهد عليه كان
ولي القيام قال ومن سب غير عائشة رضي الله تعالى عنها من ازواج
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ورضي عنهن ففيها قولان احدهما
يقتل لانه سب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بسب حليلته والاخر
انها كسائر الصحابة رضي الله تعالى عنهم يجلد حد المفتري قال وبالاول
اقول وروى ابو مصعب عن مالك رحمه الله تعالى من انتسب الى
بيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يضرب ضربا وجيعا ويشهر ويحبس

وهؤلاء الانصار صح

حبسا طويلا حتى تظهر توبته لانه استخفاف بحق الرسول صلى الله
تعالى عليه وسلم وافتى ابو المطرف الشعبي فقيه مالقة في رجل انكر
تحليف امراة بالليل وقال لو كانت بنت ابي بكر الصديق رضي الله تعالى
عنه ما حلفت الا بالنهار وصوب قوله بعض المتسمين بالفقه فقال
ابو المطرف ذكر هذا لابنة ابي بكر رضي الله تعالى عنه في مثل هذا يوجب
عليه الضرب الشديد والسجن الطويل والفقيه الذي صوب قوله
هو اخق باسم الفسق من اسم الفقيه فيتقدم اليه في ذلك ويزجر
ولا يقبل فتواه ولا شهادته وهي جرحة ثابتة فيه ويبغض في الله تعالى
وقال ابو عمران في رجل قال لو شهد علي ابو بكر الصديق رضي الله تعالى
عنه انه ان كان في مثل ما لا يجوز فيه الا شاهد واحد فلا شيء عليه وان
كان اراد غير هذا فيضرب ضربا يبلغ به حد الموت قال القاضي ابو الفضل
رحمه الله تعالى هنا انتهى القول بنا فيما حررناه وانتجز الغرض الذي
انتحيناه واستوفى الشرط الذي شرطناه مما رجونا ان في كل قسم منه
للمريد مقنع وفي كل باب منهج الى بغيته ومنزع وقد سفرت فيه
عن نكت تستغرب وتستبدع وكرعت في مشارب من التحقيق
لم يورد لها قبل في اكثر التصانيف مشرع واودعته غير ما فصل
وددت لو وجدت من بسط قبلي الكلام فيه او مقتدى يفيدنيه
عن كتاب او فيه لاكتفي بما ارويه عما اروّيه والى الله تعالى جزيل الضراعة
في المنة بقبول ما منه لوجهه والعفو عما تخلله من تزين وتصنع لغيره
وان يهب لنا ذلك بجميل كرمه وعفوه لما اودعناه من شرف مصطفاه
وامين وحيه واسهرنا به جفوننا لتتبع فضائله واعملنا فيه خواطرنا

سقط لفظ الفقيه والمتفقه من ... صح

من ابراز خصائصه ووسائله • ويحمي اعراضنا عن ناره الموقدة لحمايتنا
كريم عرضه • ويجعلنا ممن لا يذاد اذا زيد المبدل عن حوضه ويجعله لنا
ولمن تهمم باكتتابه واكتسابه • سببا يصلنا باسبابه بها رضاه وجزيل
ثوابه • ويخصنا بخصيصى زمرة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم
وجماعته • ويحشرنا في الرعيل الاول واهل الباب الايمة من اهل
شفاعته ونحمده تعالى على ما هدى اليه من جمعه والهم وفتح البصيرة
لدرك حقائق ما اودعناه وفهم • ونستعيذه جل اسمه من دعاء
لا يسمع • وعلم لا ينفع • وعمل لا يرفع • فهو الجواد الذي لا يخيب
من امله • ولا ينتصر من خذله • ولا يرد دعوة القاصدين • ولا
يصلح عمل المفسدين • وهو حسبنا ونعم الوكيل • وصلواته على سيدنا
محمد خاتم النبيين • وسيد المرسلين
واله وصحبه اجمعين
تمت الشفاء الشريف
بعون الله الملك
اللطيف
م م م

نحو هذا الرقيم • فياله من كتاب كريم • كتاب لو مسته العميا
لشملها البهجة والسرا • ولو نظر فيه الاعمى • لعاد ابصر من
زرقا • ولو ان العيون زال غشاها • لالتذت في جنان سطوره
بمشتهاها • ولو استصحبه الملهوف الكئيب • لرأى من
فيضان المسرة عليه كل عجيب • لم لا يكون عين الشفا •

و ذخيرة نجدها يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا بجود صح

اما

اما يعرف حقوق المصطفى • صلى الله تعالى عليه وسلم •
وعلى اله ما ذكر الوفا واجتنب الغدر والجفا كيف لا ولقد
احيا الله تعالى به نفوسا كانت في بوار • شفا جرف هار •
واسمع به اذانا صما • وانطق السنة بجما • وبصر عيونا عميا
والان به قلوبا قسيا • لا بدع ان شفا ابن سينا • لعلل الابدان
وهذا شفاء لما في الصدور والجنان • ذاك مظنون الدواء
ودواء هذا ليس فيه ريب ومرا • ان كان ذلك للقانون الرذيل
وهذا كان للساقي الجميل الجزيل • بالهما من بون بينهما لمن يبتني
ويعرب • فشتان بين مشرق ومغرب • على ان الجهابذة الاثبات
مصرحة لمن كتبه بقضاء الحاجات • ويامن البيت الكائن فيه
من انواع الافات • ولا يقرب منه شي من العاهات والمخافات
وذلك مجرب صحيح • وبذلك لعالم اليمن تصريح • فهاك كتابا
تشد دونه الرحال • ويهتدى بسناه الرجال • وهم بتزكية
نفوسهم مشتغلون • ولمثل هذا فليعمل العاملون

نا قل اولاده هاشمی بیك ایكی یوز التی ماه صفرده ایام نحس
شدید الشتاء فی سنه ١٢١٦